د. ليلى محمد ناظم الحيالي

جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي

معجم ودراسة

مكتبة لبنان ناشرون

هذا المُعجَم

- يُشكِّل مُعجَم «جَمهرة النَّثر النِّسويّ» للدُّكتورة ليلى محمَّد ناظم الحيالي الوَجْه الآخر أو التَّتِمَّة المَنطقيَّة لِمُعجَمها: «مُعجَم ديوان أشعار النِّساء في صَدْر الإسلام».
- غاصَت الباحثة على كُتُب الأدب والتاريخ والسِّيَر والتَّراجِم والمَعاجِم والتَّفاسير، وكتب الحديث... حتّى تَمكَّنت من جمع هٰذا الكَمّ الهامّ من النَّثر حيث سَجَّلت الدَّور الهامّ الذي لعبته المرأة في العَصْرَيْن الإسلاميّ والأمويّ... وقد بيَّنت الحُقول والأنواع التي خاضَت فيها المرأة كالخِطابة، والقِصَّة، والوصايا، والمَثل، والحِكْمة، والحِوار، والوَصْف، والقِطَع الأدبيَّة...
- تَناوَلت المُؤلِّفة الخَصائص الفَنِّيَّة لنثر النِّساء، خصوصًا تلك التي تَتعلَّق بالأُسلوب أي الصُّوَر والأَخْيلة والألفاظ والتَّراكيب والأفكار والعَواطف والأحاسيس...
- قدَّمت دراسة إحصائيَّة للنُّصوص النَّثريَّة في مجال الأمثال والوصف والحِوار والأقوال المأثورة، والقصص، والخطابة والرَّسائل وأدب الوفادات، والوصايا.
- ويَسرّ دار مكتبة لبنان ناشرون أن تَزفّ إلى العالَمين العربيّ والإسلاميّ مُعجمًا رائدًا في بابه، هامًّا في موضوعه، نَبيلًا في مَقصده، لأنّه يُسجِّل للمَرأة العربيّة والإسلاميَّة دورًا رائدًا في مجال الفكر والأدب.

جَمهَرة النَّثر النِّسَويّ
في العَصر الإسلاميّ والأمَويّ

د. ليلى محمد ناظم الحيالي

جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي

معجم ودراسة

مكتبة لبنان ناشرون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
website: www.ldlp.com
e-mail: info@ldlp.com
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم
© الحقوق الكاملة محفوظة
لمكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
الطبعة الأولى ٢٠٠٣
ISBN 9953-33-164-2
طبع في لبنان

المقـــدِّمة

حلَّ وليدُ جديد في عالَمِنا اليوم. وهو من المَواليدِ المُبتَكَرة التي جادتْ بها يدُ الخالق سبحانَه وتعالى، فمَنَّ عليَّ به، بعد أن أنعَمَ عليَّ بديوانِ أشعار النِّساء قبلَه. واليوم يَرى المولودُ ضِياءَ الدُّنيا، ونورَ الحياة، فيتطلّعُ في أَروِقَة العِلم والأدب على مُبتكرات الآخرين، فتشرقُ المكتبات بضيائه، لِما له من أهَمِّيَّة عظيمة كتراث أدبيّ، ونَثر نَسويّ لم يكتب عنه سابقًا، ولم أجد له أثرًا في التراث وكتبِه، في المكتبات ومراجعِها، لذلك اخترتُ الموضوعَ وهو «جمهرة النَّثر النَّسويّ في العصر الإسلاميّ والأمويّ» واستشرت فيه الأستاذَ الكريم المُشرِفَ على الرِّسالة الدكتور سامي مكّي العانيّ، فرحَّب به، وأعجب بفكرته، وأيّدته على القبول اللجنةُ المختصّة من الأساتذة والعلماء الأفاضل، فتفتّحتْ أكمام الزهر وأينعَت أثمارُ القَلَم، وأضاءت دورُ العِلم، بمولدِها الذي لم يُسبَق.

وشمّرتُ عن سواعد الجدّ، وابتدأت بجمع النصوص النثريّة. واستوفيت بجهودي المُضنية كلَّ رفٍّ في كلّ مكتبةٍ أعرفها. وساعدني في ذلك أساتذة أفاضل، بتزويدي الكتبَ النادِرَة من مكتباتهم العامرة، مثل الدكتور سامي العانيّ، والدكتور صاحب أبو جناح، والدكتور عبدالله الجبوريّ، والدكتور عادل البياتيّ والدكتور عزمي الصالحيّ، جزاهم الله عنّي خير الجزاء.

فكانت انطلاقتي سريعةً، وجهودي متواصلة، وعملي منظّمًا، فضلاً عن عملي البيتيّ وحالة السوق والحصار والأبناء الذين جاهدوا معي في إعداد رسالتي. فجرّدتُ كتبَ التراث ومخطوطاته، وكتب الأدب حديثها وقديمها.

إلّا أنّ ما يؤلمني أنّ جهودي في التحقيق ـ وما أدراك ما التحقيق ـ كانت

في أقصى درجاتها، والله يعلم مُعاناتي، وكفاحي ليلَ نهارَ، ونهارَ ليلَ، حيث كانت الساعات تمضي في أواخر الليل، وأنا لا أدري كم الساعة، حتى أسمع صوت المؤذِّن يرتفع في أُفُقِ السماء. ولا أشكو إلّا إلى الله، هو يعلم جهدي، وما بذلته من الوقت والصبر.

كان الدافع لاختيار الموضوع، اطّلاعي المُتواضع على كتب الأدب والتراث والأدب النّسَويّ، فأصبحت لديّ حصيلة جيدة، وخبرة لا بأس بها، فعلمتُ أنّ النّثر النّسَويّ قد أهمل، كما كان الشعر مُهمَلاً قبل إعداد رسالة (ديوان أشعار النساء) ولا سِيَّما جمعه وتحقيقه أو دراسته. فأخذت كتب الأدب، والتاريخ، والسِّيَر، وكتب التراجم، والمُعجَمات، والتفاسير، وكتب الحديث الشريف، وكل ما تَيسَّر لي من الكتب. فجردتها كلمة كلمة، وسطرًا سطرًا. وهذه الكتب كانت ضخمة فبلغ كتاب عمدة القارئ خمسة وعشرين جزءًا من الحجم الكبير، والأغاني من عشرين إلى ثلاثين جزءًا. وقد تكون أجزاء الكتب الأخرى أكثر أو أقلّ مثل صبح الأعشى أو نهاية الأرب وغيرها.

كان أَوّل الكتب التي وضعتها نصب عيني كتب السِّيرَة النّبويّة، كسيرة ابن هشام المتوفّى ٢١٨ هـ، وكتب الصحابة مثل الاستيعاب لابن عبد البر المتوفّى ٤٦٣ هـ، وأسد الغابة لابن الأثير المتوفّى٦٣٠ هـ، والإصابة لابن حجر العسقلانيّ المتوفّى ٨٥٢ هـ، وأمّا كتب الأدب القديمة التي كانت من الأُسُس التي اعتمدتها في جمع النصوص النّثرية فهي:

كتابُ بَلاغات النّساء لأحمد بن أبي طاهر طيفور المُتوفّى ٢٨٠هـ، وسيأتي الحديث عنه بعد قليل، والفاضل في صفة الأدب الكامل للوشاء المُتوفّى ٣٢٠هـ، وهو ينقل جلّ النصوص النّسَويّة من بلاغات النّساء، وخصص في الجزء الثاني منه بابًا وسمه بـ (باب البلاغة من النساء ذوات الدّراية والفَصاحَة) وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسيّ المُتوفّى ٣٢٨هـ، وفيه باب خاصّ بالوافدات من النساء حين وفدنَ على معاوية، مع خطبهنّ وأحاديثهنّ وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهانيّ المتوفّى ٣٥٦هـ، ويضمّ الأغاني مجموعة كبيرة من النصوص النّثريّة المختلفة، ولا سِيَّما الحوار، ذلك الحوار الذي كانت تتبادلُه العاشقات من

الأديبات مع أصحابهنّ ما بين الشام والحجاز، وقد تركته لأنه يُشكّل رسالة جامِعيّة كاملة، لا يَتّسِع المجال لتناوله أو تحقيقه، وكتاب الأمالي للقاليّ المُتوفّى ٣٥٦هـ، وفيه نصوص مختارة من النثر النّسويّ الجميل، وكتاب نَثر الدُّرّ للآبيّ المُتوفّى ٤٢١هـ، وهو ينقل نصوصه من بلاغات النساء، في الجزء الرابع منه، فخصّص في هذا الجزء بابًا وسمه بـ (كلام النّساء الشّرائِف) روى فيه مجموعة من خطب النساء، وحديثهنّ، وبابًا آخر وسمه بـ (نكت من كلام النّساء) ومستحسن جواباتهنّ، وألفاظهنّ وفي صفة الصفوة لابن الجوزيّ المتوفّى ٥٩٧هـ، الذي يَتكوّن من خمسة أجزاء، يذكر فيه النسوة من العابدات والراويات، والتابعيات وأخبارهنّ، وحسب تصنيفه لطبقاتهنّ من التابعيات والعابدات، وقد أهملتُ ذكرَ رابعة العدوية شهيدةَ العشق الإلهي، بسبب سعة رسالتي وسعة موضوع رابعة التي اختلف في وفاتها، فالبعض يذكر أنّها في ١٣٥هـ كابن الجوزيّ في مخطوطة شذور العقود[١]، وابن خلكان في وفيات الأعيان[٢] ويذكر غيرهما أنّها توفّيت في ١٨٥هـ[٣]، وفي هذه الحالة لا يَتّسِع مجال الرسالة، ثم أن كثيرًا من كلامها مُترجَم عن الفارسيّة، فهو منقول بغير لفظه، لذا تركته.

وكتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ المُتوفّى ٨٢١هـ، وفيه ذكر لبلاغة النساء الوافدات وخطبهنّ وحوارهنّ، حين وَفَدْنَ على معاوية، وهو أيضًا ينقل ما رُوِيَ في العقد الفريد ونثر الدُّرّ وبلاغات النساء، وهناك كتب أخرى تَيَسَّرَ لي الحصول على نصوص نَثريّة جميلة منها، مثل الأخبار الموفّقيات للزبير بن بكار المُتوفّى ٢٥٦هـ وغيره من الكتب التراثيّة التي اشتملت على بعض النصوص مثل المستطرف للأبشيهيّ المتوفّى ٨٥٠هـ.

أما عن مضمون هذه الرسالة فقد جعلتها بمُقَدِّمَة وتمهيد بثلاثة أجزاء وبابين. والتمهيد الأوّل كان عن النّثر النّسويّ قبل الإسلام ونشأته وتَطَوُّره، ثم بيّنت أغراضه وكانت تشتمل على الأمثال النّسويّة التي ابتكرتْها المرأةُ قبل الإسلام، الوصف كوصف المرأة لرجل وبيان صِفاته أو وصف خلقه وجوده، كوصف الخنساء لأخويها، ووصف

(١) المخطوطة في المتحف العراقيّ، الورقة ٣١.

(٢) تنظر ص ١/ ١٨٢.

(٣) ينظر الأعلام ٣/ ٣١ نقلاً عن مجلّة لغة العرب.

عصام المرأة التي أرسَلها عمرو بن حجر الكِنديّ لتخطب له امرأة (وهي أمّ إياس).

والحوار وهو أحد الأجناس الأدبيّة أو الفنون النَّثرِيّة الجاهليّة، وكان أجمله ما دار بين العجفاء بنت علقمة مع مجموعة من النساء يذكّرن أزواجهنّ بمختلف الصِّفات. وخطب الكواهن التي تَميَّزتْ بسجع الكهان، ونهى عنه الرسول الكريم ﷺ فيما بعد، وتحذير الكواهن وهو أيضًا من السجع الذي تمرّسن بقوله.

وأقوال المرأة المأثورة وحكمها، كأقوال فاطمة بنت الخرشب التي كانت من المنجبات.

وفي التمهيد الثاني بَيّنت أهَمّيّة النّثر النّسويّ. وفي التمهيد الثالث بَيّنتُ بلاغة المرأة ومكانة النّثر النّسوِيّ في هذه الحقبة من الزمن. ولم أستَطِع الاختصار أكثر مما اختصرتُ نظرًا لأهَمّيّة تلك الأقوال المأثورة عن الخلفاء والقادة.

ثم ابتدأتُ البابَ الأوّل من هذه الرسالة وفيه فصلان، كان أوّلهما، الفنون النّثريّة النّسويّة وأنواعها، وهي: الخطابة، وأدب الوافدات، والقصّة، والوصايا، والمثل، والحكمة، والحوار والوصف، والقطع الأدبيّة.

وكان الفصل الثاني يَشتَمِل على الخصائص الفَنّيّة لنثر النساء، وتلك الخصائص تتعلّق بالعناصر الأساسيّة للأسلوب وهي: الصور والأخيلة، وما يتعلّق بها مع أمثلة تطبيقيّة على ذلك.

الألفاظ والتراكيب، ثم المعاني والأفكار، ثم العواطف والأحاسيس.

وخَصّصت موضوعًا عن النصوص النّثرِيّة وإحصائها والقيام بجرد عدد القصص والخطب وغيرها.

وكان الباب الثاني يضمُّ النسبة العظمى من الرسالة، على الرغم من تركي الكثير من النصوص لسعة الموضوع، يَبتَدِئ الباب بمنهج التحقيق ثم النصوص الإسلاميّة، وبعدها النصوص الأمويّة.

أرجو من الله التوفيق وحسن العاقبة.

د. ليلى الحيالي

الفصل الأول

النثر النسوي

النثر النسوي قبل الإسلام
النثر النسوي في الإسلام

١ ـ الخطابة
٢ ـ أدب الوفادات النسوية
٣ ـ القصة
٤ ـ الوصايا
٥ ـ المثل والحكمة
٦ ـ الحوار
٧ ـ الوصف والقطع الأدبية

النَّثر النَّسَوِيّ قبل الإسلام

كان النَّثر قبل الإسلام شفويًا، كغيره من فنون الأدب، سوى ما كان من مكاتبات تِجاريَة محدودة، أو رسائل موجزة بين ملوكِ العرب أو الأجانب، أو ما كان يُتَرجَم عن الفارسية والرومية والقبطية، أو ما نقش على الجدران، ومما لا شكّ فيه أنّ ذلك يشمل النَّثر بشكل عامّ، والنَّسَوِيّ بشكل خاصّ.

كانت المرأةُ تخاطب زوجها أو ابنها أو صهرها أو أخاها، أو تخاطب قومها، أو تضرب المثل، فتكون كلماتُها سائدةً على ألسن العرب، على مرّ العصور، وقد تحكي قصّة أثّرت في نفسها، من جوهر الواقع الذي تعيشه، كلّ هذه الفنون كانت شفوية وواقعية، فلا مراء ولا خداع، ولا تَكلُّف أو تَصنُّع، وقد ترمز ببعض الألفاظ أو العبارات القصيرة، إذا كانت تحذَر الأعداء، أو تخاف لومةَ اللائمين.

ويمكن تلخيص أجناس النَّثر النَّسَوِيّ بما يأتي:

١ ـ الأمثال: وقد وصلت إلينا أمثال عدّة لنساء جاهليات، مثل قول امرأة سعد ابن زيد مناة: رمتني بدائها وانسلّت[١] حول حديث جرى بين ضرائرها.

أو قول رَقاشي، وهي امرأة من العرب، رويدَ الغزو ينمرق[٢].

فيضرب مثلاً في التّمكّث، وانتظار العاقبة.

٢ ـ الوصف: كقول (عصام) وهي امرأة أرسلها عمرو بن حجر ملكُ كندة جدّ امرئ القيس، لتخطب له امرأة اسمها أمّ اياس، ابنه عوف بن ملحم الشيباني وكانت ذات جمال وكمال، فوصفتها للملك، وقالت[*]:

---

(١) ينظر مجمع الأمثال ٢/ ٢٣ ط بيروت.

(٢) ينظر مجمع الأمثال ٢/ ٢٥ بيروت.

(*) العقد الفريد ٦/ ٨٤.

أُخبركَ صدقًا وحقًّا، رأيت جبهةً كالمرآة الصقيلة، يزينُها شعر حالك، كأذناب الخَيل المقصورة، إن أرسلته خلته السلاسلَ، وإن مشطته قلتَ عناقيدَ كرم جلاه السوابل، ومع ذلك حاجبان كأنّهما خُطّا بقلم، أو سواد بفحم، قد تقوّسا على مثل عين العبْهرة[١] التي لم يزعها قانص، ولم يذعرها قسورة بينهما أنف كحدّ السيف المصقول، لم يَخْنَسْ به قصر، ولم يمسّ به طول، حفّت به وجنتان كالأرجوان في بياض محض كالجُمان[٢] شقّ فيه فم كالخاتم، لذيذ المبتسم، فيه ثنايا غرر، ذوات أشر وأسنان تعد كالدرر، وريق كالخمر، له نشر الروض بالسحر، ينقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان، يزين به عقل وافر، وجواب حاضر.

وأنهتْ وصفها بقولها: فأمّا ما سوى ذلك فتركتُ أن أصفَه، غير أنه أحسنُ ما وصفه واصف بنظم أو نثر.

٣ ـ الحوار: وهو جنس من الأجناس الأدبية التي برعت فيها المرأة قبل الإسلام، وذلك كقول العجفاء بنت علقمة، حين تحدثت إلى نسوة في ليلة طلقة ساكنة، وروضة معشبة فقلن:

أيّ النساء أفضل؟ قالت إحداهنّ[٣]: الخرود الولود الودود.

وقالت الأخرى: خيرهنّ ذات الغناء، وطيب الثناء، وشدّة الحياء.

وقالت الثالثة: خيرهنّ السّموع الجموع النّفوع.

وكان حديثهنّ شيّقًا طويلاً، استعرضن فيه صفات الرجال والنساء، بألفاظ مُتتابِعة، مُتناسِقَة، يغلب عليها السجع والازدواج. وكلّ ذلك من غير تكلُّف، أو تَصنُّع.

٤ ـ خطب الكواهن وتحذيرهن: تخطب الكاهنة قومها فتحذّرهم، قدوم جيش الأعداء، الذي يقبل إلى أرضهم، كقول كاهنة من لخم من اليمن، وهي تحذّر قومها، حين سمعت بِمَقدم جيش رسول الله ﷺ، فقالت[*]:

---

(١) العبْهرة: النَّرجس، الياسمين، المُمتلئ الجسم، الطويل.

(٢) الجمان: اللؤلؤ الأبيض.

(٣) ينظر مجمع الأمثال ٣/ ٩.

(*) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٨٢.

أنذركم قومًا خزرًا، ينظرون شزرًا، ويقودون الخيل تترى، ويهريقون دمًا عكرًا، فأخذوا بقولها[١].

أو كتحذير طريفة كاهنة مأرب باليمن التي أقبلت يومًا فوقفت على عمران بن عامر وهو في نادي قومه، فقالت[*]:

والظُّلمَة والضِّياء، والأرض والسَّماء، ليقبلنَ إليكم الماء، كالبحر إذا طما، فيدع أرضكم خلاء، تسفي عليها الصَّبا.

وقالت محذِّرة:

بعد ستّ عدد، يقطع فيها الوالدُ الولدَ، فيأتيكم السيل، يفيض هيل، وخطب جليل، وأمر ثقيل، فيخرب الديار، ويعطّل العِشار[٢]، ويطيّب العرار[٣].

٥ ـ أقوال مأثورة: اتَّصَفَتِ المرأة قبل الإسلام بحكَمِها، وأقوالها المأثورة التي بقيت مدى الدهر، كقول فاطمة بنت الخرشب التي كانت تعدّ من المنجبات، تصف بنيها:

عمارةُ لا ينام ليلةَ يخاف، ولا يشبعُ ليلة يضاف.

وقالت عن الآخر، واسمه الربيع:

لا تعدّ مآثره، ولا تُخشَ في الجهل بوادره.

وقالت عن أنس:

إذا عزم أمضى، وإذا سُئل أرضى، وإذا قدر أغضى.

---

(١) في زمن خالد بن الوليد حين أقبل بجيشه، وينظر أمالي القالي ١/١٢٦، خطبة الكاهنة زبراء وخويلة.

(*) معجم البلدان ٥/٣٥ ط بيروت.

(٢) العشار: النوق الحوامل، عطلت بلا راع، لما دهاهم من الأمر. وقد ورد ذكرها في سورة التكوير ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

(٣) كان ذلك في زمن ملوك حمير.

النَّثر النَّسَوِيّ في الإسلام

لم أجد في كتب الأدب الحديثة أو التراثية من كتب عن أدب النِّساء أو نقده، سوى ما ورد فيها من ملاحظات لا تتجاوز السطر أو العبارة الواحدة، وتعود ندرةُ ذلك إلى إهمال الأدب النَّسَوِيّ بشكل عامّ، وقد وردت النصوص النَّثرِيَّة المبعثرة بين طيات الكتب الكثيرة، لشهرتِها، أو لأَهَمِّيَّة الحادثة التي قيلت فيها، وهي مع كل ذلك تخلو من النقد.

لذلك طَوَّعتُ نفسي للكتابة عن ذلك التراث الأدبيّ المهمّ، ففي النَّثر بشكل عامّ والنَّثر النَّسَوِيّ خصوصًا، ما يجعلُه أهمّ من الشعر، في سهولة التعبير وقوّة الإقناع والتأثير. وقد اختُلِفَ قديمًا في عدّ النَّثر أفضل، أو الشعر أهمّ، ولكلّ فريق وجهة نظر تُؤَيِّد رأيه، فللنَّثر أَهَمِّيَّتُه التي يفوق فيها الشعر، في بعض الأحيان، وللشّعر أَهَمِّيَّتُه التي يفوق فيها النَّثر في بعض الأحيان، فالخطب والأمثال والمواعظ والحكم والرسائل والوصايا أو القصص والحكايات ورواية الأخبار، هذه الأصناف النَّثرِيَّة المُختَلِفَة، تَتَطَلَّبُ الواقعيَّة، والصدق، وحريَّةَ التعبير، وعمقَ المعنى، والإقناع والفصاحة، والخلوص من حوشيّ الكلام، أو التَّكَلُّف، كله يَتَطَلَّب من الأديبات أن ينثرنَ كلامهنّ، ولا ينظمنه، وإنَّ اتِّساع اللُّغَة وكثرة اشتقاقها جعلها قادرة على التعبير عن دقائق المعاني الإنسانية، في خطبة أو حوار أو مثل أو رسالة، فكلّ ذلك يمثل تجارب المرأة، وخبراتها، التي صقلتها ظروف الحياة، وجعلت منها أديبة يفتخر بها التراث العربيّ.

أما القصّة والخبر أو الرِّواية، فلا تقلّ أَهَمِّيَّتُها عن ذلك لِواقِعِيَّتِها، وحقائقها المتصلة بتاريخ المسلمين وكفاحهم إذ تَرتَبِط بحياتهم، ومصيرهم في الحاضر أو المستقبل، وقد كان شائعًا أنّ النَّثر ورد بمعناه فقط، وإنني في هذه الرسالة سوف أنقض من سبقني، وأقول أن النَّثر قد رُوِيَ بلفظه ومعناه، وبتوثيق الرِّوايات المُتَعَدِّدَة وفي العصور المختلفة، أثبتُ ذلك خلافًا لرأي الباحثين الذين سبقوني في الحديث عن النَّثر.

إن ورود النَّصّ في غير مصدر[١]، مع تَعَدُّد الأعصر الزمنية واختلافها، وهي تروي النَّصّ ذاته، لدليل واضح على صِحَّة قولي.

والمرأة حين تتحدّث أو تخطب، إنّما تُفضي عن تجاربها وفلسفتها بالحياة، وتبيّن رأيها في القادة العظام، في حربهم وسلمهم، في سمرهم ولقائهم، حين يجلس الخُلَفاء والأُدباء فيروون حكايات النِّساء وأخبارهنّ، من قصص البطولة والشجاعة، إلى مآسي الحبّ والعشق في الصحراء المترامية الأطراف ذات النسائم الرقيقة.

وقد أشار الجاحظ في حديثه إلى ارتجال الخُطَب فقال[٢]:

«وكلّ شيء للعرب فإنّما هو بديهة وارتجال وكأنّه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكرة، ولا استعانة، وإنّما هو أن يصرفَ همّه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام أو حين يمتحُ على رأس بئر، . . .» وقال «فما هو إلّا أن يصرفَ همّه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالاً، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً» وقال[٣] «وكانوا أُمّيّين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلّفون، وكان الكلام الجيّد عندهم أظهَر وأكثر وهم عليه أقدر. . . . وكلّ واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقِروا إلى تَحَفُّظ، ويحتاجون إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتَذى على كلام من كان قبله: فلم يحفظوا إلّا ما علّق بقلوبهم، والتحم بصدورهم واتّصل بعقولهم، من غير تَكَلُّف ولا قصد، ولا تَحَفُّظ ولا طلب».

والجاحظ حين يذكر الخُطَباء والارتجال والبديهة، إنّما يطلق لفظ المذكر على جميع الخُطَباء ذكورًا أو إناثًا، أي من باب إطلاق الجزء على الكلّ، بدليل ذكره خطب السَّيِّدة عائشة إلى جانب الخطب الأخرى في باب الخطب الخُطَباء.

وللمرأة ميزة خاصّة فضلاً عن الصِّفات التي يجتمع فيها الأُدَباء عامّة، إذ أنّ المرأة بعاطفتها ودموعها تضيف تعبيرًا آخر إلى التعبير الكلامي فلذلك يكون أثر كلامها أكبر

---

(١) (غير مصدر) أي (أكثر من مصدر)، والأول مصطلح عربيّ، والثاني مصطلح غربيّ مُترجَم إلى العربية.

(٢) ينظر البيان والتبيين ٣/٢٨ ط ١٩٨٥.

(٣) ينظر البيان والتبيين ٣/٢٨ ط ١٩٨٥.

وإقناعها أعظم، فهي إذا خطبت فإنّما تتحدّث بألم ومرارة، وإذا روت قِصّة، فإنّما يرتسم ذلك على مُحَيّاها، وإذا تمثّلت بقول أو مثل، فتصوّره في تعابير صوتها ونغمته، وحين توصي ابنها، إنّما توصي له برضاها أو سخطها بألفاظ موجزة وصدق من قال: إنّ المرأة تلتزم الصَّمْتَ في ساعات الألم المبرّح، أو الفرح العظيم.

بَلاغَة النّثر النّسويّ ومَكانَته:

تحدّث الأحنف بن قيس عن بَلاغَة النّساء، وقال:

إنّ قيس بن عاصم أسلم، وعنده امرأة من بني حنيفة فأبى أهلُها وأبوها أن يُسلموا، وخافوا إسلامها فهدّدوها، فطالبت قيسًا بالفرقة، فلمّا احتَمَلَتْ لتلحق بأهلها، قال لها قيس أما واللهِ لقد صحِبتني سارة، وفارقتني غير عارة...[1]

فقالت له:

أُبنيتَ بحسبكَ وفضلكَ وأنت والله إنْ كنت الدائم المحبة، الكثير المَوَدَّة، القليل اللائمة، المعجب الخلوة، البعيد النبوة، ولتعلمنّ أنّي لا أسكن بعدك إلى زوج.

فقال قيس بن عاصم: ما فارقتْ نفسي شيئًا قطّ فتبعَتْه، كما تبعتها.

وما ذلك إلّا لحلاوة كلامها، وعذوبة لفظها وسحر بلاغتها، فأثرت في نفسه ذلك التّأثير البالغ.

وكان بشّارُ بن برد[2] يقول حين سُئِلَ أن ليس في شعره ما يُشكّ فيه، ومن أين يأتيني الخطأ وولدتُ هنا، ونشأتُ في حجور ثمانين شيخًا من فصحاء عقيل، ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلتُ إلى نسائهم، فنساؤهم أفصحُ منهم، وأيفعتُ، فأبديتُ إلى أن أدركت فمن أين يأتيني الخطأ؟!!

وحين انصرفت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، بعد مبايعتها النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وهي تهلّل وتكبّر، استبشارًا بما قال لها، حيث لا زيادة لمستزيد، أثّرت في نفسه أثرًا عظيمًا، بكلماتها البسيطة الفصيحة، ومعانيها الخالدة، أعجب بها إعجابًا عظيمًا، وفضّلها على كثير من النساء والرجال.

---

(١) ينظر الأغاني ١٢/١٥٥.

(٢) ينظر المصدر نفسه ٣/٢٣ و٢٦.

وقال الأصمعيّ وهو يتحدّث عن عاتكة بنت يزيد بن معاوية (أعرَفُ الناس بالخلافة) وذلك لسعة عقلها، ومنطقها وحكمتها[١].

وقال النّويريّ في حديثه عن نصّ كلام عائشة، عند وفاة أبيها (رض)[٢]: فانظر إلى هذا الأسلوب العجيب، وتأمّلْ هذا النمط الغريب، الذي جمع بين سلامة الألفاظ وإيجازها، وإصابة المعاني وإعجازها، ولا يستكثر على من أنزل القرآن بلُغتِهم، أن يكون هذا القول من بديهتهم.

وقال الجاحظُ يصف سحر البلاغة النَّسَوِيّة[٣]:

ومن الأسجاع الحسنة، قول الأعرابية حين خاصمتِ ابنها إلى عامل الماء: أما كان بطني لك وعاء؟ أما كان حجري لك فناء؟ أما كان ثوبي لك سقاء؟!!

ففي قول هذه المرأة مثال للسجع الذي هو أحد أركان البلاغة العربية في علم البديع. وأُعجِبَ أبان بن تغلب[٤] بقول أعرابية ورواه الأصمعيّ لجمال لفظه، وسحر معانيه، وسعة عقل قائلته، فقال:

خرجت في طلب الكلأ، فانتهيت إلى ماء من مياه كلب، وإذا أعرابيّ على ذلك الماء ومعه كتاب منشور يقرؤه عليهم، وجعل يتوعَّدهم.

فقالت له أُمّه تَعِظُهُ، وهي في خبائها وكانت مقعدة كِبرًا:

ويلك ويلك، دعني عن أساطيرك...[٥]

ومن النّساء مِمَّن وُصِفْنَ بحسن الرّأي، أُمّ حبيب بنت عبد الله بن الأهتم، حين

---

(١) ينظر العقد الفريد ٤/ ١٦٥.

(٢) ينظر نهاية الأرب ٥/ ١٧٠، وأما حديث عائشة فهو في باب التحقيق وأوّله: نضر الله وجهك...

(٣) ينظر نثر الدُّرّ للآبيّ ٤/ ٥٤.

(٤) ينظر نثر الدُّرّ للآبيّ ٤/ ٨٥ و ٤/ ٨٨، أبان بن تغلب أحد قرّاء الكوفة، تُوُفّيَ في البصرة ١٤١ هـ.

(٥) تنظر وصية أعرابيّة في قسم ٢ من التحقيق.

خطبها الحسن بن عليّ (رض) فقال إخوتها له:

إنّها امرأة لا يفتات على مثلها برأي.

وتحدّث الأحنف بن قيس عن بلاغة السّيّدة عائشة أُمّ المؤمنين (رض) فقال[١]: سَمِعتُ كلامَ أبي بكر وعمر وعثمان (رض) حتى مضَوا، لا والله ما سَمِعتُ أبلغ فيهم من عائشة، ما أغلقت بابًا قطّ، فأردتُ فتحه إلّا فتحته، وما فتحتْ بابًا فأردت إغلاقه إلّا أغلقته.

وقال يونس بن حبيب[٢]:

لو كان بنو أبي بكر مثل عائشة بنته لما صار يومَ الجمل لغطُ الناس، في غسل رسول الله ﷺ[٣] عند عائشة فقالت:

صهْ، فكأنّما قطعتِ الألسن في الأفواه (ثم خطبت) خطبة بليغة[٤].

وما كان ذلك إلّا لبلاغتها وقدرتها على الإقناع، وإيضاح موقفها أمام الآخرين، وكانت تريد أن تقيم حدًّا من حدود الله، في طلبها بدم عثمان، والاقتصاص من قتلته.

وفي الحديث عن مهور النّساء، أراد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أن يحدّد المهور، فلا تكون عبئًا على الرجال، وحذّر أن ما كان من المهور مقداره فاحشًا فإنّه سيُلقى به في بيت مال المسلمين، فقالت امرأة من الحاضرين[٥]: ما ذلك لكَ يا أمير المؤمنين، فإنّ الله تعالى يقول[٦] **﴿وآتيتم إحداهنّ قنطارا، فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مهينا﴾**. فقال عمر:

امرأة أصابت ورجل أخطأ.

---

(١)و(٢) ينظر الفاضل في صفة الأدب الكامل ٢/٧٠.

(٣) في هذا الكتاب خطأ معنويّ إذ أن يوم الجمل لا علاقة له بغسل رسول الله(ص)، وكان عام ٣٦هـ. ولا شكّ في أنّ مُحقّق الكتاب، قد وهم أو أخطأ في النسخ.

(٤) تنظر الخطبة في ق١ من التحقيق.

(٥) ينظر الفاضل ٢/٨٢.

(٦) سورة النساء الآية ٢٠.

إلّا أنّني لا أراه قد أخطأ في شيء (رض)، لأنّه كان يريد تحديد أجر المهر، قبل أن يُعقد القِران، وما ورد في القرآن، هو لما بعد القِران، إلّا أن ورع الخليفة وخشية الله أسكته عن الجواب.

وحين دخل معاويةُ وأحد الغلمان على امرأته ميسون بنت بحدل توارت عنه، فسألها معاوية عن ذلك، فقالت[١]:

يا أمير المؤمنين، إنّ مثلتكَ به، لا تُحِلّ له ما حرّم الله شيئًا. فسكت معاوية، وأدرك صِحّةَ قولها وعمق معناه.

ووُصِفَتْ هند بنت أسماء بن خارجة ـ زوج الحجّاج الثقفيّ ـ بأنّها من أعقل النّساء، فكانت تفكّ المُتَخاصمين، ويحتكم إليها ذوو الخصومة، وذلك حين تنازع قوم من أهل الكوفة، في الشرف، فتراضَوا بها، فبعثوا إليها رسولًا، فقال:

إنّ أعمامك وبني عمّك تنازعوا في أشرف الناس، ورضوا بحكمكِ، فقالت[٢]:

مسألة عمياء من قوم عمين[٣]، في زمانلا أعمى، لكلّ زمان رجال.

وأُعجب ذو الرُّمّة بجارية فقال[٤]:

قاتَل الله جاريةَ بني فلان، ما أفصحها، قلت لها يومًا: كيف كان المطر عندكم؟

قالت: عشنا ما شئنا.

ولما خطَبت السَّيِّدة عائشة (رض) يوم الجمل، انطلق رجل بمقالتها إلى الأحنف بن قيس، فأنشد شعرًا[٥].

فبلغ عائشة مقالته فقالت:

---

(١)و(٢) ينظر الفاضل ٢/ ٨٢.
(٣) العبارة مستوحاة من آي القرآن الكريم في سورة الأعراف الآية ٦٤ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾.
(٤) ينظر الفاضل ٢/ ٩٩.
(٥) ينظر نثر الدُرّ للآبي ٤/ ١٥.

لقد استفرغ حلم الأحنف هجاؤه إيّاي، إليَّ كان يستجمّ مثابة سفهه؟ إلى الله أشكو عقوق أبنائي.

فكانت تتصدّى لكلّ من يحيد عن الحقّ، أو ينبو عن العدل، وتسكته ببلاغة لسانها.

ولمّا قيل لها إنّ قومًا يشتمون أصحاب محمد ﷺ، قالت(١):

قطَع الله عنهم العملَ، ما أحبُ أن يقطعَ عنهم الأجر(٢).

وكانت السّيّدة عائشة بكلامها وحكمها، ناصحة موجّهة مكمّلة ما نقص عند علماء المسلمين من عِلم أو رِوايَة، قد رأت رجلًا متماوتًا، فقالت(٣):

ما هذا؟ قيل لها: زاهد، قالت: قد كان عمر زاهدًا فكان إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب في ذات الله أوجع.

وفي الحديث عن أمّ كلثوم بنت الإمام عليّ (رض) زوجة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قال رجل(٤): رأيت أم كلثوم بنت عليّ بالكوفة، ولم أرَ خلقًا والله أنطق منها، كأنّما تنطق، وتفرّع عن لسان أمير المؤمنين (رض).

وكان أوّل المصطلحات النقدية والمصطلحات البلاغية العربية على لسان المرأة العربية في صدر الإسلام كقول السّيّدة عائشة (رض) للسّيّدة حفصة (رض) وقد كانتا مُتَآخِيَتَين في حياة رسول الله ﷺ، وكانت أمّ سلمة (رض) وسودة مُتَآخِيَتَين معًا أيضًا(٥)، فقالت سودة:

عديّ وتيم تبتغي من تحالف.

---

(١) ينظر نثر الدّرّ للآبيّ ٤/٢٢.

(٢) ما أحبّ أي مدّة حبّه أن يقطع عنهم الأجر.

(٣) ينظر المصدر نفسه.

(٤) ينظر المصدر نفسه ٤/٢٩.

(٥) وقيل أن سودة كانت متآخية مع عائشة ومنحتها يومها عطفًا عليها، وتوددًا لرسول الله (ص) وقيل أنّ زينب بنت جحش كانت متآخية مع أمّ سلمة، والله أعلم.

فقالت عائشة:

ما تُعرّضُ إلّا بي يا حفصةُ.

ولمّا علم رسول اللهﷺ بذلك، قال[١]:

ويحكنّ ليس عديُكنّ ولا تيمكنّ، إنما هو عديّ تميم، وتيم تميم.

قال الكلبيّ: تيم تميم هو الرباب، وقيل أن عديّ وتيم أخوان، وإن قول رسول الله ﷺ كان يريد به تهدئة الحالة، وإطفاء جذوة الغيرة بين النساء.

فكان بهذه القِصَّة أوّل مُصطَلح نقديّ بلاغيّ على لسان السّيِّدة عائشة، والتعريض هو خلاف التصريح أو التورية بالشيء عن الشيء[٢].

---

(١) ينظر الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ١٧.

(٢) ينظر معجم المصطلحات البلاغيّة د. أحمد مطلوب ٢/٢٧٦.

أغراض النثر النّسويّ

١ ــ الخطابة:

برزت المرأة في صدر الإسلام، وأوائل العصر الأمويّ، بخطبها البليغة، الفصيحة، التي كانت تعبّر عن مرحلتها وتهتف بنداء قلبها وفكرها، حين تتّجه اتجاهًا سياسيًا مُعيّنًا، فتخطبُ قومها وتحضّهم على العمل الصالح، أو القتال، أو المُبايَعة، أو تخطب أمام خليفة، وحينئذٍ تستند في كلامها على الجدل والاستدلال والاحتجاج، فتكون خطبتها أشبه بالمحاورة، ويَتَمَثّل هذا النوع من الخطب، في أدب الوافدات، اللاتي حضرنَ أمام معاوية بعد وقعة صفين، أو أدب الوافدات أمام الخليفة لغرض قضائيّ، أو لغرض شكوى من والٍ، لذلك يمكن أن نصنّف فنّ الخطابة إلى أصناف وفنون مُتَنَوّعَة، كما ورد في النصوص وتيسّر لي جمعها من كتب التراث ومخطوطاته.

أ ـ خطب المُبايَعات، مثل خطبة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية وقد لقبها رسول اللهﷺ بخطيبة النّساء، أو رسول النّساء، وتتّصِف هذه الخطبة، بقصرها، وعمق مغزاها، وجلال معناها، مع سهولة ألفاظها، وبساطة تراكيبها، وغزارة عاطفتها، وقدرتها على الإقناع، إذ أنّ الرسول الكريم ﷺ، حين سمع خطبَتها، أُعجِب بها، واستدار إليها بملء وجههِ، معجبًا ببطولتها وإيمانها، واستعدادها للتضحية في سبيل الله والمبادئ التي تحملُها، فلم تدعْ بكلامها زيادةً لمُستزيد، وقد ذكرت كثير من كتب التراث هذه الخطبة ورَوَتها لأهَمِّيّتها الدينيّة والتاريخيّة، وسيأتي ذكرها في التحقيق، علمًا بأنّ مجلّة الرسالة أيضًا كتبت عنها مقالًا لأهَمِّيّتها، ولشرف خطبتها بينَ النّساء[1].

ب ـ الخطب الاستِدلاليّة التي تعتمد على الجدل والاحتجاج وقد يُسمّى هذا النوع من الخطب بأدب الجدل والمجادلة، كما سمّاها قدامة بن جعفر[2] حين يجعل المجادل، قصده الحقّ، وبغيته الصواب، وصحة التمييز، وحسن البديهة، وثبات الحجّة.

---

(١) تنظر مجلة الرسالة عدد ٩٢٣/١٩٥١ ص ٢٧٣.

(٢) ينظر نقد النّثر ١١١.

فإنّ الخطبة الاستدلالية الاحتجاجية التي تمثّلت بأدب الوافدات، كانت تحمل العناصر التي وضعها الشيخ الجرجانيّ لوحدة العمل الأدبيّ.

فكانت صورة فَنيّة متكاملة بعرض جملها، وتآزرها، وقيمتها الجمالية، والعلاقات بين اللُّغَة وألفاظها في سياق معنى العبارات في أثناء المحاورة بين اثنين، أمام جماعة من الناس(١).

وتقدّم هذه الخطب، في مقامات الصلح، والمحالفة، والمفاخرة، والمجادلة والمعاتبة، والمحاسبة عن موقف معيّن.

ويمكن أن نعدّ خطب الوافدات من النساء أمام معاوية، من هذا النوع من الخطب، ومن مُمَيِّزاتها ما يأتي:

١ ـ كانتِ الخطبُ جارية على السجيّة، غير مُتَكلِّفَة، لم تغمضْ، ولم يصعب فهمُها على الحاضرين، فيها بعض التكرير لمعاني العبارات، كاستخدام الجُمَل المُتَرادِفَة، فيها السجع غير المُتَكَلِّف وغير المتواصل.

٢ ـ كان لها أَهَمِّيَّة تفوق أَهَمِّيَّة الشِّعر، إذ كان الاهتمام منصبًا على كلام الخطيبة على الرغم من إنشاد بعض الأبيات الشعرية في أثناء الخطبة.

٣ ـ كان لخطب النّساء الوافدات أسبابًا جوهرِيَّة لها علاقة بمبادئ سياسية كانت تؤمن بها كل منهنّ، فلم تكن الخطيبة، تريد جاهًا ولا مالاً ولا منصبًا، بل كانت تدافع عن موقف معيّن، يحاسبها الخليفة عليه.

٤ ـ مقياس الجودة لهذه الخطب هو صدقُها أو كذبها، وليس الاقتدار على الصناعة والصياغة، والصدق الفنّيّ في كلامهنّ، وجمال حديثهنّ بسبب جدّته، وبعده عن العبارات التقليدية التي يألف الناس حفظها، ويُؤَيِّدُ صِحَّةَ هذه الملاحظات، ويدعم متانة أسلوب الخطيبات، قولُ الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ(٢):

---

(١) ينظر النّقد الأدبيّ د. محمد غنيمي هلال ٦٣.

(٢) ينظر أسرار البلاغة للجرجاني ٢٣٥.

خير الشعر أصدقه، يوجب ترك الإغراق في المبالغة وتَحَرّي التحقيق، والتصحيح. وأنا أقول خير النثر أصدقه.

ويمكن الاطّلاع على خطبة أم الخير بنت حريش وحديثها أمام معاوية إذ قالت[١]:

أما أنا فغير زائفة عن طاعة، ولا معتلّة بكذب...

وقالت:

ولقد كنت أحبّ لقاء أمير المؤمنين، لأُمور تختَلِج في صدري، تجري مجرى النفس، يغلي بها غلي المرجل، بحبّ البلسن[٢]، يوقد بجزل السَّمُر...

فمن المُلاحظ أنّ الخطبة صريحة، وفصيحة وجزلة، وفي قمّة البلاغة، ففيها التشبيه، واستخدام المجاز بكثرة، من غير كدّ ولا عناء، لم تكن متصنعة ولا مزخرفة كلامها، إلّا بما جادت به قريحتها، وصوّرت معانيها بنسيج من التصوير الفنّيّ الذي يدلّ على عمق ثقافتها، وأصالة لُغَتها.

٥ ـ من الملاحظ على خطب الوافدات أنها تبدأ بالاستهلال بـ (أمّا) واستخدام الأسلوب الخطابيّ المباشر، أو الابتداء (بالسلام عليكم).

٦ ـ تدعم أقوالها وحججها بما مضى من المواقف والحجج التي تذكر بها الخليفة، ويَتَخَلَّلُ ذلك بعض عبارات المدح مثل قولها:

لم أزل في عافية وسلامة، حتى أوفدتُ إلى ملك جزل، وعطاء بذل، فأنا في عيش أنيق، عند ملك رفيق.

٧ ـ في أثناء الخطبة تستعين الخطيبة بآي من القرآن الحكيم توشّح بها خطبتها، وترصّع عباراتها، وقد تفيد من الحكم ومن الأقوال الوعظيّة.

٨ ـ تكثر من استخدام عبارات وألفاظ إسلامية جديدة لم تكن معروفة قبل الإسلام مثل:

---

(١) ينظر ق٢ من التحقيق.

(٢) البلسن: حَبّ يشبه العدس.

شهيد ملائكة، اغتيل في مأمنه. الجنة، سبّاق إلى الخيرات، أنزل إليك.

الخطبَة القَضائيّة:

تعرض أمام قاضٍ أو خليفة أو قائد، وتقدّم فيها شكوى قضائيّة، أو شرعية فيحتكم الخصوم، ويتبادلون البراهين والأدِلّة على صِحّة أمر من الأمور الشرعيّة، أو الدُّنيَويّة، مثل خطبة امرأة أبي الأسود الدؤليّ أمام معاوية ابن أبي سفيان، وقد كانت خطبتها بما يشبه الحوار إذ بدأت الخطبة بـ (السلام عليك يا أمير المؤمنين) ورحمة الله وبركاته، ثم أعقبتها بمقدمة بمدح الخليفة فقالت:

إن الله جعلكَ خليفةً في البلاد، ورقيبًا على العباد، وهذه المقدمة المدحية فيها جمل متناسقة العبارة، متسلسلة مترادفة، ثم دعاء للخليفة أوّله: فأسأل لكَ الله. . . .

وبعد ذلك عرضت القَضِيّة التي تريد لها حلاًّ أمام الخليفة فقالت:

لقد ألجأني إليك. . أمر ضاقَ عليّ. . . ثم بيّنتْ سبب مجيئها، وبعد أن أتمّت كلامها سألها الخليفة عن بعلها فقالت:

هو أبو الأسود الدؤليّ، وكان مقرّبًا إلى معاوية، ثم سأله معاوية عن صِحّة كلامها، فشهد لها بالحقّ ببعض ما ذكرته، وكان قد طلّقها، وأمره معاوية أن يحاورها ويردّ على ما تقوله، فكان كلام المتحاورين كلّه بسيطًا منتظمًا فصيحًا بليغًا، خاليًا من التعقيد. فشكتْ بُخْله، وإلحاحَهُ، وسوءَ سلوكِهِ مع زوجته، وجُبْنه، ووصفته بأبشع صفات الرجل الذي ليس له مروءة، ثم كانت المحاورة طويلة بين الثلاثة، وتناشدوا أشعارًا بها ومنحها معاوية حقوقها وغلبها على زوجها بسبب بلاغة كلامها واستطاعتها إقناع الخليفة بالحجّة والاستدلال والمنطق المقبول، وبالكلام الجزل الفصيح، الخالي من التعقيد أو التقعُّر أو التوعُّر.

الخطبَة السِّياسِيّة:

تعرض الخطيبة في خطبتها أمرًا من الأمور التي تعيشها، وتدافع عن حقّ ضاع أو أمر شاع، وتأتي بوسائل الإقناع، كعرض مثل أو حكمة، أو ذكر موقف تاريخيّ مُؤثّر، أو الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، أو الحديث النبويّ الشريف مثل خطب

السَّيِّدة عائشة أُمّ المؤمنين أو أم كلثوم بنت عليّ، أو عائشة بنت عثمان بن عفان وغيرهنّ.

وكان من أدوات الخطبة النّسويَّة، اللُّغة الفصيحة الجزلة، وطريقة عرضها بخطبتها بألفاظ مختارة سليمة، مناسبة للمقام الذي تُعرض فيه، وكانت أقسام خطبة المرأة في هذه الفترة مشابهة لما قسّمه أرسطو إذ قسمها إلى خمسة أقسام في كتابه فنّ الخطابة[١]، أوّلها الاستهلال فبدأت خطبة السَّيِّدة عائشة، حين كانت بالبصرة، بالحمد والثناء على الله تعالى، ثم قولها: أيها الناس، ثم عرضت الموضوع وهو الدفاع عن عثمان الشهيد رضي الله تعالى عنه، وحثّها على إقامة حدود الله، إذ أنّ المطالبة بدم عثمان هو إقامة حدود الله وكانت تعدّ نفسها ويعدّها الصحابة والتابعون، من السبعة المتخصّصين برواية الحديث الشريف، والإفتاء في كثير من الأُمور الشرعيَّة والدينيَّة. ولكن خطبتها كانت على بساطتها، خاليةً من الحجج سوى ما ذكرته من إقامة حدود الله وهذا وحده يكفي، وختمتْها بقولها:

وإنَّ من الرأي أن يُردّ هذا الأمرُ شورَى على ما جعله عمرُ بن الخطاب، فكانت أصداء ذلك أنّ الناس بعضهم أيّدها وصدّق كلامها، وبعضهم أنكر قولها وكذّبها، حسب الأحزاب المُتصارِعَة.

ويمكن تسمية هذه الخطب بالخطبِ الاجتماعِيَّة الدّفاعيَّة، وهي الخطب التي تمسّ ذاتِيَّة الخطيب، أو من يَتعلّق به من أقاربه، كدفاع السَّيِّدة عائشة عن أبيها في خطبتها التي خطبتْها بعد وفاة أبي بكر الصِّدِّيق، رضي الله عنه، فأسدلَتِ الأستار، وأعلَتِ الوسادَ، وابتدأت خطبتها، بالاستهلال[٢] أو حسن الابتداء[٣]، كما يُسمِّيها أبو هلال العسكريّ.

وفي كثير من خطب السَّيِّدة عائشة كان الابتداء بحمد الله والثَّناء عليه، ثم (يا أيُّها الناس)، أو حمد الله والثَّناء عليه، والصَّلاة على نَبِيّه ﷺ ثم قولها أبي وما أبِيَهْ...

---

(١) ينظر ص ٩.

(٢) ينظر فن الخطابة ٩، والاستهلال هو مقدمة الخطبة.

(٣) ينظر الصناعتين ٤٥٥.

أو حمد الله والثَّناء عليه، ثم الدُّخول في العرض مباشرة، كان الناس. . . أو في بعض الخطب، لم أجدها مبدوءة بالحمد، فقد يكون الرُّواة أو النُّسَّاخ قد أهملوا ابتداءها، فتكون مطالع الخطبة: إن لي عليكم حرمة الأمومة. . .[١]

أو قولها: أقتل أمير المؤمنين؟ قالوا: نعم. . . ثم استَمَرَّتْ بعرض موضوع خطبتها[٢].

أو تبدأ الخطبة بِ (أيُّها الناس. . .)[٣].

أو تبدأ الخطبة مباشرة بقولها[٤]: لا تقتلوا إلّا من قاتلكم. . .

أما خطب السَّيِّدة فاطمة بنت محمد ﷺ، فقد كانت مبدوءة، بالحمد والثَّناء على الله تعالى، والصَّلاة على رسوله ﷺ، ثم الدُّخول في العرض كقولها: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فكانت البداية بآية من سورة التوبة المباركة.

وفي خطبة أخرى ابتَدَأَتْ فاطمةُ بقولها:

أيُّها الناس أنا فاطمة، فقد يكون الحمدُ والثَّناء الذي يبتدئ خطبهنّ به قد أهمله الراوي، لعنايته بنقل النَّصّ، الذي يكون موضوعًا، نظرًا لبلاغته وأسلوبه الذي يتناسب مع أساليب أُدَباء العَبَّاسِيِّين.

وفي خطبة أخرى، بدأتها السَّيِّدة فاطمة بالحمد لله وقولها:

أبدأ بحمد الله، الحمد لله على ما أنعم، وله الشُّكر على ما ألهم، والثَّناء بما قدّم، ثمّ استَمَرَّتْ بالثَّناء على الله تعالى، وبيان فضله، ثمّ عرضت الخطبة. . .[٥]

---

(١) تنظر الخطبة ٦ ـ عدد النَّصّ ١٨ من ق١ من التحقيق.

(٢) تنظر الخطبة ٧ ـ عدد النَّصّ ١٩ من ق١ من التحقيق.

(٣) تنظر الخطبة ٩ ـ عدد النَّصّ ٢١ من ق١ من التحقيق.

(٤) تنظر الخطبة ١٠ ـ عدد النَّصّ ٢٢ من ق١ من التحقيق.

(٥) تنظر الخطبة ٥ عدد النَّصّ ١٨٧ من ق١ من التحقيق.

وفي خطبة حفصة بنت عمر، ابتدأت بالحمد ثمّ (أمّا بعد)(١).

وأخيرًا فإنّ كلّ أنواع الخطب التي وردت سابقًا هي فرع من الجدل، ومن علم الأخلاق الذي يمكن أن يدعى علم السياسة(٢) لأنّها تَضَمَّنَتِ النّقد والتّأييد، والدّفاع والشّكوى، والدّعاء...

وهي في الوقت نفسه ذاتُ إيقاع وإقناع، لكنها بلا تَكَلُّف ولا أسجاع، وليس فيها وزن ولا ضرورات تُؤَدّي بها إلى الخطأ أو اللّحن.

أمّا عن التّأبين فقد خَصَّصت له مكانًا آخر غير الخطب وسيأتي ذكره فيما بعد.

الرّسائِل والكُتُب:

قال أبو هلال العسكريّ في حديثه عن الرسالة(٣):

«أجناس الكلام المنظوم ثلاثة، الرّسائلُ والخطب والشّعر» فقد عدّ الرّسائلَ من نوع الكلام المنظوم وذلك لأنّ الرّسالة سواء كانت شفويّة أو تَحريريّة لا بدّ لها من الوسائل والأدوات، وأهمّها:

حسن التّأليف، وجودة التّركيب، وحسن الرّصف، وأجود الكلام، ما كان يدلّ قليلُه على كثيره.

ووضع العسكريّ شروطًا مُتَعَدِّدَة لكتابة الرّسائل إلّا أنّها لا تتناسب مع رسائل الفترة الإسلاميّة، لأنّها كانت النّواة الأولى، وبداية فنّ الرّسائل، فيما بعد، إلّا أنّ الشُّروط العامّة للرّسائل، لا بدّ أن تَتَوَفّر في أيّة رسالة، حتى ولو كانت قصيرة، وفي هذه الفترة.

وقد تحدّث القلقشنديّ عن الرّسائل والخطب بشكل مُسهب(٤) إلّا أنّه لم يذكر

(١) ينظر فن الخطابة لأرسطو ٢٨.

(٢) تنظر خطبتها ٣ في ق١ من التحقيق.

(٣) ينظر الصناعتين ١٧٦.

(٤) ينظر صبح الأعشى ٢٣٧/١ و ٢٢٧.

شيئًا عن رسائل النساء. وكانت للعسكريّ أدوات يشترط تَوَفُّرها في الرسالة، وهي:

المعرفة بالعربيّة، والحساب، وعِلم المساحة، والمَعرِفَة بالأزمِنَة، والشُّهور، والأهلة، وكلّ تلك الأدوات كانت مُتَوَفِّرَة في رسائل النِّساء، فهي جزء من حياتها، ونسيج من أفكارها وقطعة من مشاعرها.

أنواع الرَّسائِل من حَيث الطُّول والقِصر:

على الرُّغم من قلّة الرَّسائل النِّسَوِيَّة في العصر الإسلاميّ، فإنّها تعدّ ابتكارًا لم يُسبق، وإبداعًا أدبيًا جديدًا، دعت إليه الحاجة، ومُتَطَلّبات العصر الجديد، بكلّ شُؤونه، ومجالاته.

كانت الرَّسائِلُ النِّسوِيّة مُختَلِفَةَ الأنواع، فمنها ما كان طويلًا توضح فيه المرسلة شأنًا من شُؤونَ حياتها ومتاعبها، أو ما كان يهمّ أمر المسلمين من قضايا دِينِيّة أو سِياسِيّة مُختَلِفَة، وأطولُ رسالة نَسوِيَّة كانتْ للسَّيِّدة عائشة أرسلتْها إلى أهل الكوفة[١]، ورسالة السيدة نائلة بنت الفراقصة أرسلتها إلى معاوية بن أبي سفيان في الشام[٢].

أما عن أقصرِ الرَّسائل فهي للسَّيِّدةِ عائشة أرسلتْها إلى الإمام عليّ بنِ أبي طالب، جوابًا على رسالته، وهي أشبه بالتَّوقيع لأنّها لم تَتَعَدَّ العبارة الواحدة والسَّلام[٣] وقد كانت أكبر مجموعة من الرَّسائل النِّسَوِيَّة للسَّيِّدة عائشة إذ بلغت ثماني رسائل.

أمّا الرَّسائل الأخرى فتتراوح بين النَّوعين طولًا وقصرًا، فلم تبلغ حدّ التَّفصيل أو التَّوضيح، وإنّما كانت تُعبّر عن جوهرها بألفاظ قليلة، واضحة المعنى، كرسالةِ السَّيِّدة أمّ سلمة إلى عائشة[٤]، ورسالة جارية إلى قريب لها، ورسالة هند بنت النعمان إلى عبد الملك بن مروان[٥].

---

(١) ينظر نصّ الرِّسالة ٣٥ في ق١ من التحقيق.

(٢) ينظر نصّ الرِّسالة ١ في ق١ من التحقيق.

(٣) ينظر نصّ الرِّسالة ٣٨ في ق١ من التحقيق.

(٤) ينظر نصّ الرِّسالة في ق١ من التحقيق.

(٥) لم أذكر هذه الرِّسالة في التحقيق لأنّها كانت تضُمّ بعض العبارات الفاحشة، ولم يكن هذا الأسلوب مستنكرًا في تلك الفترة، إذ كانت سمة من سمات الكلام المألوف لدى الكثير من المعاصرين لهند.

أبرزُ مَزايا الرّسائِل من النّاحيَة الشّكلِيّة:

من أبرز المزايا الشّكليّة لرسائل النّساء وكتبهنّ، أنّها كانت تبدأ بالمطلع والعرض ثم الخاتمة، فأوّل الرّسالة تبتدئ بقولها[١] (من عائشة بنت أبي بكر أمّ المؤمنين، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان) وهذا المطلع يعدّ العنوان الذي تُرسل إليه الرّسالة، ثم تبدأ بقولها:

أمّا بعد... وتعرضُ جوهرَ الرّسالة بأحد المَطالِب أو الأوامر أو النّواهي فتوجز القول ثمّ تختم الرّسالة بفعل الأمر، أو السّلام، وقد تبدأ الرّسالة بالعنوان أيضًا: من عائشة... إلى زيد... سلام عليك.

أمّا بعدُ وتختم الرّسالةَ بفعل الأمر والسّلام.

وفي رسالة أخرى لعائشة أرسلتْها إلى عثمان بن عفان (رض)، كان مَطلعُها بالدُّخول في فحوى الرّسالة مُباشَرَة، كقولها[٢]:

قد تقدّمتُ إليك... وأنهتها بـ (فأنصِفْهم من عاملكَ).

إلّا أنّني أرى أنّ هذه الرّسالة لم تَصِل إلينا كاملة، فهي تَفتَقِر إلى المطلع المُعَنوَن إلى المرسَل إليه، فلم ترِو بشكل كامل، أو قد تبدأ الرّسالة بقولها[٣]: من عائشة أمّ المؤمنين.. إلى زياد بن أبي سفيان.. أو تبدأ بـ (أمّا بعد)، في رسالتها إلى أهل الكوفة.

أو تكون الرّسالة موجَزَة تشبه توقيعات الخُلَفاء فيما بعد، فهي بداية لفنّ التّوقيعات، وأساس للرّسائل المُتَنَوّعَة في العصور التّالية، كرسالتها إلى الإمام عليّ (رض)، فكانت ردًّا جوابيًا على رسالة بعثها إليها، فكتبت:

جلّ الأمرُ عن العتاب، وختمتها بالسّلام.

وفي رسالة أخرى أرسلتها إلى الأشتر كانت تبدأ بـ: أمّا بعد.. ثم العرض....

---

(١) تنظر رسالتها نصّ ٣٦ ق١ من التحقيق.

(٢) تنظر رسالتها نصّ ٣١ ق١ من التحقيق.

(٣) تنظر رسالتها ٣٤ ق١ من التحقيق.

ثم الختام بغير السَّلام، فكانت خاتمة الرِّسالة بقولها[١]:

(وغيّك إن شاء الله)

وقد تبدأ الرِّسالةُ مُبَاشَرَة بالعرض، وطرح جوهر الرِّسالة في أوّلها اختصارًا لها، وذلك أبلغ تعبيرًا عن السّخط، كقول جارية[٢]:

الله في قلبي أعظمُ وأجلّ. . ثم تختم الرِّسالة باستفهام إنكاريّ بقولها: فكيف ذقت طعم الغيرة؟!

وفي رسائل أخرى جرتْ بين أمّ سلمة وعائشة، قبل معركة الجمل، كانت الرِّسالةُ تبدأ بـ:

ما أقبَلني بوعظكِ. . وإيجاز عرض فحواها، ثم أنهتها بالسَّلام.

أو قد تبدأ بالسَّلام عليك، ثم الحمد والتَّهليل بـ لا إله إلّا الله، أمّا بعدُ، ثم عرض الموضوع بإيجاز، والسَّلام، وهذا الشَّكل الأخير للرِّسالة يعدُّ مُتكامِلًا، فلا بدّ من إهمال الرُّواة، أو ضياعهم للنُّصوص الأصليَّة لرسائِل النِّساء التي تَكتَمِل فيها شُروط الابْتداء، بالحمد والتَّهليلِ والسَّلام وأمّا بعدُ والعرض والختام بالسَّلام.

وقد تكون الرِّسالة مُعَنوَنَة من السَّيِّدة نائلة زوجة الخليفة عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان، ثم ابتدأت بـ أمّا بعدُ، وآيات من القرآن الكريم، وبعض الحكم والموعظة الحسنة، ثم عرضتْ قِصَّةَ مقتل الشَّهيد عثمان، وختمتْها بالشَّكوى إلى الله تعالى، وإلى الخليفة، وتَرَحَّمَتْ على عثمان.

كانت تلك المزايا أبرز ما تَمَيَّزَت به رسائل النِّساء، التي كانت النَّواة الأولى لفنّ الرَّسائل والمكاتبات فيما بعد.

---

(١) تنظر رسالتها ٣٨ ق١ من التحقيق.

(٢) تنظر رسالة جارية ٣٨ ق١ من التحقيق.

مِقدار ما وَصَلَ من رَسائِل النِّساء:

حصلتُ بعد البحث والتَّمحيص في كتب التُّراث القديمة، على ما يزيد على أربعَ عشرةَ رسالةً نَسوِيّة، أهملتُ بعض الرَّسائل التي ضَمَّت معاني وألفاظًا غير مناسبة لعصرنا الحاضر، فكانت حصيلةُ ذلك الجمع ثمانيَ رسائل وكتب للسَّيِّدة عائشة، ورسالة واحدة للسَّيِّدة نائلة، والسَّيِّدة أمّ سلمة مع رسائل مُتَفَرِّقَة أخرى.

أغراض الرَّسائِل النَّسوِيَّة:

اختلفتْ رسائل النِّساء، وتَنَوَّعَتْ فنونُها وأغراضها حسب الظُّروف السِّياسيَّة، والحالة الاجتِمَاعِيَّة، والموقف النفسيّ للمرسِلة، فكانت أكثرُ الرَّسائل سِياسِيَّةً يمكن أن نُسَمّيها رسائل الأمر، لصيغة الأمر المُوَجّهة إلى المرسَل إليه، وغالبًا ما تكون من الأعلى إلى الأدنى تُوجِّه فيه أمرًا خاصًا بقادة المسلمين أو حياتهم السِّياسِيَّة، أو مواقفهم الاجتِماعِيَّة، كرسالة عائشة إلى زيد بن صوحان، أو رسالتها إلى أهل الكوفة، وهذا النَّوع من الرَّسائل، تغلب عليه صيغة الأمر، ويُحمل على الإطالة والتّكرار والتّوكيد، ونظم الكلام حسب مقتضى الحال(١)، واختصار اللّفظ وإيجازه في بعض الأحيان، والتّأكيدِ على المعنى دون اللّفظ. ومن أَهَمّ ما تَتَمَيَّز به هذه الرَّسائل أنّها موجَزَة إذا كانت من العالي إلى الداني، ومُطَوَّلَة حين تُرسَل من الأدنَى إلى الأعلى، كرسالة عائشة إلى أهل الكوفة ورسالة نائلة إلى معاوية.

رَسائِل العِتاب:

تُرسلها الأديبة إلى من تُعاتبه في شأن خاصّ من شُؤون الحياة الاجتِماعِيَّة، لغرض حلّ خصومة، أو بيان مظلمة تجاه المرسَل إليه، لِيُزيلَ الخلافَ بينهما. ولم أجد من هذه الرّسالة إلّا واحدة أرسلتْها جارية غاضبةً حملتها الغيرة على الكتابة لخطيبها الذي تَوَجَّه شرقَ الفتوحات الإسلامِيَّة، وكان قد اشترى جارية، فأحَسَّتْ خطيبتُه بإهمالِهِ لها، فراسلته تعاتبه على ذلك(٢).

(١) تنظر رسالة عائشة إلى أهل الكوفة ق١ من التحقيق.

(٢) تنظر رسالتها عدد ٣٨ ق١ من التحقيق.

رسائل الشكوى:

وهذه الرّسائل من الأدنى إلى الأعلى، تُرسلها المرأة، لعرضِ قَضِيَّةٍ مُعَيَّنَة، وأمرٍ هامّ تشكو فيه ظلمًا، وتُعبّر عن إثم عظيم وجرح عميق، كرسالة نائلة إلى معاوية بن أبي سفيان وكانت الرّسالة مُطوّلَة، مُفَصّلَة، حَمّلتها قِصّة المقتل، وبَيّنَتِ الموقف الغادر، ووصفتْ فيها كَيفِيّةَ دُخول المُعتَدين واعتدائهم على حُرمَة الخليفة وقتله.

وكانت هذه الرّسالةُ أطولَ الرّسائل، وأكثرها تعبيرًا وأغزرها عاطفة، وأكثرها التِصاقًا بفنّ القِصّة[١].

الرّسائل الإخوانية:

تُرسَل بين طرفين متساويين منزلة، لغرض أخوي، كالنُصح والإرشاد أو العتاب، أو يُعرض فيها أمر من أمور المسلمين، أو أمور خاصة بشكل موجز، ولفظ بسيط، ولغة واضحة كرسائل عائشة وأمّ سلمة، لم أحصل من هذه الرسائل إلّا على أربعة نصوص.

وقد أهملتُ ما كان سردًا إخباريًا نثريًا من نثر النساء، كرسالة أم سلمة إلى أهلها قبل هجرتها إلى المدينة[٢] فهي سرد إخباري وليست من النثر الفني، كما ورد في كتاب الرّسائل الفنية إذ سُميت فيه رسالتُها من نوع (الرّسائل النثريّة الإخبارية) وذلك خلافُ الواقع، وخالٍ من السمات الفنية للنّص الأدبيّ[٣].

٢ ــ أدبُ الوفادات النّسوية[٤]:

ظاهرةُ الوفادة النّسَويّة من المظاهر الجديدة في الأدب الإسلاميّ وتعدُّ من سمات الأدب النسويّ الجديد، فلم تكنِ المرأةُ قبل الإسلام تفِدُ على أحد من الملوك أو كبراء القبائل لأي سبب كان، فهي تتمسكُ بالتّقاليد العربيّة التي تعارفَ عليها العربُ قبل

(١) تنظر رسالة نائلة ٢٦ ق١ من التحقيق.

(٢) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٦٥.

(٣) ينظر الرسائل الفنية حتى نهاية العصر الأموي ٤٤.

(٤) ينظر نظرات في شعر صدر الإسلام ١٣٦ وفيه تفصيل شرح المعنى اللغوي والاصطلاحي (للوفادة) أو الوقود أو الوفد.

الإسلام، إلّا أنّها انتشرتْ بعد الإسلام، بعد أن تقاطرتْ وفودُ المسلمين، يبايعون الرسول الكريم ﷺ، والوافدات من النّساء يبايعنَه ﷺ، ويحاورنهُ، أو يخطبنَ أمامه، وبعضُهنّ يعرضْنَ مسائلَ شرعية واجتماعية للإجابة عليها. وفي خلافة معاوية كانتِ الظاهرةُ قدِ انتشرت وتبلورت فنًّا من فنون الأدب النّسويّ، فوفدت الكثير من النّساء على الخليفة معاوية بن أبي سفيان، يعرضْنَ أمامه كلامهنّ وخطبهنّ وأحاديثهنّ السياسية، فكنّ يمثّلْنَ اتجاهًا سياسيًا وظاهرة أدبية، وفنًّا من فنون الأدب النّسويّ، على الرغم من أنّي أشكّ في الكثير مما رُوِيَ من خطب الوافدات، لعدم استساغة ذلك ذوقًا أو عدم قبوله اجتماعيًا، فلماذا يرسل معاوية إلى عاملة بالكوفة، أن يُرسلَ له إحدَى النّساء، ويطرقُ البابَ ليلًا ليخبِرَها أنّ الخليفة أرسل في طلبها، وهذه الروايةُ وغيرها من روايات بلاغات النّساء لابن طيفور الذي سبقَ الحديث عنه، وعن كتابه، ومكانته عند الرُواة بين من يذمّه وبين من ينسبه إلى الطائفية، أو التعصب العرقي، فهذه الروايات تبعثُ في النفس الشكوكَ والأصداء المختلفة، أما بسبب الشكّ في ابن طيفور وتعصّبه أو الشكّ في روايتهِ حيث يذكر أنّ هؤلاء يخطبنَ ويشتمنَ ويتجرأنَ على الخليفة، وهو أمير المؤمنين، وبإمكانه أن يقتصّ منهنّ، فهو أمر مريب.

كانت جلُّ الوافدات من أنصار الإمام عليّ (رض)، حين وفدنَ على معاوية، وبعضُهنّ يفدْنَ لعرض شكوى شرعية، مثل وفادة امرأة أبي الأسود الدؤلي، ووفادة ليلى الأخيليّة على معاوية، وعبد الملك، والحجاج، ووفادة العجّاج وزوجته، فالمرأة الوافدة تبدأ بالسلام على الخليفة أو من وفدت عليه، ثم يأخذ الحوار بينهما جانبًا مهمًّا من كلام الوافدة، فيبدأ الخليفة بالسؤال والاستجوابِ عن شيء، ثم تجيبه، وقد تمدحُه ببعض الكلام الجميل، وقد يسألها عن موقف معين، أو اتجاه كان ضدّ موقفه، كوقوف الوافدات في وقعة صفين أمام المقاتلين وهنّ يُحرضن ويخطبن، فتجيب الخليفة، بكلّ جرأة وصراحة، وتوضّح موقفها وهواها، ثم تقدّم بين يديه حاجتها، فيلبّي لها طلبها. وقد يكون لمثل هذا الموقف أما مبالغة في عرض خطبتها وحوارها، من قبل الراوي، أو قد يكون مبالغة منه في وصف حِلم معاويةَ، الذي كان يُضرب به المثل بالحلم والدهاء، كما ضُرب المثل بذكاء إياس وحلم الأحنف.

فمن جانب المرأة الوافدة، يمكن وصفُ حديثها بالفصاحة، وبلاغة المعنى،

والأسلوب المتين، وقوة التأثير، كما وصف الأسلع الأسود الهلالي أحدَ رجال معاوية، الوافدة التي أغلظت في السبّ والشتم حين خاطبت معاوية، فقال الأسلع[١]:

لم أكن أرى امرأةً تبلغُ من معاضيل الكلام، ما بلغتْ هذه المرأة، وقد جالستُها، وهي تحملُ قلبًا شديدًا، ولسانًا حديدًا، وجوابًا عتيدًا.

ولما علم معاوية ورجالُه بموتها بالطاعون بعد خروجها من الشام، جاء الأسلعُ ليبشرَ معاوية بذلك، فقال له: فإنّ موتها لم يكن بأربحَ لي منه، إليك، ولعَمرى لقد أثخنتْ بك حتى أفرغتْ عليكَ شُوْ بويا وبيلا، فقال الأسلعُ: ما أصابني من حرارةِ كلامها إلّا وقد أصابك مثلُه، وأشدّ منه.

وقد وصف القلقشندي حوار الوافدات وخطبهنّ فقال[٢]:

والشاهد في هذه الحكايات كلامُ هؤلاء النسوة مع ما فيها من المراجعات والمخاطبات والمقاولات والمحاورات الصالحة للاستشهاد، للفصل المتقدم ـ (أي الحديث عن الرسائل والخطب) ـ وهذا باب متّسع استيفاؤه، ولا يمكن استيعابُه، وفيما ذكرنا مقنع.

أما عن أجمل النصوص النثريّة النسويّة فكان نصُّ ليلى الأخيلية ومحاورتُها حين وفدتْ على الحجّاج، فكان كلامُها عذبًا رقيقًا، ألفاظها جزلة فصيحة، ومعانيها بليغة، رائعة، استخدمتْ فيها مختلفَ فنون البلاغة، وقد حفظتْ تلك المحاور كثير من كتب التراث، ومؤلفيها مثل:

ابن قتيبة وابن عبد ربه والقالي، ولم يتركِ ابنُ طيفور حديثًا للنساء إلّا وأورده في بلاغاته، وخصص ابنُ عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد بابًا خاصًا بالوافدات من النّساء[٣]، وعرضَ خطبهنّ وحوارهنّ بالتفصيل الدقيق، ونقلَ القلقشندي ذلك في كتابه صبح الأعشى، فكان الخلفاء والقادة يصغون إلى حوار الوافدات إصغاء فنيًا

(١) ينظر نصّ حوارها في ق٣ من التحقيق ص ٢٢٥، المرأة هي آمنة بنت الشريد.
(٢) ينظر صبح الأعشى ١/ ٢٥٤ و٢٣٧.
(٣) ينظر عيون الأخبار والعقد الفريد وأمالي القالي، وينظر النص وتخريجه في ق٢ من التحقيق.

إعجابًا ببلاغتهنّ، ولحُسن سلوكهنّ في تثمين فنّ القول، مع مراعاة نفسيات كل منهنّ، ولا تخرج إحداهنّ إلّا وهي راضية ممتنّة، لما تراه من إكرام الخليفة الذي يبدأ بإصغائه وإعجابه بكلامها، وينتهي بإكرامها بما تجود يده من الإبل، والقطعات والأراضي والأموال التي تصل إلى الآلاف.

وحين تكلمت الوافدة أمّ البراء بنت صفوان أمام معاوية قال لها[1]:

«قاتلكِ اللهُ يا بنتَ صفوان، ما تركتِ لقائل مقالًا». وعندما أغلظتْ في الكلام قال:

إذا أنا ضيّعتُ الحلم فمن يحفظُهُ.

فكان أدب الوافدات يمثّلُ ظاهرة بارزة من مظاهر النّثر النّسويّ، في العصر الإسلامي والأموي، ابتداءً من وفادةِ أسماء الأنصارية، وهند بنت عتبة، وغيرهما من المبايعات على رسول الله ﷺ، واستمرار الوافدات، وتميّز هذا الفن من فنون النثر النّسويّ حين وفدنَ لأسباب متعدّدةٍ على معاوية وغيره من الخلفاء والقادة، فمنهنّ من كان قد أرسل في طلبها، ومنهنّ من حضرت للشكوى من الفقر أو من والي المدينة أو والي اليمامة، أو طلبها للمعونة المادية والاجتماعية. فكان كلامهنّ يتميز عن الخطب التي تُلقى على المنابر، ويختلف عن غيره من الحوار، ويعدّ فنًا قائمًا بذاته.

٣ ــ القصّة:

إذ كانت تروي قصصُ العرب التاريخية أيامَهم، وأنسابَهم، ووقائعهم، وأشعارهم، وما إلى ذلك قبل الإسلام، هذا كان الأساس لفنّ القِصّة فيما بعد، وقد رُوي كل ذلك شفويًا محمولًا على حافظة الرواة، عن العصر السابق، تحملُها الذاكرة دون أن تسقط منها الأمثال، داخل القصص، فهي أصدق نثر يمكن الركون إليه.

وللفنون النّثريّة المختلفة مثل الحكم والأمثال، أو الوصايا والخطب، كلّ ذلك له الفضل في بقاء القصّة، ولا سيما القصّة النسويّة، إذ تجري أحداث القصص التي

(١) ينظر العقد الفريد ١/٢١٨.

تسردها المرأة جريان الماء العذب إلى الوديان، حين يتخلّل كلامها، ضربُ المثل، أو ذكر الخطبة أو إنشاد أبيات شعرية، أو التحدّث عن حكمة أو وصيّة، كلّ ذلك بلا عناء، ولا تكلّف، وبحوادث واقعية فعليّة ترويها عن نفسها، وهي أشبه ما تكون بالسيرة الذاتية وليست القِصّة كما يدّعي البعض من الإخوة الباحثين أنّها وليد جديد في أدبنا العربي، وأنها لم تدخل أدبنا العربي إلّا بعد الاتصال بالغرب في العصر الحديث، فوجود القصّة النّسويّة، يمكن أن يلغي هذا الرأي، ويدحضه بالأدلة الدامغة من خلال الاطلاع على قصص السيّدة عائشة أمّ المؤمنين، فكانت بعضُها قصصًا تاريخية بحتة وقد أهملتُها، وبعضُها قصصًا ذاتية، وجدانية، حقيقية.

وللقصّةِ كما هو معروف عناصر، لعل أبرَزها الخيالُ والعاطفة، وتسلسل الأفكار، والحوار والعقدة، والحدث، واحتدام الصراع، ونهاية إمّا مفرحة أو مؤلمة، وحين نقرأ قصصَ النّسوة في صدر الإسلام، والعصر الأمويّ، نجد هذه العناصر متجسدة واضحة، مثل قِصّة السيّدة حليمة بنت أبي ذؤيب، أمّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم، التي أرضعتهُ حين تروي قصّتها عن حضانة الطفل الوليد ورعايته، تذكر كلّ ما مرّ بأشجانه من صور حقيقية، عاشتها أيامًا وليالي، وعرضَتْها بأسلوب بليغ، ولغة فصيحة، وألفاظٍ جزلة، ومعانٍ عذبة، وصور فنية، وفي القصّة النّسويّة شيء من صفات الأدب الواقعي، وهي:

الموضوعية، والعناية بالبيئة التي تجري فيها الأحداث، مع متانية البناء، والعفوية، فيأتي كلامُها جامعًا بين الدقّة والوضوح، بعيدًا عن اللهجة المنفعلة، إلّا أنّ القصّة كغيرها من الأدب النسويّ لم تصل إلينا إلّا ما كانت بارزةً علمًا لا يمكن نكرانه، ويصعب نسيانه، أو ما جرت مجرى الأمثال، على ألسنة ذوي المقال.

وكان الدكتور محمد غنيمي هلال ممن ينفي وجود القصّة في الأدب العربي القديم والقصةُ في خصائصها العامة التي أشرنا إليها حديثةُ النشأة، وقد أخذناها عن الآداب الأوروبية، وتأثرنا في مذهبها وأصولها الفنية بتلك الآداب[١].

---

(١) ينظر النقد الأدبي د. محمد غنيمي هلال ٤٦٢.

وإذا اطّلعنا على قسم التحقيق في هذه الرسالة وجدْنا القصّة بعناصرها المختلفة، وشروطها التي ذكرها د. هلال في كتابه، كلّ ذلك ينطبق على الأدب النسويّ والقصّة التي سردتها المرأة في العصر الإسلامي، والقصص كثيرة عند المرأة العربية، إلّا أنني بسبب سعة رسالتي أهملتُ الكثير، وثبّتت بعض قصص السيّدة عائشة أو غيرها من الأديبات، وكان من الشروط التي تميّزتْ بها القصّة النسويّة ما يأتي:

١ ـ الحدث، إذ تهتم القصّة النسويّة بعرض الحدث فتصفُ الحياة التي عاشتها، والبيئة ومبررات ذلك الحدَث. كقصّة الإفك التي سردتْها السيّدة عائشة عن نفسها وعن حياتها مع رسول الله ﷺ، وما أحاط بهم من المنافقين.

٢ ـ الصراع، فكان الصراع النفسي لشخصياتِ القصّة، يتمثلُ في موقفها وهي لا تدري ما يحيطها من الدسائس، وهي تحسّ بواقع غير مألوف وحياة مريرة عاشتها ما يُقارب الشهر أو أكثر، حين رُميت بالإفك، والصراع النفسي الذي عاشه زوجها ﷺ، وصراع والديها اللذيْن بقيا في حيرة ومرارة، فهم يعرفون ابنتهم حقّ المعرفة، ويعرفون صدقَ النبي ﷺ ونبوّته، وصراعُ نفسي آخر، حول مواجهتهم الناس من الأصدقاء والصُحابة، صراعُ الصحابة، واختلاف أهوائهم واتجاهاتهم ما بين مصدّق أو مكذب.

والمرأة في سردها للقصّة بهذا الشكل الواقعي الذي يخدم الإنسانيّة، بعرض الخبرات والتجارب الاجتماعية وحلّها كانت غير متكلّفة، عفوية، واضحة، واقعيّة، لم تأتِ بشيء يمتُّ إلى الخيال بصلة.

٣ ـ والعنصر المهم الآخر في القصّة النّسويّة، إذ ربطت السّيِّدة عائشة بين العاطفة والألم بالأحداث الإنسانية، فكانت قصّتُها أعمقَ أثرًا في الوعي الإنساني والقومي، وهي في كل ذلك، كانت تسرد القصّة عن غير قصد أو تكلّف إذ لم تكن القصّةُ بعد، أحدَ الأبوابِ الفنية للأدب، وهي بهذه الصفة تسيرُ جنبًا إلى جنب مع الشعر الجاهلي أو الإسلامي الذي لم يكن فنًّا مقصودًا، بل كانت سليقة وطبيعة، وجزءًا من حياة الفرد في الجزيرة، ولم تكن مدونة، بل كانت شفوية.

وقد أهمل الكُتّاب جميعًا ذكرَ القصّة النسويّة بشكل خاصّ، والقصّة الإسلامية

بشكل عامّ، فلم يأت باحث بدراسة عميقة لتاريخ القصّة النّسويّة قديمًا ولا حديثًا وإذا كان له بعض الاطلاع فهو يعدُّها غيرَ ذات قيمة فنية، لذلك أُهمل الأدب النسويّ النثري.

وخلاصةُ القول عن القصّة النسويّة، أنّها أصيلة في أدبنا العربي، وآداب الأمم الأخرى، وفيها لمحات من التّحليل النّفسي في صراع الشخصيّات مع الحوارات، وفيها النقد الاجتماعي، لعهد جديد هو العهد الإسلامي، الذي تصطرع فيه القيم التقليدية الجاهليّة، والوعي الاجتماعي الجديد، ويكشف الصراع الذي يعبّر عن عادات سائدة في المجتمع العربي، وفي الشرع والعقيدة التي جاء بها الإسلام، في ترك النفاق الاجتماعي، الذي يمثله المنافقون، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول وفي القصّة أيضًا، فضلًا عن الصراع والأحداث التي رويت، ففيها احتكام إلى السلطة العليا في الكون، الاحتكام إلى الله تعالى في إظهار الحقّ، وسحق الباطل، وفي هذه القصّة أيضًا، الحِكم والأمثال، التي بقيت فيما بعد نصوصًا خالدة في اللغة والأدب والحكمة وفي هذه القصّة عناية فائقة بالتعبير، عناية فطرية، غيرُ متعمّدة، وعاطفة جيّاشة، وصور حيّة، وتصوير فني معبّر، وفيها الرمز.

والمبادئ المتّبعة في القصّة النّسويّة يمكن أن نحدّدها بنقاط معيّنة، هي: ترتيب الأحداث ترتيبًا متسلسلًا، يدلّ على وحدة عضوية متكاملة للنص الأدبي، فوحدة الحدَث تركز على حقائق جوهرية أو فكرة عامة، أو شخصية، فالنفاق في قصّة الإفك، والتحدّث بغير الحقائق، ظاهرة اجتماعية منبوذة دائمًا، والقضية الشخصية في القصّة هي رمي السيّدة عائشة، فكانت تتألم وتفوّض أمرها إلى الله تعالَى، وبالتالي وحدة الاهتمام ووحدة الشعور بالموضوع.

ثم أنّ عنصرَ المفاجأة كان واضحًا عندما تحدثتْ أمُّ مسطح بأمر كانت عائشة خالية الذهن عن أي شيء من تفاصيله، والتحليل النفسي في القصّة، حين حلّلت تصرفَ الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وتغيّر طباعه دون أن تكون على بيّنة ممّا في ذهنه، ثم نفسية والديها اللذَيْنِ كانا في حيرة من حقيقة الموقف، وفي منتهى الإحراج، وتحليل موقف المنافقين بعد ظهور البيّنة، ونزول عشر آيات كريمات من

سورة النور في براءتها، والموقف الآخر تحليل نفسية الأشخاص الذين شهدوا أمام الرسول ﷺ بما يرونه، وكلّ حسب هواه أو تفكيره.

٤ ـ الوصايا:

الوصيّة كلام موجز بليغ، يتخذ صيغة الأمر أو لغط اسم الفعل أو التحذير، لغرض الوعظ والإرشاد وفيه الحكم والمواعظ، كوصيّة أمّ إياس ابنة عوف[١] حين زوجتْ ابنتَها وقالت لها[٢]: أي بُنيَّة إنّ الوصيّةَ لو تُركت لقبولِ أدب أو مكرمة في حسبٍ، لتركتُ ذلك منكِ، ولزويتُها عنكِ، ولكنّها تذكرةُ العاقل.

فمن الملاحظ أنّ هذه المرأة عرّفتِ الوصيّة بأنها تذكرةُ العاقل، وهي ليست للتفاخر أو للتباهي في النَسب، وقالت أخرى في كلامها تعريف للوصيّة[٣]:

أوصيكِ فاحْفظي وصيّتي، وأنصحكِ فاقْبلي نصيحتي.

وعلى هذا الأساس فالوصيّة هي نوع من النصحِ.

وقولُ أعرابية توصي ابْنها[٤] وفيه لفظُ الوصيّة: أي بنيّ اجلسْ أمنحْكَ وصيّتي وباللهِ توفيقُكَ فإنّ الوصيّة أجدَى عليكَ من كثيرِ عقلكَ.

فالوصيّةُ هنا تعني الخبرات والتجارب والحِكَم التي يوليها الكبيرُ للصغير أو الآباء للأبناء.

وقد عرّف أسامةُ بن منقذ الوصيّةَ فقال[٥]:

الوصيّةُ وصيّتان، وصيّةُ الأحياء للأحياء، وهي أدب وأمر بمعروف، ونهي عن منكر وتحذير من ذلك وتبصرة بصالح عمل.

---

(١) هي ابنة أمامة ابنة الحارث التغلبية وزوجها الحارث بن عمرو ملك كندة.
(٢) ينظر الفاضل في صفة الأدب الكامل ٢/٩١.
(٣) ينظر الفاضل في صفة الأدب الكامل ٢/٩١.
(٤) ينظر أمالي القالي ٢/٨١.
(٥) ينظر لباب الآداب باب الوصايا.

ووصيّة الأموات للأحياء، عند الموت، بحقّ يجب عليهم أداؤه، ودَيْن يجب عليهم قضاؤه.

أما أنواع الوصايا التي وردتْ في النثر النسويّ فيمكن تصنيفها كما يأتي:

١ ـ وصية الأم لأبنائها مثل وصيّة الخنساء (وصيّة جهاديّة).

٢ ـ وصيّة السيّدة عائشة لبنيها من رجال المؤمنين وهي تعدّ مرجعًا دينيًا، إذ كانتْ إحدى سبعة رواة للحديث الصحيح وهي من اشتهر بكثرة الرواية له (وصيّة وعظيّة).

٣ ـ وصيّة أخلاقية، كوصيّة أعرابيّة لابنتها[١].

٤ ـ وصيّةٌ علميّة، كوصيّة أم سفيان الثوري، ابنها توصيهِ بطلب العلم، وتكفيهِ معيشتَه بمغزلها، حبًا بالعلم[٢].

٥ ـ وصيّة اجتماعية، توصي المرأة ابنَها بحُسن الخلق وترك النميمة، وتركِ البخل، والالتزام بالعهد والوفاء، وذلك كوصيّة أعرابية ابنها[٣].

٦ ـ وصيّة سياسية، توصي المرأة زوجها أو أحد رجال الفرقة السياسية التي تنتمي إليها، كوصيّة امرأة نافع بن الأزرق ـ وكانت من الخوارج ـ له حين تفرقت آراء الخوارج.

إنّ ما حصلت عليه من النصوص النثرية في الوصايا أقلّ من غيره من فنون النثر الأخرى، فقد يكون ضائعًا، أو أهمله الرواة، لكن ما لديَّ من الوصايا يتميّز بصفتِه الفنية العفوية، فالمرأة في وصيّتها لم تكن تعرف أنه أحدُ فنون الأدب أو النثر، فقد كانت فطرة وسليقة، شأنها شأن المعلّقات والأدب وفنونه الأخرى في هذه الفترة.

اتصفتِ الوصيّة بابتدائها بالأمر، كقول الأعرابية: اجلسْ أمنحك وصيّتي. . .

ثم تميزت بذكر لفظة (وصيّة) في بعض الأحيان، أو إهمال ذكر اللفظة، ثم

---

(١) تنظر الوصيّة (٤٣) ق٢ من التحقيق.

(٢) تنظر الوصيّة (٣٩) ق٢ من التحقيق.

(٣) تنظر الوصيّة (٤٥) ق٢ من التحقيق.

تستمرّ في طرح الأوامر أو النواهي باستخدام صيغة فعل الأمر، أو اسْم الفعل، أو الضمير (إيّاكَ) لغرض التحذير من سوء العاقبة، ومن أجمل الوصايا، قول هذه الأعرابية:

إذا هززتَ فهُزَّ كريمًا فإنَّ الكريمَ يهتزّ لهزّتكَ، وإياكَ واللئيم فإنّهُ صخرة لا ينفجرُ ماؤها. . .

فما أعظم هذا الكلام، بلفظه ومعناه واستعاراته، وكناياته، والعبرة، والحكمة والموعظة الحسنة، التي يمكن استخلاصُها منه، والأديبة هي امرأة أعرابيّة فثقافتها أصيلة بدوية صحراوية، وهذه الثقافة هي الأساس في ثقافة القدماء والمحدثين. وختمت الوصية بالأمر أيضًا فقالت: انهضْ على اسْم الله.

وفي وصيّة الخنساء كان الابتداءُ بالنداء، بقولها:

أي بَنيَّ، وكانت تريدُ التنبيه، لسماع ندائها، ثم بيّنتْ لهم حسنَ خلقها، ليكون سُنّةً لهم، وطريقة يهتدون بهديها، ثم وجهتِ الأمر بصيغة الجمع فقالت:

فإذا رأيتم الحرب قد شمّرتْ عن ساقها وضربت بأوراقها، فتيمّموا وطيسها، وكان استخدامُها للكناية واضحًا في (شمّرت عن ساقها)، و (وطيسها). . . وغيرها من الألفاظ الفصيحة والأساليب البليغة، وهي على قلة ألفاظها وإيجازها غزيرة المعنى، رقيقة اللفظ، جميلة الأسلوب، مؤثرة، بعثت الحماس النفسي، والشعور بضرورة الجهاد، فكانت مؤثرة تأثيرًا نفسيًا معنويًا، فمنحتهم الشهادة بوصيّتها.

واختلفت خواتيم الوصايا، بمختلف الكلام.

٥ ـ المَثل والحِكْمة:

قال الله تعالى ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[١] يعني كلمة التوحيد. شبّه ثبات الإيمان بقلب المؤمن بثباتها، وشبّه صعود عمله إلى السماء بارتفاع فروعها في الهواء[٢].

(١) سورة ابراهيم الآية ٢٤.

(٢) ينظر مجمع الأمثال للميداني ١/٢.

أما الحديث النبوي الشريف، فقد صنّف فيه أبو هلال العسكري، كتابًا برأسه، ولم يألُ جهدًا في تمهيد قواعده، وأساسه، مثل:

«إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...»[(١)].

إن الأدب ومنه المثل سلّم إلى معرفة العلوم، به يتوصل إلى الوقوف عليها، ومنهُ يتوقّع الوصول إليها، غير أن له مسالك ومدارج، ولتحصيله مراقي ومعارج.

والمثلُ هو الرمز الذي يتّخذُه المتحدّثُ للدلالة على معانٍ كثيرة، والإشارة إلى مواقف، في نصّ قصير وكلمات معدودة. لكنه يدلّ دلالات نفسية اجتماعية، دينية وقد تكون سياسية أو تاريخية، فالمرأة استخدمتِ المثل في حديثها، حوار أو خطبة ليجلّي المعنى، ويوضح ما غمضَ على المتلقّي، فيكون على بيّنةٍ من كلامها، وهو في الوقت نفسه يدلُّ على سعة اطّلاع، وثقافة لغوية عريقة لدى المتحدّثة.

ومن الأمثال النسويّة قولُ السّيّدة عائشة[(٢)]:

لا جديدَ لمن لا خلقَ له، وكان لهذا المثل أساس من حياتها اليومية، فيروى أنها وهبت مالًا كثيرًا، ثم أمرت بثوب لها أن يُرقع، وتمثلتْ بهذا المثل[(٣)] فقد أعانها على التعبير بألفاظ موجزة، ومعانٍ غزيرة ذات دلالات كثيرة.

وفي المثل الذي قالته لأول مرة، ملكْتَ فأسجِحْ[(٤)]، دلالات كثيرة، وهو رمز لمعانٍ وافية، فمن معانيه حُسن العفو، وفيه المسكنة والخضوع، من قبل الملقي، والقوة والجبروت في صفات المتلقي وفيه لفظتا: الإسجاح والرِفق، فالإسجاح حسن العفو، والسهولة والرفق، وذلك بعد معركة الجمل قالته السيّدة عائشة للإمام علي رضي الله عنهما وتصالح الفريقان، وأرسلَ معها أربعين امرأة، وجهّزها خير جهاز حتى قدمتِ المدينَة، وكان الصلحُ بينهما دلالة عظيمة على تسامح المسلم مع أخيهِ،

---

(١) ينظر المصدر نفسه.

(٢) ينظر ق١ من التحقيق.

(٣) ينظر مجمع الأمثال ٣/ ١٨٥ وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٨٣ والمستقصى في أمثال العرب.

(٤) ينظر المثل في ق١ من التحقيق ٢/ ٢٦١ (أمثال عائشة).

وصفاء النفوس الإسلامية، ما دامت ذات هدف مشترك، واتجاه واحد وهو توحيد الله تعالى، والدفاع عن عقيدة الإسلام.

وإلى جانب المثل تأتي الحِكَم، التي هي دومًا شعار للعقل الراجح والذكاء، وتُعين المتحدث على الاستشهاد بالكلام المأثور الجميل، الذي تميّزه ألفاظ قليلة ورموز تدلّ على معانٍ عظيمة، كقول السيّدة عائشة[١]:

جُبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

فالمثل إذن تعبير موجز ودلالات مجازية أو استعارية أو تشبيه، يوضح معنى، أو يجلي موقفًا من المواقف الغامضة، وذلك مثل قولها في صفة رسول الله ﷺ[٢] كان أجودَ الناس بالخير من الريح المرسلة، فالريحُ المرسلة رمز استعارته للخير والعطاء.

٦ ـــ الحوار:

ظاهرة أدبية تشمل كلّ نواحي الحياة المختلفة، لأنه يمثل الحديث والكلام الدائر بين الناس، وهو اشتراك طرفين أو أكثر في الإحساس بموقف معيّن، يشارك فيه الملقي والمتلقي في إبداء رأي معيّن، أو طرح فكرة غالبًا ما تكونُ الآراء فيها متضاربة، فيقرّبُ الحوار بين تلك الآراء وينتهي بالاتفاقِ، أو بنهايةٍ، قد تكون سعيدة ومفرحة، أو لا تكون، وهو أشبهُ ما يكون بالعرض والصراع الذي يجري في القصص والمسرحيات، لكنه في هذا المجال يخصّ الكلام الدائر بين المتحدّثين، ويتّصف الحوار بالإيجاز والاختصار، وتكثيف المعاني، واستخدام الجمل القصيرة والعبارات الموجزة، وأحلى الحوار ما كان همسًا، وأعذبُه ما بَعُد عن التقريريّة والخطابية، وقد عرّف الحوار بأنه نمط من أنماط التعبير، تتحدّثُ به شخصيتان أو أكثر، اتّسم حديثهما بالموضوعية والإيجاز والإفصاح، وهو الطابع الذي يتسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار[٣].

---

(١) ينظر القول في ق١ من التحقيق.

(٢) ينظر القول في ق١ من التحقيق.

(٣) ينظر فن الكاتب المسرحي روجرز بسفيلد، ترجمة دريني خشبة ٢١٤ ـ ٢١٨.

وأمّا وظيفة الحوار في الأدب فهو السبيل إلى كشف الشخصيات، والتعبير عن الأفكار الذاتية، إذ أنّ شخصيةَ الإنسان يمكنُ كشفُها من حوارِه، وطريقةِ كلامه، ويعبّر عن تطوّر حدثٍ معيّنٍ أو موقفٍ ذاتي، ومن ميّزاته الإيجاز واختصار الجمل إذ أنّ الإطناب يفقده جمالَه، وخصائصَه.

وللحوار صيغٌ خاصة به تجعلُه فنًّا من فنون الأدب تتمثّل صيغهُ بالأفعال والأقوال وألفاظ الوصف، والنّداء، والأمر والنّهي والاستفهام والترجّي والتمنّي.

وأفضلُ الحوار تتخلّله المفاجآت والجدّة والرقّة والتصوير المعتمد على الإيحاء والرمز، والصور الحسيّة أو الذهنية، والاستعارة والكناية والتشبيه.

وفي الأدب النسويّ الإسلامي حوار للأديبات مع العشّاق، والحوار مع القادة والخلفاء، والحوار بين الأدباء والشعراء، وأنواع وفنون من فنّ القول والحوار، كان أولُه حوارَ الوافدات على الخلفاء والقادة، يتّسم بالتقريرية والخطابية، وجِدّة النقاش وجدّيته، وحوار النفس وحوار القلب، وحوار الطبيعة، وحوار العين، أو الحوار بين الرعيّة والقائد، أو الحوار بين المشتكية والقاضي، والحوار بين المظلوم والظالم، وحوار الوصف.

فمن حوار النّفس قول السيّدة زينب بنت جحش وهي تُحدّثُ نفسَها:

اللّهم لا يدركني هذا المالُ من قابلٍ فإنّه فتنة، وكانت زاهدة مؤمنة، تنفق ما لديها في أهل رحمِها وأهل الحاجة(١).

والحوارُ بين الرعية والقائد مثلُ حوار خولة بنت ثعلبة والنبي ﷺ(٢) فقالت:

يا رسول الله إنّ أوسًا من قد عرفتَ.. فابتدأت بالنداء. وأمّا الحوار بين المشتكية والقاضي، كحوار سكينة بنت الحسين والقاضي ابن حزم، تشكو إليه زوجها

(١) ينظر النص ٣ من نصوص زينب ق٢ من التحقيق.

(٢) ينظر النص ١ في ق١ من التحقيق.

زيد بن عمرو بن عثمان، فابتدأت بالقسم وقالت[١]:

والله لا أدخلُ إلّا ومعي ولائدي، . . . .

والحوار بين الظالم والمظلوم، كحوار أسماء بنت أبي بكر والحجّاج[٢] فابتدأت كلامها بالنداء وقالت:

يا حجّاجُ قتلتَ عبدَالله . .

وحوار الوصف، وذلك يتمثّل بحوار أُمامة بنت زيد ومعاوية، حين طلب منها أن تحدّثَه عن حيّ مضر فقالت[٣]:

أما من ناحية مضر فهذان الحيّان . . وكان ابتداؤها بـ أمّا وهي في كثير من الأحيان يُبتدأ بها الكلام لغرض الإيضاح والتّفصيل، وكذلك حوار معاوية وجروة التميمية، وكان أوّلُ حوارها بالاستفهام كقولها:

عن أيّ قومي تسألني؟ . . . .

فالحوار النسويّ هو ركن مهم، وعنصر من عناصر النثر في هذه الفترة، فيه ثروة لغويّة أدبيّة ضخمة.

٧ ــ الوصف والقطع الأدبيّة:

الوصفُ والكلام الأدبيّ الجميل، والفنّ الساحر، الذي يثيرُ أشجانَ النفس، ويبعثُ القناعة في الفكر، ويعبّر عن ذاتِ قائله ويصوّر للمتلقي الصوَر الذهنيّة الواضحة عن قائلهِ ذلك هو، وصفُ المرأة، وكلامها العذب الذي كان له الأثرُ الواضح منذ عصر ما قبل الإسلام، وقد عُرف من نساء ذلك العصر العددُ الكبير الذي توفر لديّ من أدبهنّ وكلامهنّ وأشهرهنّ بهيسة، وأثرها الفعال في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين من العرب.

---

(١) ينظر النص ١١ من نصوص سكينة ق٢ من التحقيق.

(٢) ينظر النص ٢ من نصوص أسماء ق١ من التحقيق.

(٣) ينظر النص ٤ في ق٢.

والمرأة المسلمة كانت أكثرَ جمالًا، وأعذبَ كلامًا، وأبعدَ تأثيرًا وذلك لحفظِها آيات القرآن الكريم وسوره وأحاديثِ النبي العظيم ﷺ وروايتها، فضلًا عما أوتيتْ من ثقافةٍ فطريةٍ، وعلمٍ مكتسب من البيئة العربية، وصحرائها، وأدبائها.

كان الوصفُ النسويّ الإسلامي يمثّلُ فنًا من فنون أدب المرأة وقد وُصفتِ المرأةُ بقول معاوية بن أبي سفيان[1]:

إنهنّ يغلبنَ الكرامَ ويغلبُهنّ اللئامُ. وذلك حين قيل لمعاوية:

يا أمير المؤمنين كيف ننسبكَ إلى العقل، وقد غلبَ عليكَ نصفُ إنسان، يريدُ غلبةَ امرأتهِ فاختة بنت قرظة عليه، فقال له معاوية: إنهنّ يغلبنَ الكرام ويغلبهُنَّ اللئام.

ومن الوصف البليغ قول قيلة العنبرية وهي تصفُ زوجها البكرى أمام رسول الله ﷺ[2]، مهلًا فإنّكَ ما علمتُ، جوادًا بذي الرجل، هاديًا في الليلة الظلماء عفيفًا عن الرفيقة. فقال زوجها:

لا زلتُ مصاحبًا بعد أن أثنيتِ عليَّ بحضرة الرسول بهذا.

فكان لبلاغة قيلة أثرٌ في إصلاح ما بينها وبين زوجها، بعد أن أوشكَ أن ينتهي.

وفي دعاء قيلة[3] العذب الجميل، بلاغة منطق، وخضوع إلى الله تعالى، وإيمان راسخ، وعلاج للنفوس المرهقة بمصاعب الحياة، وتراث لغوي، وقيمة فنية، وصور بلاغية، ذهنية وخيالية، وجمل قصيرة متناسقة وكلام متتابع، وذلك في قولها:

أعوذُ باللهِ وبكلماتهِ التامات، التي لا يجاوزُهنّ برّ ولا فاجرٌ....

وفي النصّ تقابلٌ وهو أحد فنون البلاغة، ويمكن قراءة كلّ لفظة في النصّ، والاستفاضة من التعابير البلاغية، والألفاظ الفصيحة، ومعرفة فنونٍ كثيرةٍ، كانت

---

(١) ينظر العقد الفريد ٦/ ٨٢.

(٢) ينظر النص ٣ من نصوص قيلة في ق١ من التحقيق.

(٣) القطعة (٢) من نصوص قيلة ق١ من التحقيق.

الأدبية فيها أنموذجًا للبلغاء من الرجال والبليغات من النساء.

وفي قول فاطمة بنت محمد ﷺ حين دُفن أبوها، الكلام الذي يقترب كثيرًا من الشعر، بموسيقاه، وعذوبته، وبلاغته، فيه السجع، وفيه أثر القرآن الكريم، بمعانيه وألفاظه، والأثر النفسي الرقيق المؤلم عند فقد البنت لوالدها، وأي والد! ذلك هو رسول الله ﷺ حين قالت[1]:

يا أبتاه أجابَ ربًا دعاه، يا أبتاه من ربّهِ ما أدناه. . . .

وابتدأت كلامَها العفوي ولفظَها السهل الممتنع، بالنداء، وبجمل قصيرة، واضحة.

والأمثلة كثيرة من القطع النثرية الجميلة ومن أجملها وصف أمّ معبد لرسول الله ﷺ عند هجرته.

وفي وصف أمّ معبد لرسول الله ﷺ، قمّة البلاغة، وقوة الأسر، وسحر البيان، حين وصفته بقولها[2]:

رأيتُ رجلًا ظاهر الوظاءة، أبلجَ الوجه، حسنَ الخلق، لم تَعبْه ثَجلة، ولم تُزريه صعلة، وسيمٌ قسيم، في عينيه دعَج، وفي أشفاره وطف. . . إلخ.

فهو من أعذبِ كلام النساء وأجمل القطع النثرية في هذه الرسالة، فهي في ذروة المجد الذي بلغته الأدبية العربية، في هذه الفترة، فيه مختلف فنون البلاغة.

ففي نصّ أمّ معبد الكناياتُ المعبّرة، والسجْعُ، وقصر الجمل، وتسلسلُها، وتناسق ألفاظها، وتتابع معانيها، وحسن تصويرها، فكانت كالمصوّر البارع أو النسّاج الماهر كما عبّر عن ذلك الجاحظ[3].

---

(١) النص ـ٢ـ من نصوص فاطمة ق١ من التحقيق.

(٢) تنظر القطعة ١ من نصوص عاتكة بنت خالد ق١ من التحقيق.

(٣) ينظر الحيوان للجاحظ ١/ ٧٠.

الفصل الثاني

الخصائص الفنية للنثر النسوي

الصور والأخيلة
الألفاظ والتراكيب
المعاني والأفكار
العواطف والأحاسيس
النثر النسوي في الميزان

الصور والأخيلة

لم يخلُ النثر النسويّ من الفنون البلاغيّة المختلفة، فقد كانت الأديبةُ حافظةً للقرآن الكريم، راويةً للحديث الشريف، فصيحة بالفطرة، بليغة بالسليقة، فالبيئة بيئة العرب موئل الفصاحة، وموطن البلاغة، وقدِ انطلقتِ الأديبات من أرض الحجاز إلى أراضي الفتوحات الإسلامية، مع أزواجهنّ المقاتلين، حاملات معهن الثقافة العربية، الأصلية، متمسكات بالمبادئ السماوية، متسلّحات بالحقّ والعدالة، فكان ذلك حافزًا لهنّ لعرض آرائهنّ الصريحة، أمام الخلفاء وكبار القادة، فكانت المرأة تراعي مقتضى الحال في كلامها، وتقيم الحجّة، وتأتي بالدليل والبرهان، فضلًا عن موهبتها في استخدام القواعد الفنية في كلامها. هذا ما عدّه أرسطو مضافًا إلى الوجوه البلاغيّة المختلفةَ كماليًا، فيكملُ بعضُه بعضًا[1]. فالوجوه البلاغية تدعمُ حجّةَ الأديبة، وتقوّي معانيها، وتحرّكُ مشاعر المتلقين وإقناعهم. واستخدامها للأخيلة هو سبيلها لجلاء الحقيقة التي تريدها كقول الخنساء[2]، وهي تخاطب بنيها:

وقد تروْن الأعلاج، قد ألفتَ، فإذا كان بالغداة، إن شاءَ الله، فاغدوا لقتال عدوُكم، مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها وضربت بأوراقِها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا خميسَها، تظفروا بالنعمةِ والسلامة. . . .

فخيالُ الخنساء صوّر لها الحربَ كأنّها شجرةٌ شمّرتْ عن ساقها، وضربت بأوراقها على الأجواء التي تُحيط بها، فغطتّها بظلالها الوارفة، وحين حمي الوطيس، واشتدّ القتال، ـ فتلك الصورة قرّبتها إلى أذهانهم ـ فغطت النيران بلهيبها هذه الساق، وأحرقت الأوراق فحينئذٍ يظفر من ظفر بالنصر، ومن أكلته نار الحرب بالشهادة، وذلك هو النصر الدائم المقيم في جنات النعيم.

فطبع الخنساء صَقَلَتْهُ تجاربُها وأدّى بها إلى نثر لآلئ كلامها، دون أن ينظمه عقد أو يقيده قيد، فإذا انتثر اللؤلؤ ازداد جمالًا، ومنحَ حرية اللمعان وظهرتْ حقيقة

(١) ينظر رأي أرسطو في النقد الأدبي ٢٢٦ د. هلال.

(٢) ينظر ق١ من التحقيق.

جوهره متجلّية للذهن والعين، وهي في كل ذلك بعيدة عن التكلّف.

ومثل ذلك حوار ليلى الأخيلية وحديثها مع الحجّاج حين قالت[١]:

«إخلافُ النجوم، وقلّةُ الغيوم، وكَلَبُ البرد، وشدّةُ الجهد، وكنتَ لنا بعدَ الله الرّفد». وقد تم شرح النصّ في قسم التحقيق، وفي كلامها إخلاف النجوم كناية عن اضطراب حالة الجوّ، وقلّة المطر، فحلّ الجفاف والمحل والقحط بين أبناء قومها، فالكناية إحدى فنون البلاغة، أجادت في استخدامها للتعبير عن حاجات قومها، فوصفت حالة الجهد التي يعيشونها، بكلام بليغ، فوازنت بين المعاني والأخيلة، فبان الحسن، وانكشفتِ الأصالة، في تمثيلها للمعنى، وحين قالت:

«والنّاس مُسنتون، رحمةَ الله يرجون، وأصابتْنا ستونٌ مُجحِفة مبلطة، لم تدعْ لنا هُبعًا ولا رُبعًا ولا عافِطة، ولا نافِطة، أذهبتِ الأموال، ومزّقتِ الرجال، وأهلكتِ العيال».

فوصفت حالةَ الفقر، وقلّةَ الرزق، التي أدّتْ إلى مرض الإبل وأصابتها بسوء الأحوال فأبلطتْ كأنها الأرضُ الملساء.

من الصور التي صوّرتها الأديبة في نثرها، الصور الحقيقية والخيالية في كلام الوافدة على معاوية آمنة بنت الشريد[٢] قولها، وهي تسبّ وتشتم وكانت قد سُجِنتْ سنتين في سجن دمشق وقُتل زوجها، فصوّرتْ حقدها وألَمها بكلامها:

خزيًا لكَ وجذعًا، أتلعنُني؟ واللعنةُ بينَ جنبيكَ وما بين قرنيكَ إلى قدميكَ، إخسأ يا هامةَ الصُعْل[٣] ووجهَ الجُعْل.

فصوّرت الأسود الهلالي أحدَ رجال معاوية بالصورة التي حدّدتْ فيها ملامحَ ذلك الرجل كما يراه قلبها، في الخزي والجدع أو القطع، الذي لم تحدد مقداره هل هو جدع أنفه أم أذنه أم يده، وأطلقت لنفسها العنان في تصويره أبعد من ذلك فقالت:

---

(١) ينظر ق٢ من التحقيق.

(٢) ينظر النص (١) من ق٢ من التحقيق.

(٣) الأصعل: دقيق الرأس والعنق من الناس والنعام.

اللعنةُ ما بين جنبيكَ وبين قرنيكَ. . . فكأنَّ اللعنةَ حيوانٌ مفترس أو كائن خيالي يمثّل القبح، ويعبّر عن الشرّ، فأصبح ذلك الكائنُ مستقرًا بين جنبيه، وبين قرنيه، أي بين ملامح وجهه التي تحيطُ به ظفائره أو قرونه، فهو كائن غريب قتل زوجها، ودعا إلى قتلها أيضًا.

ثمّ شبّهته بالهامةِ ووجهِ الجُعَل[1]، فاستخدمتْ ألفاظًا مألوفةً لديها للتشبيه الذي كانت صورته مبالغًا بها، ليجلي المعنى، ويعبّر عن عمق تصويرها.

فالهامة والهوام والحشرات، فجعلته إحدى الحشرات الصغيرة بين أحقر الناس وأقلّهم قيمة، في نظرها، للتقليل من شأنه.

وكان من تأثير هذه الصور الخيالية في نفس معاوية أن استعاذ منها وقال:

اللهم اكفني شرَّ لسانها.

ولمّا أكرمها معاوية تمثّلتْ بأحد الأمثال العربية، «خذْ من الرَضفة ما عليها» كناية عن قبولها هدايا معاوية على الرغم من كونه معاديًا لها وقاتلًا لزوجها، وشبّهتْ موقفها تجاهَهُ، مثل الذي يضع الطعام أو الشيء المستجاد على حجارة حارة محماة، حرارتها مؤذية، ولليد كاوية، إلا أنها قد تفيدُ بما يحمى عليها.

وفي قول الوافدة جروة بنت مرة[2] خيالٌ مرسوم بلغة تبيّن ألفاظها رشاقة الخطوط التي يرسمها فنّان بارع.

(وأما البراجم فأصابع مجتمعة، وكف ممتنعة)، وقولها:

(وأما بنو ربيعة فصخرة صمّاء، وحيّة رقشاء يغزون بغيرهم ويفخرون بقومهم. . .إلخ).

ففي وصفها الأول شبّهت تلاحمهم وتكاتفهم بالأصابع المجتمعة التي لا يفرّقها شأن من شؤون الحياة، فهم في هذه الصورة يد واحدة ملتفة متراصّة لا يغيّرها خير

(١) الجُعَل: الخنافس، الرجل الأسود الذميم تشبيهًا بالجعل.

(٢) ينظر النص (٤) من ق٢ من التحقيق.

أو شرّ، وهم كفّ ممتنعة عن عمل الشرّ، وممتنعة على العدو، فلا يستطيع الوصول إليها، أو بلوغ مآربه منها.

وفي نصّ هذه الوافدة صورٌ كثيرة، وخيالٌ يناسبُ فكرها وعقيدتها ويلائمُ ما تعوّدتْه من بيئة البداوة العربية، فبعضُ صورها مشرق جميل، وبعضُه قاتم مظلم، نظرًا لاختلاف عواطفها، وأحاسيسها تجاهَ من تذكرُ من الأقوام والأشخاص، فاختلافُ عواطف الأديبة، وتنوّع الصور التي ترسُمها بألفاظها ومعانيها، يعبّرُ عن تجربة شعورية أساسها الخيال الممزوج بالعاطفة المرسوم باللفظ والمتجلّي بالمعنى.

فالموهبةُ والكلمة التي تتحلّى بها الأديبة، هي التي تحدّد نوعَ الصور، وعمقَ الخيال، وليس خيالُ المرأة الناثرة في هذه الفترة ببعيد، فهو محدود بحدود حياتها ومرتبط بمحيطها البيئي والسياسي والعاطفي.

وهي في خيالها أما أن تتذكّرَ ما مضى من ظروف مختلفة فتصوّرها، كما تتذكّر. وأكثر خيال النساء في هذه الفترة من هذا النوع، أي نوع الخيال، المرتبط بالذكرى. وقد يكون خيالها ابتكاريًا كخيال ليلى الأخيلية في حوارها مع الحجّاج ووصفها للفجاج[1] فهي تبتكر صورًا جميلةً بألفاظ فصيحة، إلا أنها مبتكرة حديثة، استمدّتها من شعورها النفسي، وفكرها البدوي.

وقد يكون الخيال تأليفيًا، فتؤلّفُ الأديبة بين صورتين، وتُقرن بعضَهما ببعض، لوجود قرينة دالّة على شَبَه بين الصورتين، كقول الدارمية الحجونية، حين وفدتْ على معاوية[2]:

كان واللهِ كلامُه يجلو القلوبَ من العمى، كما يجلو الزيتُ صدأ الطست، فقربتْ بهذه الصورة بين صورتين ألّفتْ بينهما لوجود وجه للشبه دلّ على ذلك، وهو الوضوح والبريق والفصاحة والعاطفة التي يغمرها الحبّ والخير.

وقد يكون الخيال تفسيريًا، فتوضح الأديبة قولها ببعض الصور البسيطة لتثير في النفس أشجانًا، وفي الفكرِ خيالًا يفسّر للمتلقي معناها ويجلّي عن مغزاها. كقول

---

(١) ينظر حوار ليلى، ق٢ من التحقيق.

(٢) ينظر حوارها من التحقيق.

زينب بنت علي في خطبتها[١]:

ولقد أتيتم بها خرقاء ورهاء، طلاع الأرض... أفعجبتم أن أمطرتِ السماء دمًا... فصورتْ موقف أهل الكوفة تجاهَها بصور مشوهة، فكان عملهم كعمل المرأة الخرقاء التي لا تحسن عملًا، الورهاء التي لا تجيد تفكيرًا ولا تقدّم خيرًا، فهُم لقبحِ عملهم ستمطر السماء دمًا، وكأنها لغضبها عليهم ستغضبُ وتفيض صورها بقطرات الدم الحمراء الغاضبة، فهذه الصور المتتالية، المتسلسلة، فسّرتْ بها ما أحسّتْ به، وما شعرتْ من آلام، وما أرادت نقله إلى المتلقين فأثّرت في نفوسهم التأثير الذي أثار أشجانَها نفسه.

أو كقول الوافدة الزرقاء بنت عدي لمعاوية[٢]:

إلّا أنّ خضابَ النساء الحناء، وخضابَ الرجال الدماء، والصبرُ خير في الأمور عواقبًا. فصوَّرت مواقف الرجال في الحرب وتقاطر دماء الشهداء، بالخضاب الذي يعلو الرأس، فهو في موضع الكرامة والشرف، وذلك موقف المقاتلين والشهداء وفي صبرهم حسنُ العاقبة.

وهكذا ففي نثر النساء أمثلة كثيرة، فيها الخيال الذي يرتبط بالعاطفة، إذ تطوّع فيه الأديبة ألفاظها، لتحسن تصويرها وتوضح رأيها. فالخيال عند المرأة مقاييس واضحة أهمها:

أنه خيال منطقي معقول مع الابتعاد عن المبالغة في رسم الصور الخياليّة ليكونَ أقربَ إلى النفس في القبول، والاستحسان، ولا بدّ من التأليف بين الصور وانسجامها.

---

(١) ينظر خطبتها من التحقيق.

(٢) ينظر نص الحوار في (١٤) في ق٢ من التحقيق.

الألفاظ والتراكيب

الألفاظ عنصر مهم من عناصر النثر النسوي، فأسلوب المرأة يتوقف على براعتها في اختيار الألفاظ، وتكوين الجمل وتسلسل التراكيب، وتتابع معانيها، بما يشكل الوحدة العضوية للنصّ، الذي يعتمدُ جماله على السياق داخل نظم تلك الألفاظ في جملها، ثم فقرها، ثم النص بكامله.

فكانت ألفاظُ المرأة تتصفُ بالدقّة في اختيارها، وإجلائها للمعنى، ومقدرة تلك اللفظة على الإيحاء باستخدام معناها المعجمي في أسلوب استعاري جديد يناسب ما تريده من المعاني، فقد تعبّر لفظة واحدة عن معانٍ مختلفة، تمنحها ظلالاً رقيقة، تثير في المتلقي معانيَ لطيفة، ذاتَ أثر نفسي، وعاطفة جيّاشة، وصورًا جميلةً، وما كانت معاني المرأة ولا ألفاظها إلّا ما حفظتهُ من آي القرآن الكريم، أو ألفاظ شعراء ما قبل الإسلام بفصاحتها وبلاغتها.

ولم تكن ألفاظُ الأديبة الناثرة مبتذلةً، بل كانت تتسمُ بالطرافة والجدّة، لتأثّرها بالدين الجديد، والأوضاع السياسية الجديدة، وتنقّلها بين الأمصار المختلفة، ومن سمات ألفاظِها أيضًا سلامتُها لغويًا ونحويًا وصرفيًا.

وتميزتِ النصوص النثرية بسهولتها وبساطةِ ألفاظها وبُعدها عن التكلّف أو التعقيد، وقلّة المحسنات اللفظية البديعة، لأنه نثر مرسل جزل فصيح، وكما هو معروف أنّ القدماء اختلفوا في المفاضلة بين اللفظ البسيط، واللفظ المعقد، أو الصعب، الذي لا يوقف على معناه إلّا بكدّ وعناء، وذلك هو رأي الأصمعي في فحولة الشعراء، وما ينطبق على ألفاظ النساء.

وللعسكري رأي يخالف رأي الأصمعي وهو قوله:

«وقد غلَب الجهلُ على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلّا بكدّ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزّة غليظة، وجاسية غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلسًا عذبًا، وسهلًا حلوًا، ولم يعلموا أنّ السهلَ أمنعُ جانبًا، وأعزّ مطلبًا، وهو أحسنُ موقعًا، وأعذب مستمعًا»[1].

(١) ينظر الصناعتين ٦٦.

والحقيقة أن التوسط بين رأي العالمين الجليلين هو الأفضل فليست الغرابة والتعقيد مفضّلة ولا السهولة التي تبلغ حدّ السذاجة مقبولة، فالمتانة في الأسلوب تعتمد على نظم تلك الألفاظ بمعانيها وتراكيبها، وموقعها داخل السياق هو الذي يحدّد جمال النصّ وقوّة تأثيره ووقعه بالنفس.

ألفاظ الحوار، حين يتقابل اثنان أو أكثر في مناقشة كلامية، قد تكون سياسيّة، أو دينيّة، أو حربيّة، أو مبايعة، أو شكوى، أمام الخليفة، وفي هذا الحوار يتمّ تناول موضوع واحد، أو شكوى، وبيان جميع أركانه من قبل الأطراف المتحاورة، وعادة يتمّ ذلك بألفاظ بسيطة، فصيحة جزلة، بعيدة عن التكلّف أو التصنّع، ويسلسل فيه الكلام، وتعرض فيه قضية معينة، تكون بمقدمة، وهذه المقدمة غالبًا ما تكون سؤالًا، يليه جوابٌ، وفي الجواب يتمّ إيضاحُ العنصر الجوهري لهذا الحوار، وفي نهاية الحوار يتمّ وضعُ الحدود الأساسية، والحلول اللازمة لتلك القضية، مثال ذلك حوار أسماء بنت يزيد الأنصارية، من بني عبد الأشهل (خطيبة النساء) أو (رسول النساء) أرسلتها إلى رسول الله (ص) للمبايعة، فكانت جريئة، وألقتْ بين يديه خطبتها وكلامها، فأُعجب بمقالتها، والتفتَ إلى أصحابِهِ بوجهِهِ كلّهِ، ثم قال[1]:

هل سمعتمْ مسألةَ امرأةٍ قطُّ أحسنَ من مسألتها في أمرِ دينها من هذه!! قالوا: يا رسول الله ما ظننّا أنَّ امرأةً تهتدي إلى مثلِ هذا!

فكانت ألفاظُها البسيطة، ذاتَ أثر كبير في إعجاب النبي بكلامها، فلم تستخدم مجازًا أو بديعًا أو كناية، لكن السياق جعل نظمَ تلك الألفاظ كأنه عِقدٌ جميل منسّق، فخرجت تُهلّل وتكبّر بين النساء، وفي تصرّفها تلوّن، وتُصوّر الحدث العظيم، بصيغة استخدَمتْ ألفاظها البسيطة، وتراكيبها المتناسقة.

فلا بدّ للتركيب اللغوي من الانسيابية، التي اتّسمتْ بها مقالة أسماء الأنصارية، وسهولة حروفها، وجمال ألفاظها وعدم تنافرها، فيجعل من ذلك اللفظ والتركيب

---

(١) ينظر نص خطبتها في ق١ من التحقيق.

اللغوي لحنًا عذبًا، حسن الإيقاع، على الرغم من كونه نثرًا، سهلًا، تزيده معانيه جمالًا وتجعله أعظم وقعًا في النفس.

والوضوح في الكلام يزيده جمالًا، ويمنحه قيمة أدبية، على أن لا يكون سطحيًا ساذجًا، فكلام أسماء على الرغم من بساطته كان مؤثرًا، لطرافة معانيه وجدّتها، وعمق فكرها، النابع من عقيدتها وإيمانها.

وفي حوار ليلى الأخيلية والحجّاج فصاحةٌ متناهية، بألفاظ عذْبة رقيقة، سهلة بسيطة، بعيدة عن التصنّع، لمّا تحدثت إلى الحجّاج وحاورته، وعرضت عليه قضيّةَ العريف الذي سلبها حقَّها في أرض اليمامة[١]، أمر الحجّاج حاجبَهُ أن يقطع لسانها بالصّلة والتكريم، فلم يفهمِ الحاجب الجاهل مرادَه، فأراد قطع لسانها، قالت:

ثكلتكَ أمكَ إنّما أمركَ أن تقطعَ لساني بالصِّلة.

فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب، والتوسعة في اللفظ، ومعاني الخِطاب لتمّ عليها جهلُ هذا الرجل[٢].

ولمّا قيل للخنساء صِفي لنا أخويكِ صخرًا ومعاوية قالت[٣]:

كان صخرٌ والله جنةُ الزمان الأغبر، وذعافُ الخميس الأحمر، وقالت أيضًا:

أما صخر فحرّ الشتاء، وأما معاوية فبرد الهواء، وقالت:

أما صخر فجمر الكبد، وأما معاويةُ فَسقام الجسد.

استخدمتِ الأديبةُ في كلامها ألفاظًا ظاهرها سهل جزل، وباطنها رمز ينطوي على معانٍ كثيرة، وأبعاد واسعة.

فصخر رمز للدفء والحنان، ومعاوية رمز للعاطفة والرقّة حين يحنو عليها، وينصرها في الشدائد.

---

(١) ينظر نص الحوار الذي سيأتي فيما بعد بين ليلى والحجّاج.

(٢) ينظر المستطرف ١/ ٤٠.

(٣) ينظر العقد الفريد ٣/ ٣٤.

فالبناء اللغوي في تتابعه سواء كان في القصة أو الخطبة، أو أدب الوافدات أو غير ذلك، كلّ ذلك يمثّل الصورة الفنية التي تعرضها الأديبة في كلامها، فتجعل منه روابط فكرية محضة تتجسّد أمام من وفدت إليه. وللمرأة معجم ألفاظ خاص بها، كما أن لها معجمًا خاصًا بأشعارِها النّسويّة سبق أن درس في ديوان أشعار النّساء(١).

وللنّثر النّسويّ أيضًا معجمُ ألفاظ يمكن ذكر بعض تلك الألفاظ فيما يأتي:

التمتع بعد العمرة، الحج، السبي، الأسر، الإسلام، الصدق، الكذب، العتق، العبادة، السّرّ، العلانية، صِلة الرحم، دين الحق، الشرك، الإيمان، الهجرة، الإذن، الصحبة، الصحابي، الراوية، المحدثة، الإفك، البهتان، السهم، اللطف، الرأفة، الالتماس، البشرى، البراءة، الإثم، الذنب، النضارة، الناضرة، نضّر، سعى، شكر، غفر، الدنيا، الآخرة، القضاء، الجبال الراسيات، اشرأبّ النفاق، يرأب الصدع، . . .

واستخدمت الأديبة كثيرًا من ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه في كلامِها، لتستدلّ به على كلامها، وتقوّي حجتها، فكانت جملها متسلسلة، متصلة ببعضها اتصالاً معنويًا، وجملة قصيرة متناسقة، مسجوعة عفويًا، جزلة لغويًا، ليس فيها ما يشينها، إذ كانت النصوص كلها من اختيار الرواة لذلك كانت بعض النصوص محدودة كالخطب والوصايا أو الرسائل، فلم تحفظ كلها في تراثنا الأدبي.

أما ألفاظ الوافدات فتشتمل أدب النساء النثري المتطور عن المناظرات التي كانت تعرض أمام رؤساء القبائل قبل الإسلام، فالمرأة في صدر الإسلام كانت مُبتكِرة مُبدِعة في نثرها، فهي حين تحاور الخليفة، تتّصف قبل كلّ شيء بالجَرأة في عرض كلامها، وسهولة ألفاظها، وجزالتها وفصاحتها، وقدرتها على التعبير، والإفهام، والمطالبة بكلّ ما يَحتاج إليه قومها، فتنال الإعجاب والتكريم والعطاء السخيّ.

فلو تصفّحنا قسم التحقيق، واطّلعنا على نصوص الوافدات، لوجدنا الكثير من النماذج النثرية النسوية التي تتصف بقوة التعبير، مع بساطة اللفظة، وجمال المعاني

(١) ينظر المعجم اللغوي في ألفاظ النساء في فصل الدّراسة في (ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام).

وشدَة التأثير والأسر.

فأدب الوافدات يعدّ أحد مظاهر التجديد في أدب النساء الإسلامي، لأنه تطوّر عن مناظرات الجاهلية ووفود العرب على بعضهم أو على الملوك آنذاك.

فأسلوبه يتمّ باستخدام الألفاظ المباشرة في المخاطبة أو النداء أو استخدام اسم الفعل أو بقولها تبًا لك، ويلك، وألفاظ حادّة شديدة، فيها قسوة، تنبعث عن حزن دفين، تترجمه المرأة بألفاظ بسيطة ومعبّرة، ولها موسيقى تتآزر مع وحدة النص ككل، فيكون المعنى متينًا، ينفذ إلى قلوبِ سامعيه، وتطويع تلك الألفاظ والتعبيرات، لتلائم الفكرة في التجربة أو الشعور، فَتطابُق اللفظ وموسيقاه مع المعنى يشكّلان وحدة النصّ، وهذه الموسيقى تعبيرية إيحائية، تنتقل إلى المتلقي بالدرجة نفسها كما تريدها الأديبة.

وفي أثناء خطبة الوافدة، أو حوارها، قد تمدح الخليفة أو القائد لدوافع شخصيّة أو عوامل قبليّة، أو لعمل خير عام، وهذه المدائح إكليل غار على رأس الممدوح خلدتْ مع خلود التاريخ على الرغم من فناء الأموال والمكاسب التي حصلتْ عليها.

فالمدح في هذه الوفادات، حتى ولو بكلمات قليلة، يعدّ لغة فنية واعية، وذلك كقول الجمانة بنت المهاجر حين أرسل عبدالله بن الزبير في طلبها ـ وكانت قد هزأت به وهو على المنبر ـ فقالت له:

وأنتَ بالتجاوز جدير، ونحن للعفو منك أهل، فاسْتُرْ عليَّ الحرمةَ، تستتمّ النعمةَ، فوالله ما يرفعُكَ القولُ ولا يضعُكَ، وإنّ قريشًا لتعلم أنكَ عابدُها وشجاعها، ولسانها، حاطَ اللهُ دنياكَ، وعصَم أُخراك، وألهمكَ شكر ما أولاكَ.

فكانت الجمانة في لغتها وألفاظها، فصيحة، واضحة، سلسة، رقيقة الألفاظ، مما أثر في عبدالله، وأعجب ببلاغتها، فعفا عنها، فكانت فنانة في اختيار الصفات التي تتناسب مع الممدوح، فاستخدمت ألفاظًا متقابلة مثل:

(قال مكذب) ويقابلها (حدّث فصدق)، (يرفعك ويضعك)، (دنياك وأخراك) واستخدمت ألفاظًا مسجوعة مثل:

(الحرمة والنعمة)، واستخدمت ألفاظًا مترادفة مثل:

(جدير وأهل) واستخدمت ألفاظًا مزدوجة، تدلُ على عنايةٍ باللفظ، واهتمام بما يثير عواطف المخاطب، ويؤثّر في تغيير مشاعره نحوها، فانقلب من حالة الغضب إلى حالة الارتياح والهدوء.

وما يقال عن فن فنون النثر النسوي فإنما يمكن أن يقال عن الفنون الأخرى، ولذلك اكتفيت بنماذج محدودة.

المعاني والأفكار

بقدر أهمية الألفاظ والتراكيب تُقاس أهمية المعاني والأفكار، فكلاهما مكمّل للآخر، في صياغة النص الفني، والقطعة الأدبية، واللفظ والمعنى يمنحان العاطفة والأحاسيس المتانة، والخلود، والأثر الجميل في نفس المتلقي. فلا تغلب الأفكار على العواطف فيكون النص مملاً جافًا، ولا تبلغ العواطف درجة خيالية فيبعد النص عن حقيقته، ويزول جمال تأثيره.

والنصوص النثرية التي حصلتُ عليها، يمكن أن تعدّ رومانتيكية، رقيقة، في نظر علم الأسلوب الحديث الذي اتسعت نظرته للأدب، فعني بالوجوه الجمالية التي ساعدت على صدق الكاتب، وأصالته[(١)].

فالصدق عنصر مهم في الرومانتيكية، وهذا العنصر أساسي في أدب نساء هذه الفترة، ويمكن أن نعدّه قمّة في الأصالة، والبلاغة، لصدقه، ووضوحه، وصوره الفنية، وتشبيهاته التي تجلي عن معانيه.

ومن المعروف أن ابن قتيبة الدينوري في الشعر والشعراء قسّم الشعر أربعة أقسام حسب معانيه وألفاظه وجمال تعبيره، فإنني أستطيع أن أقسّم النَّثر النسويّ على غرار تقسيمه أربعة أقسام، أولها:

الاهتمام بالمعنى وإغفال اللفظ، وهذه الميزة تميّز بها أدب النِّساء في صدر الإسلام، ولاسيّما في الكتب والمراسلات، كرسائل أم سلمة وعائشة (رض).

والثاني: الاهتمام باللفظ، والتأكيد عليه، وهذه الميزة كانت نادرة في أدب النّساء لهذه المرحلة. وقد تكون قليلة عند أديبات العصر الأموي، كما في حوار ليلى الأخيليّة والحجّاج، حين قالت[(٢)]:

---

(١) ينظر الرومانتيكية د. غنيمي هلال ١٨٥.

(٢) ينظر حوارها في ق٢ من التحقيق.

«الفجاج مغبّرة، والأرض مقشعرّة، والمبرك معتلّ...».

والقسم الثالث: المساواة بين اللفظ والمعنى بالأهمية، والقيمة الجمالية، كنثر النساء في صدر الإسلام مثل تأبين السيِّدة حفصة بنت عمر لأبيها، وذلك في قولها[١]:

«يا أبتاه، ما يُحزنكَ وفادتُكَ على ربّ رحيم، ولا تبعةَ لأحدٍ عندكَ، ومعي لك شارة، لا أذيع سرًّا مرّتين، ونعم الشفيع لكَ العدل، لم تخُفَ على الله عز وجلّ، خشنة عيشتك..».

فكانت ألفاظها مساوية لمعانيها في القيمة الجمالية والتعبير البلاغي.

والقسم الرابع: وهو أهم ما مضى من الأمور، النظر إلى اللفظ من جهة دلالته على المعنى في نظم الكلام، وهذا الأمر أكثر أصالة، وأعظم دقَّة، ويمكن أن ينسب هذا الرأي إلى مبدعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، فليس الكلام لفظًا مجردًا عن المعنى، وليس المعنى مجرّدًا عن اللفظ، إلّا أن بينهما ما يربطهما ويشدّ أزرهما، فيفهم نظم الكلام من سياق التعبير، كخطاب سفانة بنت حاتم الطائي حيث وفدت على النبي ﷺ وقالت له[٢]:

«يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد فأمنن عليّ منّ الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عديّ...».

فكان كلامها عذبًا سلسلًا، بليغًا وفصيحًا، وما ذلك إلّا من السياق الذي دلّ دلالات كثيرة، منها أنها تشير إلى أسرها، ووقوعها مع سبايا طي، وأنها بنت رجل كريم، وأنها لا تتساوى في المعاملة مع بقية النسوة غير المعروف نسبهنّ، وتشير أيضًا أنّ هناك من يتولّى أمرها من الرجال، الذين فرّوا، وتنوّه

(١) ينظر النص في ق١ من التحقيق.

(٢) ينظر نصّ خطاب سفانة في ق١ من التحقيق.

بصفات الرجل الكريم الجواد، الذي عرفه رسول الله ﷺ من صفاته حين ذكرتها له، فالسياق في تعبيرها دلّ على تلك الدلالات، بل ويمكن أن يضاف إليها معانٍ كثيرة أخرى، فليست الألفاظ القليلة هي التي تقيّم وحدها، ولا المعاني، بل نظم كل ذلك، في وحدة فنية جميلة، معبرة، في ذلك النص القصير.

أو كخطبة أم كلثوم بنت علي (رض)[١].

وإذا اطلعنا على مذاهب النقد الحديث، وعرفنا الرومانتيكية والواقعية، وجدنا الكثير من صفاتها في نثر النساء لهذه الفترة، فهذان المذهبان في النقد يتصلان بالإنسان وذاتيته ومشاعره، وعلاقته بالمجتمع، ولاسيّما الواقعي الذي يقرّ الصلة بين الأدب وغايات المجتمع، على أساس المقاييس الإنسانية، وحريّة الإنسان وحاجة المجتمع، ولم تكن حريّة المرأة بالمعنى الذي نعرفه اليوم، وإنما كانت حريّة منحها الله تعالى، وسمحت بها السنّة النبويّة، في شؤون الدين والدنيا. ويمكن ملاحظة ذلك بتطبيقه على الخطب النسوية عامة، فهي كلها يمكن أن تعدّ من الأدب الواقعي الاجتماعي، وكذلك حوار الوافدات على الخلفاء والقادة.

فذلك الكلام جميل فنيًا، لأنه عُرِض بشكل جميل منحه القوّة على بساطته.

وينطبق ذلك الجمال على (السيرة الذاتية) لأسماء بنت أبي بكر[٢]، حين روت قصة حياتها مع الزبير بن العوام فقالت:

«تزوجني الزبير وماله في الأرض مالٌ، ولا مملوكٌ ولا شيء غير فرسه، فكنتُ أعلفُ فرسَهُ وأكفيهِ مؤونته، وأسوسه، وأدقّ النوى الناضجة، وأعلفه وأسقيه الماء...».

فهي تروي قصّة حياتها البسيطة، التي امتزجت بعواطفها، وإخلاصها وإيمانها، وابتدأت من العدم حتى أغناها الله تعالى وزوجها، دنيويًا وأخرويًا. فكان للزبير الأموال من الأراضي والأملاك والزرع والنخل في مكة قبل الهجرة.

---

(١) ينظر نص الخطبة في ق٢ من التحقيق.

(٢) ينظر ق١ من التحقيق.

كان ذلك نصًّا جميلًا فنيًّا، على الرغم من سهولته وبساطته، فهو فصيح جزل، خالٍ من التعقيد، أو الغموض، والنص كله وحدة متكاملة، لكنني اقتطفت منه قطفًا يسيرًا فتقديمها لهذه القصّة كان ذلك التقديم الذي منح النص جمالًا ورقّة.

ومثل ذلك قِصّة حليمة.

استخدمتِ المرأة ألفاظًا تدلّ على بلاغةِ كلامها، وسحر أسرِه، وحُسن تعبيرها وقدرتها على الأداء، فأبدعتْ في فنون المعاني والبيان، واستخدمتِ الرمز في كلامها، والمجاز والكناية، لاسيّما في الخطب والأمثال والحكم، وفي أدب الوافدات، كخطبة السيّدة عائشة[1]، وخطبة السيّدة فاطمة[2] وغيرهما من الخطب، وفي أمثال عائشة وحِكمها ووفادة النسوة اللاتي قدِمنَ على معاوية، فحاورنَه، وخاطبنَه بكلام فصيح، ومعانٍ بليغة، لها دلالتُها المعبّرة، كحوار جروةَ بنتِ مرّة بن غالب التميمية[3]، فكان كلامُها أنموذجًا راقيًا للبلاغة العربيّة التي تُشير إلى سراب الصحراء وسِعتها، وفصاحة أبنائها، فقالت مُخاطِبةً معاوية الذي أرسل في طلبها:

لقد طرقْت في ساعةٍ لا يطرقُ فيها الطيرُ في وكره، فأرَعْتَ قلبي، ورِيع صِبياني، وأفْزَعْتَ عشيرتي، وتركت بعضهم يموجُ في بعض..

فكلامُ النساء ونثرهنّ على بساطته مفضّلٌ على الكلام الصعب المعقّد الذي لا يُفهم جميع الناس، وذلك عيّ وعجز من قبل متحدّثِهِ، إذا كان الكلام غامضًا أو يصعب تفسيرهُ وتأويله، وإنّ بساطة الكلام تدلّ على الاتساع في القول واللغة[4].

«وأجودُ الكلام ما يكون جزلًا سهلًا، لا ينغلقُ معناه، ولا يستبهمُ مغزاه، ولا يكون مكدودًا، مستكرَهًا، ومتوعّرًا متقعّرًا، ويكون بريئًا من الغثاثة عاريًا من الرثاثة».

فالعسكري وضع مميزاتٍ خاصة بالنثر، وهذه المميزات يمكن تطبيقها على نثر النّساء وأدبهنّ في شتى فنون النثر.

---

(١) ينظر النصّ في ق١ من التحقيق.

(٢) ينظر النصّ من التحقيق.

(٣) ينظر النصّ في ق٢ من التحقيق.

(٤) ينظر الصناعتين ٧٣.

فالميزة الأولى تتمثّل بقوله: أجود الكلام ما يكون جزلًا سهلًا كقول السّيِّدة أسماء في سردها قِصَّة إسلام أبي قحافة[١]، فكان كلامها بسيطًا عذبًا، رقيقًا، سهلًا، ليس فيه ما يستغلق معناه، وليس فيه تقعّر أو توعّر، فكله سلس، مفهوم، متين السبك، قوي التأثير.

(١) تنظر قصّة أسماء بنت أبي بكر في ق١ من التحقيق.

العواطف والأحاسيس

العواطف والمشاعر التي يثيرها النص في نفس المتلقي هي التي تجسّد فكرته، وتبرز معانيه، وتمنح ألفاظه القوة الجمالية، فلولا الأثر النفسي الذي يُحدثه النص في المتلقي واستجابته لما يسمعه أو يقرؤه، لما كان للنص قيمة فنية أو أدبية ذات أهمية تذكر.

فنجد نصوصًا كثيرة سحر الجاذبية، والمقدرة الفنية التي تجعلُه مقبولًا مقنعًا، مستجابًا، وهذه الجاذبية تنقل السامع من المحسوس إلى الخيال، أو الإدراك النفسي ويتجسد ذلك في قوة العاطفة، ونبلها، ومقدرتها على التأثر والتأثير كقول جارية لزيد بن علي بن الحسين (رض) في زمن هشام بن عبد الملك، حين سألها[1]: ما الحب؟ قالت:

خَفِي فلن يُرَى، وظهر فلن يَخْفى، كَمَن في القلب كُمون النار في الحَجر، إنْ قدَحْته أورَى وإنْ تركتَه توارَى، فقال زيد:

فانصرفتُ والله منها حذارَ فتنتِها. فكان لكلامها أثر عميق في نفسه جعله يخاف الفتنة، ويحذر عواقبها.

أو حوار امرأة أبي الأسود الدؤلي أمام معاوية[2] حين تأثرَ معاويةُ ببلاغتها وقال له:

إنّها قد غلبتكَ في الكلام. فقضى لها ومنحها ما أرادتْ، واحتملتْ ابنها وانصرفتْ. أو كقول السَّيِّدة عائشة حين رثتْ والدها بكلماتٍ ترحّمتْ عليه، وذكرتْ فضْله بقولها: رحمَك الله يا أبتِ فلئن أقاموا الدنيا، لقد أقمتَ الدين، حين وهَى شعبه، وتفاقم صدعُه، ورجفت جوانبه... إلخ.

فكان الأثرُ النفسي في هذه القطعة بالنسبة للمقاطع والجمل، فقد كانت قصيرة

(١) ينظر حوار الجارية في ق٢ من التحقيق.

(٢) ينظر حوارها في ق٢ من التحقيق.

منتظمة، متسلسلة، لها وقع جميل في النفس، فلم تكن ثقيلة أو معقّدة، وابتدأت قولها بالرحمة، والرحمةُ أساس العاطفة عند الإنسان، ثم وازنتْ بين الجمل، فكانتْ على نسقٍ واحد، أقمتَ الدين وأقاموا الدنيا، فجُملُها لها إيحاء موسيقي تبعثُ الارتياحَ في النفس، وتُحرّكُ المشاعر النبيلة، وكان تسلسلُ الجمل وتتابعُها يمنحها نظامًا، تنتظره الأذنُ حين تسمع مقاطعه، ويرقبه القلبُ فيهتزّ لهزّته، واستخدمتِ الازدواجَ في:

انقبضتْ وشمّرتْ، وفي معاني النص تصويرٌ لحالة الجهاد، والآلام والأحزان، والآمال التي يرتقبها المؤمن لقاء صبرهِ وعنائه، فكان يُزيد المعنى وضوحًا، بأثره النفسيّ في المتلقي.

وقد تنوّعتِ العاطفة في نصوص النّثر النسويّ في العصرين الإسلامي والأموي، فكانت تمثّلُ نماذجَ مختلفةً للعاطفة، كان أولُها:

١ ـ عاطفةُ البنت نحو أبيها، وذلك في نصوص السّيِّدة حفصة بنت عمر، وعائشة، في ذكر أبويهما.

٢ ـ عاطفة الأم ورعايتها النبيلة لأبنائها، دفعتْهم إلى الاستشهاد، وبذلِ الدماء رخيصة في سبيل الله تعالى والعقيدة والمبادئ، وذلك مثلُ وصية الخنساء لبنيها الشهداء الأربعة.

٣ ـ عاطفةُ المغلوب على أمره تجاه العِظام، كحِوار سفانةَ حين قدِمتْ على رسول الله ﷺ فكان قلبُه رحيمًا، وصبرُه عظيمًا، وسماحتُه كريمة.

٤ ـ عاطفة الخطيبة تجاه الخطيب، كرسالةِ الجارية إلى خطيبها، وعتابها له، مما جعله يقدم إلى الكوفة إرضاء لمشاعرها، كان ذلك في القسم الأول من التحقيق.

٥ ـ عاطفةُ الزوجة تجاهَ زوجها، تتجسّدُ في حزن السيّدة نائلة بنت الفرافصة على زوجها الشهيد عثمان (رض)، حين أرسلتْ رسالة إلى معاوية توضّحُ فيها آلامها، وتشكو مظلمتها، وتقصّ عليه أمرها، فكانت تمثّلُ الوفاء الصادق، والإخلاص الحقّ.

٦ ـ عاطفة الأم تجاه ابن مظلوم، أمام جبارٍ عنيدٍ كحوار السيّدة أسماء بنت أبي

بكر (رض) للحجّاج تُؤنّبهُ، وتشكو ظُلمهُ وقسوَته تجاه ابنها الذي قُتل من أجلِ مبادئه السامية التي ظلّ متمسّكًا بها حتى نهاية عمره.

٧ ـ عاطفةُ الأخت تجاه أخيها، كخطبة زينب بنت علي بن أبي طالب (رض) بعد مقتل أخيها الحسين (رض)، فبيّنتْ في ذلك مظلمتها، وعواطفها تجاه من فقدتهُ من الأحبة والأعزّاء[١].

(١) تنظر النصوص في ق٢ من التحقيق.

النَّثرُ النَّسويّ في المِيزان

جمعتُ في هذه الرسالة ما لا يقلّ عن خمسَ عشرة قصّة من القصص الفني، الواقعي، غير المتكلف، كانت النصوص القصصية بأسلوب السيّدة أسماء بنت أبي بكر وعائشة أم المؤمنين وأم معبد الخزاعية وحليمة بنت أبي ذؤيب، وأم حبيبة وأم سلمة أم المؤمنين وغيرهنّ.

ومن خطب وحوار الوافدات ما لا يقلّ عن ست وثلاثين خطبة وحوارًا، وفدنَ على النبيّ محمد ﷺ، وعلى الخلفاء والقادة، وعلى السيّدة عائشة أم المؤمنين.

فكانتِ الوافداتُ على التوالي:

١ ـ أسماء الأنصارية وفدتْ على النبي (ص) للمبايعة.

٢ ـ هند بنت عتبة

٣ ـ خولة بنت ثعلبة (شكوى)

٤ ـ سفانة بنت حاتم (من الأسرى)

٥ ـ الشيماء

٦ ـ الخنساء وفدت على عائشة

٧ ـ خالد بن الوليد على هند بنت النعمان بن المنذر

٨ ـ المغيرة بنت شعبة على هند بنت النعمان بن المنذر

وممن وفدن على معاوية:

٩ ـ آمنة بنت الشريد كان معاوية قد أرسل في طلبها.

١٠ ـ جروة بنت مرّة كان معاوية قد أرسل في طلبها.

١١ ـ الدارمية الدجونية كان معاوية قد أرسل في طلبها.

١٢ ـ الزرقاء بنت عديّ الهمدانية كان معاوية قد أرسل في طلبها.

١٣ ـ أم الخير بنت حريش البارقية كان معاوية قد أرسل في طلبها.

١٤ ـ أمامة بنت يزيد قدمت على معاوية.

١٥ ـ بكارة الهلالية دخلت على معاوية.

١٦ ـ سودة بنت عمارة، استأذنت على معاوية.

١٧ ـ عكرشة بنت الأطرش، دخلت على معاوية.

١٨ ـ أخت عبدالله بن عامر، وفدت على معاوية.

١٩ ـ أم البراء بنت صفوان، استأذنت على معاوية.

٢٠ ـ أم سنان بنت جشمة، وفدت على معاوية.

٢١ ـ امرأة أبي الأسود الدؤلي، وفدت على معاوية.

٢٢ ـ امرأة من بني ذكوان، وفدت على معاوية.

٢٣ ـ جارية لما نزل معاوية بوادي القرى أرسل في طلبها.

٢٤ ـ أروى بنت الحارث دخلت على معاوية.

أما الوافدات على عبد الملك والقادة:

٢٥ ـ الجمانة بنت المهاجر، وفدت على عبدالله بن الزبير.

٢٦ ـ رملة بنت الزبير، دخلت على عبد الملك بن مروان.

٢٧ ـ زينب بنت علي، وقفت أمام عبيد الله بن زياد بالكوفة.

٢٨ ـ زينب بنت علي، وقفت أمام يزيد بن معاوية.

٢٩ ـ سكينة بنت الحسين عليّ القاضي ابن حزم (شكوى).

٣٠ ـ عائشة بنت طلحة على الحرث بنِ خالد أمير مكة.

٣١ ـ ليلى الأخيلية على الحجّاج.

٣٢ ـ ليلى الأخيلية على معاوية.

٣٣ ـ ليلى الأخيلية عبد الملك.

٣٤ ـ أم جعفر وفدت على الأحوص الشاعر، في مجلسه.

٣٥ ـ أسماء بنت أبي بكر على الحجّاج.

أما بالنسبة للكتب والرسائل النسويّة، فقد جمعت ما لا يقلّ عن أربعَ عشرةَ رسالة وكتاب، كانت مرسلة إلى القادة المسلمين، أو من امرأة إلى أخرى، أو من خطيبة إلى خطيبها، وكان أبرزُ من أرسل الرسائل السيّدة عائشة أم المؤمنين، على أنّ بعض تلك الرسائل كانت مشافهة، وأكثرها كان مكتوبًا.

وأمّا الوصايا التي كانت جزءًا مهمًّا من الأدب النسويّ، فجمعتُ منها ما لا يقلّ عن اثنتي عشرةَ وصية، كان أبرزُها وصايا السيّدة عائشة وهي سبعٌ، وأشهرها وصيّة الخنساء لبنيها، مع وصايا نساء أخريات.

ومن الخطب عددٌ كبير كان معظمُه للسَّيّدة عائشة أم المؤمنين، إذ بلغ مجموع الخطب ما لا يقلّ عن سبعَ عشرةَ خطبة، كان تسعٌ منها للسَّيِّدة عائشة، وأربعٌ للسيّدة فاطمة، مع نساء أخريات.

أما الحوار فكان يشكّل نسبةً كبيرة، بالنسبة لما جمعتهُ من النثر النسوي، وقد ذكرتُ سابقًا في أول الرسالة أنّ الحوار بين العاشقات والعاشقين قد أهملته لغزارة مادّتِه، وسعته، وأثبتّ من الحوار النصوص الأخرى التي بلغت مائة وسبعة عشر نصًّا، كان أحدَ عشرَ حوارًا منها للسيّدة عائشة، وأحد عشر حوارًا لسكينة، مع نصوص أخرى لغيرهما. وقد أهملتُ بعضَ الحوار للسيّدة سكينة لأنه يتصل بالشعر أكثر من النثر.

والقطعُ النثرية في الوصف أو التأبين، بلغ عددُها خمسَ عشرةَ قطعة، كلّها قطع فنية جميلة.

أما المَثلُ والحكمةُ فللسيّدة عائشة الحصّة العُظمى، إذ بلغ عددُ نصوصها ما لا يقلّ عن ثلاثة وثلاثين نصًا في الحكمة والمثل، مع أربعة أمثلة لنساء أخريات.

وللمرأة نصيبٌ من الدعاء تدعو الله تعالى أن يفرّجَ كربتها ويستجيبَ دعوتها فكان عدد النصوص ثلاثة.

وفي هذه الرسالة نصوص نسويّة أخرى، لم أدوّنها لأنها ليست من الفنون التي ذكرتها، فهي فنون متنوعة مختلفة متعدّدة.

وأخيرًا فإن مجموعَ نصوص صدر الإسلام مائتان وستة نصوص، ومجموعَ نصوص العصر الأموي ستّ وتسعون نصًّا، فأصبحت جميع النصوص ثلاثمائة واثنين من النصوص النسويّة النثريّة.

الفصل الثالث

التحقيق ومنهجه

التراجم والنصوص

قال النبي ﷺ

«إنّ دعامة البيت أساسه، ودعامة الدين المعرفة، بالله تعالى، واليقين والعقل القامع، فقالت عائشة بأبي أنت وأمي ما العقل القامع:

قال: الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله»

الرسالة القشيرية

مَنهجُ الجمع والتحقيق

بعد أن انتهيتُ من إعداد رسالة الماجيستير (ديوان أشعار النساء) أصبحتْ لديَّ حصيلةٌ تراثية، عرفتُ من خلالها أنّ النثرَ النسويَ أُهمل كما كان الشعرُ النسويّ مهملًا قبل ذلك.

وبعد أن تأكّد لي أنّ النثر النسويّ الإسلامي والأموي، لم يُجمع ولم يُحقَّق، صمّمتُ على بذل الجهود للتحرّي عن نصوصِه وجمعها وتحقيقها، فكانت فكرةُ جمع «جمهرة النثر النسويّ، في العصرين الإسلامي والأموي» مستوحاةً من جمهرة خطب العرب وجمهرة رسائل العرب، فأخذتُ بجمع مادة التحقيق التي أرجو أن تكون أساسًا للدراسات الأدبية للدارسين فيما بعد، وأرضيةً صلبة لنقاد الأدب، وباحثي التراث، للقيمة اللغوية والمادة التاريخية، والنصوص الفنية الأدبية، التي تركتها لنا المرأة العربية.

وقد كانت من أهمّ مشكلات البحث التي واجهتني، مشكلةُ تبعثر النصوص النسوية بين طيّات الكتب المتفرقة، وكان عليّ أن أفتّش بين أتربة المخطوطات، وصفحات التراث، وأسطر الكتب التاريخية، وأتحرّى عن كلّ كلمة تحدّثتْ بها امرأة، أو سطر أو فقرة أو أقلّ من ذلك أو أكثر، فاستقصيتُ التراث الأدبي بعشراتِ كتبه، بل ومئاتها، وقد دوّنتُ كل ما حصلتُ عليه من نصوص النثر الفني النسويّ لفترة البعثة النبوية الشريفة، حتى نهاية العصر الأموي في ١٣٢هـ فتجمعتْ لديّ المئات بل الآلاف من الأوراق والبطاقات فكان عليّ أن أصنّفها، وأجمَع لكلّ أديبة ترجمة مركّزة، عن حياتها وأصنّف النصوص، كلّ مجموعة لها، ورتبتُ الأديبات على حسب الحروف الألفبائية، وبعد ذكر الترجمة تأتي النصوص التي تجمع الخطبَ والوصايا والقطعَ الوصفية، والقصصَ والأمثال، والأقوالَ المأثورة والحكم، للأديبة الواحدة، وكان لكلّ أديبة رقم متسلسل، للعصر الإسلامي ثم العصر الأمويّ وحاولت في منهجي أنْ أتبع ما يأتي قدر المستطاع:

١ ـ ملاحظة أقدم نص وأطولِه وأقدم مؤلّف ثم من يليه تاريخيًا، ثم مقابلة الروايات المختلفة، والمصادر المتنوعة. فإن اخْتلفَ مصدران من رواية نصّ، فالأطول هو المثبت، علمًا بأنني أشرتُ إلى ذلك في بداية كلّ نصّ محقق.

٢ ـ حين تأتي النصوصُ متفرقة، ومقتطعة، في مصادر متعدّدة، أكملُ كلّ نصّ من المصدر الذي يليه في المعنى أو الزمن.

٣ ـ بعد مقابلةِ النص بروايات المصادر الأخرى، قدمتُ شرحًا للألفاظ، ومعانيها، وعرّفتُ بالشخصياتِ غير المشهورة، والأماكن غير المعروفة.

٤ ـ في النصوص التي كانت طويلة، كالقصص أو الخطب، كان شرحُ ألفاظها في نهاية النصّ، وذلك لتعدّد مصادر روايته، أو كثرة اختلافاتها.

٥ ـ أهملتُ المصادر الحديثة التي روتِ النصوص فقد تكونُ غير دقيقة، واستعنتُ بكتب التراث القديمة، وفي الترجمة اتخذتُ الأسلوب نفسَه أيضًا.

٦ ـ ذكرتُ مناسبةَ كلّ نصّ بقدر ما أمكنني وما حصلتُ عليه من المصادر القديمة.

٧ ـ بينتُ الرأي الخاص حول كثير من الأمور التي وردت أثناء التحقيق، والتراجم والدراسة.

أما عن بلاغات النساء الذي يعدُّ من المصادر المهمة في رواية النثر النسويّ، فإنني كنت أشكّ في بعض الخطب، والروايات التي رواها ابن طيفور ثم نقلها عنه الوشاء في الفاضل، والآبي في نثر الدر، وتزيد الشكوكُ حين ينفردُ بالرواية، ومما يزيدُ الشكّ أيضًا ورودُ بعض النصوص التي عُني بلفظها كثيرًا، وبولغ في تزويقها في عصور متقدّمة، بعد العصر الإسلامي كخطب السّيّدة فاطمة (رض)، وبعض خطب الوافدات على معاوية إلا أنني على الرغم من ذلك أثبتُّ تلك النصوص معتمدةً على مبدأ (المتّهم بريء حتى تثبت إدانته). وما دامتِ النصوص مرويّة في هذا الكتاب. وليس هناك من ينكر وجودَها أو روايتها، أو يثبتُ بالدليل القاطع وضعَها أو عدم صحة روايتها.

أقدّم شكري العظيم وامتناني الوافر للأب الروحي لطلابه الأستاذ العالم الدكتور

سامي مكي العاني، لصبره وحلمه، وعلمه، ورعايته الأبوية، وتوجيهاته القيمة، وأشكر الأخوة الأساتذة الذين أسهموا في تزويدي ببعض الكتب النادرة، من مكتباتهم العامرة، وأشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، لتوجيهاتهم القيّمة، وأشكر جميع موظفي المكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية وأخص منهم السَّيِّدة رجاء هادي والآنسة نازدار والآنسة كريمة ونهلة والسيّد المدير وجميع الأخوة الموظفين والموظفات..

أرجو من الله التوفيق، ومن إخوتي القبول الحسن، فقد بذلتُ كلّ جهودي ووقتي، ومنحتُ ما لديّ من العافية، فداء لإعداد رسالتي، وأرجو من الله تعالى أن يجعلها عملًا صالحًا جاريًا إلى يوم القيامة، إن شاء الله،

والحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله.

د. ليلى الحيالي

المعجم

أديبات العصر الإسلامي الأول
أديبات العصر الأموي

أدبيات العصر الإسلامي الأول

(ا)

أروى بنت الحارث بن عبد المطلب[١]

وفي رواية هي أروى بنت الحرث[٢] بن عبد المطلب، وفدت على معاوية بن أبي سفيان مع من وفد من أنصار الإمام علي - كرم الله وجهه - وكانت من أغلظ الوافدات عليه خطابًا، وكان حلم معاوية أعظم من خطابها[٣]. دخلت عليه وهي عجوز، فرحّب بها، وأخذت تحاوره، وتعاتبه وتلومه، وتذكر موقفها وكلامها وأشعارها في وقعة صفين، وهي تحرض قومها لقتاله، وتذكر ما قالته عنه وعن أمّه هند بنت عتبة في أحد، ولكنه كان رحب الصدر، صبورًا عاقلًا، فأكرمها ومنحها ستة آلاف دينار، وقال: يا عمّة أنفقي فيما تحبّين، فإذا احتجت فاكتبي إلى ابن أخيك يحسن صفدك ومعونتك إن شاء الله.

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤ أوربية وبلاغات النساء ٣٢.
(٢) ينظر العقد الفريد ١/ ٢٢٥ وثمرات الأوراق ١٣٢ وديوان أشعار النساء (أروى).
(٣) ينظر ثمرات الأوراق ١٣٢.

اشتهرت بخطبها وحوارها، الذي سيأتي فيما بعد.

١ - وفادة أروى بنت الحارث بن عبد المطلب[٤]

دخلت أروى على معاوية بن أبي سفيان بالموسم[٥]، وهي عجوز كبيرة، فلمّا رآها قال: مرحبًا بكِ يا عمّةُ. قالت[*]: كيف أنت يا ابنَ أخي لقد كفرت بعدي[٦] بالنعمة، وأسأتَ لابن عمّك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقّك، بغير بلاء كان منك[٧] ولا من آبائك في الإسلام

(٤) في العقد: بنت الحرث ١/ ٢٢٥.
(٥) لم يذكر ابن طيفور (في بلاغات النساء ٣٢) ما ذلك الموسم هل هو موسم الحجّ، أم غيره.
(*) بلاغات النساء ٣٢، العقد الفريد ١/ ٢٢٥ طبعة بيروت. نثر الدر ٤/ ٣٦ (مع الاختلاف في قصر النص وطوله).
(٦) في العقد: كفرت يد النعمة.
(٧) في العقد: من غير دين كان منك ولا من... ولا سابقة في الإسلام.

ولقد كفرتم[١] بما جاء به محمّد ﷺ، أتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم[٢] الخدود، حتّى ردّ الله الحقّ إلى أهله[٣]، وكانت كلمة الله هي العليا، ونبيّنا محمد ﷺ هو المنصور[٤] على من ناوأه، ولو كره المشركون، فكنّا أهلُ البيتِ، أعظمَ الناس في الدين حظًّا ونصيبًا وقدرًا، حتى قبض الله نبيه ﷺ مغفورًا ذنبه، مرفوعًا درجته، شريفًا عند الله مرضيًّا، فصرنا أهلُ البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وصار ابن عمّ سيّد المرسلين فيكم بعد نبيّنا بمنزلة هرون من موسى، حيث يقول: يا ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[٥]. ولم يجمع بعد رسول الله ﷺ لنا شمل، ولم يسهل لنا وعر، وغايتنا الجنّة وغايتكم النار.

قال لها عمرو بن العاص: أيتها العجوز الضّالة أقصري من قولك، وغضّي من طرفك.

قالت أروى: ومن أنت لا أمّ لك.

قال: عمرو بن العاص.

قالت: يا ابن اللخناء النابغة[٦]، أتكلمني أربع على ظلعك، وأعن بشأن نفسك، فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها، ولا كريم منصبها، ولقد ادعاك ستة من قريش، كله يزعم أنه أبوك، ولقد رأيت أُمّك أيام منى بمكة مع كلّ عبد عاهر، فأْتَمّ بهم فإنك بهم أشبه.

قال لها مروان بن الحكم: أيتها العجوز الضّالة، ساخ بصرك، مع ذهاب عقلك، فلا يجوز شهادتك.

قالت: يا بني أتتكلّم[٧]، لأنت

(١) في العقد: بعد أن كفرتم برسول الله (ص).

(٢) في العقد: وأضرع.

(٣) في العقد: ولو كره المشركون، وكانت...

(٤) في العقد: فوليتم علينا من بعده، وتحتجون بقرابتكم من رسول الله، ونحن أقرب إليه منكم فكنّا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان علي رحمه الله بعد نبيّنا بمنزلة هرون من موسى.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٥٠.

(٦) في العقد: بحذف (اللخناء). تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكّة، وأخذهن لأجرة. ادعاك خمسة نفر، فسئلت أمك عنهم، فقالت: كلهم أتاني...

(٧) في العقد: وأنت أيضًا يا ابن الزرقاء...
اللخناء: نتنة الرائحة. ظلعك: الظلع العيب.
فأْتَمّ بهم: أتم آتمًا ومأتمًا: جمع بين شيئين.

إلى سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم، وإنّك لشبهه في زرقة عينيك، وحمرة شعرك، مع قصر قامته، وظاهر دمامته، ولقد رأيت الحكمَ مادّ القامة، ظاهرَ الأمة[١] سبطَ الشعر، وما بينكما قرابة إلّا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرب، فاسأل أمّك عما ذكرت لك، فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت.

ثم التفتت إلى معاوية فقالت[*]: والله ما عرضني لهؤلاء غيرك، وأنشدت شعرًا.

فقال معاوية لمروان وعمرو: ويلكما أنتما عرضتماني وأسمعتماني ما أكره ثم قال: يا عمّةُ اقصدي قصْدَ حاجتك ودعي عنك أساطير النساء. قالت:

تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار. قال: ما تصنعين يا عمّة بألفي دينار؟ قالت: أشتري بها عينا خرخارة[٢]، في أرض خوّارة تكون لولد الحارث بن المطلب.

قال: نعم الموضع وضعتها، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أزوج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم. قال: نِعْم الموضع وضعتها، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أستعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام. قال: نِعْم الموضع وضعتها هي لك نعم وكرامة، ثم قال: أما والله لو كان عليٌّ ما أمر لكِ بها. قالت: صدقتَ إنّ عليًا أدى الأمانة، وعمل بأمر الله وأخذ به، وأنت ضيعت أمانتك، وخنت الله في ماله، فأعطيت مال الله من لا يستحقه، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبنيها، فلم تأخذ بها، ودعانا إلى أخذ حقّنا الذي فرض الله لنا فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها وما سألتك من مالك شيئًا، فتمُنَّ به، إنما سألتك من حقّنا، ولا نرى أخذ شيء غير حقّنا أتذكر عليًا فض الله فاك، وأجهد بلاءك.

فأمر لها معاوية بستة آلاف دينار وقال: يا عمة أنفقي فيما تحبّين، فإذا احتجتِ فاكتبي إلى ابن أخيك يحسن صفدك ومعونتك إن شاء الله.

---

(١) في نثر الدر: ظاهر الهامة، وهذه الرواية أصح.

(*) بلاغات النساء ٣٤.

(٢) خرخارة: ماؤها جار وكثير.

(٢)

أسماء بنت أبي بكر (رض)

هي أسماء بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة عثمان بن عامر من بني تيم[١] وفي رواية هي أسماء بنت عبدالله بن عثمان القرشي التيمي[٢]، أمها قيلة أو قتيلة بنت عبد العزى، أخت عائشة لأبيها وكانت أكبر منها بعشر سنين[٣]، وعبدالله بن أبي بكر شقيقها.

ولدت قبل الهجرة، بسبعة وعشرين عامًا[٤]. أسلمت بعد سبعة عشر إنسانًا. كانت أول فدائية في الإسلام، وسترد قصّة الهجرة ودورها البطولي فيها، وحين كانت أسماء تصدع تضع يدها على رأسها، وتقول: بذنبي، وما يغفره الله أكبر[٥]. وصفها ابن الأثير[٦] فقال: وخبرها مع ابنها لما استشارها في قبول الأمان، لما حضره الحجّاج، يدل على عقل كبير، ودين متين، وقلب صبور، قوي على احتمال الشدائد.

وقال أبو الزبير[٧]: ما رأيت امرأتين قط، أجود من عائشة وأسماء.

بلغت مائة عام ولم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل[٨]. توفيت أسماء في مكة ٧٣هـ بعد مقتل ابنها عبدالله بيسير[٩] وفي ذلك بعض الاختلاف بسنة الوفاة.

---

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٩، طبعة بيروت.

(٢) ينظر أسد الغابة ٧/ ٩ وديوان أشعار النساء ٢/ ١٤.

(٣) ينظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ق٢ ج٢ ص ٣٢٨.

(٤) ينظر الإصابة ٤/ ٢٣٠.

(٥) ينظر المصدر نفسه.

(٦) ينظر أسد الغابة ٧/ ٩.

(٧) ينظر تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢/ ٣٢٨ نقلًا عن تاريخ دمشق، وأبو الزبير هو مؤذن بيت المقدس أدرك النبي (ص) وأذن في زمن عمر بن الخطاب (رض)، ولم أجد غيره بهذا الاسم، ينظر الإصابة ٤/ ٨١.

(٨) المصدر السابق نفسه، وفي المستدرك ٣/ ٥٤٩: أن أسماء لم يفسد لها بصر ولا سمع وهي بنت مائة عام، وهذا خطأ لأن جل المصادر ذكرت فقدانها لبصرها.

(٩) ينظر الاستيعاب ٤/ ١٧٨١.

١ ـ حوار أسماء بنت أبي بكر وابنها والحجّاج

دخلت أمّ هاشم بنت منصور الفزارية، زوجة عبدالله بن الزبير على زوجها، صباح اليوم الذي قتل فيه، فقال لها(*): اصنعي لي طعامًا، فصنعت له كبدًا وسنامًا، فأخذ منهما لقمة فلاكها، ثم لفظها، ثم قال: اسقوني لبنًا، فأتي بلبن، فشرب منه ثم قال: هيِّئوا لي غسلًا، فاغتسل ثم تحنّط وتطيّب، ثم نام نومة، وخرج ودخل على أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، وهي عمياء وقد بلغت مائة سنة، فقال: يا أماه ما ترين قد خذلني الناس، خذلني أهل بيتي؟

فقالت(**): لا يلعبنّ بك الصبيان، (بني أميّة)، عِشْ كريمًا ومت كريمًا(١).

وحين همَّ أهل الشّام بقتله، سمعوا جارية تبكي وتقول: وا أمير المؤميناه، فجزّوا رأسه وذهبوا به إلى الحجّاج، فأرسله إلى المدينة ثم إلى عبد الملك بن مروان.

٢ ـ حوار أسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير والحجّاج

حين خرج ابن الزبير لمحاربة أعدائه، فقاتلهم، ناداه الحجّاج: ويلك يا ابنَ ذات النطاقين، اِقْبَل الأمان وادخلْ في طاعة أمير المؤمنين، فدخل على أمه أسماء، فقال لها(***): سمعتِ رحمكِ الله ما يقوله القوم، وما يدعونني إليه من الأمان؟ قالت:

سمعتهم ولعنهم الله، فما أجهلهم، واعجب منهم، إذ يعيرونك بذات النطاقين، ولو علموا ذلك، لكان ذلك أعظم فخرك عندهم. قال: وما ذاك يا أماه؟ قالت:

خرج رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، مع أبي بكر، فهيأت لهما سفرة، فطلبا شيئًا يربطانها بها(٢)، فما وجداه، فقطعت من مئزري لذلك ما احتاجا إليه، فقال رسول الله ﷺ: أما إنّ

(*) العقد الفريد ٤/ ١٩١ و ٤/ ١٩٣.

(**) العقد الفريد ٤/ ١٩١، والمستدرك ٤/ ٥٢٥، وصفة الصفوة ٢/ ٣٢، وتاريخ ابن الأثير ٤/ ٢٣، وتاريخ الإسلام للذهبي، والإصابة ٤/ ٢٢٩.

(١) في العقد: يا بني لا ترض الدنية، فإن الموت لا بد منه، قال: إني أخاف أن يمثّل بي، قالت: إن الكبش إذا ذبح لم يأمن السلخ.

(***) العقد الفريد ٤/ ١٩٢.

(٢) الصحيح يربطانها به.

لكِ به نطاقين في الجنة[١]. فقال عبدالله: الحمد لله حمدًا كثيرًا، فما تأمريني به فإنّهم قد أعطوني الأمان. قالت: أرى أن تموت كريمًا ولا تتبع فاسقًا لئيمًا، وأن يكون آخر نهارك، أكرم من أوله[٢]. فقبّل رأسها وودعها وضمته إلى نفسها، فخرج وصعد المنبر وخطب وقاتل وحده. وحزّ الحجّاج رأسه في مسجد الكعبة، ودخل على أسماء فقالت له[*]: يا حجّاج قتلتَ عبدالله؟

قال: يا ابنة أبي بكر إني قاتل الملحدين. قالت: بلى، أنت قاتل المؤمنين الموحدين.

قال: كيف رأيت ما صنعت بابنك؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنيا[٣]، وأفسد عليك آخرتك ولا خير إن أكرمه الله على يديك، فقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل[٤].

(١) العقد الفريد ٤/ ١٩٢.

(٢) في رواية أخرى للعقد: يا بني لا ترضى الدنية، فإن الموت لا بد منه. قال: إني أخاف أن يمثّل بي، قالت: إن الكبش إذا ذبح لم يأمن السلخ.

(*) العقد الفريد ٤/ ١٩٣ والمستدرك ٣/ ٥١٣.

(٣) في المستدرك: دنياه وهو الأصح.

(٤) ورد النص الأخير في تهذيب الأسماء=

- ٣ -

قالت أسماء للحجّاج[**]: كيف تعيره بذات النطاقين؟ يعني ابنها، قد كان لي نطاق أغطّي به طعام رسول الله ﷺ من النمل، ونطاق لا بد للنساء منه[٥].

- ٤ -

اختلف الرواة في ذكر الحوار الآتي بين أسماء والحجّاج، فمنهم من ذكر أنها أتت الحجّاج ومنهم من قال إنه بعث في طلبها، وبعضهم أن الحجّاج دخل على أسماء، وسيأتي ذكر الحوار.

عن القاسم بن محمد الثقفي أنها أتت الحجّاج بعدما ذهب بصرها ومعها جواريها فقالت: أين الحجّاج، قالوا: ليس ها هنا، قالت[***]: فإذا جاء

= واللغات ٢/ ٢/ ٣٢٨ وفيه: وقد أهدى...

(**) الاستيعاب ٤/ ١٧٨١.

(٥) تمثل عبدالله بن الزبير حين سمع قول أمه، بقول الشاعر الهذلي:

وعيرها الواشون أني أحبها
وتلك شكاة نازح عنك عارها

(***) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٤ الرواية الأولى، والعقد الفريد ٤/ ١٩٢، المستدرك ٣/ ٥١٣، تاريخ الإسلام ١/ ٣٩٧، الإصابة ٤/ ٢٣٠، شذرات الذهب ١/ ٨٠ في رواية أخرى لابن سعد أن الحجّاج دخل على أسماء فقال لها: =

فقولوا له يأمر بهذه العظام أن تنزل وأخبروه أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن في ثقيف رجلين كذاب ومبير.

ـ ٥ ـ وصيّة أسماء(*)

دخل عروة وعبدالله على أسماء قبل قتله بعشر ليال، وهي وجعة فقال لها ابنها: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة، قال: إنّ في الموت لراحة، قالت: لعلّك تشتهي موتي، فلذلك تمناه، فلا تفعل، فوالله ما أشتهي أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك، أمّا أن تقتل فأحتسبك، وأمّا أن تظفر فتقر عيني، فإياك أن تعرض عليك خصلة لا توافقك فتقبلها كراهية الموت[1] وتوفيت بعد ذلك.

= إن ابنك ألحد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم وفعل به وفعل، فقالت له: كذبت، كان برًا بالوالدين صوامًا قوامًا، ولكن والله لقد أخبرنا رسول الله أنه سيخرج من ثقيف كذابان، الآخر منهما شر من الأول وهو مبير. وفي رواية العقد أنها أتت الحجّاج وفي المستدرك أن الحجّاج بعث إلى أسماء وفي رواية أنه دخل عليها...

في العقد الفريد قالت:

أما أني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يخرج من ثقيف رجلان، الكذاب والمبير، فأما الكذاب فالمختار، وأما المبير فأنت المهلك.

فقال الحجاج: اللهم مبير ولا كذاب.

في المستدرك: إنّ الحجّاج دخل على أمّ عبدالله فقالت: كيف تستأذن علي وقد قتلت ابني؟ قال: إن ابنك ألحد في حرم الله، فقتله ملحدًا عاصيًا حتى أذاقه الله عذابًا أليمًا..

فقالت: كذبت يا عدو الله، وعدو المسلمين، والله لقد قتلته صوامًا قوامًا، برًا بوالديه، حافظًا لهذا الدين، ولئن أفسدت عليه دنياه... وأفسد عليك...

في تاريخ الإسلام: قالت للحجّاج: أما إنّ رسول الله (ص) حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه.

وكانت تعني بالكذاب المختار بن عبيدالله الثقفي.

في الإصابة: دخلت أسماء حتى وقفت على الحجّاج، وبعد صلب ابنها وهو في مكة: أما آن لهذا الراكب أن ينزل، قال: المنافق، قالت: لا والله ما كان منافقًا، وقد كان صوامًا قوامًا، قال: اذهبي فإنك عجوز قد خرفت، قالت: لا والله ما خرفت، سمعت رسول الله ﷺ...

المبير: المهلك، بار وبوّر تورًا: أهلك وأفسد. والمبير على زنة اسم الفاعل أو للمبالغة.

(*) صفة الصفوة ٢/ ٣٢.

(١) قال ابن الجوزي: وإنّما عنى ابن الزبير أن يقتل فيحزتها.

ـ ٦ ـ وصيّة أسماء[*]

دخل عبد الله بن الزبير على أمّه أسماء يوم مقتله فقالت له:

إن كنت على حقّ تدعو إليه[١]، فامض عليه، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أميّة، فيتلعبوا بك[٢]، وإن قلت إني كنت على حقّ، فلما وهن أصحابي ضعفت نيّتي، ليس هذا فعل الأحرار، ولا فعل من فيه خير[٣]، كم خلودك في الدنيا القتل أحسن ما يقع به يا ابن الزبير، والله لضربة بالسيف في عزّ أحبّ إليّ من ضربة بسوط في ذلّ. قال لها:

هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيًا إلى الله، والله ما دعاني إلى الخروج إلّا الغضب لله عز وجل، أن تنتهك محارمه، ولكني أحببت أن أطلع على رأيك فيزيدني قوة...[٤] قالت:

والله إني لأرجو أن يكون عزاي فيك حسنًا بعد أن تقدمتني أو تقدمتك، فإنّ فيّ منكَ حرجًا[٥]، حتى أنظرَ إلى ما يصير أمرك، ثم قالت: اللهم ارحم طول ذاك النجيب والظمأ، في هواجر المدينة ومكّة، وبره بأمّه[٦]، اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك، ورضيت فيه بقضائك، فأتيني في عبد الله ثواب الشاكرين.

فقال: يا أمه لا تدعي الدعاء لي قبل موتي ولا بعده.

ـ ٧ ـ

قالت: لن أدعه لك، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حقّ.

وقالت[**]: اللهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فأتيني فيه ثواب الصابرين الشاكرين. فقبّل عبدالله

(*) بلاغات النساء ١٣٠، تاريخ ابن الأثير ٤/ ٢٣.

(١) في تاريخ ابن الأثير: قالت: أنت والله يا بني اعلم بنفسك، إن كنت تصلح أنك على حقّ وإليه تدعو.

(٢) في ابن الأثير: يتلعب بها غلمان...

(٣) في ابن الأثير: وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، ومن قتل معك، وإن قلت كنت على حقّ.. ضعفت نيتي فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين.

(٤) تكملة الحديث في البلاغات.

(٥) في ابن الأثير: قالت: لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلًا، إن تقدمتني احتسبتك، وإن ظفرت سررت بظفرك.

(٦) في ابن الأثير: طول ذاك القيام في الليل الطويل، وذلك النجيب والظمأ، في هواجر مكة والمدينة، وبره بأبيه وبي.

(**) الإضافة من تاريخ ابن الأثير ٤/ ٢٣.

يديها، وقالت: هذا وداع فلا تبعد. قال لها: جئت مودعًا لأنّ هذا آخر أيامي من الدنيا، قالت: امض على بصيرتك، وأدن مني، حتى أودعك، فدنا منها فعانقها وقبّلها، فوقعت يدها على الدرع. فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد.

قال: ما لبسته إلّا لأشد متنك.

قالت:

فإنه لا يشد متني. فنزعها ودرّج كمّيه، وشدّ أسفل قميصه، وجبة خز.. وأمّه تقول: البس ثيابك مشمرة. فقال:

إني إذا أعرف يومي أصبر
وإنما يعرف يومه الحر
إذ بعضهم يعرف ثم ينكر.

فسمعته فقالت: تصبر إن شاء الله، أبواك أبو بكر والزبير، وأمّك صفية بنت عبد المطلب. وحين صلب قالت للحجّاج:

قاتلك الله على ماذا صلبته!

(*) سيرة ابن هشام ١/٤٥٧، طبقات ابن سعد ٨/٢٥٠ تاريخ الطبري ٢/٣٢٩، المستدرك ٣/٤٥٨، تاريخ الإسلام الذهبي ١/٣٢٧، الإصابة ٤/٣٠٤، عمدة القارئ ١٧/٥٠ مع الاختلاف في طول النصّ، أو قصره، وتقديم بعض العبارات على غيرها.

ـ ٨ ـ أسماء بنت أبي بكر (قصة الهجرة)(*)

لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر (رض) أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا:

أين أبوك يا بنت أبي بكر[1]؟

قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشًا خبيثًا، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي.

قالت: ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال[2]، وما ندري أين وجه رسول الله ﷺ[3]، حتى أقبل رجل من الجن، من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه[4]، يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة، وهو يقول:

جزى الله ربّ الناس خير جزائه
رفيقين حلّا خيمتي أم معبد[5]

. . . . . .

(١) في تاريخ الطبري: يا ابنة.
(٢) في تاريخ الطبري: ومكثنا.
(٣) في تاريخ الطبري: لا ندري... توجّه.
(٤) في تاريخ الطبري: من الشعر... والناس يتبعونه.
(٥) في تاريخ الطبري: قالا.

قالت أسماء: فلما سمعنا قوله، عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأنّ وجهه إلى المدينة، وكانوا أربعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر (رض) وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبدالله بن أريقط دليلهما.

وقالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه(١)، احتمل أبو بكر ماله كلّه(٢) ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه. قالت:

فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره(٣)، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله(٤) مع نفسه، قلت: كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوّة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها(٥)، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه. فقال: لا بأس إذا ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم(٦)، ولا والله ما ترك لنا شيئًا(٧)، ولكني أردت أن أسكّن الشيخ بذلك.

ـ ٩ ـ

قالت أسماء ذات النطاقين(*):

صنعت سفرة النبي (ص) في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئًا أربطه به إلّا نطاقي، قال: فشقّيه باثنين، فاربطي بواحد السقاء، وبالآخر السفرة. ففعلت فلذلك سمّيت ذات النطاقين.

ـ ١٠ ـ

وقالت(**):

كنت أحمل الطعام إلى أبي وهو مع رسول الله ﷺ بالغار، فاستأذنه عثمان في الهجرة فأذن له في الهجرة إلى الحبشة، فحملت الطعام، فقال لي: ما فعل عثمان

---

(١) في تاريخ الذهبي: وخرج أبو بكر معه.
(٢) في المستدرك: ومعه أبو بكر معه جميع ماله...
(٣) في المستدرك: فأتاني جدي...
(٤) في تاريخ الذهبي: لأراه فجعكم...
(٥) في المستدرك: فعمدت إلى أحجار فجعلتهن في كوّة. في تاريخ الذهبي: في كوّة من البيت.
(٦) في المستدرك: أما إذا ترك هنا فنعم... في تاريخ الذهبي: إذا كان قد ترك لكم...
(٧) وفي المستدرك: والله ما نزل قليلًا ولا كثيرًا.
(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٠ وعمدة القارئ ١٤/ ٢٣٦ و ١٧/ ٥٠.
(**) الإصابة: ٤/ ٣٠٤.

ورقيه، قلت: قد سارا، فالتفت إلي أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده أنّه أول من هاجر بعد ابراهيم ولوط.

ـ ١١ ـ السيرة الذاتية

قالت أسماء(*):

تزوجني الزبير وما له في الأرض مال ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسومه، وأدق النوى الناضحة(١) وأعلفه، وأسقيه الماء، وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، فكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكنّ نسوة صدق.

قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ(٢).

قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله، ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثمّ قال: إخْ إخْ، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من أغير الناس، قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النوى كان أشدّ عليّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر ـ بعد ذلك ـ بخادم فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.

ـ ١٢ ـ

وقالت(**): عندما حملت بعبدالله بن الزبير، فخرجت وأنا متمّ، فأتيت المدينة، فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت به النبيﷺ، فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول اللهﷺ، ثم حنّكه بتمرة، ثم دعا له وبرّك عليه، وكان أول مولود في الإسلام.

ـ ١٣ ـ قصة إسلام أبي قحافة

قالت أسماء(***):

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٠، الإصابة ٤/ ٢٢٩، عمدة القارئ ١٥/ ٧٤ مع الاختلاف في قصر النص وطوله.

(١) في الإصابة: لناضحه...

(٢) في العمدة: وهي مني على...

أسوم: أخرج الفرس للمرعى...

الناضح: نضح الماء: رشّه، والناضح: المطر على سبيل المجاز، استخدمت لفظة ناضح، للدلالة على استمرار عملها كجريان الماء ونضحه..

(**) عمدة القارئ ١٧/ ٥٠.

(***) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٤٠٥، والمستدرك ٣/ ٤٥، وتلخيص المستدرك ٣/ ٤٥.

لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى[١]، قال أبو قحافة لابنة من أصغر ولده: أي بنية، أظهري بي على أبي قبيس[٢]. قالت: وقد كف بصره، قالت: فأشرفت به عليه، فقال: أي بنيّة ماذا ترين؟ قالت: أرى سوادًا مجتمعًا، قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلًا يسعى بين يدي، ذلك مقبلًا مدبرًا، قال: أي بنيّة، ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل، ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السوادُ، فقال: قد والله إذن دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به[٣]، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته. قالت: وفي عنق الجارية طوق من ورق، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها[٤]، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلا تركت الشيخ في بيته، حتى أكون أنا آتيه[٥] فيه، قال أبو بكر: هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: أسلم فأسلم.

قالت: فدخل به أبو بكر[٦]، وكان رأسه ثغامة، فقال رسول الله ﷺ: غيّروا هذا من شعره، ثم قام أبو بكر، فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي، فلم يجبه أحد.

فقال: أي أخية[٧]، احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل.

ـ ١٤ ـ قصّة

قالت أسماء[*]:

كنت مرة في أرض أقطعها النبيّ ﷺ لأبي سلمة، والزبير، في أرض بني

(١) في المستدرك والتلخيص: لما كان عام الفتح ونزل رسول الله (ص) ذا طوى... ذو طوى: اسم مكان بمكة.

(٢) في المستدرك والتلخيص: أشرفي بي..

(٣) في المستدرك والتلخيص: حتى إذا هبطت به.

(٤) في المستدرك والتلخيص: فاقتطعه إنسان من عنقها.

(٥) في المستدرك والتلخيص: حتى أجيئه...

(٦) في المستدرك: فما جاء به أحد، في التلخيص: فوالله ما جاء أحد، الطوق: القلادة، ثغامة: نبات من الجبال يشبهون به الشيب لبياضه، أبو قبيس: جبل بمكة.

(٧) في المستدرك والتلخيص: يا أخيّة.

(*) الإصابة: ٤/ ٢٨٤، أولاد أسماءهم: عبدالله وعروة والمنذر وعاصم والمهاجر، وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة. (المصدر نفسه).

النضير، فخرج الزبير مع رسول الله ﷺ، ولنا جار من اليهود فذبح شاة فطبخت فوجدت ريحها، فدخلني ما لم يدخلني من شيء قط وأنا حامل بابنتي خديجة، فلم أصبر، فانطلقت فدخلت على امرأة اليهودي، أقتبس منها نارًا لعلها تطعمني وما بي من حاجة إلى النار، فلما شممت الريح، ورأيته ازددتُ شرهًا، فأطفأته ثم جئت ثانيًا، أقتبس، ثم ثالثة، ثم قعدت أبكي، وأدعو الله، فجاء زوج اليهودية، فقال: أدخل عليكم أحد؟ قالت: العربية تقتبس نارًا، قال: فلا آكل منها، أبدًا، أو ترسلي إليها منها، فأرسل إليّ بقدحة، يعني غرفة، فلم يكن في الأرض أعجب إلي من تلك الأكلة.

ـ ١٥ ـ وصايا

قالت أسماء(*):

إذا أنا مت فاغسلوني(١) وكفنوني، وحنطوني ولا تذروا على كفني حنوطًا، ولا تتبعوني بنار.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٤.

(١) في رواية أخرى: فأجمروا ثيابي.. وفي رواية: جمروا ثيابي على الشجب، وحنطوني ولا تذروا على ثيابي شيئًا.

ـ ١٦ ـ أقوال

قالت(**):

يا أبا عبدالله، والله إن كان الرجل من العدو ليمرّ يسعى، فتصيب قدمه عروة أطناب خبائي فيسقط على وجهه ميتًا، ما أصابه السلاح.

ـ ١٧ ـ تخاطب بناتها وأهلها

وقالت(***):

أنفقوا أو أنفقن، وتصدقن، ولا تنتظرن الفضل، فإنكنّ إن انتظرتن الفضل، لم تفضلن شيئًا، وإن تصدقتن لم تجدن فقده.

ـ ١٨ ـ أمثال

قالت أسماء(****):

الشاة المذبوحة لا تألم السلخ

سمعتُ أسماء بنت أبي بكر (رض) ابنها عبدالله بن الزبير يقول حين حاصره الحجّاج بن يوسف الثقفي في

(**) طبقات ابن سعد: ٨/ ٢٥٣، وقد كانت أسماء بطلة شجاعة، وهي أول فدائية في الإسلام، اتخذت خنجرًا للصوص، وكانت تجعله تحت رأسها.

(***) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥١.

(****) المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ١/ ٣٢٥.

الكعبة: إني لا أخاف القتل، ولكني أخاف المثلة. فقالت له: ذلك يضرب في قلة المبالاة، بأهون الخطتين، بعد أفظعهما.

ـ ١٩ ـ

قالت أسماء[*]:

أتيت عائشة، وهي تصلي، فقلت: ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء، فإذا الناس قيام، فقالت سبحان الله، قلت: آية. فأشارت برأسها أي نعم، فقمت حتى تجلاني الغشي، فجعلت أصبّ على رأسي الماء[1].

(*) عمدة القارئ ٢/٩٣، ٢٥/٣١ و٧/٨٥.

(١) في رواية أخرى: أتيت عائشة حين خسفت الشمس والناس قيام، وهي قائمة تصلي، فقلت: ما للناس فأشارت بيدها نحو السماء...

الغشي: غشي عليه غشيًا وغشيانًا، تغطى بالثوب.

الغشاوة: طول القيام وكثرة الحر.

الغشي: مرض يحصل بطول القيام بالحر.

(٣)
أسماء بنت عمير[١]

حوار

دخلت أسماء على حفصة ـ بنت عمر (رض) ـ وكانت من أصحاب السفينة التي ألقيت إلى النجاشي بالحبشة في الهجرة الأولى فسأل عمر بن الخطاب (رض) من هذه؟ قالت[*]: حبشية[٢]، قال عمر: يا حبشية سبقناكم بالهجرة[٣].

قالت: أي لعمري لقد صدقت، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعلّم جاهلكم[٤]، وكنا البعداء الطرداء، أما والله لآتين رسول الله ﷺ[٥] فلأذكرنّ ذلك له.

فقال النبي ﷺ: للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان.

---

(١) أسماء بنت عمير زوجة الشهيد جعفر بن أبي طالب، ثم أبي بكر (رض) ينظر (أسماء في ديوان أشعار النساء).

(*) طبقات ابن سعد ٨/٢٨١، وصفة الصفوة ٢/٣٣.

(٢) في صفة الصفوة: أسماء بنت عميس.

(٣) في صفة الصفوة: الحبشية البحرية، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقّ برسول الله منكم.

(٤) في صفة الصفوة: ويعظ.

(٥) في صفة الصفوة: وأيم الله، لا أطعم طعامًا ولا شرابًا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله (ص).

(٤)
أسماء بنت يزيد الأنصارية (خطيبة النساء) أو رسول النساء

أمّ عامر أسماء بنت يزيد بن السكن[١]، من بني عبد الأشهل، كنيتها أم سلمة[٢] الأوسية الأنصارية[٣]، بنت عم معاذ بن جبل[٤]، من المبايعات وقيل ابنة معاذ بن جبل[٥] من ذوات العقل والدين، وأختها حواء بنت يزيد بن السكن زوجة قيس بن الخطيم، التي أوصى رسول الله ﷺ زوجها بعدم الإساءة لها، وأن يحفظها ولا يصيبها بأذى[٦].

شهدت أسماء معركة اليرموك، وقتلت يومئذٍ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهرًا، اشتهرت بخطبتها يوم وفدت على

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٣١٩.
(٢) ينظر أسد الغابة ٧/ ٣٢٧.
(٣) ينظر المصدر نفسه.
(٤) ينظر الاستيعاب ٤/ ١٧٨٧.
(٥) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٣٢٤.
(٦) ينظر الإصابة ٤/ ٢٣٥.

رسول الله ﷺ، فأعجب بها النبي ﷺ، وقال:

افهمي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء، أن حسن تبعّل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته، يعدل كل ذلك.

فانصرفت وهي تهلل. فسميت برسول نساء العرب.

ـ ١ ـ
أسماء بنت يزيد بن السكن

حوار وخطبة

قالت(*):

(*) الاستيعاب ٤/ ١٧٨٧، وأسد الغابة ٧/ ١٩ وتاريخ ابن عساكر ٧/ ٤٣٧.

إني رسول من ورائي، من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي[١]، وعلى مثل رأيي، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك[٢]، ونحن معشر النساء مقصورات مخدّرات[٣]، قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال[٤]، وحاملات أولادهم، وإن الرجال، فُضّلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد[٥]، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربّينا[٦] أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالًا عن دينها من هذه؟

قالوا: بلى والله يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: انصرفي يا أسماء، وأعلِمي من وراءك من النساء أن حسن تبعّل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته، يعْدِل كل ما ذكرتِ للرجال.

فانصرفت أسماء وهي تهلل، تكبر استبشارًا بما قال رسول الله ﷺ.

ـ ٢ ـ قصة البركة

قالت[*]: رأيت رسول الله ﷺ في مسجدنا المغرب، فجئت منزلي فجئته بعرق، وأرغفة، فقلت: بأبي وأمي تعشّ، فقال لأصحابه:

كلوا باسم الله، فأكل هو وأصحابه الذين جاءوا معه، ومن كان حاضرًا من أهل الدار، فوالذي نفسي بيده لرأيت بعض العرق، لم يتعرّقه، وعامة الخبز، وإن القوم أربعون رجلًا، ثم شرب من ماء عندي، في شجب[٧]،

---

(١) في تاريخ ابن عساكر: واعلم نفسي لك الفداء، إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلّا وهي...

(٢) في أسد الغابة: وبإلهك. في ابن عساكر: وبإلهك الذي أرسلك...

(٣) في أسد الغابة وابن عساكر: وأنا معشر النساء محصورات..

(٤) في أسد الغابة وابن عساكر: بيوتكم ومقضى شهواتكم.

(٥) في أسد الغابة وابن عساكر: وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى.. والحج بعد الحج.

(٦) في أسد الغابة وابن عساكر: وإن الرجل إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مجاهدًا... وغزلنا أثوابكم.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٣١٩.

(٧) الشجب: القربة تخرز من أسفلها ويقطع رأسها إذا خلقت، شبه الدلو العظيم.

ثم انصرف، فأخذت ذلك الشجب المريض، ونشرب منه في الحين، فدهنته، وطويته، فكنا نسقي منه رجاء البركة.

(٥)
حفصة بنت عمر بن الخطاب (رض)

حفصة بنت عمر بن الخطاب بن فضيل بن عبد العزى من بني كعب بن لؤي. أمها زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون الصحابي المعروف، ولدت حفصة وقريش تبني البيت الشريف، قبل بعث النبي ﷺ، تزوجها الرسول الكريم مقدمهُ من بدر.

كان عمر قد أوصى بعد موته إلى حفصة، فأوصت حفصة إلى عبدالله بن عمر، بما أوصى به إليها عمر، وبصدقة تصدقت بها ومال.

توفيت (رض) في ٤١ هـ[١] وقيل ٤٥هـ[٢]، وقيل ماتت في خلافة عثمان (رض)[٣].

ـ ١ ـ حوار

قال عمر بن الخطاب (رض) لابنته حفصة (رض):

ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس؟ قالت[*]: ثوبين مشقين[٤] كان يلبسهما للوفد، ويخطب فيهما للجمع، قال: فأي الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: خبزنا خبزة شعير، فصببنا عليها وهي حارة، أسفل عكة لنا، فجعلناها هشةً دسمة، فأكل منها، وتطعّم منها استطابة لها. قال: فأي مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء لنا ثخين، كنا نربعه في الصيف، فنجعل تحتنا، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه، وتدثرنا بنصفه، قال: يا حفصة،

(١) ينظر العقد الثمين ٨/ ٢٠٠ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٣٨، والإصابة ٤/ ٢٧٣.

(٢) تنظر المصادر السابقة، مع العبر في خبر من غبر ١/ ٥٠ وصفة الصفوة ٢/ ٢٠١. وينظر ديوان أشعار النساء للمزيد من التفصيل.

(٣) الإصابة ٤/ ٢٧٤.

(*) تاريخ الطبري ٣/ ٦١٧ في حوادث ١٥هـ.

(٤) الثوب المشق: اللبيس، المصبوغ، الثوب الخَلَق.

فأبلغيهم[١] عني أنّ رسول الله ﷺ قدّر فوضَع الفُضول مواضعَها...

ـ ٢ ـ

قالت السيّدة حفصة في مرض أبيها[*]: يا أبتاه ما يحزنك وفادتك[٢] على رب رحيم، ولا تبعة لأحد عندك، ومعي لك بشارة لا أُذيع السرّ مرّتين، ونعم الشفيعَ لك العدلُ، لم تخفَ على الله عز وجلّ، خشنة عيشتك، وعفاف نهمتك[٣] وأخذك بأكظام المشركين[٤] والمفسدين في الأرض.

ـ ٣ ـ خطبة

قال ابن طيفور[٥]: ووجدت في بعض الكتب أن حفصة، خطبت بعد مقتل أبيها عمر (رض)، دون أن يذكر أسماء تلك الكتب، قالت[**]:

الحمدُ لله الذي لا نظير له، والفرد الذي لا شريك له، وأمّا بعد.

فكلّ العجب من قوم زيّن الشيطان أفعالهم، وارعوى إلى صنيعهم، وربّ[٦] في الفتنة لهم، ونصب حبائله لختلهم حتى هم عدو الله بإحياء البدعة ونبش الفتنة، وتجديد الجَوْر بعد دروسه وإظهاره بعد دثوره، وإراقة الدماء، وإباحة الحمى وانتهاك محارم الله عز وجلّ، بعد تحصينها فأضرى[٧] وهاج، وتوغر وثار غضبًا لله، ونصرة لدين الله فأخسأ الشيطان ووقم كيده وكفّف إرادته، وقدع محنته[٨]، وأصعر خده[٩]، لسبغه لمشايعة أولئ الناس بخلافة رسول الله ﷺ الماضي على سنته المقتدى بدينه المقتص لأثره فلم يزل سراجه زاهرًا وضوؤه لامعًا، ونوره ساطعًا، له من الأفعال الغرر، ومن الآراء المُصاص[١٠] ومن التقدم في

---

(١) في تاريخ الطبري: أنّ حفصة (رض) دخل عليها الصحابة (رض) عثمان وعلي وطلحة والزبير، للاستفسار والاسترشاد برأيها.

(*) بلاغات النساء ٣٠.

(٢) وفادتك: قدومك، وفد: ارتفع.

(٣) تهمتك: بلوغ الهمة والشهوة في الشيء.

(٤) أكظام: مفردها كظم، مخرج النفس، أي أمسك وضيّق على المشركين والمفسدين.

(٥) ينظر بلاغات النساء ٣٠.

(**) بلاغات النساء ٣٠، ونثر الدرّ ٣١.

(٦) في نثر الدرّ: ودبّ. وهذه الرواية أصحّ.

(٧) في نثر الدرّ: فتضرّم وهاج.

(٨) في نثر الدرّ: محبّته.

(٩) في نثر الدرّ: وصغّر السّبقةُ إلى مشايعة...
الدروس: البلى، محو الآثار.
وقم كيده: قهره ورده من حاجته.
قدع محنته: كفّها، دفعها.
المشايعة: المناصرة.

(١٠) المُصاص: الخالص من كل شيء.

طاعة الله اللُّباب، إلى أن قبضه الله إليه، قاليًا لما خرج منه، شانيًا[١] لما ترك[٢] من أمره، شيقًا[٣] لمن كان فيه، صبًّا إلى ما صار إليه، وائلًا[٤] إلى ما دُعي إليه، عاشقًا لما هو فيه، فلما صار إلى التي وصفتُ وعاين لما ذكرتُ أومأ بها إلى أخيه في المعْدَلةِ، ونظيره في السيرة، وشقيقه في الديانة.

ولو كان غيرَ الله أرادَ لأمالها إلى ابنه ولصيّرها في عقبه، ولم يخرجها من ذريته، فأخذها بحقّها، وقام فيها بقِسْطها لم يؤذه ثقلها، ولم يَبْهَظْه[٥] حفظها، مشردًا للكفر عن موطنه، ونافرًا له عن وكْره، ومثيرًا له من مجثمه، حتى فتحَ الله عزّ وجلّ على يديه أقطار البلاد، ونصر الله بقدمه[٦]، وملائكته تكنفُه، وهو بالله معتصِم، وعليه متوكّل، حتى تأكّدتْ عرى الحقّ[٧] عليكم عقدًا، واضمحلّتْ عرى الباطل عنكم حلّا نوره في الدجنات ساطع وضوؤه في الظلمات لامع، قاليًا للدنيا إذ عرفها لافظًا لها إذ عجمها، وشانيًا لها إذ سبرها، تخطِبُه ويقلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلًا، ولا تبغي سواه نُحْلًا، أخبرها أن التي يخطِبُ أرغدُ منها عيشًا، وأنظَرُ منها[٨] حبورًا، وأدْوَم منها سرورًا، وأبقى منها خلودًا وأطول منها أيامًا، وأغدق منها أرضًا، وأنعت منها جمالًا وأتمّ منها بُلَهْنِيَة[٩] وأعذب منها رفهنية، فبشعت نفسه بذلك لعادتها واقشعرّتْ منها لمخالفتها فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت، وبالرأي الجليد حتى انقادت، فأقام فيها دعائم الإسلام وقواعد السنة الجارية، ورواسي الآثار الماضية، وأعلام أخبار النبوة الطاهرة، وظل خميصًا من بهجتها قاليًا لأثاثها لا يرغب في زبرجها[١٠]، ولا تطمح نفسه إلى جدّتها، حتى دعي فأجاب، ونودي فأطاع على تلك من الحال فاحتذى في الناس بأخيه، فأخرجها

---

(١) في نثر الدرّ: شانئًا.
(٢) في نثر الدرّ: نزل.
(٣) في نثر الدرّ: شنيفًا لما. الشَّنِف: المُبْغِض. وهذه الرواية أصحّ.
(٤) وائلًا: لاجئًا.
(٥) يبهظه: يثقله ويسبب له مشقة.
(٦) في نثر الدر: يقدمه.
(٧) في نثر الدر: عُرا نواحي، والأولى أصحّ.
(٨) في نثر الدر: أنضر وهي أصحّ.

---

(٩) بلهنية ورفهنية: رغد وخصب ورفاه.
(١٠) الزبرج: الزينة والوشي.

من نسله وصيّرها شورى بين إخوته، فبأيّ أفعاله تتعلّقون، وبأيّ مذاهبه تتمسّكون[١] أبطرائقه القويمة في حياته، أم بعدله فيكم عند وفاته، ألهَمنا الله وإيّاكم طاعته وإذا شئتم ففي حفظ وكلاءته[٢].

(١) في نثر الدر: يتمسكون.

(٢) كلاءة: حفظ، المكلأ: كل موضع يستتر فيه من الريح.

(٦)
حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية

قصة النور الأزلي
ترويها السيدة حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية

أمّ رسول الله ﷺ التي أرضعته، تُحدّث أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت(*):

وذلك في سنة شهباء(١)، لم تُبْقِ لنا شيئًا، قالت: فخرجت على أتان لي قمْراء(٢)، معنا شارف لنا والله ما تُبِضّ(٣) بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع. ما في ثديّ ما يُغنيه وما في شارفنا ما يُغذّيه، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أَدُمْتُ بالرّكْب، حتى شقّ ذلك عليهم، ضعفًا وعجفًا(٤)، حتى قدِمْنا مكة، نلتمس الرضعاء، فما منّا امرأة إلّا وقد عُرِض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها إنّه يتيم، وذلك أنّا إنما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجدّه! فكنا نكرهه لذلك. فما بقيت امرأة قدِمتْ معي إلا أخذت رضيعًا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق، قلت لصاحبي: والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم، فلآخذنّه، قال: لا عليك

(*) سيرة ابن هشام ١/١٦٢ وأسد الغابة ٧/٦٧. وقد روي في أسد الغابة بشكل مختصر.

(١) شهباء: عام أشهب أي جرّد أموالهم واستأصلها، عام مجدب.

(٢) قمراء: القمرة: بياض إلى خضرة، الأتان: الحمار.

(٣) ما تبض: يقال: ما تبض عينه: أي أنه صبور على المصيبة والجدب وقلة الخير.

(٤) عجفًا: هزالًا، الشارف: الناقة المسنّة.

أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا بركة، قالت: فذهبتُ إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلّا أني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رحْلي، فلما وضعته في حجري، أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنّها كافِلٌ[(١)]، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا ريًّا وشبعًا، فبتنا بخير ليلة قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلّمي والله يا حليمة، لقد أخذت نَسمة مباركة، قالت: فقلت والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها، فوالله لقطعتْ بالركب وما يقدر عليها شيء من حُمُرهم، حتى أن صواحبي ليقُلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! اربعي[(٢)] علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهنّ: بلى والله إنّها لهي هي، فيقلن: والله إنّ لها لشأنًا. قالت: ثم قدِمْنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدِمْنا به معنا شباعًا لبنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبِضّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنًا، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير، حتى مضت سنتاه وفصلتهُ، وكان يشبّ شبابًا لا يشْبُه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جَفْرًا[(٣)]. قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته. فكلّمنا أمه، وقلت لها: لو تركت بنيّ عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وبأ[(٤)] مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا.

قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه، لفي بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدّ[(٥)]، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقّا بطنه فهما يسوطانه[(٦)]. قالت:

(١) كافل: التي لم يصب طعامًا.
(٢) اربَعي: انتظري.
(٣) جفرًا: غليظًا شديدًا.
(٤) وبأ: وبأ المتاع: عبّاه.
(٥) أخوه عبدالله بن الحارث.
(٦) يسوطانه: يقلبانه ظهرًا على بطن.

فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائمًا مُنتقعًا وجهُه، قالت: فالتزمته، والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بني، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقّا بطني، فالتمسا فيه شيئًا لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا به إلى خبائنا.

قالت حليمة: وقال لي أبوه يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحِقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقدمنا به على أمه، فقالت أمه: ما أقدمكِ به يا ظئر[١] وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله يا بني وقضيت الذي عليّ، وتخوّفت الأحداث عليه، فأدّيته إليك كما تحبّين، قالت: ما هذا شأنك، فاصدُقيني خبرك، قالت: فلم تدعْني حتى أخبرتها. قالت: أفتخوّفتِ عليه الشيطان؟ قالت: قلت نعم، قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبُنيّ لشأنًا، أفلا أخبرك خبره، قالت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به، أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط، كان أخف علي ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته، وإنه لواضِع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، دعيهِ عنكِ وانطلِقي راشدة.

(١) ظأرت الناقة ظأرًا وظئارًا على ولد غيرها: عطفت عليه. الظِئر: العاطفة على ولد غيرها، المرضعة لولد غيرها.

(٧)
السيدة خديجة بنت خويلد (رض)

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية[١] الأسدية، زوج رسول الله ﷺ، أول من صدقت بعثته مطلقًا[٢]، قبل البعثة النبوية الشريفة، كانت تدعى الطاهرة، وأمها فاطمة بنت زائدة القرشية من بني عامر بن لؤي، كانت موسرة، رغبت في الزواج برسول الله ﷺ، لما سمعت عنه من ميسرة غلامها، مما شاهده من علامات النبوة، ومما سمعته من بحيرا الراهب، فخطبها له عمه حمزة بن عبد المطلب (رض)، فتزوجها. فولدت له أولاده[٣] كلهم إلا ابراهيم، وهم عبدالله وبناته الأربع، وكانت قبل الإسلام تسمى أم هند.

وصفتها إحدى الصحابيات، فقالت: كانت امرأة شريفة حليمة، كثيرة المال، وقالت: كانت ذات شرف وجمال، ولما تأيمت كان كل شريف من قريش يتمنى أن يتزوجها، ولما تزوجها رسول الله ﷺ، آمنت به، وعملت على تقوية قلبه، لتلقي ما أنزل الله عليه، فقال ﷺ: لقد خشيت عل نفسي، فقالت: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، وكانت تثبته وتهون عليه أمر الناس، وشهدت أنه رسول الله، وساعدته على أمور حياته، ووهبت له مولاها زيد بن حارثة (رض) الذي كان أول ذكر أسلم بعد علي كرم الله وجهه، فأعتقه رسول الله ﷺ، وتبناه قبل أن يوحى إليه.

كانت خديجة وزير صِدْق على الإسلام[٤]، فلما توفيت تتابعت عليه المصائب، واعتداءات قريش، وذلك قبل

(١) ينظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٧، وطبقات ابن سعد ٨/ ١٤، الاستيعاب ٤/ ١٨٢٠، الإصابة ٤/ ٢٨٢.

(٢) تنظر الإصابة ٤/ ٢٨٢.

(٣) في الإصابة: فولدت له القاسم وعبدالله وهو الطيب وهو الطاهر. في رواية ابن هشام: أن القاسم والطيب والطاهر هلكوا في الجاهلية. أما بناتها فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

(٤) تنظر سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦، وطبقات ابن سعد ٨/ ٧، والمحبر ١١ و ٧٧، وصفة الصفوة ٢/ ٢، وتاريخ الخميس ١/ ٣٠١.

الهجرة، بثلاث سنين[(١)].

كتب عنها عبد الحميد الزهراوي كتابًا مطبوعًا (خديجة أم المؤمنين) وكتبت بثينة توفيق كتابًا مثله[(٢)].

توفيت السَّيِّدة خديجة في ٦٢٠م أو ٣ق.هـ وقد سمي العام الذي توفيت فيه، عام الحزن، لمناسبة وفاتها، ووفاة أبي طالب لسنة ست من الوحي، فسماه النبيﷺ عام الحزن[(٣)].

-١-

قالت السَّيِّدة خديجة (رض) في تهنئة الرسول ﷺ[(*)]:

يا ابن عمّ أثبِتْ وأبشِرْ، فوالله إنه لملك، وما هذا بشيطان.

-٢-

وفي حوار مع رسول الله ﷺ، أن النبي ﷺ قال لها:

يا خديجة هذا جبريل (ع) يقرئك من ربك السلام، قالت[(**)]: الله السلام[(٤)] ومنه السلام، وعلى جبريل السلام[(٥)].

-٣-

قالت حين رغبت الزواج بالنبي ﷺ[(***)]: يا ابن عم، اني قد رغبت فيك لقرابتك، وسطتك في قومك وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك.

-٤-

ولما جاء ﷺ يخبرها بنبأ الوحي (ع) قالت[(****)]:

يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة، ورجعوا لي، ولما أخبرها قالت له: أبشر يا ابن عمّ وأثبت، فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمّة.

---

(١) في الإصابة ٤/ ٢٨٣ أنها (رض) توفيت قبل أن تفرض الصلاة، قبل الهجرة بثلاث سنوات أو أربع.

(٢) ينظر الأعلام ٢/ ٣٤٦ وأعلام النساء ١/ ٣٢٨.

(٣) ينظر ثمار القلوب ١/ ٦٤٥.

(*) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٩، وطبقات ابن سعد ٨/ ١٤، تاريخ الطبري ٢/ ٣٠٣، الاستيعاب ٤/ ١٨٢٠ والإصابة ٤/ ٢٨٣.

(**) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٨، والاستيعاب ٤/ ١٨٢٠ والإصابة ٤/ ٢٨٣.

(٤) في الاستيعاب: الله هو السلام، في الإصابة: إن الله هو السلام.

(٥) في الإصابة: السلام ورحمة الله.

(***) سيرة ابن هشام: ١/ ١٨٩.

(****) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٣٧.

ـ ٥ ـ

قالت للنبي ﷺ:

إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، وقالت: قد رغبت فيك لحسن خُلقك وصدق حديثك.

(٨)
الخنساء

تماضر بنت عمرو بن الشريد السلميّة، سميت بالخنساء لقول دريد بن الصمة[١]:

أخُناس قد هام الفؤادُ بكم
وأصابه تَبَلٌ من الحب

والخنساء الطبية، خطبها دريد فرفضته، عاشت في بيت جمع كل مقومات العزة في المجتمع العربي، وتلك المقومات السيادة والفروسية والشعر، فكان أبوها عمرو بن الشريد من سادة قومه وفرسانهم، وابنها أو ابن زوجها العباس بن مرداس من السادة والشعراء في قومه، وكان أخوها صخر شديد البر بها تحلّى بصفات كثيرة من الشجاعة والجود والسيادة، وهو السبب في اندفاعها ونظمها للشعر، فضلًا عن موهبتها في النثر، فكانت موهبة شعرية[٢] ونثرية فريدة بين النساء، وتزاحم أبرز شعراء عصرها، فتنقد أشعارهم، وتحلل وتفسّر وتوجّه.

يحدد السيد أفرام البستاني[٣] عمرها بسبعة عشر عامًا يوم زفافها سنة ٥٩٢م.

أبناؤها هم: أبو شجرة ويزيد ومعاوية وعمرة وسراقة. اتصفت الخنساء بسموّ روحها، وشدّة وفائها، وغزارة عاطفتها، وحبّها للمثل العليا، ولا أدلّ على ذلك من حزنها المرير إنما كان منبعثًا من صميم الحبّ العميق، ولم يكن من قبيل تلذّذ المرأة الذي صوّره منسيور في قوله إنّ بعض الفتيات مولعات بالبكاء[٤].

كانت الخنساء ممن وفد مع بني

(١) ينظر معاهد التنصيص ١/٣٤٨.

(٢) ينظر الشعراء المخضرمون ١٧٤.

(٣) ينظر الخنساء/ منتخبات شعرية/ المقدمة و.

(٤) ينظر الخنساء في مرآة عصرها ١/٢٨٩.

سليم إلى النبي ﷺ عام الفتح في ٨هـ[١] فوصفها رسول الله بأشعر الناس، وهو يقول: هيه يا خناس ويومئ بيده[٢] وأجمع أهل الشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها[٣].

يرجع تاريخ وفاتها في خلافة معاوية حوالي ٦٦٤م[٤] اشتهرت بوصيتها لبنيها الأربعة يوم القادسية وكانت أنموذجًا رائعًا للأم المثالية، التي دفعت أبناءها للتضحية والفداء من أجل العقيدة والمثل الإسلامية الخالدة، فكانوا شهداء أحياء عند ربّهم يرزقون.

اختُلف في تحديد مكانة الخنساء وليلى الأخيلية، وبيان أفضلهما، فالأكثرون فضّلوا الخنساء ولا سيما مراثيها، لغزارة عاطفتها وقدرتها على التعبير، ورقة ألفاظها وعذوبة كلامها. أما ليلى فكانت فصيحة جريئة مثل الخنساء، بل وكانت أجرأ منها فهي أرقّ كلامًا وأجزل لفظًا، والخنساء أكثر عفّة، وأعظم منزلة بين الصحابيّات، وكانت مقرّبة إلى نبيّ الهدى ﷺ وزوجه عائشة أمّ المؤمنين وعمر رضي الله عنهما. والحديث عنهما يطول، لو أردت الإطالة، فلا تكفي صفحات قلائل للتفصيل في بحث ذلك، إذ يكتب عنه رسائل، تبحث عن كثير من المسائل الخاصة بالأديبتين[٥].

١ ـ وصية الخنساء

دعت الخنساء بنيها ليلًا[٦]، وأوصتهم أن يشاركوا في حرب القادسية دفاعًا عن المبادئ، وجهادًا في سبيل الله تعالى، فقالت[*]:

(١) ينظر نهاية الأرب للنويري ١٨/ .

(٢) ينظر الإصابة ٤/٢٨٧.

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤/٢٨٨.

(٤) ينظر الروائع، الخنساء/ المقدمة يح.

(٥) وقد كتب الكثير من أدبائنا وباحثينا عن الخنساء فمن ذلك ما كتبته الدكتورة بهيجة الحسني مجلة آداب بغداد، عدد ١٩٧٢ والدكتور نوري القيسي ١٩٧٦ في مجلة آداب المستنصرية.

(٦) في الاستيعاب وأسد الغابة وشرح المقامات والإصابة: حضرت حرب القادسية. في صفة الصفوة: نسبت الوصية إلى الخنساء بنت عمرو النخعية، انفرد ابن الجوزي بذلك. في طبقات السبكي: شهدت معهم ـ مع بنيها الأربعة ـ.

(*) الفاضل في صفة الأدب الكامل للوشاء ٢/٨٦، والاستيعاب ٤/١٨٢٨، وصفة الصفوة ٤/٣٤٨، وأسد الغابة ٧/٨٩، وشرح المقامات للشريشي ٤/٣٩٤، وطبقات الشافعية للسبكي ١/١٣٦، والإصابة ٤/٢٨٨.

أي بَنِيَّ[(١)] إنكم بنو امرأة واحدة[(٢)]، ما خنتُ أباكم ولا فضحتُ خالكم، ولا غيّرتُ نسبكم، ولا هجّنتُ حسبكم، وقد[(٣)] ترَوْنَ الأعلاج قد ألمّتْ، فإذا كان الغداة إن شاء الله، فاغدوا[(٤)] لقتال عدوّكم مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها وضربت[(٥)] بأوراقها[(٦)]، فتمّموا[(٧)] وطيسها، وجالدوا خميسها[(٨)]، تظفروا بالنعمة[(٩)] والسلامة، والفوز والكرامة، في دار الخلد والسعادة[(١٠)].

ـ ٢ ـ

ولما بلغها استشهاد أبنائها الأربعة

---

(١) في الاستيعاب وصفة الصفوة وأسد الغابة وشرح المقامات: يا بنيّ إنّكم أسلمتم. . . في طبقات السبكي: إنكم أسلمتم.

(٢) في هذه الروايات تقديم وتأخير لبعض العبارات في الاستيعاب وأسد الغابة: أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلّا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، . . . . خالكم. . . في صفة الصفوة: يا بَنيّ إنّكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله ما بنت بكم الدار، ولا أقحمتكم السنة، ولا أرداكم الطمع، والله الذي لا إله إلّا هو، إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنتُ. . . ولا أوطأت حريمكم، ولا أبحت حماكم. في الإصابة: ولا فضحت أخوالكم. .

(٣) في الاستيعاب وأسد الغابة وشرح المقامات وطبقات السبكي: وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أنّ الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٤) في الاستيعاب وأسد الغابة وشرح المقامات وطبقات السبكي: فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين، وبالله على أعدائه= مستنصرين. في صفة الصفوة: فإذا كان غدًا. . . والباقي مثل رواية الاستيعاب.

(٥) في صفة الصفوة: قد أبدت ساقها وقد ضربت رواقها.

(٦) في الاستيعاب وأسد الغابة والطبقات: واضطرمت لظًى على سياقها وجلّلتْ نارًا على أوراقها.

(٧) في جميع المصادر فتيمموا.

(٨) في الاستيعاب وأسد الغابة والطبقات: رئيسها. . . في شرح المقامات والدر: رسيسها. .

(٩) في الاستيعاب وأسد الغابة وشرح المقامات: تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة. في الطبقات: بالنعيم والكرامة في دار الخلود والمقامة.

(١٠) فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم (الاستيعاب). وذكر ابن الجوزي: فقاتلوا حتى فتح الله للمسلمين وكانوا يُعطَوْن ألفين ألفين، فيجيئون بها، فيصبّونها في حجرها، فتقسم ذلك بينهم، حفنة حفنة، فما يغادر واحد من عطائه درهمًا. وأنا أظنّ هذه الخنساء هي خنساء ثانية ألقت الوصيّة نفسها والنصح على بنيها الأربعة، إذ أنه لم يذكر شهادتهم.

قالت(*):

الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته.

ـ ٣ ـ قصّة الصّدار

سألت السيّدة عائشة أم المؤمنين الخنساء وقالت(**):

يا خنساء أتلبسين الصّدار، وقد نهى عنه رسول الله ﷺ، قالت: لم أعلم بنهي رسول الله ﷺ، وكان للصدار سبب، كان زوجي رجلًا متلافًا، فأملق، وأراد أن يسافر، فقلت له: أقم حتى آتي أخي صخرًا، فأتيته فشاطرني ماله، فأتلفه زوجي، فعدت إليه، فعاد بمثل ذلك. فأتلفه زوجي فعدت إليه الثالثة والرابعة، فقالت له زوجته:

إنّ هذا المال مُتلَف، فامنحها شرار مالك. فقال: والله لا أمنحها شرارها. فلما هلكَ اتخذتُ هذا الصدار.

ـ ٤ ـ

نظر عمر بن الخطاب (رض) إلى الخنساء[1] وبها ندوب في وجهها فقال:

ما هذه الندوب يا خنساء، قالت(***):

كنت أبكي لصخر من القتل، فأنا أبكي له اليوم من النار.

ـ ٥ ـ

وقالت أيضًا(****):

إنّي رزئتُ فارسًا لم يُرزأ أحدٌ مثله. قال:

إنّ في الناس من هو أعظم مرزأة منكِ، وإنّ الإسلام قد غطّى ما قبله. وإنّه لا يحلّ لك لطم وجهكِ، ولا كشف رأسكِ. فكفّتْ عن ذلك.

ـ ٦ ـ

وقالت(*****):

(*) الاستيعاب ٤/١٨٢٩، وأسد الغابة ٧/ ٨٩، وشرح المقامات ٤/٣٤٩، وطبقات السبكي ١/١٣٦، والإصابة ٤/٢٨٨.

(**) شرح المقامات للشريشي ٤/٣٤٩.

(١) العقد الفريد ٣/ ٣٤، وشرح المقامات للشريشي ٤/ ٣٥٤. في رواية الشريشي: رأى عمر بن الخطاب (رض) الخنساء، تطوف بالبيت محلوقة الرأس، تبكي وتلطم خدها، وقد علّقت نعل صخر في خمارها، فوعظها.

(***) عيون الأخبار ٢/ ٢٩٨، والعقد الفريد ٣/ ٣٤.

(****) شرح المقامات للشريشي ٤/ ٣٤٩.

(*****) العقد الفريد ٣/ ٣٤.

من طول البكاء على إخوتي، قال لها عمر (رض):

أخواك في النار، قالت: ذلك أطول لحزني عليهما، إني كنت أشفق عليهما من النار، وأنا اليوم أبكي لهما من النار.

- ٧ -

قالت الخنساء:

ما زاد شيء إلّا نقص، ولا قام إلّا شخص.

- ٨ -

لما تزوجت عمرة بنت مرداس بن أبي عامر، قالت لها أمها الخنساء يوم عرسها، وكانت عمرة وطئت قدم أمها لتمازحها(*):

والله [1]... أنا واللّه كنتُ أكرمُ منك بعلًا، وأرقُّ منك نعلًا، وأحسنُ منك عرسًا، وأتمّ منك أنسًا، إذ كنت فتاة أعجب الفتيان، أشرب اللبن غضًا قارصًا، ومحضًا خالصًا، لا أنهش اللحم، ولا أذيب الشحم، ولا أرعى البُهم، كالمهرة الصنيع، لا مضاعة ولا عند مُضيع، عقبلة[2] الحِسان الحور، أضيء في طُخيّة الديجور، وذلك في شبيبتي قبل شيبي، وقامت مغضبة.

- ٩ - حوار الخنساء(**)

قيل للخنساء: صفي لنا أخويك صخرًا ومعاوية، قالت:

كان صخر والله جنة الزمان الأغبر، وذعاف الخميس الأحمر، وكان والله معاوية القائل الفاعل.

قيل لها: فأيهما كان أسخى وأفخر؟ قالت: أما صخر فحرّ الشتاء، وأما معاوية، فبرد الهواء.

قيل لها: فأيّهما أوجع وأفحش؟ قالت: أما صخر فجمر الكبد، وأما معاوية فسقام الجسد.

(*) نثر الدر للآبي ٤/ ١٠٠، وشرح ديوان الخنساء ١٢.

(١) في شرح ديوان الخنساء: قالت: أفّ لك يا حمقاء إنني كنت أحسن منك عرسًا، وأطيب ورسًا، وأبسط منك عرفًا، وأرقّ منك نعلًا، وأكرم منك بعلًا، وذلك إذ كنت فتاة أعجب الفتيان، لا أذيب الشحم... فتعجب القوم من غيظها من ابنتها.

(٢) العقبول و العقبولة: الشدائد وبقايا العلّة وأظنها العقيلة بالياء.

(**) العقد الفريد ٣/ ٣٤.

ـ ١٠ ـ

قيل للخنساء(*): لم يكن صخر كما وصفتِ، قالت: كيف ذاك فوالله لقد كان نديّ الكفّين يابس الجنْبين، يأكل ما وجده، ولا يسأل عما عهده.

ـ ١١ ـ وصيّة الخنساء لابنتها

روي أن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي، أرسل إلى نسوة من العرب يخطب إليهنّ إحدى بناتهنّ، فطلب إلى كل واحدة منهن أن تخبره عن بنتها، فقالت الخنساء(**):

عندي منتهى الوصاف، دفيّة اللحاف، قليلة الخلاف، فلما تزوجها قال: ما أوصتك به أمك؟ قالت:

قالت لي لا تجلسي بالفناء، ولا تكثري من المراء[1] واعلمي أن أطيب الطيب الماء.

(*) نثر الدرّ للآبي ٤/١٠١.

(**) بلاغات النساء ٩١، ذكرت هذا الحديث على الرغم من كونه جاهليًا، لاتصاله بأدب الخنساء، ولا يمكن فصله عن أدبها الإسلاميّ.

(١) المراء: الجدال والشك.

(٩)

خولة بنت الأزور الأسدي (خطيبة الفتوحات)

فارسة عربية شجاعة أخت ضرار بن الأزور بن أوس بن خزيمة الأسدي[١]، أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام، يقال له صحبة، إذ قال: أهديت لرسول الله ﷺ، لقمة فأمرني أن أحلبها فجهدت حلبها[٢]، وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد في حروب الردة، وحضر وقعة اليرموك، وفتح الشام، فكانت أخته معه يوم فتح الشام واليرموك، فأظهرت خولة بطولة متميزة، فاقت فيها كثيرًا من الرجال، ولم يكن يعرف أحد أنها امرأة، إذ المعروف لدى الكثير أن بعض الرجال لا يريد، أن تغلبه المرأة، أو تتفوق عليه شجاعة أو علمًا، أو منزلةً، لذلك أنكر القوم هذا الفارس الشجاع وظنوه خالد بن الوليد، إلّا أنّهم سرعان ما عرفوا فضل هذه المرأة البطلة، فأنشدت شعرًا حرضت المقاتلين، وافتخرت ببنات حمير أي قومها، ومن المعروف أن بني أسد هم في الأساس من اليمن من حمير، وحين أسر أخوها ضرار خطبت المقاتلين، وأنشدت أشعارًا حماسية، تثير الشجن، وتحرّض على قتال الروم، وقد عزمت على نيل النصر، والفخر والاعتزاز بالجهاد في سبيل الله ونيل الآخرة.

١ - حوار خولة بنت الأزور الأسدي وخالد بن الوليد

خرجت امرأة رشيقة جميلة، فارعة الطول، شجاعة مع أخيها إلى الشام،

---

(١) ينظر الأنساب للسمعاني ١/ ٢١٤ أنساب الأشراف ١/ ٢٢٨، وبنو أسدهم بطن من الأزد.

(٢) ينظر الإصابة ٢/ ٢٠٨ وديوان أشعار النساء (خولة) للمزيد من التفاصيل.

أيام أبي بكر (رض) ففاقت كثيرًا من الرجال فروسية، وبسالة، وكانت ملثّمة، لا يُرى منها إلا العينان، فظنّ المسلمون أن هذه بطولة خالد بن الوليد وشجاعته، ولكنهم سرعان ما رأوا خالدًا قد انبهر بهذا الفارس وأعجب به. فقال خالد:

ويحكَ لقد شغلتَ قلوبَ الناس، وقلبي بفعلكَ، من أنت؟! وبعد إلحاح خالد أجابَ ذلك الفارس(*):

إنّني أيها الأمير لم أعرضْ عنكَ إلّا حياءً منك، لأنّكَ أميرٌ جليل، وأنا من ذوات الخدور، وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك، أني محرقةُ الكبد، زائدةُ الكمد.

قال خالد: من أنت؟!

قالت: أنا خولة بنت الأزور، أختُ ضرار المأسور بيد المشركين، وإني كنت مع بنات العرب، وقد أتاني الساعي، بأن أسير، فركبت وفعلت ما رأيت.

ـ ٢ ـ

ولما جاهدت لتخليص أخيها من الأسر، بكت، وقالت(**):

ليت شعري في أيِّ البيداء طرحوكَ، أم بأيِّ سنانٍ طعنوكَ، أم بأيِّ حسام قتلوكَ، يا أخي أختُك لكَ الفداء، لو أني أراكَ أنقذتكَ من أيدي الأعداء، ليت شعري، أترى أني أراكَ بعدها، أبدًا، فقد تركتَ يا ابنَ أمي في قلب أختك جمرةً، لا يخمدُ لهيبُها، ولا يطفأ سعيرها، ليت شعري ألحقتَ بأبيكَ المقتول، بين يدي النبي ﷺ، فعليك مني السلام، إلى يوم اللقاء(١).

ـ ٣ ـ

وقالت خولة تحضّ النساء على الصبر في أرض المعركة(***):

لا ينفكّ بعضكنّ عن بعض، وكنّ كالحلقة الدائرة، ولا تتفرّقنَ، فتملكنَ، فيقع بكنّ التشتيت واحطمنَ رماح القوم، واكسرْنَ سيوفَهم.

ـ ٤ ـ خطبة خولة بنت الأزور(****)

(*) الدرّ المنثور ١٨٤.

(**) الدرّ المنثور ١٨٤.

(١) في الدر المنثور: (فبكى الناس من حولها) وهذه القطعة في الرثاء والتأبين، ظنًّا منها أنه قتل.

(***) فتوح الشام للواقدي ١/ ١٨٣ الدرّ المنثور ١٨٥.

(****) فتوح الشام للواقدي ١/ ١٨٣، و٢/ ٤٧ والدر المنثور ١٨٥، وديوان أشعار النساء ق٢ ص٤٧.

خطبت خولة بعد أسر النسوة في وقعة صحورا من أعمال الشام، فقالت:

يا بنات حمير، وبقية تبع، أترضَيْنَ لأنفسكنّ علوجَ الروم ويكونُ أولادكنّ عبيدًا لأهل الشرك، فأين شجاعتكنّ وبراعتكنّ، التي تتحدثُ بها عنكنّ أحياءُ العرب، ومحاضرُ الحضَر، وإنّي أراكنّ بمعزل عن ذلك، وإنّي أرى القتل عليكنّ أهون من هذه الأسباب، ونزل عليكنّ من خدمة الروم.

ـ ٥ ـ

وقالت خولة أيضًا(*):

يا بنات التبابعة، خذوا أعمدة الخيامِ وأوتادَ الأطناب، ونحملُ بها

(*) المصادر نفسها.

(**) المصادر السابقة نفسها.

على هؤلاء اللئام فلعلّ الله ينصرُنا عليهم، فنستريحَ من معرّة العرب.

ـ ٦ ـ

وحين أُسر أخوها ضرار في مرج دابق أنشدتْ شعرًا، وبكت، وقالت(**):

إنا لله، وإنا إليه راجعون، فوالله لأخذنا بثأره إن الله تعالى.

ـ ٧ ـ

وحين أُسر ضرار للمرة الثالثة، في وقعة دير المسيح من أرض البهنا قالت(***):

قد أجاب الله دعاءكَ، وقبل تضرّعكَ، أنا خولة(١).

(***) فتوح البهنا، والدرّ المنثور ١٨٥ وديوان أشعار النساء ق٢ ص٤٧.

(١) في هذه المعركة: كبّرتْ خولة، وحملتْ وحمل معها القومُ حتى حرّروا ضرارًا من الأسر. توفيت في أواخر خلافة عثمان (رض)، يمكن مراجعة ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام ففيه تفصيل حياة خولة، وجهادها.

(١٠)

خولةُ بنتُ ثعلبةَ (المجادِلة)

ابن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم[١] وقيل خولةُ بنتُ مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غنم[٢] وقيل خويلةُ وفي رواية خولةُ بنت حكيم[٣]. تزوجها أوسُ بنُ الصامت الواقفي، ابنُ عمها، وكان رجلًا به لمم[٤]، فقال لابنة عمّه: أنتِ عليَّ كظهر أمي، فقالت: والله لقد تكلمتَ بكلام عظيم، ما أدرى ما يبلغُه. ثم عمدتْ إلى رسول الله ﷺ، وأعلمته بما حدث، فأرسل إلى أوس بن الصامت، وقال له:

لا تدنُ منها، ولا تدخل حتى آذن لك، فقالت خولة: يا رسولَ الله، ما لَهُ من شيء، وما يُنفقُ عليه إلَّا أنا، وكان بينهم في ذلك كلامُ ساعة، ثم أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ...﴾[٥] فأمرهُ رسولُ اللّه ﷺ، بكفارة الظِهار[٦]، فقال أوس: لولا خولةُ هلكتُ.

ومن المعروف أنَّ الظِهار كان شائعًا قبل الإسلام، ومن ظاهَر حَرُمتْ عليه امرأته آخر الدهر، ويروى أنَّ الخليفة عمر (رض) خرجَ ومعه الناسُ، فمرّ بعجوز فاستوقفته، فوقف، فجعل يحدّثها وتحدّثه، فقال له رجل:

يا أميرَ المؤمنين، حبستَ الناسَ على هذه العجوز، فقال:

ويلكَ، أتدري من هي؟ هذه امرأةٌ يسمعُ الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولةُ بنتُ مالك بن ثعلبة، التي أنزلَ الله فيها ﴿قَدْ سَمِعَ...﴾ والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧٨.

(٢) ينظر الإصابة ٤/ ٢٨٩.

(٣) ينظر المصدر نفسه، والاستيعاب ٤/ ٢٩٠.

(٤) اللمَم: جنون خفيف يلم بالإنسان، صغار الذنوب.

(٥) سورة المجادلة: الآية ١.

(٦) كفارة الظهار: أما أن يعتق رقبة أو يصوم شهرين متتابعين، أو يطعم ستين مسكينًا.

أرجع إليها[١].

ـ ١ ـ حوار

قال أوس بن الصلت لزوجته خولة بنت ثعلبة[*]: أنتِ عليّ كظهرِ أمي. قالت:

واللهِ لقد تكلمت بكلام عظيم، ما أدرى ما يبلغُه!! فلمّا علم رسول الله ﷺ بذلك، أمره أن لا يدنوَ منها حتى يأذنَ له. فقالت خولةُ: يا رسولَ الله، ما له من شيء وما ينفقُ عليه إلا أنا[٢].

ـ ٢ ـ

وقالت[**]:

يا رسولَ الله إنّ أوسًا من قد عرفتُ، أبو ولدي، وابنُ عمي، وأحبُّ الناس إليّ، وقد عرفت ما يصيبُه من اللمَم، وعجزِ مقدرته، وضعفِ قوتهِ وعيِّ لسانهِ، وأحقّ من عاد عليه أنا بشيء إن وجدته، وأحقّ من عاد عليّ بشيء إن وجده هو، وقد قال كلمة، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقًا.

فقال رسول الله ﷺ: ما أراكِ إلّا قد حُرِمتِ عليه!!

فلما سرّى عن رسولِ الله ﷺ[٣]، ظنّتْ خولةُ أنه سيفرّق بينهما، فتبسّم رسول الله ﷺ فقال: يا خولةُ، قالت: لبيكَ، قال: قد أنزلَ الله فيكِ وفيه. ثم قال: مُريهِ أن يعتقَ رقبة.

قالت: وأيّ رقبة! واللهِ ما يجدُ رقبة وما له خادمٌ غيري. قال: مُريهِ فليصمْ شهرين متابعين.

قالت: واللهِ يا رسول الله ما يقدرُ على ذلك، إنه ليشربُ في اليوم كذا وكذا مرة، قد ذهب بصرهُ مع ضعفِ بدنهِ، وإنما هو كالخرشافة.

قال: فمريه فليطعمْ ستين مسكينًا.

قالت: وأنّى له هذا؟ وإنما هي وحية.

قال: فمريه فليأت أم المنذر بنت قيس، فليأخذ منها شطر وسق تمرًا

---

(١) ينظر الإصابة ٤/ ٢٩٠.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧٨.

(٢) أمره رسول الله ﷺ بعد أن نزلت سورة المجادلة، أن يكفر عن ذنبه بكفارة الظهار، وكان أوس أول من ظاهر في الإسلام. فقال له ﷺ: لولا خولة لهلكت. (طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧٨)

(**) المصدر السابق نفسه.

(٣) أي أنزل عليه القرآن بسورة المجادلة. الخرشافة: الأرض الغليظة لا يُستطاع أن يمشى فيها وإنما هي كالأضراس، الخرشفة: الاختلاط في الكلام.

فليتصدق به على ستين مسكينًا. وعادت إلى زوجها فقال: ما وراءك؟ قالت: خيرًا وأنت دميم، قد أمرك رسولُ الله أن تأتي أم المنذر بنت قيس، فتأخذَ منها شطر وسق تمرًا، فتتصدق به على ستين مسكينًا.

قالت خولةُ: فذهب من عندي يعدو حتى جاء به على ظهرِهِ، وعهدي به لا يحملُ خمسة أصدع. فجعل يطعم مُدَّين من تمرٍ لكلّ مسكين.

ـ ٣ ـ حوار خولة وعمر (رض)

خرج الخليفةُ عمرُ بنُ الخطاب (رض) ومعه الجارودُ العبدي[١] فإذا بامرأة برزتْ على ظهر الطريق، فسلّم عليها، فقالت[*]:

هيهاتَ يا عمير[٢]، عهدتُكَ وأنتَ تسمى عميرًا[٣] في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاكَ[٤] فلم تذهبِ الأيامُ حتى سُميتَ عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُميتَ أميرَ المؤمنين، فاتّقِ الله في الرعية، واعلم أنه من خافَ الوعيد قرُبَ عليه البعيد، ومن خافَ الموت، خشِيَ عليه الفوْتُ.

فقال الجارود: قد أكثرتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر:

دعها، أما تعرفها! فهذه خولة بنت حكيم، امرأة عبادة بن الصامت[٥]، التي سمع الله قولها من فوق سبعِ سموات، فعمرُ والله أحقّ أن يسمع لها.

(١) الجارود العبدي: الجارود بن المنذر العبدي، وهما اثنان بالاسم نفسه، من الصحابة، أسلم وحسن إسلامه، وهو صهر أبي هريرة، قتل في ٢١هـ (الإصابة ١/ ٢١٧).

(*) الاستيعاب ٤/ ١٨٣١ والإصابة ٤/ ٢٩٠.

(٢) في الإصابة: ها يا عمر.

(٣) الأصحّ: عمير لأنه نائب فاعل.

(٤) في الإصابة: نزع الصبيان...

(٥) في طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧٩ والاستيعاب ٤/ ١٨٣١ بإشارة ابن عبد البر والإصابة ٤/ ٢٩١ أنه أوس بن الصامت وليس عبادة. وأوس هو الأصحّ. وفي الروايات بعض الاختلاف في اسم المرأة واسم زوجها.

(١١)
رملة بنت أبي سفيان أم حبيبة (رملة)[1]

بنتُ أبي سفيان بن صخر بن حرب بن عبد شمس الأموية، زوجُ النبي ﷺ، وكنيتُها أمُّ حبيبة، قيل أنّ اسمَها هند أو رملة، وُلدتْ قبل البعثة بسبعة عشر عامًا. هاجرتْ إلى الحبشة مع زوجها عبيدالله بن جحش الأسدي حليف بني أمية، ولكنه تنصّر هناك وارتدّ ومات مشركًا.

أرسل النبي ﷺ إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة ويبعثَ بها إليه، قدمت المدينة ولها بضع وثلاثون سنة[٢]. فقدم أبوها أبو سفيان إلى المدينة وكان عدوًا للرسول ﷺ، قبل الفتح، ودخلَ بيتَ ابنته فمنعتهُ من الجلوس على فراش رسول الله ﷺ وقالت له[٣]:

بل هو فراشُ رسول الله ﷺ، وأنت امرؤ نجسٌ مشرك، وكان يقول: ذلك الفحلُ لا يُقرع أنفهُ. ولما توفي أبوها لم تحدّ عليه إلا ثلاثة أيام امتثالًا لأمر الرسول ﷺ توفيت سنة ٤٤هـ[٤].

١ ـ قصّة «الورس والعنبر» ترويها أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

تزوّجَها عبيدُالله بن جحش فولدتْ له حبيبةُ، هاجرتْ معه إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فتنصّر وارتدّ عن الإسلام وثبتتْ هي على الإسلام. قالت[*]:

رأيتُ في النوم عبيدُالله بنَ جحش

(١) الإصابة: ٤/٣٠٦.
(٢) طبقات ابن سعد ٨/٩٨.
(٣) المصدر نفسه ٨/٩٩.
(٤) المصدر نفسه ٨/١٠٠.
(*) طبقات ابن سعد ٨/٩٦، وتاريخ الطبري ٢/٦٥٣ والاستيعاب ٤/١٩٣٠ والإصابة ٤/٣٠٥ رويت القصّة في هذه المصادر مع بعض الاختلاف في النص طولًا وقصرًا. جرت أحداث هذه القصة قبل فتح مكة ٧هـ أو ٦هـ (الإصابة) و (تاريخ الطبري).

زوجي بأسوأ صورة، وأشوهه[١]، ففزعتُ، فقلتُ: تغيّرتْ واللهِ حالهُ، فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أمّ حبيبة إني دنْتُ بها، ثم دخلتُ في دين محمدٍ، ثم قد رجعتُ إلى النصرانية، فقلتُ: واللهِ ما خيرٌ لك. وأخبرتُه بالرؤيا التي رأيتُ له، فلم يحفلْ بها، وأكبَّ على الخمر حتى مات. فأرى في النوم كأنّ آتيًا يقول: يا أمّ المؤمنين ففزعتُ، فأوّلتُها أنّ رسول الله يتزوجُني. قالت: فما هو إلّا أن انقضتْ عدّتي، فما شعرتُ إلّا برسول النجاشي على بابي، يستأذن فإذا جارية له، يقال لها أبرهةُ، كانت تقوم على ثيابه ودهنهِ، فدخلتْ عليّ، فقالت: إن الملكَ يقولُ لكِ إنّ رسولَ الله ﷺ كتبَ إليّ أن أزوّجكِه. فقالت: بشّركِ اللهُ بالخير، قالتْ: يقول لكِ الملكُ وكّلي مَنْ يُزوجُكِ. فأرسلتْ إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكّلته، وأعطتْ أبرهةَ سوارين من فضة، وخدمتين كانتا في رجليها، وخواتيم فضة، كانت في أصابع رجليها سرورًا بما بشّرتْها[٢].

وخطب النجاشيُّ وحضَر جعفرُ بنُ أبي طالب، وتمّتِ الخطبةُ. وقالت أمُّ حبيبة:

فلما وصل إليّ المال (أي الصداق الذي قيمتهُ أربعمائة دينار) أرسلتُ إلى أبرهةَ التي بشّرتني، فقلتُ لها:

إنّي كنتُ أعطيتكِ ما أعطيتكِ يومئذٍ، ولا مالَ بيدي، فهذه خمسون مثقالًا، فخذيها فاستعيني بها، فأبتْ فأخرجتْ حُقًّا فيه كلّ ما كنتُ أعطيتُها فردّتْهُ عليّ، وقالت: عزم عليَّ الملكُ أن لا أرزأكِ شيئًا، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد ابتعتُ دينَ محمد رسول الله ﷺ، وأسلمتُ لله. وقد أمر الملكُ نساءه أن يبعثنَ إليكِ بكلّ ما عندهنّ من العطرِ قالت:

فلما كان الغدُ جاءتني بعودٍ وورس[٣]، وعنبر وزباد كثير، فقدمتُ بذلك كلّهِ على النبي ﷺ فكان يراه عليّ وعندي، فلا ينكرُه. ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليكِ أن تُقرئي رسولَ الله السلامَ، وتُعلميهِ أنّي قد

(١) الصحيح (أشوهها).

(٢) في تاريخ الطبري: جاءت أبرهة فأعطتها خمسين مثقالًا. في الإصابة: فلما وصل إليّ المال أعطيت أبرهة خمسين دينارًا.

(٣) في تاريخ الطبري: وقد أمر الملكُ نساءه أن يبعثنَ إليكِ، بما عندهن من عود وعنبر.

اتبعتُ دينَه. قالتْ:

ثـم لـطُـفـتْ بـي، وكـانـت الـتـي جهّزتـنـي، فكانـت كـلمـا دخلت عليّ تقول: لا تنسَي حاجتي إليكِ. قالت:

فـلمـا قـدمـتُ عـلى رسـول الله ﷺ أخبرتُه كيف كانت الخطبةُ، وما فعلتْ بي أبرهةُ، فتبسّم رسولُ الله ﷺ وأقرأته منها السلام. فقال: وعليها السلامُ ورحمةُ الله وبركاته.

قالت أم حبيبة(*):

فخرجْنا في سفينتين وبعثَ معنا النواتي حتى قدِمنا الجار[١]، ثم ركبنا الظهرَ إلى المدينة، فوجدْنا رسولَ الله ﷺ بخير، فخرجَ مَنْ خرج إليه، وأقمتُ بالمدينة حتى قدِم رسولُ الله ﷺ فدخلتُ إليه، فكان يسألني عن النجاشي.

ـ ٢ ـ أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ

جاءت على بغلة لها برِحالة مشتملة على إداوة، فقيل لها: أم المؤمنين، فضربوا وجهَ بغلتها فقالت(**): إنّ وصايا بني أميّة إلى هذا الرجل، فأحببتُ أنْ ألقاه فأسألَهُ عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل[٢].

ـ ٣ ـ

قالت:

قد كان يكون بيننا وبين الضرائر، فغفر اللهُ لي ولكِ، ما كانَ من ذلك[٣]، فقالت عائشة: غفر الله لكِ ذلك كلَّه، وتجاوزَ، وحلّلكِ من ذلك. فقالت أم حبيبة: سررتِني سرّكِ الله.

(*) تاريخ الطبري ٢/ ٦٥٣.

(١) الجار: ميناء أو مرفأ على البحر الأحمر بين المدينة والحبشة.

(**) تاريخ الطبري ٤/ ٣٨٦.

(٢) كادت أن تقتل أمُّ حبيبة حين قطعوا حبلَ بغلتها...

(٣) الحديث كان موجّهًا إلى السّيِّدة عائشة (رض).

(١٣)
زينبُ بنتُ جحش الأسديّة[١]

أمُّ المؤمنين بنتُ عمة النبي ﷺ أميمةَ بنتِ عبد المطلب، تزوّجها الرسولﷺ ٣هـ أو ٥هـ، نزلتْ بسببها آيةُ الحجاب، وفيها نزلت ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[٢] عُرفتْ بجمالها وورعها، ومنزلتها المقدسة عند الله تعالى والرسول ﷺ إذ قالت زينب[٣]:

يا رسولَ الله إنّي والله ما أنا كإحدى نسائكَ، ليستِ امرأةٌ من نسائك إلّا زوّجها أبوها وأخوها أو أهلها أو غيرى، زوّجنيكَ اللهُ من السماء.

وصفتْها أمُّ سلمةَ أم المؤمنين فقالت[٤]: وكانتْ لرسول الله ﷺ معجِبةً، وقالت: كانت صالحةً صوامة قوّامة، صناعًا، تتصدّقُ بذلك كلّه على المساكين.

كان اسمُها (برّة)، فلما دخلت على النبي ﷺ سماها زينب. وحين علمتْ زينبُ بتزويج رسول الله ﷺ سجدتْ[٥].

-١-

قالت عائشة أمّ المؤمنين (رض)[٦]:

قال رسولُ اللهﷺ يومًا لنسائه: أسرعُكنّ لحوقًا بي أطولُكنّ يدًا. قالت: فكنَّ يتطاولنَ أيّتهُنّ أطولُ يدًا، قالت: فكانت أطولَنا يد زينبُ، لأنها كانت تعملُ بيدها وتتصدّقُ. وقالت: ولم تكنِ امرأةٌ خيرًا منها في الدّين، وأتقى للهِ تعالى، وأصدقَ حديثًا، وأوصلَ للرحم، وأعظمَ صدقة، وأشدَّ تبذّلًا لنفسها في العمل الذي تتصدّقُ به وتتقرّب به إلى الله عزّ وجلّ. توفيت زينبُ وهي ابنةُ ثلاث

(١) أسد الغابة ٧/ ١٢٥، الإصابة ٤/ ٣١٣.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٧.
(٣) ينظر الإصابة ٤/ ٣١٣.
(٤) ينظر المصدر نفسه.
(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٠.
(٦) ينظر الاستيعاب ٤/ ١٨٥١.

وخمسين سنة[(١)].

وكانت سودة وزينب لا تحجّ بعد رسول الله ﷺ وقالت[(*)]: لا تحرّكنا دابة بعد رسول الله ﷺ.

قالت زينب بنت جحش[(**)]:

اللّهمّ لا يدركني هذا المالُ من قابلٍ فإنّه فتنةٌ[(٢)].

ـ ٢ ـ

قالت زينبُ تخاطب نساءَ النبيّ ﷺ[(***)]:

إن آباءكنّ أنكحوكنّ، وإنّ الله أنكحني إيّاه[(٣)].

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ١١٥ وفي أسد الغابة ٧/ ١٢٥ روي أنها توفيت في ٢٠هـ ودفنت بالبقيع.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٥٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ١١٠، والإصابة ٤/ ٣١٤.

(٣) كان عطاء زينب اثني عشر ألفًا لم تأخذه إلّا عامًا واحدًا. كانت تقسم كلّ ما لديها في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ ذلك عمرَ (رض) فقال: هذه امرأة يُراد بها خيرٌ، فأرسل لها ألف درهم تستبقيها لنفسها، فسلكت ذلك المسلك.

(***) أسد الغابة ٧/ ١٢٦.

(٤) تزوج النبي ﷺ زينب وهي بنت ٣٥ سنة، توفيت سنة ٢٠هـ وكانت أول نساء النبي ﷺ لحوقًا به وقيل توفيت وهي بنت خمسين أو ٥٣ سنة.

ـ ٣ ـ وصيّة زينب، قالت[(****)]:

إنّي قد أعددتُ كفَني، ولعلّ عمرَ سيبعثُ إليّ بكفنٍ فإن بعثَ بكفنٍ فتصدّقوا بأحدِهما، إنِ استطعتُم إذا دلّيتموني أن تصدقوا بحقوي فافعلوا[(٤)].

ـ ٤ ـ

قالت زينب[(*****)]:

لما جاءني الرسول بتزويج رسولِ اللهِ ﷺ إيّايَ جعلتُ للهِ عليّ صومَ شهرين، فلما دخل عليّ رسول الله ﷺ، كنتُ لا أقدرُ أن أصومَها، في حضَر ولا في سفَر تُصيبني فيه القرعةُ، فلما أصابتني القرعة في المقام صمتُهما.

ـ ٥ ـ

وقالت[(******)]: يا رسول الله إني والله ما أنا كأحد من نسائك، ليست امرأة من نسائك إلّا زوّجها أبوها أو أخوها وأهلها غيرى، زوجنيك الله من السماء.

(****) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٩ والإصابة ٤/ ٣١٤، حقوي: الحقو: الخصر، الإزار يشدّ على الحقو.

(*****) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٢.

(******) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٢.

(٥) وفي رواية أخرى: إنهنّ زوّجهنّ بالمهور، وزوّجهنّ الأولياء، وزوجني الله ورسوله، وأنزل فيّ الكتاب يقرأ به المسلمون لا يبدّل ولا يغيّر.

ـ ٦ ـ

وقـالـت(*): زوّجـكـنّ أهـلكـنّ،

وزوّجني الله من فوق سبع سموات.

(*) المصدر نفسه ٨/١٠٣.

(١٣)

زينبُ بنتُ أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية

قالتْ حين قُتل ولداها يوم الحرّة(*):

إنا لله وإنا إليه راجعون، واللهِ إنّ المصيبة عليّ فيها كبيرة وهي عليّ في هذا أكبر منها في هذا، أما هذا فجلس في بيتهِ، فكفّ يدهُ، فدخل عليه، وقُتل مظلومًا، وأنا أرجو له الجنّةَ. وأما هذا فبسطَ يدهُ، فقاتلَ حتى قُتل، فلا أدري على ما هو في ذلكَ، فالمصيبة به عليّ أعظمُ منها في هذا.

(*) الاستيعاب ٤/ ١٨٥٥، وأسد الغابة ٧/ ١٣٢، كانت زينبُ بنت أم سلمة ربيبةَ رسول الله ﷺ. وولداها ابنا عبد الله بن زمعة. كانت زينب من أفقهِ نساء أهل زمانها وهي التي نفخ رسولُ الله ﷺ في وجهها، فلم يزل ماءُ الشباب في وجهها حتى عجزتْ وكبرتْ.

يوم الحرّة: الحرّة: أرض فيها حجارة سوداء، يوم الحرّة: أو وقعة الحرّة، في المدينة أيام يزيد بن معاوية، بسبب خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، وأقرّوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذي غسلته الملائكة يوم أحد، ولم يوافق أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم (سيرة ابن هشام ٣/ ٢٠٧).

(١٤)
سَفّانةُ بنتُ حاتِم الطائي

جاريةٌ حمّاءُ، حوراءُ العينين، لعساءُ، لمياءُ، شمّاءُ الأنف، معتدلةُ القامة، ردماءُ الكعبين، خدلجة الساقين، لفّاء الفخذين، خميصةُ الخصر، ضامرةُ الكشحين، مصقولة المتنين[١]، فقال الإمام علي كرم الله وجهه:

أُعجبتُ بها فقلتُ[٢]: لأطلبنّها إلى رسول الله ﷺ ليجعلَها في فَيْئي، فلما تكلمتْ، أُنسيت جمالَها لما سمعتُ من فصاحتِها.

كانت سفّانةُ من أجود نساء العرب، كان أبوها يُعطيها الصّرمةَ بعد الصرمة، من إبله، فتعطيها الناس. فقال أبوها لها[٣]: إنّ القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه فأما أن أعطي فتمسكي أو أمسك وتعطي، فإنه لا يبقى على هذا شيء.

وورثتْ سفّانةُ الكرَمَ عن أبيها حاتِم وجدّتها أمّ حاتم، عتبةَ بنتِ عفيف التي كانت من الجود بمنزلةِ حاتِم، لا توفرُ شيئًا، ولا يسألها أحدٌ شيئًا فتمنعه، وكانت ذات يسار، وهي من أسخى الناس، وأقراهم للضيف، وكانت لا تمسكُ شيئًا تملكهُ، والحديث عن كرمها يطول فطوبى للكرماء. وقالت سفانة لأبيها: منكَ تعلمتُ مكارم الأخلاق.

يُروى أن النبي ﷺ وجّه الإمام عليّ كرّم الله وجههُ[٤] في سريّة إلى بلاد طيء، في ربيع الآخر سنة ٩هـ، فأغار عليهم، فسبى، وأخذ سيفين كانا في بيت الصنم يقال لأحدهما رَسوبُ والآخرُ المِخذَمُ، وكان لهما ذِكر، وقد

(١) ينظر الأغاني ١٦/٩٦. السفّانة: اللؤلؤة. حماء: سوداء، لون بين الدهمة والكمتة. لعساء: كان في شفتها لعس وهو مستحسن. ردماء: ردم الثوب: رقعه، صار خلقًا باليًا. خدلجة: ممتلئة الساقين.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر المصدر نفسه ١٦/٩٧.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١١٢.

اختُلف في ديانة طي، فرواية الطبري[١] تشير إلى أنّهم كانوا مشركين، وروايات أخرى تشير إلى تنصّرهم[٢]، ومهما يكن من شيء، فإن أبناء طيء بعد أن عرفوا الإسلام على حقيقته، وعرفوا أخلاق النبي ﷺ آمنوا بالإسلام وحسُن إسلامهم.

وقد هرب عَدِيّ بنُ حاتم بأهله إلى الشام، وهُم على النصرانية[٣]، وخلّف أختَه سفّانة في الحاضر، وخالفته خيل رسول الله ﷺ، فأصابتْ ابنةَ حاتم فيمن أصابته فقُدم بها على النبي ﷺ مع السبايا، فخاطبته المرة الأولى بباب المسجد، وكانت امرأةً جزلة[٤] حين قالت له: يا رسول الله هلكَ الوالدُ.. قال لها: من وافدُكِ؟ قالت: عديّ. فقال: الفارّ من الله ورسوله؟ قالت[٥]: ثم مضى وتركني، حتى إذا كان الغد مرّ بي وقد يئست. فلما كلّمته أكرمها وأحسَنَ مثواها.

(١) المصدر نفسه.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٥٧٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه والبيان والتبيين ٢/٢٨ ظ ١٩٨٥.

(٥) تاريخ الطبري ٣/١١٢.

١ ـ خطاب سفانة

قالت[*]: يا رسولَ الله، هلكَ الوالد، وغاب الوافد فامننْ عليّ منّ الله عليكَ[٦].

قال: ومن وافدُكِ؟ قالت: عديُّ بنُ حاتم. قال: الفارّ من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، وقد يئستُ منه[٧] فأشار إليّ رجل من خلفهِ أنْ قومي فكلّميه، قالت: فقُمتُ إليه. فقلت: يا رسولَ الله، هلكَ الوالد وغاب الوافد فامننْ عليّ منَّ الله عليكَ، فقال ﷺ: قد فعلتُ فلا تعجَلي بخرُوج، حتى تجدي من قومِك من يكونُ لكِ ثقة حتى يبلغكِ إلى بلادك، ثم آذنيني، فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلمه، فقيل: عليُّ بن أبي طالب (رض)، وأقمتُ حتى قدِم ركبٌ من بِلَى أو قضاعة، قالت[٨]: وإنما أريد

(*) سيرة ابن هشام ٣/٥٧٩، تاريخ الطبري ٣/١١٢، والأغاني ١٦/٩٧، والمستطرف ١/٢٦٩، والإصابة ٤/٣٢٩، مع بعض الاختلاف طولًا وقصرًا.

(٦) في تاريخ الطبري: نأى الوافد، وانقطع الوالد، وأنا عجوز كبيرة، ما بي من خدمة، فمُنّ عليّ، منّ اللهُ عليكَ يا رسول الله!.

(٧) في تاريخ الطبري: أيسْتُ..

(٨) في رواية أخرى للطبري: قال سليهِ حُملانًا، فسألته فأمر بها، فأتتني.

أنْ آتيَ أخي بالشام. قالت: فجئت رسول الله ثقة وبلاغ(١)، قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما بلغت الشام رآها عديّ فعرفها، فلما وقفت قالت: القاطع الظالم، احتملتَ بأهلِكَ وولدكَ، وتركتَ بقيةَ والدِكَ، عورَتكَ.

قال: أي أُخَيّة(٢) لا تقولي إلّا خيرًا، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت.. فسألها عديّ، وكانت امرأةً حازمة: ماذا ترَيْنَ في أمر هذا الرجل؟ قالت(٣): أرى والله أن تلحق به سريعًا، فإن يكن الرجل نبيًا، فللسابق إليه فضلهُ، وإن يكن ملكًا، فلن تذلّ في عزّ اليمن، وأنت أنت.

قال: والله إن هذا الرأي.

ـ ٢ ـ النبي ﷺ وسفانة «حوار»

كانت سفانة قد خاطبته المرة الأولى أول أسرها، وكان حوارها معه مقتضبًا، وهذه المرة الثانية لخطابها، قالت فيه(*):

يا محمدُ هلكَ الوالد، وغاب الوافدُ(٤)، فإنْ رأيت أن تخلّي عنّي، فلا تُشمت(٥) بي أحياء العرب، فإني بنتُ سيّد قومي(٦). كان أبي يفكّ العاني، ويحمي الذمار، ويقرئ الضيف، ويشبع الجائع، ويفرجُ عن المكروب ويطعم الطعام، ويُشفي السلام، ولم يرد طالب(٧) حاجة قط. أنا بنت حاتم طي.

(١) الصحيح، بلاغًا (بالنصب).

(٢) في تاريخ الطبري: يا أخية.... ما لي عذر.

(٣) في رواية أخرى للطبري: قالت: رأيته راغبًا وراهبًا، فقد أتاه فلان، فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، قال عدي: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان، فذكر قربهم من النبي ﷺ، فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر. وفي المستطرف: يا أخي إئتِ هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله، فإني رأيت هدْيًا ورأيًا، سيغلب أهل الغلبة، رأيت خصالاً تعجبني، رأيته يحبّ الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ﷺ، وإني أرى أن تلحق به، فلما قدم عديّ على النبي ﷺ ألقى النبي ﷺ له وسادة محشوّة ليفًا، وجلس النبي ﷺ على الأرض.

(*) الأغاني ١٦/٩٧ والمستطرف ١/١٦٩ و ١/١٠١.

(٤) في المستطرف: الرافد.

(٥) في المستطرف: ولا تشمت.

(٦) في المستطرف: إنّ أبي سيّدَ قومه يفكّ العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار.

(٧) في المستطرف: ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة، فردّه خائبًا. فقال لها النبي ﷺ: يا جارية هذه صفات المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق، وفيها قال ﷺ: ارحموا عزيزًا ذلّ، وغنيًا افتقر، وعالمًا ضاع بين جهال.

-٣-

ولما أكرمها الرسول ﷺ قالت(*):

أصاب الله ببرّك مواقعه، ولا جعل لك إلى اللئيم حاجة، ولا سلبَ نعمة عن كريم قوم إلّا وجعلكَ سببًا في ردّها عليه.

(*) المستطرف ١٦٩/١.

(١٥)

الشيماءُ بنت الحارث (حذافة)[(١)]

ابنِ عبد العزّى، أختُ رسول الله ﷺ من الرضاعة. قال رسول الله ﷺ للمجاهدين الذين ساروا في غزو بني سعد بن بكر[(٢)]: إن قدرتم على بجاد - وهو رجل من بني سعد بن بكر، زوج الشيماء، وكان مشركًا - فلا يفلتنّكم، وكان قد أحدث حدثًا، فلما ظفر به المسلمون، ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء، فعنّفوا عليها في السياق، فقالت للمسلمين[(*)]:

- ١ -

تعلموا، والله إني لأُختُ صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدّقوها، حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ.

- ٢ -

ولما انتهي بها إلى رسول الله، قالت[(**)]:

يا رسول الله[(٣)] إني أختك من الرضاعة، قال: وما علامة ذلك؟ قالت:

عضّةٌ عضضتنيها[(٤)] في ظهري، وأنا متورّكتُكَ. فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه وخيّرها بين البقاء معه معززة مكرمة أو الرجوع إلى قومها. فقالت: بل تُمتّعني وتردّني إلى قومي[(٥)].

فمتعها رسول الله ﷺ وردّها إلى قومها، بعد أن أسلمتْ وأعطاها الرسولُ ﷺ نَعَمًا وشاةً، وثلاثةَ أعبُدٍ وجاريةً.

---

(١) ينظر الاستيعاب ٤/ ١٨٧١.

(٢) ينظر تاريخ الطبري ٣/ ٨٠ وفي الإصابة ٤/ ٣٤٤ (الخيل التي أغارت على هوازن).

(*) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٥٨، تاريخ الطبري ٣/ ٨٠، الاستيعاب ٤/ ١٨٧١، الإصابة ٤/ ٣٤٤.

(**) المصادر نفسها.

(٣) في الاستيعاب: يا محمد أنا أختك. في الإصابة: إني لأختك.

(٤) في الإصابة: عضضتها...

(٥) في الاستيعاب: بل أرجع إلى قومي..

(١٦)
صفيةُ بنتُ حيي بن أخطب

كان أبوها حيي بن أخطب من أشدِّ أعداء رسول الله ﷺ، وأمها إحدى نساء بني قينقاع، وكانت صفية سيدة بني قينقاع والنضير، تزوجت سلام بن مشكم ثم كنانة بن أبي الحقيق، ولما أعتقها الرسول ﷺ وتزوجها كانت بنت سبعَ عشرةَ سنة.

سأل رسولُ الله ﷺ عائشةَ عن صفية فقال[١]: يا شقيراء كيف رأيت؟ قالت: رأيت يهودية من يهوديات، وليلة عرسها وقف أبو أيوب على باب النبي ﷺ، فلما أصبح رسول الله ﷺ كبرّ ومع أبي يوسف السيف، فقال[٢]:

يا رسول الله كانت جارية حديثة عهد بعرس، وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها، فلم آمنها عليكَ.

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه.

كانت صفية عاقلة حليمة فاضلة[٣].

قالت صفية عندما مرض النبي ﷺ: أمَا واللّهِ يا نبيَّ الله لوددتُ أنَّ الذي بك بي، فرأى الرسول ﷺ نساءه يتغامزن، فقال: مضمضن من تغامزكنّ بصاحبتكنّ والله إنـها لصادقةٌ. ولما حجَّ رسول الله ﷺ بنسائه، برك بصفية جملُها، فبكت وجاء رسول الله ﷺ لما أخبروه، فجعل يمسح دموعها بيده، وهي تبكي، وهو ينهاها[٤].

ولما وقعت صفية في سهم دحية الكلبي، اشتراها الرسولُ ﷺ، ثم أعتقها وتزوجها، وكان صداقها عِتقُها، فقالت(*):

يا رسولَ الله لقد هويتُ الإسلام،

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٨٧٢ والإصابة ٤/ ٣٤٧.

(٤) ينظر تاريخ الإسلام الذهبي ص ٦٨ حوادث ٤١ ـ ٦٠ هـ.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ١٢٢.

وصدقتُ بكَ، قبل أن تدعوني، حيث صرتُ إلى رحلك، وما لي في اليهودية أربٌ، وما لي فيها ولد ولا أخ، وخيّرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحبّ إليّ من العتق، وأن أرجع إلى قومي[1].

توفيت في ٥٣ أو ٥٢هـ[2] وقيل ٣٦ وقيل ٥٠هـ[3].

(١) كانت وليمة عرسها أقط وسمن وتمر.
(٢) ينظر طبقات ابن سعد ٨/١٢٦.
(٣) ينظر الدرّ المنثور ٢٦٤.

(١٧)
السّيِّدةُ عائشة أم المؤمنين (رض)

عائشةُ بنتُ أبي بكر الصدّيق (رض)، عتيق بن عثمان بن عامر، وأمُّه سلمى بنتُ صخرٍ أم الخير. أمها أم رومان.

كانت عائشةُ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إليه، اختارها الله تعالى زوجة للنبي ﷺ بأمر بلغه به الوحي (ع).

عن أبي موسى[1] قال:

ما أشكل على أصحاب رسول الله ﷺ، حديث قط، فسألنا عائشة إلّا وجدنا عندها منه علمًا، وعن مسروق، قال[2]: نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، يسألون عائشة عن الفرائض.

(١) صفة الصفوة ٢/١٥، ديوان أشعار النساء ق٢ (عائشة).

(٢) المصدر نفسه.

وقال عروة[3]:

ما رأيت أحدًا من الناس أعلمَ بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال ولا حرام، ولا بشعر ولا بحديث العرب، ولا بنسب، من عائشة (رض).

وقال عروة[4]:

يا أمتاه، لا أُعجبُ من فقهكِ، أقول زوجةَ رسول الله ﷺ، وابنةَ أبي بكر، ولا أعجبُ من علمكِ بالشعر وأيام الناس، أقول ابنةَ أبي بكر، وكان أعلمَ الناس، أو من أعلم الناس، ولكن أعجبُ من علمكِ بالطب، قالت وضربت على منكبِه:

أي عُريّةَ إنّ رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمرهِ، أو في آخر عمره، وكانت تقدم عليه وفود العرب، من كل

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

جهة، فتنعت له الأنعات، فكنت أعالجها فمن ثَمَّ.

وقال عبد الرحمن بن القاسم[(١)]:

إنّ عائشة كانت تصوم الدهرَ، ولا تفطر إلّا يَوم أضحى أو يومَ فِطر.

كانت عائشةُ أفصحَ أهل زمانها، وأحفظَهم للحديث، روت عن رسول الله ﷺ ألفي حديث، وروى عنها من الرواة، رجال ونساء، وكان مسروق إذا حدّث عنها قال:

حدثتني الصديقةُ بنتُ الصديق، البريئةُ المبرّأة. وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة من أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة.

وقال عروة[(٢)]:

ما رأيت أحدًا أعلمَ بفقهٍ ولا بطِبَ ولا بشعرٍ من عائشةَ ولو لم يكن لعائشةَ من الفضائل، إلّا قصّةَ الإفك لكفى بها فضلًا، وعلوّ مجد، فإنها نزل فيها من القرآن ما يُتلى إلى يوم القيامة.

بطولة عائشة:

قال أنس[(٣)]: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنّهما لمشمّرتان أرى خَدم سوقِهما، تنقزان القِرَب وقال غيره تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم.

وقال كعب بن مالك[(٤)]: رأيت أمَّ سليم بنت ملحان وعائشةَ على ظهورهما القرب يحملانها يوم أحد، وكانت حمنةُ بنت جحش تسقي العطشَ وتداوي الجرحى، وكانت أم أيمن تسقي الجرحى.

وقال ابن عباس[(٥)]:

أبشِري فما بينكِ وبين أن تلقَيْ محمدًا ﷺ والأحبّة، إلّا أن تخرج الروحُ من الجسد، كنتِ أحبَّ نساءِ رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يحبّ إلّا طيّبًا. وسقطتْ قلادتُك ليلة الأبواء، فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبّح في المنزل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر المستدرك ٤/ ١٠، والتلخيص ٤/ ١٠ والدر المنثور ٢٨٢.

(٣) عمدة القارئ ١٤/ ١٦٥. الخدم: موضع الخلخال.

(٤) المغازي للواقدي ١/ ٢٤٩.

(٥) صفة الصفوة ٢/ ١٨.

وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عزّ وجلّ «فتيمّموا صعيدًا» فكان هذا بسببكِ، وما أنزلَ الله عزّ وجلّ لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله عزّ وجلّ الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله عز وجلّ يذكر فيه الله إلّا تتلى فيه آناء الليل وآناء النهار.

وقالت عائشة[١]: إن الرسول ﷺ قال: إن جبرائيل (ع) يقرأ عليكِ السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله.

سأل عمرو بن العاص النبيّ ﷺ فقال[٢]: أيُّ الناس أحبّ إليك يا رسول الله، قال: عائشة، قال من الرجال، قال: أبوها، قال: ثم من، قال: عمر[٣].

وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة (رض) فقلت: أخبريني من كان أحبَّ الناس إلى رسول الله ﷺ؟ قالت[٤]: فاطمة، قلت: إنما أسألك عن الرجال، قالت: زوجها فوالله لقد كان صوّامًا قوّامًا.

وقال النبي ﷺ[٥]: عائشة في النساء كالغراب الأعصم.

وقال عامر الشعبي[٦]: أتاني رجل فقال لي كلّ أمهات المؤمنين أحبّ إليّ من عائشة، قلت: أما أنت فقد حالفتَ رسولَ الله ﷺ، كانت عائشةُ أحبّهنّ إلى رسول الله ﷺ.

وقال الجاحظ[٧]، فيمن هجا عائشة (رض): «ولبئسَ ما قال في أمّ المؤمنين وبنتِ الصديق».

وقال العيني[٨]: وعائشةُ وهي من فصحاء العرب.

وقال الحنبلي[٩]: إنه ورد عن النبي ﷺ: خُذوا نصفَ دينكم عن الحُميراء وفي رواية ثلثي دينكم. وقال: وكانت من أكثر الصحابة حفظًا وفُتيًا، وقال الحنبلي أيضًا: الذين حفظتْ عنهم الفتوى من الصحابة مائة ونيف وثلاثون نفسًا، ما بين رجل وامرأة، وكان

(١) صفة الصفوة ٢/٧ (أخرجاه في الصحيحين).
(٢) صفة الصفوة ٢/٧ وقال ابن الجوزي أخرجاه في الصحيحين. والمستدرك ٤/١٣ وتلخيص المستدرك ٤/١٣.
(٣) في المستدرك: عن أنس...
(٤) جمهرة الأمثال ٢/٢٤.
(٥) جمهرة الأمثال ٢/٦٤ والمستطرف ١/١٣٧.
(٦) المستدرك ٤/١٣.
(٧) الحيوان ٥/٣١٧ وكان ذلك السيد الحميري.
(٨) عمدة القارئ ٣/٢٦٥.
(٩) شذرات الذهب ١/٦١.

المكثرون منهم سبعة: عمر وعليّ وعبدالله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر.

قال الأحنف بن قيس[١]: سمعت خطبةَ أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، فما سمعتُ الكلام من في مخلوق أحسنَ ولا أفخمَ من في عائشة(رض).

وسأل معاوية زيادًا أيّ الناس أبلغ؟ قال[٢]: أنت يا أمير المؤمنين.

قال: أعزم عليك. قال: فإذا عزمت عليّ فعائشة، فقال معاوية: ما فتحت بابًا قط تريد أن تغلقه إلّا أغلقته، ولا أغلقت بابًا قط تريد أن تفتحه إلّا فتحته.

وقال معاوية[٣]: ما رأيت أحدًا بعد رسول الله ﷺ أبلغ من عائشة.

قال الزهري[٤]: لو جُمع علمُ الناس كلّهم ثم علمُ أزواج النبي ﷺ لكانت عائشةُ أوسعَهم علمًا.

وقال موسى بن طلحة: ما رأيت أحدًا أفصح من عائشة (رض).

وصفها السيّد سعيدُ الأفغاني فقال[٥]:

سلختُ سنينَ في دراسةِ السيّدة عائشة، كنتُ فيها حيالَ معجزة، لا يجد القلمُ إلى وصفها سبيلًا، أخصُّ ما يبهرُك فيها علم زاخر كالبحرِ بعد غور، وتلاطمِ أمواج، وسعةِ آفاق، واختلاف ألوان، فما شئت إذ ذاكَ مَن تمكّنَ في فقهٍ أو حديث أو تفسير أو علم بشريعة أو آداب، أو شعر أو أخبار أو أنساب أو مفاخر أو طب أو تاريخ... إلّا أنت واجدٌ ما يروعكَ عند هذه السيدة وهي لا تتجاوز الثامنةَ عشرَ[٦].

وقد عاشت في كنف أبيها أبي بكر (رض) العالم بأنساب العرب وانتقلت إلى بيت الزوجية ومهبط الوحي، مع ما تميزت به من ذكاء وقاد وقوة حافظة.

وكانت ملجأ العلماء والفقهاء يسألون كلّ ما غمض عليهم من علوم الدين والقرآن، وكان عمر (رض) يحيل

(١) المستدرك ٤/١٠ وصفة الصفوة ٢/١٨ والمستطرف ١/٤١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) بلاغات النساء ٦.
(٤) المستدرك ٤/١٠.
(٥) ينظر الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، للزركشي، المقدمة ص٣.
(٦) ينظر الإجابة (ص٣ المقدمة).

إليها كل ما تعلّق بأحكام النساء، أو أحوال النبي البيتية، لا يضارعها في هذا الخصوص رجل أو امرأة.

وقال سعيد الأفغاني(١):

ولتعلم سيّداتنا، أن امرأة منهنّ في صدر الإسلام تتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار، من كل حبر وعالم وفقيه وقارئ وراوية. وعنها وحدِها نُقل رُبع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك.

وقال السيّد محمود محمد شاكر(٢):

أسلوب عائشة السهل المرسل الجزل الفصيح.

توفيت عائشة لتسع عشرة(٣) أو سبع عشرة(٤) خلت من رمضان عام ٥٨هـ، وهي ابنة ستة وستين سنة، وأوصت أن تدفن بالبقيع.

ـ ١ ـ «قصّةُ الهجرة»

القصّة

قالت السيِّدة عائشة(*):

لم أعقل أبويّ قطّ إلّا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلّا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشيّة(٥)، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغِماد(٦) لقيه ابن الدَّغِنة وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر، فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة(٧): فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج! إنك تكسب المعدوم وتصل

---

(١) المصدر نفسه ص٦.

(٢) ينظر مجلة المقتطف يناير ١٩٤٤ (باب المناظرة المجلد ١٠٤/ ٣٩٢).

(٣) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٨٠.

(٤) ينظر صفة الصفوة ٢/ ١٨.

(*) عمدة القارئ ١٧/ ٣٩ـ ٤٢ و ١٧/ ٣٣ـ ٣٩،= سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤، تاريخ الطبري ٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧، المستدرك ٣/ ٦، الاستيعاب ٤/ ١٩٣٧، أسد الغابة ٧/ ٣٣١، الإصابة ٤/ ٤٥٠، اعتمدت في تحقيق هذه القصة على أطول نص وجد في هذه المصادر وهو نص البخاري الذي شرحه في عمدة القارئ.

(٥) في سيرة ابن هشام: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أما بكرة أو عشيًا، في تاريخ الطبري: وكان لا يخطئه يومًا أن يأتي بيت أبي بكر... وفي رواية: كان رسول الله ﷺ لا يخطئه أحد طرفي... أن يأتي...

(٦) برك الغماد: اسم مكان جنوب مكة المكرمة.

(٧) ابن الدَّغنة: هو رجل من أشراف قريش أجار أبا بكر حين همّ المشركون بأيذائه، ولكنه ردّ جواره لأبي بكر، بعد أن هدده المشركون من زعماء قريش، وكان ذلك قبل الهجرة.

الرحم وتحمل الكلّ وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحقّ، فأنا لك جار، ارجعْ واعبدْ ربكَ ببلدكَ فرجعَ وارتحلَ معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشيةً من أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتُخرِجون رجلًا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكلّ ويقرئ الضيف ويعين على نوائب الحقّ فلم تُكذّب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعْلِنْ به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربّه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلّي فيه ويقرأ القرآن فيتقذّفُ عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يُعجَبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكاء لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدِم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبدَ ربّه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحبّ أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعلَ، وإن أبى إلّا أنْ يعلن بذلك فسلْه أن يردّ إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفركَ، ولسنا مُقرّين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة:

فأتى ابن الدَّغِنة إلى أبي بكر فقال: قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه، فأما أن تقتصرَ على ذلكَ وأما أن تُرجِع إليَّ ذمّتي، فإني لا أحبُّ أن تسمع العرب أني أُخفِرتُ[1] في رجل عقدتُ له، فقال أبو بكر: فإني أردّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله عزّ وجلّ، والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين: إني رأيتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابَتَيْن[2] وهما الحرّتان[3] فهاجر مَن هاجَر قِبل المدينة، ورجع عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهّز أبو بكر قِبل المدينة، فقال له رسولُ الله ﷺ: على رِسْلك فإني أرجو أن يؤذنَ لي، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنتَ، قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسَه على رسول الله ﷺ ليصحبَه

---

(١) أخفر: أجار وحمى وأمّن.
(٢) لابتين: مثنى لابة وهي الحرّة، شبه جبل من حجارة سود.
(٣) الحرتان: مفردها حرّة وقد تمّ شرحها.

وعلفَ راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر وهو الخبط أربعة أشهر.

قالت عائشة:

فبينما نحن جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة[١]، قال قائل لأبي بكر: هذا رسولُ الله ﷺ متقنّعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها. قال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلّا أمر[٢]. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرِجْ من عندكَ، فقال أبو بكر: إنما هم أهلكَ بأبي أنتَ يا رسول الله، قال: فإني قد أُذِن لي في الخروج[٣].

فقال أبو بكر: الصحابةَ بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ[٤]: نعم.

قال أبو بكر: فخذْ بأبي أنتَ يا رسول الله إحدى راحلتيّ هاتَيْن[٥]. قال رسول الله ﷺ: بالثمن.

قالت عائشة: فجهّزناهما أحثَّ الجِهاز، وصنعنا لهما سفرةً في جراب، فقطعت أسماءُ بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سمِّيت ذاتُ النطاقين، قالت: ثم لَحِقَ رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكَمِنا فيه ثلاثَ ليالٍ يبيت عندهما عبدُالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثَقِفٌ[٦] لَقِنٌ[٧] فيُدلج من عندهما

(١) في سيرة ابن هشام: أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتينا فيها.. في تاريخ الطبري: فلما رأى أبو بكر النبي ﷺ جاء ظهرًا...

(٢) في سيرة ابن هشام: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلّا لأمر.. حدث. في تاريخ الطبري: ما جاء بك يا نبي الله إلّا أمر حدث...

(٣) في سيرة ابن هشام: فلما دخل، تأخّر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلّا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: أخرج عني مَن عندَكَ.. في تاريخ الطبري: فلما دخل عليهم النبي ﷺ البيت، قال: ليس علينا عين، إنما هما ابنتاي، قال: إن الله قد أذن لي بالخروج إلى المدينة.

(٤) في سيرة ابن هشام: الصحبةَ يا رسول الله؟ قال: الصحبةَ. في تاريخ الطبري: الصحابة الصحابة؟! قال: الصحابة.

(٥) في سيرة ابن هشام: قالت: فوالله ما شعرت قطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ. ثم قال: يا نبيّ الله، إنّ هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا... في تاريخ الطبري: قال أبو بكر: خذ إحدى الراحلتين وهما الراحلتان اللتان كان يُعلِفُهما أبو بكر، يعدهما للخروج، أذن لرسول الله ﷺ فأعطاه إحدى الراحلتين فقال: خذها يا رسول الله فارتحلها، فقال النبي ﷺ: قد أخذتها بالثمن.

(٦) ثَقِف: الحاذِق الفطِن.

(٧) لقِن: حسَن التلقي.

بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ فلا يسمع أمرًا يُكتادان[١] به إلّا وعاهُ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامرُ بنُ فهيرة مولى أبي بكر[٢]، مِنْحة من غنم[٣] فيُريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسْل[٤] وهو لبَنُ مِنْحتِهما ووصيفيهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس[٥] يفعل ذلك، في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من بني الدّيل وهو من بني عبد بن عديّ هاديًا خِرّيتًا، والخرّيت الماهر بالهداية قد غمس حِلْفًا في آل العامر بن وائل السهمي، وهو على دين كفّار قريش فأمناهُ، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعدَه غارَ ثور، بعد ثلاثِ ليال، براحلتِيهما، صُبْح ثلاث، وانطلق معهما عامرُ بن فهيرة والدَّليلُ[٦]، فأخذ بهم طريق السواحل وهو هاد بالطريق[٧]، وفي الليالي التي مكثا بالغار، كان يأتيهما عبدُالله بن أبي بكر حين يُمسي بكلّ خبر بمكة، ثم يصبحُ بمكة، ويُريح عامرُ الغنم كلّ ليلة، فيحلبان ثم يسرعُ بكرةً فيصبحُ في رعيانِ الناس، ولا يُفطَنُ له حتى إذا هدأت عنهما الأصوات، وأتاهما أنْ قد سُكِتَ عنهما جاءهما صاحبهما ببعيرهما، فانطلقا وانطُلِقَ معهما بعامر بن فهيرةَ يخدمهما ويُعينهما، يردفُه أبو بكر، ويعقبه على رحلِهِ، ليس معهما أحد إلا

---

(١) يُكتادان: طُلِبت لهما الغوائل، والمكر بهما.

(٢) عامر بن فهيرة: استشهد في ٤هـ.

(٣) مِنْحة: شاة يجعل الرجل لبنها لغيرِه.

(٤) رِسْل: اللبن الطري.

(٥) غَلس: ظلام آخر الليل.

(٦) في سيرة ابن هشام: فاستأجرا عبدَالله بنَ أُريقط رجلًا من بني الدّئل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركًا، يدلُّهما على الطريق، فدفعا= إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. في تاريخ الطبري: وكان عامرُ بنُ فهيرة مولّدًا من مولّدي الأزد، كان للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، وكان أخا عائشة بنت أبي بكر، وعبد الرحمن ابن أبي بكر لأمهما، فأسلم عامرُ بن فهيرة، وهو مملوك لهم، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، وكان حسَن الإسلام، فلما خرج النبي وأبو بكر، كان لأبي بكر مِنحة من غنم، تروح على أهله فأرسل أبو بكر عامرًا في الغنم، إلى ثور، فكان عامرُ بن فهيرة يروح بتلك الغنم على رسول الله ﷺ بالغار في ثور، وهو الغار الذي سماه الله في القرآن، فأرسل بظهرهما رجلًا من بني عبد عديّ، حليفًا لقريش من بني سهم، ثم آل العاص بن وائل، وذلك العدوى، يومئذٍ مشرك ولكنهما استأجراه.

(٧) الإضافة من تاريخ الطبري ٢/ ٣٧٥ - ٣٧٧ في رواية أخرى للطبري يسمى الدليل: عبدالله بن أرقد.

عامرُ بن فهيرة، وأخو بني عدي يهديهما الطريق فأجاز بهما في أسفل مكة ثم مضى بهما حتى حاذى بهما الساحل أسفل عسفان[(١)]، ثم استجاز بهما، حتى عارض الطريق بعدما جاوز قُدَيْدًا، ثم سلك الخرار، ثم أجاز إلى ثنية المرة، ثم أخذ على طريق يقال لها المدلجة بين طريق عمق وطريق الروحاء، حتى توافوا طرق العرج، وسلك ماء يقال له الغابر، عن يمين ركوبه، حتى يطلع على رئم ثم جاء حتى قدم المدينة، على بني عمرو بن عوف قبل القائلة، فحدث أنه لم يبق فيهم إلّا يومين، وتزعم بنو عمرو بن عوف أن قد أقام فيهم أفضل من ذلك، فاقتاد راحلته فاتبعته حتى دخل في دور بني النجار، فأراهم رسول الله ﷺ مِربَدًا كان بين ظَهْرَي دورهم.

ـ ٢ ـ قصّةُ الإفك

قالت السّيّدة عائشة (رض)[(*)]:

كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرعَ بين نسائه[(٢)] فأيّتهنّ خرج سهمُها، خرجَ بها معه[(٣)]، فلما كانت غزوةُ بني المصطلق[(٤)] أقرع بين نسائه[(٥)]، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهنّ معه[(٦)] فخرج بي رسول الله ﷺ. قالت:

وكان النساءُ إذ ذاكَ إنما يأكلنَ العُلَق[(٧)]

---

(١) عسفان: أسماء أماكن بين المدينة ومكة، وكذلك قديد والخرّار والمرّة، المدلجة، الروحاء، العرج، الغابر، بطن رئم...

(*) سيرة ابن هشام ٣/٢٩٧، طبقات ابن سعد ٨/١٦٩، تاريخ الطبري ٢/٦١٠، المستدرك ٣/٥١٩، صفة الصفوة ٢/٩، إمتاع الأسماع ١/٢٠٧، عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري ٤/٣ و ١٤/١٦٥ و ١٣/١٥٣ و ٧/١٢، ١٧/٢٠٣ و ٢٥/٧٢ و٢٥/١٨٥. الإفك ـ وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم إثنتا عشرة مرة وهو الإثم والكذب والباطل والبهتان أو أبلغ ما يكون من الافتراء والكذب.

(٢) في عمدة القارئ: أقرع بين أزواجه..

(٣) في تاريخ الطبري وتاريخ الذهبي: بحذف (معه).

(٤) في سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري: غزوة بني المصطلق. في تاريخ الطبري وعمدة القارئ ١٧/٢٠٣: فأقرع بيننا في غزوة غزاها. قال العيني: الغزاة غزوة بني المصطلق ٦هـ أو ٥هـ.

(٥) أقرع: من القرعة، وهي بالخواتيم يؤخذ خاتم هذا، وخاتم هذا، ويدفعان إلى رجل، فيخرج منهما واحدًا. أو يجعل رقاعًا صغارًا يكتب في كل واحد منها اسم ذي سهم، ثم يجعل بنادق طين، ويغطى عليها ثوب، ثم يدخل رجل يده فيخرج بندقة ويدفعها إلى صاحبها.

(٦) في تاريخ الذهبي: فخرج سهمي فخرجتُ معه بعدما نزل الحجاب. في عمدة القارئ ١٧/٢٠٣: فخرج فيها سهمي.

(٧) العُلَق: ما يؤكل من الغذاء وقيل ما فيه بُلغة من الطعام وهو في الأصل شجر يبقى في الشتاء يُعلق به الإبل حتى يدرك الربيع، أو هو القليل من الأكل.

لم يهجْهنّ[١] اللحمُ فيثقلْنَ، وكنت إذا رُحّل لي[٢] بعيري، جلستُ في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يُرحّلون لي[٣] ويحملونني[٤] فيأخذونَ بأسفلِ الهودج فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدّونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به.

قالت: لما فرغ رسول الله ﷺ، من سفره ذلك، وجّه قافلًا، حتى إذا كان قريبًا من المدينة، نزل منزلًا، فبات به بعض الليل، ثم أذّن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس[٥] وخرجتُ لبعض حاجتي، وفي عُنقي عِقد لي، فيه جزْع ظَفارِ[٦]، فلما فرغتُ انسلّ من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرّحل، ذهبتُ ألتمسه في عنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعتُ في مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خِلافي[٧] الذين كانوا

---

(١) في تاريخ الطبري: لم يهيّجهنّ اللحم. في تاريخ الذهبي: فخرجت معه بعدما نزل الحجاب فأنا أحمَل في هودج، وأُنزَل فيه، فسِرْنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته. في عمدة القارئ: فخرجت معه بعدما أُنزل الحجاب، فكنت أُحمَلُ في هودجي وأُنزَلُ فيه، فسرنا حتى إذا فرغ... يهجهنّ: أي كالورم في الجسد قد يكون من سمن أو آفة، وقال العيني: الهبل: كثرة اللحم والشحم.

(٢) في تاريخ الطبري: إذا رُحّل بعيري.

(٣) في تاريخ الطبري: ثم يأتي القوم الذين يُرحّلون هودجي في بعيري.

(٤) في تاريخ الطبري: ويحملوني.

(٥) في تاريخ الطبري: فلما ارتحل. في تاريخ الذهبي: حتى إذا فرغَ رسول الله من غزوته تلك، وقفلَ، ودَنَوْنا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت= شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عِقدٌ لي من جزع ظفار قدِ انقطع فالتمستُه، وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يُرحلون لي واحتملوا هودجي، فرحّلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أنّي فيه. في عمدة القارئ: حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل، دنونا من المدينة، قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني، أقبلتُ إلى رحلي فلمستُ صدري، فإذا عِقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمستُ عِقدي فحبسني ابتغاؤه.

(٦) جزع ظفار: خرز مضاف إلى ظفار، قرية باليمن. الجِزع: اشتق منه اسم الجزع لصلابته، يولد في القلب جزعًا.

(٧) في تاريخ الطبري: فرجعت عَوْدي على بدئي إلى المكان الذي ذهبت إليه، حتى وجدته وجاء خلافي القوم الذين كانوا... في تاريخ الذهبي: وكان النساء إذ ذاك خِفافًا لم يُثقلهنّ اللحم، إنما يأكلن العُلْقة من الطعام، فلم يستنكروا خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السّن. فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمرّ الجيش. في عمدة القارئ: وأقبل الرهط الذين كانوا=

يُرحّلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، وهم يظُنون أنّي فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدّوه على البعير، ولم يشكّوا أني فيه، ثمّ أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعتُ[1] إلى العسكر، وما فيه من داع ولا مُجيب، قد انطلق الناس[2]، قالت: فتلففت بجلبابي، ثم اضجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدتُ لرُجِع إليَّ[3]، قالت:

فوالله إني لمضطجعةٌ، إذ مرّ بي صفوانُ بنُ المعطّل السلمي، وقد كان تخَلف عن العسكر[4] لبعض حاجتهِ، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف عليّ[5]، وقد كان يراني قبل أن يُضرَب علينا الحجاب[6]، فلما رآني قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ظعينةُ رسول الله ﷺ[7]، وأنا متلففة في

= يُرحّلوني فاحتملوا هودجي فرحّلوه على بعيري، الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلْهنّ ولم يغشهنّ اللحم إنما يأكلن العُلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عِقدي بعدما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد. وفي رواية: ثقل الهودج... فوجدت...

(١) في تاريخ الطبري: ورجعت..

(٢) في تاريخ الذهبي: فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب.. في عمدة القارئ: وليس بها منهم داع ولا مجيب فيمّمت منزلي. وفي رواية ١٣/٢٢٥: فأممت منزلي... أممت: قصدت (آمّين البيت الحرام: قاصدين).

(٣) في تاريخ الطبري: ثم اضطجعت في مكاني الذي ذهبت إليه... افتقدوني قد رجعوا. في تاريخ الذهبي: فأممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوني=

= فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة غلبتني عيني فنمت وكان صفوان. في عمدة القارئ: فيمّمت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان.

(٤) في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: وكان صفوان بن المعطّل السلمي ثم الذاني من وراء الجيش. في تاريخ الذهبي: فأدلج فأصبح عند منزلي. في عمدة القارئ: فأصبح عند منزلي. كان صفوان بن المعطّل على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين، حتى يأتيهم به ولذلك تخلف.

(٥) في تاريخ الطبري: فلما رأى سوادي. في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: فرأى إنسانًا نائمًا.

في تاريخ الطبري: أقبل حتى. في تاريخ الذهبي: فأتاني فعرفني حين رآني.. في عمدة القارئ: نائم فعرفني حين رآني..

(٦) في تاريخ الذهبي: وكان يراني قبل الحجاب.. في عمدة القارئ: وكان رآني قبل الحجاب..

(٧) في تاريخ الطبري: أظعينة رسول الله ﷺ! في تاريخ الذهبي: فاستيقظت باسترجاعه=

ثيابي. قال: ما خلفَكِ يرحمكِ الله؟[١]

قالت: فما كلّمتُه ثم قرّب البعير، فقال: اركبي واستأخرَ عني، قالت: فركبتُ، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعًا، يطلب الناسَ، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتُقِدتُ حتى أصبحتُ، ونزل الناسُ، فلما اطمأنوا طلعَ الرجل يقود بي[٢]، فقال أهل الإفك ما قالوا فارتعجَ العسكر[٣]، واللهِ ما أعلم بشيء من ذلك[٤]. ثم قدِمنا فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدةً، ولا يبلغني من ذلك شيء[٥]، وقد انتهى الحديث إلى

= حين عرفت. في عمدة القارئ: فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني.

(١) في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: فخمرت وجهي بجلبابي.. في تاريخ الذهبي: والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه. فأناخ راحلته، فوطئ على يديها فركبتها فانطلقت.. في عمدة القارئ: والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى، حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها قمت إليها فركبتها فانطلق. وفي رواية ١٣/٢٥: باسترجاعه حين أناخ فوطئ يدها فركبتها، فانطلق.

(٢) في تاريخ الطبري: يقودني. في تاريخ الذهبي: فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغِرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك. وفي عمدة القارئ: فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش.. بعدها نزلوا معرّسين في نحر الظهيرة فهلك من هلك.. وفي رواية: فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول، فهلك من هلك. معرّسين: نازلين في آخر الليل، نحر الظهيرة: وقت القائلة، شدّة الحرّ.

(٣) في تاريخ الطبري: فقال أهل الإفك فيّ ما قالوا، فارتجّ العسكر.. في تاريخ الذهبي: وكان الذي تولّى الإفك عبدالله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة.. في عمدة القارئ: وكان الذي تولّى كِبْر الإفك عبدُالله بن أبي بن سلول. ارتعج: تحرك واضطرب. عبدالله بن أبي بن سلول ـ رئيس المنافقين في المدينة من الخزرج.

(٤) في تاريخ الذهبي: فاشتكيت حين قدمت شهرًا والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك. في عمدة القارئ: فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرًا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم، لا أشعر بشيء من ذلك. قال العيني في عمدة القارئ ١٧/٢٠٤: قال عروة: أُخبِرْتُ أنه كان يُشاع ويُتحدَّث به عنه فيُقرّه ويستمعُه، ويستوشيه. وقال أيضًا: لم يُسَمّ من أهل الإفك أيضًا إلّا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش في ناس آخرين، لا عِلم لي بهم، غير أنهم عصبة، كما قال الله تعالى، وإن كبر ذلك يقال عبدالله بن أبي بن سلول. وقال عروة: كانت عائشة (رض) تكره أن يُسبّ عندها حسانُ وتقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وِقاء

(٥) في تاريخ الطبري: ولا يبلغني شيء من ذلك... في تاريخ الذهبي: وهو يريبني=

رسول الله ﷺ، وإلى أبوي، لا يذكرون لي منه قليلًا ولا كثيرًا، إلّا أنّي قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني، ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أمّي تمرّضني[1]، قال: كيف تيكم، لا يزيد على ذلك.

انتقال عائشة إلى بيت أبيها:

قالت:

حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لي[2]: لو أذنْتَ لي، فانتقلت إلى أمي، فمرّضتني؟ قال: لا عليكِ[3]، قالت: فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بِضع وعشرين ليلة، وكنا قومًا عربًا، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف[4] التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنّا نذهب في فسح المدينة، وإنما كانت النساء[5] يخرجن كلّ ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي، ومعي أم مسطح[6] بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن

= في وجعي أنّي لا أعرف من رسول الله ﷺ اللّطف، الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف. فذلك الذي يُريبني ولا أشعر بالشرّ، حتى خرجت يومًا بعدما نقِهتُ.. فخرجتُ مع أم مسطح.. في عمدة القارئ: كما في رواية الذهبي سوى: فذلك يُريبني.. يومًا حين نقهت فخرجت مع أم مسطح. وفي رواية أخرى لعمدة القارئ: لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت.. فخرجت مع أم مسطح.

(١) في تاريخ الطبري: وكان إذا دخل عليّ وأمّي تمرّضني..

(٢) في تاريخ الطبري: من جفائه عني، فقلت له: يا رسول الله لو أذنتَ لي..

(٣) في تاريخ الطبري: ولا أعلم بشيء مما كان.

(٤) الكنف: الكنيف: الساتر وسمّي به موضع الغائط.

(٥) في تاريخ الطبري: كان النساء.

(٦) في تاريخ الذهبي: حتى خرجت يومًا بعدما نقهتُ، في عمدة القارئ: حتى خرجتُ حين نقهتُ، في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وهو مُتبرّزنا، وكنا لا نخرج إلّا ليلًا إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكُنُف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمرُ العربِ الأول. في تاريخ الذهبي: في التبرّز قِبَل الغائط. في عمدة القارئ: في البريّة قِبَل الغائط. في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: وكنّا نتأذى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقتُ أنا وأمّ مسطح. في تاريخ الذهبي: وقبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مِرْطها. في عمدة القارئ: وهي ابنة... وابنُها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلتُ أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرتْ أم مسطح في مرطها. المِرط: الكساء.

كعب بن سعد بن تيم، خالة أبي بكر الصديق (رض)، قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها، فقالت: تعِس مسطح! ومسطح لقب، واسمه عوف قالت: قلت: بئس لعمرُ الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين قد شهِد بدرًا[١]، قالت:

أوَ ما بلغكِ الخبرُ يا ابنة أبي بكر؟ قالت: قلتُ: وما الخبر؟ فأخبرتْني بالذي كان من قول أهل الإفكِ، قالت: قلت: أوَ قد كان هذا[٢]؟ قالت: نعم والله لقد كان. قالت: فوالله ما قدِرتُ على أن أقضي حاجتي، ورجعتُ، فوالله ما زلتُ أبكي حتى ظننتُ أن البكاء سيصْدع كبدي، قالت:

وقلت لأمّي: يغفر الله لكِ، تحدّث الناس بما تحدّثوا به[٣] ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا!!

قالت: أي بنيّة خفّضي عليك الشأن[٤]، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء[٥]، عند رجل يحبّها، لها ضرائر إلّا كثّرن وكثّر الناس عليها.

ـ ٣ ـ خطبة الرسول ﷺ في إيذاء الناس له

قالت السيّدة عائشة (رض)[٦]:

---

(١) في تاريخ الذهبي: فقلت لها: بئس ما قلتِ، أتسُبّين رجلًا شهد بدرًا؟ قالت: أيْ هَنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا؟ في عمدة القارئ: فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلًا شهد بدرًا؟ قالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال؟ في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ..

(٢) في تاريخ الطبري: وقد كان هذا؟

(٣) في تاريخ الطبري: بما تحدثوا به وبلغك ما بلغك ولا تذكرين.. في تاريخ الذهبي: = فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله ﷺ فسلّم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويّ؟ وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي، فجئت أبويّ فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدّث الناس؟ في عمدة القارئ: فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم. فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبويّ. قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدّث الناس.

(٤) في تاريخ الطبري: أي بنيّة خفّضي الشأن.. فوالله.. في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: يا بنيّة هوّني عليك.. فوالله.

(٥) في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: كانت امرأة قطّ وضيئة.. إلّا كثّرن عليها. فقلت: سبحان الله. في تاريخ الذهبي: ولقد تحدّث الناس بهذا؟ فبكيت الليلة، حتى لا يرقأ لي دمع ولا أكتحلُ بنوم، ثم أصبحت أبكي. في عمدة القارئ: أوَ لقد تحدّث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.

(٦) في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: بحذف=

وقد قام رسولُ الله ﷺ في الناس يخطبهم[١]، ولا أعلمُ بذلك، فحمد الله[٢] وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحقّ والله ما علمتُ منهم إلّا خيرًا[٣]، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلّا خيرًا، وما يدخل بيتًا من بيوتي[٤] إلّا وهو معي.

قالت:

وكان كبر ذلك عند عبدالله بن أُبيّ بن سلول في رجال من الخزرج، مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش، كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني[٥] في المنزلة عنده غيرها، أما زينب[٦] فعصمها الله تعالى بدينها، فلم تقل إلّا خيرًا، وأمّا حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادّني لأختها فشقيت بذلك.

ـ ٤ ـ أصداء خطبة الرسول ﷺ

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيدُ بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الآوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرْنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تُضرَب أعناقهم[٧].

فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلًا صالحًا، فقال: كذبتَ لعمر الله لا تُضرب أعناقُهم، أما والله ما قلتَ هذه المقالة، إلّا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا، فقال أسيد بن خضير: كذبتَ لَعمرُ الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت:

= الفقرة السابقة ثم البدء بقولها (رض): فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستأمرهما في فراق أهله.

(١) في تاريخ الطبري: فخطبهم. وفي رواية: خطبهم.

(٢) في تاريخ الطبري: بذلك ثم قال: أيها الناس.. عليهنّ..

(٣) في تاريخ الطبري: منهنّ..

(٤) في تاريخ الطبري: وما دخل..

(٥) في تاريخ الطبري: تناصبني..

(٦) في تاريخ الطبري: فأما زينب فعصمها الله =

= تعالى وأما حمنة بنت جحش فأشاعت.. تضارّني. كِبْر ذلك: الأثم ومعظم الشيء.

(٧) في عمدة القارئ، قال العيني (١٣/ ٢٣٥): من آذى رسول الله ﷺ في أهله وعرضه فإنه يقتل. يقول أسيد بن خضير: إن كان من الأوس قتلناه، ولم يرد عليه النبي ﷺ، بما برأها تعالى منه، إنه يقتل لتكذيبه الله ورسوله. وقال المهلب: والنظر عندي أن يُقتل من سبّ زوجات سيدنا رسول الله ﷺ بما رميت به عائشة.

وتساور الناس[١] حتى كاد يكون بين هذين الحيّين من الأوس والخزرج شرّ، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليّ.

قالت:

فدعا عليّ وأسامة بن زيد[٢]، فاستشارهما، فأما أسامة، فأثنى عَليّ خيرًا وقاله[٣]، ثم قال: يا رسول الله أهلُكَ ولا نعلمُ منهم[٤] إلّا خيرًا[٥] وهذا الكذب والباطل، أما عليّ فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية، فإنها ستصدقك[٦]، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها[٧] قالت:

فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضربًا شديدًا ويقول: أصدقي رسول الله ﷺ قالت: فتقول والله ما أعلم إلّا خيرًا، وما كنت أعيب على عائشة شيئًا، إلّا أني كنت أعجن العجين[٨]

(١) قام بعضهم إلى بعض. في تاريخ الطبري: وتثاوره الناس. وفي رواية: تنافر.

(٢) الأصحّ: فدعا عليًا.

(٣) أي قال خيرًا.

(٤) في تاريخ الطبري: عليهنّ إلّا خيرًا.

(٥) في تاريخ الذهبي وصفة الصفوة: فدعا رسول الله ﷺ.. حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الودّ، فقال: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلّا خيرًا. في عمدة القارئ: ودعا رسول الله ﷺ علي... حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه. فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلّا خيرًا. في إمتاع الأسماع: هذا الباطل والكذب ولا نعلم إلّا خيرًا.

(٦) في تاريخ الطبري: إنها تصدقك. في صفة الصفوة: وإن تسأل الجارية. في تاريخ الذهبي: واسأل الجارية تصدقك. في عمدة القارئ: فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير وسَلِ الجارية تصدقْكَ. في إمتاع الأسماع: لم يضيّق الله عليك، والنساء كثير، وقد أحلّ الله لكَ وأطاب، فطلّقها وأنكح غيرها..

(٧) بريرة مولاة عائشة وسيأتي ذكرها في فصول أخرى.

(٨) في تاريخ الطبري: أعجن عجيني.. فيأتي الداجن فيأكله. في صفة الصفوة وتاريخ الذهبي: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة. في تاريخ الذهبي: قالت: لا والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرًا قط أغمضه، غير أنها جارية حديثة السنّ، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. في إمتاع الأسماع: قالت: هي أطيب من طيّب الذهب، والله ما أعلم عليها إلّا خيرًا، والله يا رسول الله إن كانت على غير ذلك ليُخبرنّك الله بذلك، إلّا أنها جارية ترقد عن العجين، حتى تأتي الشاة فتأكل=

فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله.

نـزول الـقـرآن الـكـريـم بـبـراءة عائشة

قالتْ: ثم دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وعندي أبواي[1] وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي، وهي تبكي معي، فجلسَ، فحمدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال:

يا عائشةُ إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتَّقِ الله، وإنْ كنت قد قارفت سوءًا مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإنّ الله يقبل التوبة عن عباده.

قالت:

فوالله ما هو إلّا أن قال لي ذلك فقلص دمعي[2] حتى ما أحِسّ منه شيئًا،

= عجينها. في عمدة القارئ ١٣/ ٢٣٥: عن ابن مردويه في تفسيره قالت الجارية: فذكرت العجين ومعه ناس، فأداروها حتى فطنت، فقالت: سبحان الله، والله ما أعلم على عائشة إلّا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وهذه الفوائد من القصّة، ما تزيد على ستين فائدة.

(١) في صفة الصفوة: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبدالله بن أبي فقال وهو على المنبر. في تاريخ الذهبي وعمدة القارئ: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبدالله بن أبي بن سلول، فقال وهو على المنبر. في صفة الصفوة وتاريخ الذهبي: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلّا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلّا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلّا معي. في إمتاع الأسماع: وسأل زينب بنت جحش فقالت: حاشى سمعي وبصري، ما علمت إلّا خيرًا، فوالله ما أكلّمها، وإني لمهاجرتها، وما كنت أقول إلّا الحقّ، وسأل أم أيمن فقالت: حاشى سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قطّ إلّا خيرًا. ثم صعد المنبر.. في عمدة القارئ ١٥/ ٢٧٩: عن أم رومان وهي أم عائشة عما قيل فيها ما قيل، قالت: بينما أنا مع عائشة جالستان إذ ولجت علينا امرأة من= الأنصار وهي تقول: فعل الله بفلان وفعل قالت فقلت: ولِمَ قالت أنه نمى ذكر الحديث. فذكرتِ الحديث.. فخرّت مغشيًا عليها فما أفاقت إلّا وعليها حمّى بنافض فجاء النبي ﷺ...

(٢) ارتفع. في تاريخ الطبري: فوالله.. قال ذلك، تقلّص.. في صفة الصفوة والذهبي: ذكر ابن الجوزي بعد أن أكمل خطبة النبي ﷺ: قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، فبينما نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله ﷺ ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهّد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة... الخبر... فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي... منه=

وانتظرتُ أبويّ أن يجيبا عني رسولَ الله ﷺ فلمْ يتكلّما، قالت:

وأيم الله لأنا كنتُ أحقر في نفسي، وأصغر شأنًا من أن يُنزل الله فيّ قرآنًا يُقرأ به في المساجدِ، ويُصلّى به، ولكنّي قدْ كنتُ أرجو أن يرى[1] رسولُ الله ﷺ في نومه شيئًا يكذّب به الله عني، لما يَعْلَم من براءتي أو يخبر خبرًا، فأمّا قرآنًا ينزل فيّ فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك. قالت: قلت لهما:

ألا تجيبان رسول الله ﷺ قالت: فقالا: والله ما ندري ما نجيبه، قالت: ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام[2] قالت:

= قطرة. في عمدة القارئ ٢٥/ ١٨٥: فاضطجعت على فراشي، وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئة، وأن الله يُبرئني، ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيًا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يُتلى، وأنزل الله عز وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ...﴾ الآيات العشر كلها...

(١) قال العيني (عمدة القارئ ٢٥/ ١٨٥): يبرؤني أي برؤيا يراها رسول الله ﷺ ونحوها. في عمدة القارئ ١٣/ ٢٢٦ قالت: ما أحِسّ منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: وأنا جارية حديثة السنّ لا أقرأ كثيرًا من القرآن، فقلت إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدّث به الناس، ووقر في أنفسكم، وصدقتم به ولئن قلت إني بريئة لتصدّقني، والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف، إذ قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ثم تحوّلت على فراشي، وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيًا ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري. ولكني كنت أرجو أن يرى= رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرؤني الله فوالله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ما كان يأخذه من البرحاء... في إمتاع الأسماع ١/ ٢٠٩: إن الرسول ﷺ بعد خطبته دخل على عائشة.. فتشهد ثم قال: أما بعد يا عائشة... فقالت لأبيها: أجب عني رسول الله... فقالت لأمها: أجيبي عني فقالت: إني والله قد علمت أنكم سمعتم... ولئن اعترفت لكم بأمر يعلم الله أني منه بريئة لتصدّقنّي وإني والله ما أجد لي مثلًا إلا أبا يوسف إذ يقول: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ..﴾، فقال أبو بكر (رض): ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد الله، فيقال لنا في الإسلام وأقبل عليها مغضبًا فبكت.

(٢) في تاريخ الطبري: ثم دخل علي رسول الله ﷺ... فجلس فحمد الله... حتى ما أحسّ منه شيئًا، وانتظرت أبويّ أن يجيبا رسول الله ﷺ فلم يتكلّما، قالت: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأنًا من أن ينزل الله عز وجلّ فيّ قرآنًا=

فلما أن استعجما عليّ، استعبرت فبكيتُ، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا. والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقولُ الناسُ، والله يعلمُ أني منه بريئة، لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدّقونني، قالت: ثم التمست اسم يعقوب، فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما يقول أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[١]، قالت:

فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه، حتى تغشّاه من الله ما كان يتغشّاه، فسُجّي في ثوبه، ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعتُ ولا باليت[٢]، قد عرفتُ أني بريئة، وأن الله غير ظالمي،

= يقرأ به في المساجد، ويصلّى به، ولكني أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئًا يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي قالت: قلت لهما... والله لئن أقررت.. لتصدّقني... ما تقولون.. ولكني أقول كما قال... في صفة الصفوة: يبرئني... قال: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عزّ وجلّ. في تاريخ الذهبي: فقلت لأبي... فقلت لأمي... لا تصدّقوني... لتصدّقني والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلّا قول أبي يوسف.. في عمدة القارئ: كما في رواية الذهبي مع: والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلّا أبا يوسف.. في إمتاع الأسماع: كما في رواية الذهبي مع: لتصدّقني...

(١) سورة يوسف، الآية ١٨ والآية ٨٩ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

(٢) في تاريخ الطبري: ما فزعت كثيرًا.. في صفة الصفوة: حتى أنزل الله عزّ وجلّ على نبيه فأخذهُ ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى أنه كان ليتحدّر منه مثل الجمان من العرَق في اليوم الشاتي، من ثقل القول، الذي أنزل عليه، قالت فلما سُرّي وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة، أما الله عزّ وجلّ فقد برّأك. في تاريخ الذهبي: «فصبر جميل...» ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا أعلم أني بريئة، وأن الله يبرئني ببراءتي. ولكن والله ما ظننت أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله ما قام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرَق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه. قالت: فلما سُرّي عنه وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة: أما والله لقد برّأكِ الله... في إمتاع الأسماع: فغَشِيَ رسولَ الله ﷺ ما كان يغشاه وسُجّيَ بثوبه، وجُمعت وسادة من أدم.. ثم كشف عن وجهه وهو يضحك ويمسح جبينه وقال: يا عائشة إنّ الله قد أنزل براءتك. البُرَحاء: شدة الحمّى، البرح: شدة الحرّ، شدّة الكرب. سُجّي: غُطّي. سُرّي: أزيل أو كُشِف.

وأما أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُرّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرُجنّ أنفسهما فَرَقًا من أن يأتي من الله تحقيق، ما قال الناس، قالت: ثم سُرّي عن رسولِ الله ﷺ فجلسَ وإنّه ليتحدّر منه مثل الجمان في يوم شاتٍ، فجعل يمسحُ العرقَ عن جبينه، ويقول:

أبشري يا عائشة، فقد أنزلَ الله براءتك. قالت: قلتُ بحمدِ الله[1]، ثم خرجَ إلى الناسِ، فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزلَ الله عليه، من القرآن في ذلكَ، ثم أمر بمسطحِ بن أثاثة، وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضُربوا حدّهم.

قالت:

فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى[2]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. وذلك حسان بن ثابت في أصحابه الذين قالوا ما قالوا[3].

قالت[4]:

---

(١) في تاريخ الطبري: فقلت: بحمد الله وذمّكم. في صفة الصفوة وتاريخ الذهبي: فقالت أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عزّ وجلّ. في تاريخ الذهبي: ولا أحمد إلّا الله وأنزل الله.. في عمدة القارئ: أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي الله، فقد برّأكِ الله فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلّا الله فأنزل... في إمتاع الأسماع: قال: يا عائشة، إن الله قد أنزل براءتك، فأنزل الله...

(٢) سورة النور آية ١١ ٢/٦١٧.

(٣) يروي الطبري في تاريخه/ ما قاله ابن إسحق في سيرة ابن هشام ٣/٣٠٢ فيقول: إن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك! قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. في صفة الصفوة: فأنزل الله عزّ وجلّ (إنّ الذين...) عشر آيات، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآيات في براءتي. في تاريخ الذهبي: وأنزل الله (إن الذين...) العشر الآيات كلها. في إمتاع الأسماع: فخرج ﷺ إلى الناس مسرورًا، فصعد المنبر، وتلا على الناس ما نزل عليه في براءة عائشة (رض) ويقال كان نزول براءة عائشة بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة. قال الواقدي عن الذين جاءوا بالإفك لم يضربهم الحدّ. وهو الأثبت عند المقريزي.

(٤) في مسطح وكان أبو بكر ينفق عليه لقرابته=

فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ـ ٥ ـ قصة القاسم وأخته

قصة روتها عائشة أمام القاسم بن محمد بن أبي بكر:

قَدِمَ عبد الرحمن بن أبي بكر إلى مصرَ بعد مقتلِ أخيه محمد، فاحتمل ابنه القاسمُ وابنة أخيه إلى المدينةِ، واحتملتهما عائشةُ فحمدتِ الله وأثنت عليه، فقالت:

يا أخي إني لم أزل أراك معرضًا عني، منذ قبضت هذين البنيَّين منك، ووالله ما قبضتهما تطاولًا عليك، ولا تهمة لك فيهما، ولا شيء تكرهه، ولكنك كنت رجلًا ذا نساء، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئًا فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرون به من قبيح أمر الصبيان، فكنت ألطف لذلك، وأحق لولايته، فقد قويا على أنفسهما وشبَّا وعرفا ما يأتيان فها هما هذان فضُمّهما إليك، وكن لهما كحجية بن الضرب أخي كندة، فإنه كان له أخ، يقال له معوان، فمات، وترك صبية صغارًا في حجر أخيه، فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عليهم، وكان يؤثرهم على صبيانه، فمكث بذلك ما شاء الله، ثم إنه عرض له سفر، لم يجد بدًا من الخروج فيه، فخرج وأوصى بهم امرأته. وكانت إحدى بنات عمه. وكان يقال لها زينب. فقال:

اصنعي ببني أخي ما كنت أصنع بهم، ثم مضى لوجهه، فغاب شهرًا، ثم

= وحاجته، وهو أحد المشاركين في معركة بدر. في تاريخ الطبري: ثم قال الله عز وجـــــل ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا...﴾ الآية أي كما قال أبو أيوب وصاحبته. فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا، ولا أنفعه بنفع أبدًا... قالت: فأنزل الله... الآية. وفي تاريخ الذهبي: فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة... قال أبو بكر: بلى والله إني لأحبّ أن يغفر الله لي.. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه.. وقال: والله لا أنتزعها أبدًا. في عمدة القارئ: برواية الذهبي نفسها مع: فرجع إلى مسطح الذي كان يجدي عليه.

رجع، وقد ساءت حال الصبيان، وتغيّرت. فقال(*):

ويلك ما لي أرى بني معدان مهازيلَ، وأرى بنيّ سمانًا. قالت: قد كنتُ أواسي بينهم، ولكنهم كانوا يعبثون ويلعبون، فخلا بالصبيين، فقال: كيف كانت زينب تصنع بكم؟ قالوا: سيئة ما كانت تعطينا من القوتِ إلّا ملء هذا القدح من لبن. وأروه قدحًا صغيرًا. فغضب على امرأته غضبًا شديدًا، وتركها حتى إذا راح راعيًا إيله، قال لهما: اذهبا، فأنتما، وإبلكما لبني معدان، فغضبت من ذلك زينب، وهجرته، وضربت بينه وبينها حجابًا. فقال: والله لا تذوقين منها صبوحًا ولا غبوقًا أبدًا. وقال في ذلك شعرًا:

لججنا ولجّت هذه في التغضب

ولط الحجاب بيننا والتجنب

قالت عائشة: فلما بلغ زينب هذا الشعر، خرجت حتى أتت المدينة، فأسلمت وذلك في ولاية عمر بن الخطاب، فقدم حجيّة المدينة فطلب زينب أن تردّ عليه، وكان نصرانيًا فنزل بالزبير ابن العوّام، فأخبرته بقصّتِه، فقال له:

إياك، وأن يبلغ هذا عنك عمر، فتلقى منه أذى، وانتشر خبر حجية بالمدينة، وعلم فيمن كان مقدمه، فبلغ ذلك عمر، فقال للزبير: قد بلغني قصّة ضيفك، ولقد هممت به لولا تحرمه بالنزول عليك. فرجع الزبيرُ إلى حجية، فأعلمه قول عمر، فمدحه بأبياته التي أولها:

إنّ الزبير بن العوام تداركني. . .

ثم انصرفَ متوجّهًا إلى بلده آيِسًا من زينب كئيبًا حزينًا. وأنا والله يا أخيَ خشيت عليك من مثل ذلك لئلّا يصيبكَ من نسائك ما أصاب حُجيةَ وزينب، أما الآن، فقد كبرا، وصارا يمكنهما أن يدفعا عن أنفسهما تعدّيات غيرهما، فأخذهما عبد الرحمن إليه، وهو يثني على عائشة.

ـ ٦ ـ قصة النجاشي والأحباش (للسيدة عائشة)

قال عروة بن الزبير(١): فإنّ عائشة

(*) الدر المنثور ٢٨٢.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١/١٩٥ هذه الرواية عن عروة بن الزبير رواها بمعناها ثم بلفظ عائشة.

أمّ المؤمنين حدثتني: أنّ أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلّا النجاشي، وكان للنجاشي عمّ من صُلبه اثنا عشر رجلًا، فقالت الحبشة: لو أنّا قتلنا هذا وملّكنا أخاه، فإنّه لا ولدَ له غيرُ هذا الغلام، ولأخيه اثنا عشر ولدًا، فتوارثوا ملكه من بعده، بقيت الحبشة بعده دهرًا، فَعَدَوْا على أبي النجاشي فقتلوه، وملّكوا أخاه، فمكثوا حينًا، ونشأ النجاشي مع عمّه، فكان لبيبًا حازمًا، فغلب على أمر عمّه، ونزل منه بكلّ منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت بينها: والله لقد غلب هذا على عمّه، وإنّا نتخوف أن يُملّكه علينا، وإنْ ملَك ليَقتُلنا بأبيه، فكلّموا الملك[١]، فقال: ويلكم، قتلت أباه بالأمس، وأقتله اليوم! بل أُخرِجُه من بلادكم، قالت: فخرجوا به فباعوه لتاجر بستمائة درهم، فقذفهُ في سفينة وانطلق به، حتى إذا كان آخر النهار، هاجتْ سحابةٌ، فخرج عمّهُ يستمطر تحتّها، فأصابته صاعقةٌ فقتلتهُ، ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هو محمقٌ ليس في ولده خير، فمزج الأمر، فقالوا، تعلّموا، والله إن ملككم الذي لا يُقيم أمركم غيرُهُ، للذي بعتموه غدوةً، فخرجوا في طلبه فأدركوه، وأخذوه من التاجر، ثم جاءوا به، فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير ملكه، فجاء التاجر فقال: مالي، قالوا: لا نعطيك شيئًا، فكلّمه فأمرهم، فقال: أعطوه دراهمه أو عبده، قالوا: بل نعطيه دراهمه، فكان ذلك أولَ ما خُبِرَ من عدْلِهِ، رضي الله عنه.

(١) أي ليقتله.

القطع الأدبية

ـ ٧ ـ التأبين أو التعازي أو التوديع أو الرثاء

لما توفي أبو بكر الصديق (رض)، وقامت على قبره[٢]، قالت[*]:

نضّر اللهُ وجهكَ، وشكرَ لك صالحَ

(٢) في الرياض النضرة لمحب الدين الطبري: حين مرّت على قبره.

(*) البيان والتبيين، طبعة بيروت ٢/ ٣٦٣ وطبعة ١٩٨٥ ٢/ ٣٠٥، الرياض النضرة ١/ ٢٤٢، العقد الفريد ٣/ ١٣، نهاية الأرب ٥/ ١٧٠، الإجابة للزركشي ٥٧، المستطرف للأبشيهي ٢/ ٢٨٣.

سعيكَ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلاً، بإدبارِكَ عنها[١]، وللآخرة معزًّا، بإقبالك عليها، وإنْ كـان لأجَـلّ الأرزاء[٢] ـ بـعـد رسول الله ﷺ ـ رزؤكَ، وأكبر المصائب فقدُكَ[٣]، وإنَّ كتاب الله ليَعِدُ بجميلِ العزاء فيكَ[٤]، حُسْنَ العَوَضِ منكَ، فأنتجزُ من الله موعدَه فيكَ[٥]، بالصبر عنك، وأستخلصَه بالاستغفار لكَ[٦].

أما[*] لئن كانوا أقاموا بأمور الدنيا، لقد قُمتَ بأمر الدين، حين وهِيَ شَعْبُه، وتفاقمَ صَدْعه، ورجعتْ جوانبُه[٧]. فعليك السلام[٨] ورحمة الله، توديع غير قالية لك، ولا زارية على القضاء فيكَ.

ثم انصرفت.

ـ ٨ ـ قالت تصف أباها (رض)[**]:

إنّ أبي كان غَمْرًا[٩]، شاهِدُه غَمْرًا، غيبُه غَمْرًا، صمْتُه لا عن مفروض ذلّله عند الحق، إذا نزل به، يتمخّج[١٠] الأمر هويناه[١١]، ويريع إلى قصيراه[١٢]، إنِ اسْتعزَز أسجحَ[١٣]، وإنْ تعزّزَ عليه طامنَ،

(١) في الرياض النضرة: بإعراضِكَ عنها..

(٢) في الرياض النضرة والإجابة: ولئن كان أجلّ بعد رسول الله ﷺ رزؤك... في نهاية الأرب: ولئن كان أجل الحوادث بعد...

(٣) في الرياض النضرة: وأعظمها فقدك... في نهاية الأرب: وأعظم المصائب بعده فقدك...

(٤) في الرياض النضرة: إنّ كتاب الله ليَعِدُ بالعزاء عنك... في نهاية الأرب: إنّ كتاب الله ليَعِدُ بحُسْن الصبر فيك وحُسْن العوض منكَ.

(٥) في الرياض النضرة: فأنا أتنجزُ من الله... عليك.. في نهاية الأرب: فإنّا لنتنجز موعود الله بحسن العزاء عليك. في الإجابة: وأنا أستنجز موعود الله فيك بالصبر.

(٦) في الرياض النضرة: وأستعيضه منك بالدعاء لك... في نهاية الأرب: وأستعيضه منك بالاستغفار لك... في الإجابة: وأستقضيه بالاستغفار لك...

(*) الإضافة من نهاية الأرب والإجابة للزركشي.

(٧) في الرياض النضرة: يحذف العبارة السابقة، في الإجابة: بأمر الدنيا.. لما وَهِيَ..

(٨) في الرياض النضرة: فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وعليك السلام... قالية لحياتك. في الإجابة: فعليك سلام الله توديع.. لحياتك.

(**) بلاغات النساء ٦.

(٩) غمر: الغَمر بالفتح: الكثير الإحسان، الكريم النفس، وبالكسر الغِمْر: المملوء حقدًا، وبالضم الغُمْر: الزعفران أو طلاء. فوصفت أباها بالكرم والتسامح في سرّه وعلانيتهِ وصمتهِ إلّا عن أمر مفروض لا تسامح فيه.

(١٠) يتمخج: مخج الدلو جذب بها وحرّكها حتى تمتلئ.

(١١) هويناه: سهلهُ.

(١٢) يريع: يرجع، أو يفيض بالجود. قصيراه: غايته.

(١٣) استعزز: غضب. أسجح: سامح.

طيار بفناء المعضلة[١]، بطيء عن مماراة الجليس، منشئ لمحاسن قومه، موقور السمع عن الأذاة، يا طول حزني وشجاي، لم ألع على مثكول بعد رسول الله ﷺ، لوعي على أبي، طامن المصائبَ رزؤهُ، وكنتَ بعد النبي ﷺ ـ لا رزء أحفله ـ وعاء الوحي، وكافلَ رضاء الرب، وأمينَ رب العالمين وشفيع من قال لا إله إلّا الله.

ـ ٩ ـ

قالت عائشة(*):

قبض رسول الله ﷺ، فلو نزل[٢] بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها[٣]، اشرأبّ[٤] النفاقُ بالمدينة، وارتدّتِ العربُ[٥] فوالله ما اختلف المسلمون في نقطة إلّا طار أبي بحظها وغَناءها في الإسلام[٦]، ومن رأى عمر بن الخطاب علم أنه خلق غناء للإسلام، كان والله أحوذيًا نسيج وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها[٧].

ـ ١٠ ـ

دخلت عائشة على أبيها في مرضه الذي مات فيه، قالت(*):

يا أبتِ إعْهَدْ إلى حامتك[٨]، وأنْفِذْ رأيكَ في سامتك[٩]، وانقلْ من دار جَهازكَ إلى دار مقامك إنك محضور، متصل بقلبي لوعتك[١٠]، وأرى تحادل أطرافك، وانتقاع لونك، وإلى الله تعزيتي عنك[١١]، ولديه ثواب حزني عليك، أرقأ فلا أرقى، وأبل فلا أنقى[١٢].

(١) طامن: إنْ غولب في المخاطبة سكنَ؛ فناء المعضلة: استعارة الفناء للمعضلة الجسيمة؛ المماراة: الشك.

(*) بلاغات النساء ٩ والعقد الفريد ٤/٨٨ ونثر الدر ٤/١٨.

(٢) في نثر الدر: لو نزل..

(٣) هاضها: هاض يهيض، هاضه الحزن، كسره وفتته.

(٤) في نثر الدرّ: فاشرأب.

(٥) في نثر الدرّ: العرب قاطبة، وعاد أصحاب محمد، كأنهم معزى مطيرة في خِفَش، فما اختلفوا فيه من أمر إلا على أبي بِفَلائه وغَنائه ومن رأى عمر... أنه كان عونًا للإسلام.. الخِفَش: البيت الذليل.

(٦) الصحيح غَنائها.

(٧) أحوذيًا وفي رواية أوحديًا، وأحوزيًا: الحسن السباق للأمور. ينظر المثل (نسيج وحده) في الأمثال، من هذه الرسالة.

(**) بلاغات النساء (٧)، والعقد الفريد ٤/ ٩٠ و٣/ ٧.

(٨) في العقد: خاصتك...

(٩) في العقد: عامتك... ورواية العقد أصحّ.

(١٠) في العقد: ومتصل بي لوعتك.

(١١) في العقد: فإلى الله تعزيتي عليكَ...

(١٢) في العقد: وأشكو فلا أشكى...

- ١١ -

قالت عائشة (يوم الحَكمين)(*):

رحمكَ الله يا أبتِ فلئن أقاموا الدنيا، لقد أقمت الدين، حين وهي شعبه، وتفاقم صَدْعه، ورجفتْ جوانبُه، انقبضتَ عما إليه أصغوا، وشعرتَ فيما عنه وَنَوْا، وأصغرتَ من دنياك ما أعظَموا[1] ورغبتَ بدينكَ عما أغفلوا، أطالوا عنان الأمل[2]، واقتعدتَ مطيء الحذر، فلم تهتضمْ دينكَ[3]، ولم تنسَ غدكَ، ففاز عند المساهمة قِدْحُكَ، وخفَّ مما استوزروا ظهرُكَ.

- ١٢ -

قالت عند مقتل الإمام علي كرم الله وجهه وكانت حزينة باكية(**):

السلامُ عليكَ يا نبيَّ الهدى، السلامُ عليكَ يا أبا القاسم، السلام عليك يا رسولَ الله، وعلى صاحبيك يا رسولَ الله، أنا ناعية إليك أحظى أحبائك، وذاكرة لك أكرم أودّائك، عليك قُتِلَ والله حبيبكَ المجتبى، ووصيُك المرتضى، قُتل والله من زوَّجتَه خيرَ النساء، قُتِل والله من آمنَ ووفى، وإنّي لنادبة ثكلاء، وعليه باكية حرّاء، فلو كشف عنك الثرى، لقلت أنه قتل أكرمهُم عليك، وأحظاهم لديكَ، ولو أمرت أن يجيب النداء لك مني، ما عرضني له منذ اليوم، والله يُجري الأمورَ على السداد.

(*) بلاغات النساء ١٤، ونثر الدر ٤/٢٣، يوم الحكمين: أي بين الإمام علي كرم الله وجهه وبين معاوية بن أبي سفيان في حرب صفين. وكان الحاكمان أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص.

(١) في نثر الدر: واستصغرت..

(٢) في نثر الدر: عنان الأمن.. ورواية البلاغات أصح.

(٣) في نثر الدر: فلم تهضم.

(**) العقد الفريد ٢/٢٧٦، أشك في صحة هذه الرواية لأنها لم ترد في مصدر آخر وللمعاني التي وردت فيها.

الخُطَب

- ١٣ - خطبة عائشة بالبصرة

قال ابن قتيبة[4] لما أكثرَ الناسُ الكلام واللوم على عائشة، تكلمت بلسان طلق، وكانت من أبلغ الناس، فحمدتِ الله، وأثنت عليه، ثم قالت(***):

(٤) الإمامة والسياسة ٥٣.

(***) الإمامة والسياسة ٥٣.

أيها الناسُ، والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يُستَحلّ دمُه، ولقد قُتِل مظلومًا، غضبنا لكم من السوط والعصا، ولا نغضبُ لعثمانَ من القتل! إن من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان، فيقتلوا به ثم يرد هذا الأمر شورى، على ما جعله عمر بن الخطاب، فمن قائل يقول: صدقت، وآخر يقول: كذبت، فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض.

ـ ١٤ ـ خطبة السيدة عائشة بعد معركة الجمل

تم تجهيز عائشة للرحيل، من البصرة إلى المدينة، بعد عقر جملها، ودّعت الناس في البصرة وقالت(*):

يا بَنيّ، لا يعْتبْ بعضكم على بعض[1]، إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم، إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها[2]، وإنه على معتبتي لمن الأخيار[3].

فقال الإمام علي (رض)[4]:

صدقَتْ والله ما كان بيني وبينها إلّا ذاكَ، وإنها لزوجةُ نبيِّكم في الدنيا والآخرة.

ـ ١٥ ـ

خطبة السيدة عائشة (رض) عندما سمعت خبر مقتل عثمان (رض) بعد أن عادت من مكة ـ وكانت قد خرجت للحج ـ إلى المدينة، وقصدت الحِجْر، فسُتِرتْ فيه، واجتمعتِ الناس إليها، فقالت(**):

يا أيها الناس[5]، إنّ الغوغاء من

(*) تاريخ الدول الإسلامية لابن طباطبا ٨٨، وتاريخ الطبري ٤/ ٥٤٤، وتاريخ ابن الأثير ٣/ ١٣٢.

(١) في تاريخ الطبري: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة. في تاريخ ابن الأثير: يا بني لا يعتب بعضنا...

(٢) في تاريخ الطبري: فلا يعتدنّ أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، وإنه والله ما كان... وأحماتها..

(٣) في تاريخ الطبري: وإنه عندي على معتبتي من الأخيار.

(٤) في تاريخ الطبري: يا أيها الناس، صدقتْ والله وبرّتْ ما كان بيني... إلّا ذلك..

(**) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٨ و ٤/ ٤٥٩ و ٤/ ٤٦١، الكامل لابن الأثير ٣/ ١٠٦، الدر المنثور ٢٨٠ وجمهرة خطب العرب ١٢٦.

(٥) في كامل ابن الأثير والدر المنثور وجمهرة خطب العرب: أيها الناس... اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلمًا... ونقموا=

أهل الأمصار، وأهل المياه وعبيد أهل المدينة، اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرْب، واستعمال من حدَثت سِنّهُ، وقد استُعمل أسنانهم قبله، ومواضع من مواضع الحِمَى، حماها لهم، وهي أمور، قد سُبقَ بها، لا يصلح غيرها، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحًا لهم. فلم يجدوا حجّةً ولا عذرًا، خلجوا وبادروا بالعدوان ونَبأ عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام. والله لأصبُع عثمان خيرٌ من طِباق الأرض أمثالهم. فنجاة من اجتماعكم عليهم، حتى يُنكَّل بهم غيرهم، ويُشرَّد مَنْ بعدهم ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبًا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه، إذ ماصوه كما يُماص الثوبِ بالماء[1].

ـ ١٦ ـ «خطبة»

روي أنه بلغها أنّ أناسًا ينالون من أبيها، فأرسلتْ إليهم. فلما حضروا، أسدلتْ أستارها، وأعلت وسادها ثم دنت فحمدت الله، وأثنت عليه، وصلّتْ على نبيهﷺ، وعذلتْ وقرعتْ[2]، وقالت[*]:

أبي[3] وما أبيَهْ! لا تعطوه الأيدي، ذاك والله حصنٌ منيف، وظلّ مديد أنجح[4] إذ أكديتم، وسبق إذ ونيتم سبق الجواد إذا استولى على الأمد[5]، فتى قريش ناشئًا وكهفها كهلًا، يريش عملقها، ويفكّ عانيها، ويرأب صدعها،

= عليه استعمال... أمثالهم قبله، ومواضع من الحمى... فتابعهم ونزع لهم عنها، فلما لم يجدوا حجة ولا عذرًا، بادروا بالعدوان فسفكوا الدم... واستحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام، والله لأصبع من عثمان... أمثالهم، و والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبًا لخلص منه، كما يخلص الذهب من خبثه...

(١) في تاريخ ابن الأثير والدرّ المنثور: فقال عبدالله بن عامر الحضرمي: ها أنا أول طالب فكان أول مجيب تبعه بنو أمية، وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة. ماص الثوب: غسله بالأصابع.

(٢) ينظر نثر الدر للآبي ٤/١٦.

(*) بلاغات النساء ٣، العقد الفريد ٤/٨٩، نثر الدر ١٦، صفة الصفوة ٢/١٦.

(٣)(٤) في العقد الفريد: إنّ أبي والله لا تعطوه الأيدي إلى الأبد طود منيف وظل ممدود ونجح. في نثر الدر: أبي والله لا تعطوه.. طود منيف.. هيهات هيهات كذبت الظنون. في صفة الصفوة: ذلك طود منيف، وفرع مديد هيهات كذبت الظنون. تعطوه: تناولوه. الطود المنيف: الجبل المشرف.

(٥) في العقد الفريد وصفة الصفوة: الأمد... يفك عانيها ويريش مملقها. أكديتم: خبتم ويئس من خيركم. ونيتم: فترتم.

ويلمّ شَعَثَها[١] حتى حلّته قلوبها، واستشرى في دينه، فما برحت شكيمته[٢] في ذات الله، عزّ وجلّ، حتى اتخذ بفنائه مسجدًا[٣]، يحيي فيه ما أمات المبطلون، وكان رحمة الله عليه غزيرَ الدمعة، وقيذَ الجوانح، شجيَّ النشيج، فانصفقت عليه نسوان أهل مكة[٤] وولدانها يسخرون منه ويستهزئون به، والله يستهزئ بهم، ويمدّهم في طغيانهم يعمهون، وأكبرت ذلك[٥] رجالات قريش فحَنَتْ له[٦] قسيّها، وفوقت إليه سهامها، فامتثلوه غرضًا، فما فلوا له صفاة، ولا قصفوا له قناة[٧]، ومرّ على سيسائه، حتى ضرب الدين بجرانه، ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجًا، من كل فرقة أرسالًا وأشتاتًا[٨]، اختار الله لنبيّهﷺ ما عنده فلما قبض رسول الله ﷺ، ضرب الشيطان برواقه، وشدّ طُنبه[٩] ونصب حبائله، وأجلب بخيله ورجله، وألقى بركبه، واضطرب حبل الدين، والإسلام، ومرج عهده، وماج أهله، وعاد مبرمه أنكاسًا.

وبغى الغوائل، وظن رجال أن قد أكثبت أطماعهم نهزتها[١٠] ولات حين الذي[١١] يرجون، وإني والصديق بين أظهرهم، فقام حاسرًا، مشمرًا قد رفع

---

(١)(٢) في العقد الفريد: ويرأب شعثها فما برحت شكيمة. في نثر الدرّ: ويلم شعثها ويرأب صدعها.. ثم. في صفة الصفوة: ويرأب شعثها حتى حليته... ثم استشرى في الله تعالى. الأمد: الغاية. يرأب: يجمع. استشرى: احتدّ. شكيمته: الأنفة والحميّة.

(٣) في العقد الفريد: في ذات الله تشتد حتى اتخذ...

(٤) في العقد الفريد: وأصفقت.. نسوان مكة.. في نثر الدر وصفة الصفوة: فانقضت.. نسوان مكة.. الوقيذ: العليل. الجوانح: الضلوع القصار التي تقرب من الفؤاد. النشيج: صوت البكاء.

(٥) في العقد الفريد: وأكثر ذلك..

(٦) في نثر الدر: فحنت إليه.. وفوقت له.. وامتثلوه.. في صفة الصفوة: وفوقت له.. وانتثلوه.. انتثلوه: مأخوذ من النثلة، وهي الجعبة، امتثلوه: نصبوه أو جعلوه هدفًا يرمى.

(٧) في العقد الفريد: ولا قصموا.. حتى ضرب الحق بجرانه وألقى بركه ورست.. الصفاة: الصخرة الملساء. والثانية أصحّ.

(٨) في نثر الدر: ومن كلّ شرعة أشتاتًا وأرسالًا اختار الله جل اسمه لنبيّهﷺ.. قبض الله رسوله.. في صفة الصفوة: قبض الله تعالى نبيه.. نصب الشيطان رواقه.. على سيسائه: على شدّه. الجران: الصدر مقدمة عنق البعير.

(٩) في العقد الفريد ونثر الدر وصفة الصفوة: ومدّ...

(١٠)(١١) في نثر الدر: وظنتْ رجالٌ... أكثبت نُهزها... التي.. في صفة الصفوة: تحققت أطماعهم.

حاشيتيه[١]، وجمع قطريه، فردّ نشر الدين على غرّه[٢]، ولمّ شعثه بِطيّه، وأقام أوده بثِقافه فابذَقر النفاق بوطأته[٣]، وانتاش الدين فنعشه، فلما أراح الحقّ على أهله، وأقرّ الرؤوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها، وحضرته منيّته[٤]، نضّرَ الله وجهه، فسدّ ثلمته، بشقيقه في المرحمة[٥] ونظيره في السيرة والمعدلة[٦]، ذاك ابن الخطاب لله درّ أمّ حفلتْ له[٧]، ودرّت عليه، لقد أوْحدت، ففنخ الكفرة وديخها[٨]، وشرّد الشرك شذرَ مذرَ، وبعج الأرض وبخعها[٩]، ففاءت أكلها، ولفظت خبيئها[١٠]، ترامه ويصدّعنها[١١]، وتصدى له ويأباها، ثم وزع فيئها فيها، وتركها كما صحبها فأروني ماذا ترتأون[١٢]، وأي يومَيْ أبي تنقمون، أيوم إقامته عدلكم إذ عدل فيكم، أو يوم ظعنه إذ نظر لكم[١٣]، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ـ ١٧ ـ خطبة عائشة في قتل عثمان

تكلمت عائشة وكانت جهورية يعلو صوتها، فحمدت الله عزّ وجلّ وأثنت

---

(١)(٢) في نثر الدر: قد جمع.. ورفع قطريه.. نشر. في صفة الصفوة: فجمع.. ورفع قطريه.. نشر الإسلام على غربه. رفع حاشيتيه: تحزم للأمر، وتأهب. قطريه: ناحيتيه.

(٣) في العقد الفريد: فاندعر... بوطئه. في نثر الدر: فامذقر... بوطئه. في صفة الصفوة: فاندفر... بوطأته. في العقد الفريد: وانتاش الناس بعدله حتى أزاح الحق على أهله. وإني لأظن أن هذه الكلمة لا تتفق مع المعنى. الأود: العوج. اندفر، امذقر، ابذعر: كلها بمعنى تفرق. الثقاف: التقويم.

(٤) في العقد: ثم أتته منيته.. نظيره في المرحمة. في نثر الدر: بنظيره في الرحمة.. في صفة الصفوة: أتته منيته.. بنظيره في المرحمة..

(٥) المصدر نفسه.

(٦) في العقد الفريد: وشقيقه في المعدلة.. وذلك.. في نثر الدر: ومقتفيه في السيرة.. ذلك.. في صفة الصفوة: وشقيقه في السيرة..

(٧) في نثر الدر وصفة الصفوة: لله أم حملت به..

(٨) في العقد الفريد: ففتح الفتوح وشرد... في نثر الدر: ودَنّخها.. فنخ الكفرة: أذلّها. وديخها: صغرها وقهرها.

(٩) في نثر الدر: ونجعها.. بعج الأرض وبخعها: شقها.

(١٠) في العقد الفريد: جناها.. ويأباها.. وتريده ويصرف عنها.. ثم تركها. في نثر الدر: خبأها.. في صفة الصفوة: ويصدف عنها..

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) في العقد الفريد: ماذا تروني. في نثر الدرّ: وودعها كما صحبها.. في صفة الصفوة: ثم ورع فيها وودعها.. ما تريبون.

(١٣) في العقد الفريد: يوم إقامته إذ عدل فيكم.. أم يوم طلعته. في نثر الدر: أيوم.. إذ عدل فيكم.. في صفة الصفوة: أيوم... إذ عدل فيكم أم يوم فقد نظر..

عليه وقالت(*):

كان الناس يتجنَّوْن على عثمان (رض)، ويُزرون على عمّاله ويأتوننا بالمدينة، فيستشيروننا[١] فما يُخبروننا عنهم ويَروْن حسنًا من كلامنا، في صلاح بينهم، فننظر في ذلك، فنجده بريًا تقيًا وفيًا، ونجدهم فجرةً كذبةً يحاولون[٢] غير ما يظهرون. فلمّا قووا على المكاثرة كاثروه[٣] فاقتحموا عليه داره، واستحلّوا الدم الحرامَ، والمالَ[٤] الحرام والبلد الحرام، بلا تِرة ولا عذر[٥]، إلّا أن ما ينبغي[٦] لكم غيره[٧]، أخذ قتلة عثمان (رض)، وإقامة كتاب الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾[٨].

(*) تاريخ الطبري ٤/٤٦٤، وتاريخ ابن الأثير ٣/١٠٨، الدر المنثور ٢٧٨.

(١) في الدرّ المنثور: فيستسمعوننا فيما يخبروننا.

(٢) في الدرّ المنثور: وهم يحاولون..

(٣) في الدرّ المنثور: فلما قووا كاثروه وفتحوا عليه... واستحلّ.

(٤) في الدرّ المنثور: والشهر الحرام.

(٥) في الدرّ المنثور: بلا شره وعذر.

(٦) في الدرّ المنثور: ولا..

(٧) في الدرّ المنثور: وقرأت..

(٨) سورة آل عمران، الآية ٢٣، قالت زينب فواز: وكانت عائشة فصيحة الكلام صحيحة المنطق فهاجت السامعين. في تاريخ ابن الأثير: أن الخطبة كانت كما=

٨ - خطبة عائشة عندما جاءت من مكة إلى البصرة قبل معركة الجمل

قالت(**):

إنّ لي عليكم حرمةَ الأمومة[٩]، وحقَّ الموعظة، لا يتهمنّي إلّا من عصا ربَّه، قبض رسول الله ﷺ بين سحري ونحري، وأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادّخرني ربي، وحصنني من كلّ بضع[١٠]، وبي ميّز مؤمنكم من منافقكم، وبي أرخص الله

= يأتي: فقالت عائشة: والله ما مثلي يغطي لبنيه الخبر. إن الغوغاء ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه وآووا المحدثين، فاستوجبوا لعنة رسول الله ﷺ مع ما نالوا من قتل بإمام المسلمين، بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام، وسفكوه، وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، فخرجت في المسلمين أعلمهم، ما أتى من هؤلاء، وما الناس فيه وراءنا، وما ينبغي لهم من إصلاح هذه القصّة. وقرأت «لا خير في كثير من نجواهم... الآية» فهذا شأننا إلى معروف، نأمركم به، ومنكر ننهاكم عنه.

(**) بلاغات النساء ٧، والعقد الفريد ٤/ ١٢٤، والدرّ المنثور ٢٨١.

(٩) في العقد الفريد والدرّ المنثور: أيها الناس صه صه!! إن لي.. حق.. وحرمة... ومات رسول الله..

(١٠) في العقد: ادّخرني.. وسلّمني من كل بضاعة.. في الدر: له ادخرني.. وسلّمني من كل بضاعة..

لكم في صعيد الأيواء[١]، وأبي رابع أربعة من المسلمين، وأول من سمّي صديقًا[٢] قبض رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ[٣]، وقد طوّقه وهف الإمامة، ثم اضطرب حبلُ الدّين، فأخذ أبي بطرفيه، ورتقَ لكم أثناءه[٤] فوقذ النفاق، وأغاض نبع الردّة، وأطفأ ما تحشّ يهود[٥]، وأنتم يومئذٍ جحظ العيون، تنظرون العدوة[٦]، وتستمعون الصيحة، فرأب الثأى، وأوزم العطلة، وامتاح من المهواة[٧] واجتحَى دفينَ الداء، ثم انتظمت طاعتكم بحبلهِ[٨] فولّى أمركم رجلًا شديدًا في ذات الله عزّ وجلّ، مذعنًا، إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللابتين عركة للأذاة بجنبه، فقبضه الله، وأطأ على هامة النفاق، مذكيًا نار الحرب للمشركين[٩] يقظان الليل، في نصرة الإسلام، صفوحًا عن الجاهلين خشاش المراة والمخبرة، فسلك مسلك السابقية[١٠] تبرأت إلى الله من خطب جمع شمل الفتنة، ومزّق[١١] ما جمع القرآن. أنا نُصْبَ المسألة عن مسيرى هذا ألا وأني لم أجرد إثمًا أدّرعه ولم أدلس[١٢] فتنة أطأ كموها، أقول قولي

---

(١) في العقد: منافقكم ومؤمنكم.. في الدرّ: منافقكم ومؤمنكم.. أرخص..

(٢) في العقد والدر: ثم أبى ثالث ثلاثة من المؤمنين، وثاني اثنين في الغار وأول...

(٣) في العقد والدرّ: مضى رسول... راضيًا عنه وطوقه طوق...

(٤) في العقد: فمسك أبي.. وزين له أفياءه، فوقم النفاق.. في الدر المنثور: فمسك... ورتق لكم تتق النفاق..

(٥) في العقد والدرّ: ما حشّ يهود..

(٦) في العقد: النفرة وتسمعون.. في الدر: القدرة وتسمعون..

(٧) في العقد والدرّ: وأوذم.. وانتاش من المهواة.

(٨) في العقد والدرّ: حتى أعطن الوارد، وأورد الصادر، وعلّ الناهل.. فقبضه الله، واطئًا على هامات النفاق مذكيا.. المعاني: من كل بضع أو بضاعة: نكاح، صعيد الأيواء: ليلة= نزول آية التميم، ووهف الإمامة: ثقلها، وقذ النفاق: كسره ودفعه، تحش يهود: توقد نار الفتنة، العدوة: الوثبة، رأب الثأى: أصلح الفاسد، أوزم العطلة: العطلة: الدلو المعطّلة، والوزم: السيور التي تربط الدلو، أي شدها وأصلحها، المهواة: البئر العميقة، اجتحى: استأصل، اللابتين: نوع من الأرض، استعارة لسعة الصدر.

(٩) في العقد والدرّ: للمشركين وانتظمت بضاعتكم بحبله، ثم ولي أمركم رجلًا مرعيًا إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللابتين عروكة للأذاة جنبه. في الدر: للأذن بجنبه.

(١٠) في العقد والدرّ: السابقة..

(١١) في العقد: ففرق شمل الفتنة، وجمع أعضاد ما جمع القرآن. في الدرّ: ففرق شمل الفتنة وجمع أعضادها جمع القرآن وأنا نصب المسألة.

(١٢) في العقد والدرّ: لم ألتمس إثمًا، ولم أدلس فتنة. ورواية العقد أصح الروايات لسلامتها لغويًا ومعنويًا.

هذا صادقًا وعدلًا[١] واعتذارًا، وتعذيرًا، وأسأل الله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، وأن يخلفه في أمته[٢]، بأفضل خلافة المرسلين وأني أقبلت لدم الإمام المظلوم المركوبةِ منه الفِقَرُ الأربع: حرمةُ الإسلام، وحرمةُ الخلافة، وحرمةُ الصحبة، وحرمة الشهر الحرام، فمن ردّنا عن ذلك بحقّ قبلنا ومن خالفنا قتلناه، وربما ظهر الظالمُ على المظلوم والعاقبة للمتقين.

ـ١٩ـ خطبة عائشة بعد سماعها بمقتل عثمان (رض)

قالت[*]:

أَقُتِلَ أميرُ المؤمنين؟ قالوا: نعم. قالت: فرحمه الله وغفر له، أما والله لقد كنتم إلى تشييد الحق[٣] وتأييده، وإعزاز الإسلام وتأكيده، أحوجَ منكم إلى ما نهضتم إليه من طاعة من خالف عليه، ولكن كلما زادكم الله نعمة في دينكم ازددتم تثاقلًا في نصرته، طمعًا في دنياكم، أما والله لهدم النعمة أيسر من بنائها، وما الزيادة إليكم بالشكر بأسرع من زوال النعمة عنكم بالكفر، وأيم الله لئن كان فَنِيَ أكلُه، واخترمه أجلُه[٤] لقد كان عند رسول[٥]، كزارع البكرة الأزهر[٦]، ولئن كانت الإبل أكلت أوبارها، إنه لصهر رسول الله ﷺ، ولقد عهدت الناس يرهبون في تشديد ثم قدح حب الدنيا، في القلوب، ونبذ العدل وراء الظهور، ولئن كان بركَ عليه الدهر بِزَوْره[٧]، وأناخ عليه بكلكله[٨]، إنها النوائب تترى، تلعب بأهلها وهي جادة وتجد بهم وهي لاعبة، ولعمري لو أن

(١) في العقد والدرّ: صدقًا.. وإعذارًا وتعذيرًا. وهذه الرواية أصحّ.
خُشاش المراة: الخُشاش: الشجاع (من الأضداد)، المراة: امترى استخرج لبن الناقة. المخبرة: إدراك الشيء بالاختبار وليس بالنظر أي شجاعا خيرًا. لم أجرد إنّما أدرعه: أي لم أتلبس بالإثم. أدلس: أكتم أو أخفي. المركوبة من الفقر: الفقر الأربع في الظهر، ضربتها مثلًا، أي انتهكوا منه أربع حرم.

(٢) في العقد والدرّ: يخلفه فيكم...

(*) بلاغات النساء ١٤، ونثر الدر ٤/ ٢٣.

(٣) في نثر الدرّ: تسديد الحق..

(٤) في نثر الدرّ: واخترم أجله.. فني أكله واخترمه أجله: قطعت منيته.

(٥) في نثر الدرّ: رسول الله ﷺ. ولا بد أن يكون الخطأ أو النسيان من الناسخ أو الطباعة.

(٦) في نثر الدرّ: كذراع البكر. وهذه الرواية أصح. ومن الملاحظ أن نص البلاغات أطول في عباراته من الدر. البكرة: الفتية من الإبل. الأزهر: الأقوى.

(٧) الزور: الصدر، الثقل.

(٨) الكلكل: وسط الصدر.

أيديكم تقرع صفاته لوجدتموه عند تلظي الحرب متجردًا، ولسيوف النصر متقلدًا، ولكنها فتنة قدحت فيها أيدي الظالمين، أما والله لقد حاط الإسلام وأكده وعضد الدين وأيده، ولقد هدم الله به صياصي[1] الكفر، وقطع به دابرَ المشركين، ووقمَ به[2] أركان الضلالة، فلله المصيبة به ما أفجعها، والفجيعة به ما أوجعها!، صدع الله بمقتله صفاة الدين[3]، وثلمت مصيبة ذروة الإسلام بعده، وجعل لخير الأمة عهده.

ـ ٢٠ ـ خطبة عائشة يوم سمعت بمقتل عثمان

قالت[*]:

يا أيها الناس إن عثمان قتل مظلومًا و والله لأطلبنّ بدمه.

ـ ٢١ ـ

وقالت[**]:

ولكن أكياس، هذا غب ما كان يدور بينكم من عتاب الاستطلاح، وقالت:

مَهيم! فأصمّ ودمدم، وقالت:

ويحك (الكلام مع أحد أخوالها) علينا أو لنا؟

ـ ٢٢ ـ

قيل لها أن عثمان قتل وبويع علي (رض) قالت[***]:

ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض[4] قتل مظلومًا، وأنا طالبة بدمه[5].

فقيل لها: إن أول من طعن عليه، وأطمع الناس فيه لأنت، ولقد قلت: اقتلوا نعثلًا فقد فجر.

قالت:

قد والله قلت وقال الناس، وآخر

---

(١) الصياصي: الحصون.

(٢) وقم: قهر وأذل.

(٣) الصفاة: الصخرة الملساء.

(*) تاريخ الطبري ٤/٤٥٩.

(**) تاريخ الطبري ٤/٤٤٨.

(***) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٤٢، وتاريخ الدول الإسلامية لابن طباطبا ٨٢.

(٤) في تاريخ الدول: قالت: ليت هذه انطبقت على هذه، وإن تمّ الأمر لصاحبك. رواية ابن قتيبة أرجح لأن السيدة عائشة لم تكن معترضة على المبايعة، وإنما على مقتل عثمان فقط.

(٥) في تاريخ الدول: والله لأطلبن بدمه..

قولي خير من أوله(١).

ـ ٢٣ ـ خطبة عائشة أمام ملأ من بني أمية بالحجاز

قالت(*):

أيها الناس إن هذا حدث عظيم وأمر منكر، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة، فأنكروه فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم، لعل الله عزّ وجلّ يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم.

ـ ٢٤ ـ خطبة عائشة في البصرة(**)

لا تقتلوا إلّا من قاتلكم، ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان (رض)، فليكفف عنا، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحدًا.

ـ ٢٥ ـ الوصية

قالت عائشة(***):

إنكم لن تلقَوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب فمن سرّه أن يسبقَ الدائب المجتهد، فليكفّ نفسه عن كثرة الذنوب.

(١) في تاريخ الدول: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول.

(*) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٩.

(**) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

(***) صفة الصفوة ٢/ ١٤.

ـ ٢٦ ـ

قالت لأبي الأسود(****):

يا أبا الأسود(٢) إياك أن يقودك الهوى إلى النار ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ..﴾(٣).

ـ ٢٧ ـ وصية

خرج ابن عباس من عند عثمان (رض) فمر بعائشة في الصُلصُل، فقالت(*****):

يا ابن عباس أنشدك الله فإنكَ قد أُعطِيتَ لسانًا إزعيلًا(٤) (أي ذلقًا) أن تُخذِّلَ عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجتْ (وضحت)، ورفعت لهم المنار، وتحلَّبوا من البلدان لأمر قد حُمّ(٥)، وقد رأيت

(****) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٢.

(٢) أبو الأسود أحد المشاركين في معركة الجمل سنة ٣٦هـ.

(٣) سورة النساء الآية ١٣٥.

(*****) تاريخ الطبري ٤/ ٤٠٧ شرح ابن أبي الحديد ١٠/ ٦.

(٤) إزعيلًا: نشيطًا.

(٥) في شرح نهج البلاغة: جم، كان الموضوع في أحداث سنة ٣٥هـ، وقد وضعت كثير من الأقوال ونحلت، ثم نسبت إلى السيّدة عائشة، بشكل معتمد، بسبب الدسّ الشعوبي، لمنزلتها عند الرسول ﷺ، وفي الإسلام ولكونها بنت أبي بكر (رض).

طلحة بن عبيدالله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح فإنْ يَلِ يَسِرْ بسيرة ابن عمه أبي بكر. قال: قلت يا أمه لو حدثَ بالرجل ما حدثَ، ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا. فقالت: إيهًا عنك إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك.

- ٢٨ - «وصية»

قالت(*):

إذا أعجبك حسنُ عمل امرئ، فقلِ اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. ولا يستخفّنك أحد، أي لا تغترّ بعمل أحد، فتظنّ به الخير، إلّا إن رأيته واقفًا عند حدود الشريعة.

- ٢٩ -

قالت(**):

روّوا[١] أولادكم الشعرَ تعذبْ ألسنتُهم.

- ٣٠ -

قالت(***):

(*) عمدة القارئ ٢٥/ ١٢٤.

(**) العقد الفريد ٥/ ١٦٦ و ٦/ ٨.

(١) في رواية: علّموا..

(***) البيان والتبيين، ط ١٩٨٥ ٣/ ٢٨٩.

سلوا ربّكم حتى الشِسْع، فإنه إنْ لم ييسّره لم يتيسّرْ[٢].

- ٣١ -

قالت(****):

يا بني لا تطلبوا ما عند الله، من عند غير الله، بما يُسخِط الله.

الرسائلُ والكتبُ

- ٣٢ - كتاب عائشة إلى أم سلمة

بعد أن استلمت عائشة (رض) كتاب أم سلمة (رض) كتبت إليها كتابًا جوابيًا قالت فيه(*****):

ما أقبلني لوعظكِ[٣]، وأعلمني

(٢) الشِسْع: أحد سيور النعل الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب في صدر النعل المشدود.

(****) البيان والتبيين ٣/ ٢٧٥، ط ١٩٨٥.

(*****) الإمامة والسياسة ٤٥، العقد الفريد ٤/ ١٢٦.

(٣) في العقد الفريد: من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة: سلام عليك، فإني أحمد الله إليك، الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فما أقبلني.. وأعرفني لحق نصيحتك، وما=

بنصحكِ، وليس مسيري على ما تظنّينَ، ولنِعْم المطلع، مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين، فإن أقدر ففي غير حرج، وإن أحرج، فلا غنى بي عن الازدياد منه والسلام.

ـ ٣٣ ـ رسالة عائشة إلى عثمان (رض)

لما شكى أهل مصر من ابن أبي سرح(١)، وقدموا إلى المدينة، أرسلت السيدة عائشة إلى عثمان رسالة، جاء فيها(*):

قد تقدمتْ إليك أصحابُ رسول الله ﷺ، وسألوكَ عزلَ هذا الرجل، فأبيتَ أن تعزله، فهذا قد قتل منهم، رجلًا، فأنصفهم من عاملِكَ.

= أنا بمعتمرة بعد تعريج، ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين، من المسلمين، فإن أقعد فعن غير حرج، وإن أمضِ فإلى ما لا غِنَى بي عن الازدياد منه، والسلام. الرواية الثانية أرجح، لأنها كتاب أو رسالة مكتملة الشروط، في البدء بالسلام والحمد والتهليل، ثم عرض جوهر الرسالة. بدليل قول الرسول ﷺ: كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء (طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٤) ولعل ذلك ينطبق على الرسائل أيضًا.

(١) ابن أبي سرح: هو قائد جيش المسلمين في مصر.

(*) العقد الفريد ٤/١٠٦.

ـ ٣٤ ـ رسالة عائشة إلى زياد بن أبي سفيان(**):

أرسلت كتابًا إلى زياد تستوصِلُه فيه طِرّة بن أبي عثمان مولى عبد الرحمن بن أبي بكر (رض)، وقيل هو مولى عائشة، قالت فيه:

من عائشة أم المؤمنين.. (ولم يذكر بقية الكتاب)(٢).

ـ ٣٥ ـ كتاب عائشة إلى أهل الكوفة

قالت فيه(***):

أما بعد فإني أذكّركم اللهَ عزّ وجلّ والإسلام، أقيموا كتاب الله، بإقامة ما فيه، اتقوا الله واعتصموا بحبله، وكونوا مع كتابه، فإنّا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامةِ كتاب الله، بإقامة حدودهِ، فأجابنا الصالحون إلى ذلك، واستقبلنا

(**) معجم البلدان ٥/ ٣٢٣.

(٢) ذكر ياقوت في معجمه أن زيادًا سُرّ بكتاب أم المؤمنين، وعرضه ليقرأ عنوانه، ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأبلة، وكان عثمان بن مرة من سراة أهل البصرة. وفي الكامل لابن الأثير ٣/١٠٦: روي أنها أرسلت كتبًا إلى رجال من أهل البصرة، وإلى الأحنف بن قيس، وصبرة بن شيمان، وأمثالهم. وأقامت بالحفير تنتظر الجواب.

(***) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٢.

من لا خير فيه بالسلاح، وقالوا:

لنتبعنَّكم عثمان، ليزيدوا الحدود تعطيلًا، فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر، وقالوا لنا المنكر، فقرأنا عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾[1] فأذعن لي بعضهم، واختلفوا بينهم، فتركناهم وذلك. فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيه الأول من وضع السلاح في أصحابي، وعزم عليهم عثمان بن حنيف[2] إلّا قاتلوني، حتى منعني الله عزّ وجلّ بالصالحين، فردَّ كيدَهم في نحورهم، فمكثنا ستةً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده، وهو حقن الدماء أن تُهراق دون من قد حلّ دمه، فأبوا واحتجّوا بأشياء، فاصطلحنا عليها، فخافوا وغدروا وخانوا، فجمع الله عزّ وجلّ لعثمان (رض) ثأرهم فأقادهم[3] فلم يُفلِتْ منهم إلّا رجل، وأردأنا الله[4]، ومنعنا منهم بعمير بن مرثد ومرثد بن قيس، ونفر من قيس، ونفر من الرباب والأزد، فالْزموا الرضا إلّا عن قتلة عثمان بن عفان، حتى يأخذ الله حقَّه، ولا تُخاصموا الخائنين ولا تمنعوهم، ولا ترضوا بِذُوِيّ[5] حدودِ الله من الظالمين.

فكتبتُ إلى رجال بأسمائهم. فثبطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونُصْرتهم، وأجْلسوا في بيوتكم، فإن هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان (رض)، وفرّقوا بين جماعة الأمة، وخالفوا الكتاب والسُنّة، حتى شهِدوا علينا فيما أمرناهم به، وحثثنا عليهم من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده بالكفر، وقالوا لنا المنكر، فأنكر ذلك الصالحون، وعظّموا ما قالوا، وقالوا ما رضيتم أن قتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم ﷺ أن أمَرتكم بالحق لتقتلوها وأصحاب رسول الله ﷺ. وأئمة المسلمين، فعزموا وعثمان بن حنيف معهم على من أطاعهم من جُهّال الناس وغوغائهم على زُطّهم وسيابجهم فلذْنا منهم بطائفة من الفُسْطاط، فكان ذلك الدأب ستةً وعشرين يومًا، فدعوهم إلى الحق، وألّا يحولوا بيننا وبين الحق،

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٣.

(٢) عثمان بن حنيف والي البصرة سنة ٣٦هـ.

(٣) فأقادهم: استعارة من القيد وهو حبل يجعل في رجل الدابة.

(٤) أردأنا الله: دعمنا الله وأقرّنا على ما كنا عليه، أعاننا.

(٥) ذويّ: ذوى: ذبل ونشف ماؤه.

فغدروا وخانوا نقايسهم[١].

٣٦ - كتاب عائشة إلى معاوية

كتب معاوية إلى عائشة أن اكتبي إلي بشيء سمعتِهِ من أبي القاسم ﷺ فكتبتْ إليه[*]:

سمعتُ أبا القاسم ﷺ يقول: من عمِلَ بما يُسخطُ الله، عاد حامدُه من الناس له ذامًّا[٢].

٣٧ - رسالة عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي[٣]

لما قدِمتْ عائشة البصرة كتبت إليه[**]: من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان.

أما بعد[٤]، فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم، فانصرفنا[٥] على أمرنا هذا، فان لم تفعل فخذِّل الناس عن علي. واحتجوا ببيعة طلحة والزبير، فأبردوا بريدًا، فجاءهم بالحجّة، فلم يعرفوا الحق، ولم يصبروا عليه، فعادَوْني في الغلس[٦] ليقتلوني، والذي يحاربهم

(١) نقايسهم: أي لم نقابلهم المثل بالمثل ولم نجاورهم.

(*) البيان والتبيين، ط ١٩٨٥ ٢/٣٠٣، والعقد الفريد ١/٤٥ وصفة الصفوة ٢/١٤.

(٢) في العقد الفريد: أما بعد فإنه من يعمل بمساخط الله، يصير حامده من الناس ذامًّا له والسلام. في صفة الصفوة: أما بعد فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عزّ وجلّ عاد حامده من الناس ذامًّا.

(٣) زيد بن صوحان هو: أحد أبناء الصحابة الذين كانوا مع عائشة. وفي رواية الأعلام ٣/٩٨ نقلًا عن طبقات ابن سعد ٦/١٢٣ أنه كان مع علي يوم الجمل، وقبل مقتله، ندم على مشاركته في قتل عثمان فقال: إنا قتلنا أميرهم، وليتنا إذ ظلمنا صبرانا، وفي رواية ابن عساكر ٦/١٣ أن زيدًا قتل مع طلحة والزبير وحينئذ قالت عائشة (إنا لله وإنا اليه راجعون) دليل على حزنها.

(**) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٤. العقد الفريد ٤/١٢٦. مجمع الأمثال ٣/١٠٩. تاريخ ابن الأثير ٣/١٠٩.

(٤) في العقد: كان نص الرسالة: من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان سلام عليك، أما بعد، فإن أباك كان رأسًا في الجاهلية وسيدًا في الإسلام، وإنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق، يقال: كاد أو لحق وقد بلغك الذي كانَ، وفي الإسلام من مصاب عثمان بن عفان، ونحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر، فإذا أتاك كتابي هذا، فثبط الناس عن علي بن أبي طالب، وكن مكانك حتى يأتيك أمري والسلام. إنني أشك في رواية العقد لأنها خالفت الروايات الأخرى ولم تطابق أية منها.

(٥) في مجمع الأمثال: (تأمره بتثبيط أهل الكوفة) ولم يذكر نص رسالتها. في تاريخ ابن الأثير: فانصرفنا فإن لم...

(٦) الغلس: ظلمة آخر الليل. سُدّة بيتي: السُدّة: ما يجلس عليه كالمنبر.

غيري، فلم يبرحوا حتى بلغوا سدّة بيتي ومعهم هادٍ يهديهم إليّ، فوجدوا نفرًا على باب بيتي منهم عمير بن مرثد، ومرثد بن قيس، ويزيد بن عبد الله بن مرثد، ونفر من قيس، ونفر من الرباب والأزد، فدارت عليهم الرحا، فأطاف بهم المسلمون فقتلوهم وجمع الله عزّ وجلّ كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزبير وطلحة، فإذا قتلنا بثأرنا وَسِعَنا العذرُ.

ـ ٣٨ ـ كتاب عائشة

بعد أن كتب لها علي (رض) كتابًا قال فيه:

أما بعد فإنكِ خرجتِ غاضبة لله ولرسوله تطلبين أمرًا كان عنكِ موضوعًا، ما بالُ النساء والحرب والإصلاح بين الناس تطلبين بدم عثمان، ولعَمري لمن عرّضكِ للبلاء وحملَكِ على المعصية أعظمُ إليك ذنبًا من قتلة عثمان. وما غضبتِ حتى أغضبتِ، وما هجتِ حتى هيّجتِ فاتقي الله وارجعي إلى بيتك.

فكتب له طلحة كتابًا قال في بعضه:

أما أنت فلست راضيًا دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبدًا فاقض ما أنت قاضٍ.

فكتبت إليه عائشة(*): جلّ الأمر على العتاب والسلام.

ـ ٣٩ ـ كتاب ردّ السيدة عائشة على الأشتر

كتبته جوابًا على رسالته، وجاء فيه(**):

أما بعد، فإنّكَ أولُ العرب شبَّ الفتنةَ، ودعا إلى الفُرقة وخالف الأئمة، وسعى في قتل الخليفة، وقد علمت أنكَ لن تعجزَ الله حتى يصيبك منه بنقمة، ينتصرُ بها منكَ، للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك، وفهمتُ ما فيه، وسيكفينيك الله، وكلّ من أصبح مماثلًا لكَ في ضلالِكَ، وغيّكَ إن شاء الله.

(*) الإمامة والسياسة ٥٥.

(**) شرح ابن أبي الحديد، ٣/ ٨٠.

الأمثال

- ٤٠ -

قالت(*):

لليدين والفم(١).

- ٤١ -

كانت عائشة إذا ذُكر عمر (رض) تقول(**):

كان والله أحوزيًا نسيجَ وحده، وقد أعدّ للأمور أقرانها(٢).

- ٤٢ -

قالت(***):

رُمي فلان بريشة على غاربه(٣).

- ٤٣ -

قالت(****):

حدَثٌ من فيكَ كحدثٍ من فرجكَ(٤).

- ٤٤ -

قالت(*****):

(*) المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٢٩٣.

(١) قال الزمخشري: أي كبّه الله ليديه وفمه، قالته عائشة لرجل أصابته نكبة.

(**) العقد الفريد ١/ ٣٨.

(٢) ينظر المثل (نسيج وحده)، تفسيره وتخريجه.

(***) مجمع الأمثال ٢/ ٧٢.

(٣) ويروى المثل: بِرَسَنِهِ... يضرب لمن خلّي، ومراده لا ينازعه فيه أحد. قالت عائشة ليزيد بن الأصم الهلالي، ابن أخت ميمونة زوج النبي ﷺ: ذهبتْ والله ميمونة ورُمي بريشك على غاربك. كان الملوك القدماء يضعون الريش على أسنمة الإبل،=

= ليعرف أنها حِباء الملوك. يُنظر المثل: خلا لك الجو فبيضي واصفري (في الأمثال).

(****) مجمع الأمثال ١/ ٣٤٩ والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٣١٠ و ٢/ ٦٠.

(٤) في رواية أخرى في المستقصى: الحدَث حدَثان، حدَثٌ من فيك، وحدَثٌ من فرجك. نسب الحديث لعائشة وابن عباس في كلا المصدرين. قال الميداني: يعني أن الكلام القبيح مثل الحدث تمثل به ابن عباس، وعائشة. وقال الزمخشري: يضرب في مقالات السوء.

(*****) مجمع الأمثال ٣/ ١٨٥ وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٨٣ والمستقصى في أمثال العرب ٢/ ٢٦١ قال الميداني: يضرب لمن يمتهن جديدَه، فيؤمر بالتوقي عليه بالخلق. يروى أن عائشة (رض) وهبتْ مالًا كثيرًا ثم أمرت بثوب لها أن يُرقع، وتمثلت بهذا المثل. وقال العسكري: صُنْ خَلَقَكَ ولا تضيّعه ليكونَ وقايةً=

لا جديدَ لمن لا خَلَق له.

ـ ٤٥ ـ

قالت(*):

ملكْتَ فأسْجِحْ(١).

= لجديدك. وقال بعض الأعراب:

إلبس قميصكَ ما اهتديْتَ لجيبهِ
فإذا أضلّك جيبُه فتبدّل

وكان عند عائشة (رض) طبق فيه عنب، فجاءها سائل فدفعت إليه حبة واحدة منه، فضحك نساء كنّ عندها. فقالت: إنّ فيما ترين مثاقيل ذرّ كثيرة، أرادت قول الله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره» ووهبت عائشة (رض) مالاً، ثم أمرت بقميصها أن يُرقع، فقيل لها في ذلك، فقالت: لا جديد لمن لا خَلَقَ له. وقال الزمخشري: قالته عائشة (رض) وقد وهبت مالاً كثيرًا، ثم أمرت بثوب لها أن يُرقع، يضرب في الحث على استصلاح المال.

(*) مجمع الأمثال ٣/٢٧٨ وجمهرة الأمثال ٢/٢٤٦ والمستقصى من أمثال العرب ٢/ ٣٤٨.

(١) قال الميداني: الإسجاح: حُسْن العفو أي ملكت الأمر عليّ فأحسن العفو عني. وأصله: السهولة والرفق. يقال، مشية سُجح، لعلي (رض) يوم الجمل، حين ظهر على الناس، فدنا من هودجها، ثم كلمها بكلام، فأجابته: ملكتَ فأسجح، فجهزها عند ذلك، بأحسن جهاز، وبعث معها أربعين امرأة حتى قدمت المدينة. قال الأحوص:

سلامٌ إنكِ قد ملكتِ فأسجحي
قد يملك الحرُّ الكريمُ فيسجحُ=

الأقوال والحكم

ـ ٤٦ ـ

قالت(**):

جُبلت القلوب، قلوب الناس على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

ـ ٤٧ ـ

قالت(***):

قولوا لرسول الله ﷺ خاتم النبيين ولا تقولوا: لا نبيّ بعدَه، فإلّا تكنْ ذهبتْ إلى نزول المسيح، فما أعرف له وجهًا، إلّا أن تكون قالت:

= وقال العسكري: قد ملكت فسهّل، والتسجيح: التسهيل، والمثل لأنس بن حجير ذكر حديثه في ٨٠٧ من الجمهرة. وقالته عائشة يوم الجمل. وقال الزمخشري: قالته عائشة لعلي (رض) يوم الجمل أي قدرت فاعف.

(**) البيان والتبيين ٢/٩٩.

(***) الحيوان ١/٣٤١.

لا تغيّروا ما سمعتم، وقولوا كما قيل لكم، والفظوا بمثله سواء.

- ٤٨ -

قالت(*):

ما لعن رسول الله ﷺ مسلمًا من لعنة تُذكر، ولا ضربَ بيده شيئًا قطّ، إلّا أن يَضرِب بها في سبيل الله، ولا سُئل عن شيء قط فمنعه، إلّا أن يُسأل مأثمًا(١)، ولا انتقم لنفسه من شيء(٢) إلّا أن تُنتهَك حرماتُ الله فيكون الله ينتقم، ولا خُيّر بين أمرين قط إلّا اختار أيسرهما، وكان إذا أحدثَ العهد بجبريل يدارسه، كان أجودَ الناس بالخير من الريح المرسلة.

- ٤٩ -

قالت(**):

إنّ رسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل لا فظّ ولا غليظ، ولا سخّاب بالأسواق، ولا يجزى بالسيئة مثلها، بل يعفو ويصفح(٣).

- ٥٠ -

قالت عائشة تبين سبب مجيئها إلى البصرة(***):

غضبنا لكم على عثمان في ثلاث: إمارة الفُتِيّ، وموقع الغمامة وضربة السوط والعصا، فما أنصفنا إن لم تغضب له عليكم في ثلاث جررتموها إليه: حرمةُ الشهر والبلد والدم.

- ٥١ -

قالت(****):

تبارك الذي وسِع سمعُه كلّ شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع له ولدي، ظاهرَ منّي اللّهم إني أشكو إليك.

(*) تلخيص المستدرك ٢/ ٦١٤ والمستدرك ٢/ ٦١٣.

(١) في المستدرك: فإن كان مأثمًا كان أبعد الناس منه...

(٢) في المستدرك: من شيء قط يؤتى إليه إلا...

(**) المستدرك: ٢/ ٦١٤ والتلخيص ٢/ ٦١٤ وصفة الصفوة ١/ ٦٤.

(٣) في صفة الصفوة: إن عائشة سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت...

(***) تاريخ الطبري ٤/ ٤٨٧.

(****) المستدرك ٢/ ٤٨١.

- ٥٢ -

قالت[(*)]:

ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا من فاطمةَ برسول الله ﷺ، وكانت إذا خلتْ عليه رحَّب بها، وقام إليها فأخذ بيدها، فقبّلها وأجلَسها في مجلسهِ.

- ٥٣ -

قالت[(**)]:

خرج النبي ﷺ غداة، وعليه مِرْط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسنُ والحسين، فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمةُ، فأدخلها معهما، ثم جاء علي فأدخله معهم.

- ٥٤ -

قيل لعائشة إن قومًا يشتمون أصحاب محمد ﷺ فقالت[(***)]:

قطع اللهُ عنهم العملَ، فأحبَّ أن لا يقطعَ عنهم الأجر.

(*) المستدرك ٣/ ١٦٢.

(**) المستدرك ٣/ ١٥٤.

(***) بلاغات النساء ١١.

- ٥٥ -

ذُكر أن عائشة رأت رجلًا متماوتًا فقالت[(****)]: ما هذا، فقالوا: زاهدٌ، قالت:

قد كان عمر بن الخطاب (رض) زاهدًا، وكان إذا قال أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب في ذات الله أوجع.

- ٥٦ -

قالت في الدعاء على قتلة عثمان (رض)[(*****)]:

اللّهم اقتل مذمّمًا قصاصًا بعثمان[(١)]، وارْمِ الأشقر بسهم من سهامكَ، لا يُشوي، وادركْ عمارًا بخفرتهِ في عثمان.

- ٥٧ -

وقالت في الدعاء أيضًا[(******)]:

(****) بلاغات النساء ١٢.

(*****) بلاغات النساء ١٣.

(١) مذمّما: محمد بن أبي بكر الذي أسهم في قتل عثمان بن عفان (رض). لا يشوي: لا يخطئ. خفرته: غدره.

(******) بلاغات النساء ١٣، ونثر الدرّ ٤/ ٢٣.
في نثر الدرّ: من عند غير..

لله درّ التقوى ما تركتْ لذي غيظ شفاء.

وقالت: لا تطلبوا ما عندَ اللهِ من غير الله بما يُسخطُ اللهَ.

- ٥٨ -

قالت(*):

من أرضى الله بإسخاط الناس، كفاهُ الله ما بينه وبين الناس، ومن أرضى الناس بإسخاط الله جلّ ذكره وكله الله إلى الناس.

- ٥٩ -

قالت(**):

خرجتُ أقفو آثار الناس يوم الخندق، فسمعت وئيدَ الأرض خلفي، فالتفتّ فإذا أنا بسعدِ بن معاذ(١).

- ٦٠ -

قالت(***):

لا تؤدي المرأةُ حقَّ زوجها، حتى لو سألها نفسها وهي على ظهر قتَب لم تمنعه.

- ٦١ -

قالت(****):

وددت أني إذا متّ كنت نسيًا منسيًا.

- ٦٢ -

وقالت(*****):

لا تتبعوا سريري بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء.

- ٦٣ -

وقالت(******):

يا ليتني لم أُخلَق، يا ليتني كنت شجرة، والله لوددت أني كنت مَدرة، والله لوددت أن الله لم يكن خلقني شيئًا قط.

وقالت: يا ليتني كنت حجرًا.

(*) نثر الدرّ ٤/ ٢٤.

(**) نثر الدرّ ٤/ ٢٤.

(١) سعد بن معاذ من الصحابة المقربين إلى رسول الله ﷺ لجهوده في نصرة الإسلام والمسلمين. وئيد الأرض: شدة الوطء.

(***) نثر الدرّ: ٢٤، القتب: الرَّحْل.

(****) طبقات ابن سعد ٨/ ٧٣.

(*****) المصدر نفسه.

(******) المصدر نفسه ٨/ ٧٤.

- ٦٤ -

وقالت(*):

إني قد أحدثت بعد رسول الله ﷺ فادفنوني مع أزواج النبي ﷺ.

- ٦٥ -

وقالت حينما سمعت ابن عباس يثني عليها قبل موتها(**):

أثنى عليّ ابنُ عباس، ولم أكن أحبّ أن أسمع أحدًا اليوم يثني عليّ، لوددت أني كنت نسيًا منسيًا.

- ٦٦ -

قالت(***):

لا تدفئوا مني النار ولا تحملوني على قطيفة حمراء[1].

- ٦٧ -

وقالت(****):

يا ليتني كنت نباتًا من نبات الأرض، ولم أكن شيئًا مذكورًا.

- ٦٨ -

قالت عائشة تصف أبا بكر (رض)(*****):

رجل أبيض نحيف، خفيف العارضَين، أجنأ[2]، لا يستمسك إزاره، يسترخي عن حِقْوَيْهِ[3]، معروق الوجه[4]، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع[5].

- ٦٩ -

قالت لعبدالله بن الزبير(******):

يا ابن أختي. أما والله إنّ أباكَ، وجدّكَ - يعني أبا بكر والزبير - لمن الذين قال الله عزّ وجلّ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾.

(*) المصدر نفسه ٨/ ٧٤.

(**) المصدر نفسه ٨/ ٧٤.

(***) طبقات ابن سعد ٨/ ٧٦.

(١) في رواية أخرى: لا تتبعوا سريري بنار ولا تجعلوا تحتي...

(****) المصدر السابق.

(*****) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٤.

(٢) أجنأ: أحدب أو أحنى.

(٣) حقويه: الحقو: الخصر.

(٤) معروق الوجه: قليل اللحم.

(٥) عاري الأشاجع: الأشاجع أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر في الكف.

(******) المستدرك ٢/ ٢٩٨ والتلخيص ٢/ ٢٩٨.

- ٧٠ -

قالت(*):

انظروا عمار بن ياسر، فإنه يموت على الفطرة، إلّا أن تدركه هفوة من كِبر.

- ٧١ -

قالت عائشة(**):

الحناء، شجرة طيبة وماء طهور.

- ٧٢ -

وخاطبت بكرة بنت عقبة فقالت(***):

إن كان لك زوج فاستطعت أَن تنزعي مقلتيكِ فتضعيهما أحسنَ مما هما فافعلي.

- ٧٣ -

قالت عائشة (رض)(****):

إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي، وبين سحرى ونحرى وأنّ الله جمع بين ريقي وريقه.

(*) المستدرك ٣/ ٣٩٤.

(**) طبقات ابن سعد ٨/ ٧١.

(***) طبقات ابن سعد ٨/ ٧١.

(****) طبقات ابن سعد ٨/ ٧١.

- ٧٤ -

قالت(*****):

يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة[١].

- ٧٥ -

قالت(******):

دمّث لنفسكَ قبل النوم مضطجعا[٢].

- ٧٦ -

قالت(*******):

إنّه نسيج وحده[٣].

(*****) التعرف لمذهب أهل التصوف للبخاري ٢٨.

(١) قال البخاري: وهي من تشهد لها عمار بن ياسر على منبر الكوفة فقال: أشهد أنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.

(******) مجمع الأمثال ١/ ٤٦٦.

(٢) يروى لجنبك، أي استعدّ للنوائب قبل حلولها. التدميث: التليين. الدماثة، الدّمث: اللين.

(*******) مجمع الأمثال ١/ ٦٦.

(٣) وذلك أن الثوب النفيس، لا ينسج على منواله عدة أثواب، قال ابن الأعرابي: معنى نسيج وحده: إنه واحد في معناه، ليس له فيه ثان، كأنه ثوب نسج على حدته، لم ينسج معه غيره، وكما يقال=

ـ ٧٧ ـ

قالت(*):

لا سمَر إلّا لثلاثة: مسافر، ومصلّ وعروس.

ـ ٧٨ ـ

قالت(**):

مكارم الأخلاق عشرة، صِدْقُ الحديث، وصِدْق اللسان(١)، وإداء الأمانة، وصِلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذلُ المعروف، وحِفظ الذمام للجار، وحفظ الذمام للصاحب، وقِرى الضيف، ورأسهنّ الحياء.

ـ ٧٩ ـ

قالت(***):

مكارم الأخلاق عشر، تكون في العبد دون سيّده، وفي الخامل دون المذكور، وفي المسود دون السيّد، صدق الحديث وأداء الأمانة، والصدْق والصبر في البأس، والتذمّم للصاحب، والتذمّم للجار، والإعطاء في النائبة، وإطعام المسكين، والرفق بالمملوك، وبرّ الوالدين.

ـ ٨٠ ـ

قالت(****):

كل كرم دونه لؤم، أولى به، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به. تريد أن أولى الأمور بالإنسان خصالُ نفسه، وإنْ كان كريمًا وآباؤه لئام، لم يضرّه ذلك، وإن كان لئيمًا وآباؤه كرام، لم ينفعه ذلك.

ـ ٨١ ـ

قال رجل لعائشة: كيف أصبحتِ؟ قالت(*****): بنعمة من الله.

ـ ٨٢ ـ

قالت(******):

المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله.

= نسيج وحده، يقال، رجل وحده. يروى عن عائشة أنها وصفت عمر بن الخطاب (رض) فقالت: كان والله أحوذيًا نسيج وحده قد أعدّ للأمور أقرانها، (مجمع الأمثال ١/٤٦٦)، وفي رواية أخرى أحوزيًا. والعقد الفريد ١/٣٨.

(*) البيان والتبيين ٣/٢١٢، ط ١٩٨٥.

(**) المستطرف ١/١١٤ ونثر الدرّ ٢٠.

(١) في نثر الدرّ: وصدق البأس.

(***) بلاغات النساء ١٥.

(****) العقد الفريد ٢/٣٩.

(*****) العقد الفريد ٢/١١٦.

(******) العقد الفريد ٢/١٢٨.

ـ ٨٣ ـ

قالت(*):

خلا لكِ الجوّ فبيضي واصفري.

ومنه: بريشكِ على غاربك[١].

ـ ٨٤ ـ

وقالت(**):

كسرُ عظمِ الميت ككسره حيًا.

الحوار

ـ ٨٥ ـ حوار وخطاب عائشة يوم الجمل

بعد أن رشقها السبية، وقتلوا كعب بن سور[٢] وكانت في هودجها صاحت(***):

البقيّة البقية، يا بنيَّ، الله الله، اذكروا الله والحساب. (فيأبون إلّا إقدامًا) فقالت:

أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. وخاطبت الأزد:

يا آل غسان حافظوا اليوم فجلادكم الذي كنا نسمع به. وأقبلت على كتيبة بين يديها فقالت:

من القوم؟ قالوا: بنو ناجية. قالت:

بخ بخ سيوف أبطحيّة قرشيّة، فجالدوا جلادًا يُتفادى منه. ثم أطافت بها بنو ضبّة. فقالت:

ويها حمرة الجمرات. وخالطهم بنو عدي بن عبد مناة وكثروا حولها. قالت: من أنتم؟ قالوا: بنو عدي، فأقاموا رأس الجمل. واستمرّ القتال وقالت:

ما زال جملي معتدلًا حتى فقدت أصوات بني ضبّة.

وقال لها محمد بن طلحة، وكان يأخذ بخطام الجمل: مريني يا أماه. قالت: آمركَ أن تكون خير بني آدم، إنْ تركت، فجعل لا يحمل عليه أحدٌ إلّا حملَ عليه.

(*) العقد الفريد ٢/ ٢٢٩.

(١) هذا المثل قالته عائشة لابن أخت ميمونة زوج النبي ﷺ: ذهبت والله ميمونة ورمي بريشك على غاربك.

(**) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨١.

(٢) كعب بن سور قاضي البصرة، ولي القضاء منذ زمن عمر (رض).

(***) تاريخ ابن الأثير ٣/ ١١٠.

ـ٨٦ـ حوار عائشة مع بعض المشاركين في معركة الجمل(*)

ضربت لها قبة بعد عقر الجمل، فأدخل محمد بن أبي بكر أخوها يده في الهودج، فقالت:

من هذا؟ قال: أخوك البَرّ.

قالت: عقق، قال: يا أُخيّة هل أصابكِ شيء، قالت: ما أنت وذاك؟ قال: فمن إذن الضُلّال؟ قالت: بل الهُداة.

قال عمار بن ياسر: كيف رأيتِ ضربَ بنيكِ اليوم يا أمّاه.

قالت: لستُ لكَ بأمّ. قال: بلى وإنْ كرهتِ. قالت: فَخرتُم أن ظَفرتُم، وأتيتُم مثلَ الذي نقمتم، هيهاتَ، واللهِ لن يظفرَ من كان هذا دأبهُ.

فقال الإمام علي: كيف أنتِ يا أمّة؟ قالت: بخير.

قال: يغفر الله لكِ. قالت: ولكَ.

وجاء أعيس بن ضبيعة المجاشعي، اطلع في الهودج، فقالت له: إليكَ لعنكَ الله. قال: والله ما أرى إلّا حميراء. فقالت: هتكَ اللهُ سترَكَ، وقطعَ يدكَ، وأبدى عورتكَ.

فقُتل بالبصرة، وسُلب، وقُطعتْ يده، ورُمي به عُريانًا في خربةٍ من خربات الأزد.

وجاء القعقاع فسلّم عليها فقالت:

إنّي رأيتُ بالأمس رجلين اجتلدا وارتجزا. قال: نعم.

وقالت:

والله لوددتُ لو أنّي مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرينَ سنةً. وجاء الإمام علي وقال:

والله لوددتُ أني متُّ من قبل اليوم بعشرينَ سنةً.

ـ٨٧ـ حوار عائشة وعثمان بن حنيف وعمران بن حصين والي البصرة

سُئلت عائشة بعد مقتل عثمان وقدومها البصرة(*):

يا أمَّ المؤمنين، أخبرينا عن مسيركِ هذا، أَعَهْدٌ عَهِدَهُ إليكِ رسولُ اللهﷺ، أم

(*) تاريخ ابن الأثير ١٣٠/٣.

(*) البيان والتبيين ٣٥٨/٢ ط ١٩٨٥. الإمامة والسياسة ٥٣ و ٥١، بلاغات النساء ١٢، العقد الفريد ١٢٧/٤، نثر الدر ٢٢/٤.

رأيَ رأيتِهِ، قالت:

بل رأيٌ رأيتهُ حين قُتل عثمان، إنّا نقمنا عليه ضربةً بالسوط[١] وموقع السحابة المحماة[٢]، وإمرة سعيد والوليد، فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحُرَمَ الثلاث: حرمةَ البلد، وحرمةَ الخلافة، وحرمةَ الشهر الحرام، بعد أن مُضناه كما يُماص الإناء[٣]، فاستنقى فركبتم منه هذه ظالمين، فغضبنا لكم من سوط عثمان[٤]، ولا تغضب لعثمان من سيفكم؟! قلت: فما أنت وسيفنا وسوط عثمان[٥]، وأنتِ حبيسُ رسول الله ﷺ أمَرَكِ أنْ تَقَرّي في بيتكِ، فجئتِ تضربين الناس بعضَهم ببعض؟

قالت: وهل أحدٌ يقاتلني أو يقول غير هذا؟ قلت: نعم، قالت: ومن يفعل ذلك؟ أزنيم بني عامر؟

ثم قالت: هل أنتَ مبلغ عني يا عمرانُ؟ قال: لا لستُ مبلغًا عنكِ خيرًا ولا شرًا. فقلت: لكني مبلغ عنك فهاتي ما شئت.

قالت: اللّهمَّ اقتلْ مذمّمًا قصاصًا بعثمانَ، وارْمِ الأشترَ بسهم من سهامك لا يُشوي، وأَرْدِ[٦] عمارًا بخُفرتِهِ في عثمان[٧].

ـ ٨٨ ـ حوار عائشة في ٣٦هـ

لما قُتل عثمانُ قدِم رجلٌ من مكة يقال له أخضر، إلى عائشة فقالت له[**]:

ما صنع الناس؟ قال: قتلَ عثمانُ المصريين. قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! أيَقتُلُ قومًا جاءوا يطلبونَ الحقَّ، وينكرونَ الظُّلمَ! واللهِ لا نرضى بهذا.

ثم قدِم آخرُ، فقالت: ما صنعَ الناسُ؟ قال: قتلَ المصريون عثمانَ.

قالت: العَجبُ لأخضرَ، زعم أنَّ

---

(١) في بلاغات النساء ونثر الدرّ: ضربة السوط.

(٢) في بلاغات النساء: وموقع المسحاة المحماة. في العقد الفريد: ومواضع من الحمي حماها. في نثر الدرّ: وموضع السحابة المحمية.

(٣) في العقد الفريد: بعد أن مصتموه..

(٤) في بلاغات النساء: فاستبقيناه فركبتم.. في نثر الدرّ: فاستتبناه فركبتم.. أغضبنا؟.

(٥) في البلاغات، والعقد الفريد، ونثر الدرّ: قلت ما أنت.. ماص: دَلك باليد. ماص الثوب: غسله.

(٦) في بلاغات النساء: وأدرِكْ.. في العقد الفريد: وارْمِ.

(٧) في العقد الفريد: بِجيرتهِ. لا يشوي: لا يخطئ. خفرتُه: غدرُه.

(**) تاريخ الطبري ٤/٤٤٩.

المقتول هو القاتل! فكان يُضرب به المثل: أكذبُ من أخصرَ.

ـ ٨٩ ـ

قالت(*):

قالت عائشة لابن أبي السائب، قاصّ أهل المدينة، ثلاثًا لتبايعني عليها أو لأناجزنّك، فقال:

ما هنّ؟ بل أنا أبايعك يا أمّ المؤمنين. قالت: اجتنبِ السجْعَ من الدعاء فإني عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك. وقُصَّ على الناس في كل جمعة مرّة، فإنْ أبيْتَ فثِنْتيْن، فإنْ أبيْتَ فثلاثًا، ولا تملّ الناس هذا الكتاب، ولا ألفينك تأتي القوم، وهم في حديث من حديثهم، فتقطع عليهم حديثهم، ولكنِ اتركهُمْ فإنْ جرّؤوكَ عليه وأمّرُوكَ به فحدّثهم.

ـ ٩٠ ـ حوار عائشة والخنساء

دخلت الخنساء يومًا على عائشةَ أمّ المؤمنين (رض) وعليها صدارٌ من شعَر قد استشعرتْهُ إلى جلدها، فقالت لها(**):

ما هذا يا خنساء فوَاللّه لقد توفي رسولُ اللهﷺ فما لبسته(1) قالت:

إنّ له معنى دعاني إلى لباسهِ، وذلك أنّ أبي زوّجني سيّدَ قومه، وكان رجلًا مِتلافًا، فأسرفَ في مالهِ حتى أنفذَه ثم رجع في مالي، فأنفذهُ أيضًا ثم التفت إليّ، فقال:

إلى أين يا خنساءُ، قلت: إلى أخي صخر، قالت:

فأتيناه فقسم ماله شطرين، ثم خيّرنا في أحسن الشطرين فرجعنا من عنده، فلم يزل زوجي حتى أذهَبَ جميعَه ثم التفتَ إليّ(2). فقال: إلى أين يا خنساء؟ قلت: إلى أخي صخر. قالت: فرَحلْنا إليه ثم قسم ماله شطرين وخيّرنا في أفضل الشطرين، فقالت له زوجته:

(*) الإجابة للزركشي ١٧٦.

(**) العقد الفريد ٣/ ٣٤، والدرّ المنثور ١١١.

(1) في الدرّ المنثور: أخناس قالت: لبيكِ يا أماه. قالت: أتلبسين الصدار وقد نُهي عنه في الإسلام؟ قالت: لم أعلم بنهْيِهِ. قالت: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قالت: موت أخي صخر، قالت عائشة: ما دعاك إلى هذا إلّا صنائع منه جميلة فصِفيها لي. قالت الخنساء: نعم إنّ لشِعاري سببًا، وذلك. . . يقامر بالقِداح فأتلفَ فيها مالَهُ حتى بقِينا على غير شيء فأراد أن يسافر. . .

(2) فقلت له: أقم وأنا آتي أخي صخرًا فأسأله فأتيتُه فشكوتُ إليه حالنا، وقلّةَ ذاتِ أيدينا، فشاطرني مالهُ، فانطلقَ زوجي فقامر به فقُمِر حتى لم يبق. .

أما ترضى أن تشاطرهم مالكَ حتى تُخيِّرهم بين الشطرين فقال: أفضل الشطرين[1]. واللهِ لا أمنحُها شرارَها فلو هلكْتُ قدَدَتْ خمارَها واتخذَتْ من شَعَرٍ صدارَها.

فآليت أن لا يفارقَ الصدارُ جسدي ما بقيتُ.

ـ ٩١ ـ حوار الزبير وعائشة(*)

دخل الزبير على عائشة فقال: يا أماهُ ما شهدتُ موطنًا قطُّ في الشركِ ولا في الإسلام، إلّا ولي فيه رأيٌ وبصيرة غير هذا الموطن، فإنّه لا رأيَ لي فيه ولا بصيرة وإنّي لعلى باطل[2].

قالت عائشة: أبا عبدِالله خفْتَ سيوفَ بني عبد المطلب، فقال: أما واللهِ إنّ سيوف بني المطلب طوالٌ حداد، يحملها فتيةٌ أنجاد[3].

ـ ٩٢ ـ

قالت(**): لولا الهجرةُ لسكنْتُ مكة، فإني لم أر السماءَ بمكان أقربَ إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئنّ قلبي ببلد قطّ ما اطمأن بمكة، ولم أر القمرَ بمكان أحسنَ منه بمكة.

ـ ٩٣ ـ

قيل لعائشة: صفي لنا أباك، قالت(*):

كان أبيض نحيف الجسم، خفيف العارضين، أحنى، لا يستمسك إزاره، معروق الوجه، غائر العينين، فاتئ الجبهة، عاري الأشاجع، أفرع، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم.

---

(١) ثم قالت إنّ زوجها مقامر وهذا ما لا يقوم به شيء فإن كان ولا بدّ من صلتها، فأعطِها خُمس مالِكَ فإنما هو مُتلَف والخيرُ فيه والشرُّ سِيّان..

(*) الإمامة والسياسة ١/٥٧، شرح ابن أبي الحديد ٢/١٦٧.

(٢) في شرح نهج البلاغة: لما قال الإمام علي كرّم الله وجهه: ليبرز إليّ ابنُ الزبير، صاحت عائشة (رض): وازبيراه!. وقال ابن الزبير: ما وقفت موقفًا قط ولا شهدت حربًا إلّا ولي فيه بصيرة، إلّا هذه الحرب، وإنّي لعلى شكّ من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي، قالت له: يا أبا عبدالله أظنكَ فرقت سيوفَ ابن أبي طالب، إنّها والله سيوفٌ حداد، مُعدّةٌ للجِلاد، تحملها=

= فئة أنجاد، ولئن فَرِقْتها لقد فرقها الرجال قبلك! قال: كلّا ولكنه ما قلت لك.

(٣) في الإمامة والسياسة ١/٥٧ قال ابن قتيبة: أسرت عائشة وأسر مروان بن الحكم، بعد عقر الجمل، فقال عمار بن ياسر لعلي: أقتل هؤلاء الأسرى، فقال علي: لا أقتل أسير أهل القبلة. (الإمامة والسياسة ١/٦٠) الرواية الأولى أرجح لأنها مختصرة وتفي بالمعنى المطلوب، وفي الثانية زيادة أظنها من الرواة.

(**) معجم البلدان ٥/١٨٣.

(*) العقد الفريد ٤/٨٤.

(١٨)
عائشة بنت سعد بن أبي وقاص

قالت[*]: بعثتُكَ قابسًا، فلبثتَ حولًا، متى يأتِ غِياثُك مَن تغيثُ[١].

(*) جمهرة الأمثال ١/ ٢٥٠.

(١) قالت المثل، حين بعثت فِندا المخنثَ من أهل المدينة، وكان مولى لها ليقتبس نارًا، فأتى مصرَ، وأقام بها سنة، ثم جاءها بنار يعدو، فتبدّد الجمْر، فقال: بئست العجلة.

(١٩)

عاتكة بنت خالد أمُّ معبد الخزاعية

عـاتـكـةُ بـنـتُ خـالـد بـن مـنـقـذ الخزاعية[١] وقيل: عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ الخزاعية[٢] امرأة من بني كعب من خزاعة[٣].

كانت امرأة برزة، جلدة[٤] تحتبي بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئًا، من ذلك، وكان القوم مرسلين مسنتين[٥]، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى شاة، في كسر الخيمة، فقال ما هذه الشاة، يا أمَّ معبد؟

(١) الاستيعاب ٤/ ١٨٧٦.
(٢) أسد الغابة ٧/ ١٨٣.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٧.
(٤) المستدرك ٣/ ٩.
(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٣١٥ والمستدرك ٣/ ٩. المرملون: الذي ذهب زادهم، وأقتروا. المسنتون: الداخلون في الشتاء، والشتاء عند العرب، وقت الجدب. الأرمل: من صفة الشتاء، أي المذهب أزواد الناس.

قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم. قال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهدُ من ذلك، قال: أتأذنين أن أحلبها؟ قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبًا، فاحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها، وسمّى الله تعالى، ودعا لها في شاتها، فتفاجّت عليه، ودرّتْ فاجترّتْ، فدعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيه، ثجا حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويتْ، وسقي أصحابه، حتى رَووا، وشرب آخرهم، حتى أراصوا، ثم حلب فيه الثانية، على هدة[٦] حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها ثم بايعها وارتحلوا عنها، فقلّ ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد ليسوق أعنزًا عِجافًا، يتساوكْنَ هُزالًا، مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه، قال:

(٦) ينظر المستدرك ٣/ ٩. على هدة: أظنها على حدة.

من أين لك هذا، يا أم معبد؟ والشاة عازب حائل، ولا حلوب في البيت، قالت: لا والله، إلّا أنّه مرّ بنا رجلٌ مبارك، من حاله كذا وكذا، قال: صفيهِ لنا يا أم معبد، فوصفته له فقال أبو معبد[1]: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلنّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلًا، وأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعون الصوت، ولا يدرون من صاحبه يقول[2]:

جزى اللهُ ربُّ الناس خيرَ جزائه
رفيقين قالا خيمَتي أمِّ معبدِ
هما غزلًا بالهدى، واهتدتْ به[3]
فقد فاز من أمسى رفيقَ محمدِ
فيالَ قصيّ ما زوى اللهُ عنكمُ
به من فَعالٍ لا تُجازى وسؤدد
لِيَهْنَ بني كعبٍ مقامَ فتاتِهم
ومقعَدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختَكمْ عن شاتها وإنائها
فإنّكم إنْ تسألوا الشاةَ تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلّبتْ
عليه صريحًا ضرّة الشاة مزيد
فغادره رهنًا لديها لحالبٍ
يردّدها في مصدر بعد موردِ

فلما سمع حسان بن ثابت ذلك، أنشد مجيبًا صوت الهاتف:

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيهُمْ
وقدّس مَن يَسري إليهم ويعتدي
ترحّلَ عن قومٍ فضلّتْ عقولُهمْ
وحلّ على قومٍ بنورٍ مُجدَّدِ

«وصف»

-١-

قالت أمُّ معبد تصف رسول الله ﷺ(*):

(١) أبو معبد هو تميم بن عبد العزى بن منقذ من خزاعة ابن عم أم معبد، وكان منزلهما بقديد، (طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٨).

(٢) المستدرك ٣/ ٩ ـ ١٠.

(٣) رُوي البيت في سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٧ موزونًا ليس فيه خلل:
هما نزلا بالبرّ ثم تروّحا...

(*) المستدرك ٣/ ٩، والاستيعاب ٤/ ١٨٧٦، صفة الصفوة ١/ ٥٣، أسد الغابة ٧/ ١٨٣، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٢٩.

رأيتُ رجلًا ظاهرَ الوضاءة[١]، أبلجَ الوجه[٢]، حسنَ الخلق لم تعِبْه تجلة[٣]، ولم تزريه صعلة[٤] وسيم، قسيم، في عينيه دَعَجٌ، وفي أشفاره وَطفٌ، وفي صوته صَهل[٥]، وفي عنقه سَطَعٌ، وفي لحيتِهِ كثاثة[٦]، أزجّ أقرنُ[٧] إنْ[٨] صمتَ فعليهِ الوقارُ، وإنْ تكلّم سماه وعلاه البهاء، أجملُ الناس وأبهاهُ من بعيد، وأحسنُه وأجمله من قريب، حلو المنطق، فصْلًا لا نزر[٩]، ولا هذر، كان منطقهُ خرزات نظم[١٠]، يتحدَّرنَ ربعة لا تشنؤه من طول[١١]، ولا تقتحمهُ عينٌ من قصر، بين غصنين، فهو أنظرُ[١٢] الثلاثة منظرًا، وأحسنهُم قدرًا، له رفقاءُ يَحُفّون به، إنْ قال[١٣] سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

-٢-

قالت أم معبد: لما هاجرَ

---

(١) في صفة الصفوة: الوضأة، وكلاهما صحيح.

(٢) في صفة الصفوة: متبلج.

(٣) في صفة الصفوة وفي تاريخ الذهبي: ثجلة.

(٤) في صفة الصفوة وتاريخ الذهبي: لم تُزرِ به.

(٥) في صفة الصفوة وتاريخ الذهبي: صحل.

(٦) في هذه العبارة بعض التقديم والتأخير في الألفاظ. في تاريخ الذهبي: كثافة.

(٧) في صفة الصفوة وتاريخ الذهبي: أكحل أزجّ شديد سواد الشعر في عنقه سطع.

(٨) في صفة الصفوة: إذا صمت... وإذا تكلّم سما...

(٩) في صفة الصفوة: فصلٌ لأنه يستحق الرفع وهو الأصحّ خبر لمبتدأ محذوف مفهوم من سياق الكلام. فصل أجهر الناس وأجمله من بعيد.

(١٠) في صفة الصفوة: عقد.

(١١) في تاريخ الذهبي: لا يائس من طول.

(١٢) في صفة الصفوة وتاريخ الذهبي: أنظر وهو خطأ، لأن المعنى (نضر من النضار وهو الخالص من كل شيء، والنضار الذهب، والنضرة: الحسن والرونق)، كقول عائشة (رض): (نضّر الله وجهك يا أبتِ).

(١٣) في صفة الصفوة: إذا قال.. استمعوا، في تاريخ الذهبي: أنصتوا لقوله.

معاني الكلمات: متبلج: مشرق. الثجلة: عظم البطن واسترخاء أسفله. الصعلة: صغر الرأس. الوسيم: الحسن وكذلك القسيم. الوطف: طول هدب العين. الدعج: سواد العين. الصحل: البحّة. الأزجّ: دقيق الحاجبين مع حسنهما. أقرن: مقرون الحواجب. السطع: الطول. إذا تكلم سما: علا رأسه أو يده. المحفود: المخدوم. المحشود: الذي أعددت له وجمعت. الصريح: الخالص. الضرّة: لحم الضرع. وقد علّق النيسابوري في المستدرك على صحة الحديث بقوله في ج ٣/ ١٠: هذا حديث صحيح الأسناد، ويستدل على صحته وصدق رواته بدلائل منها: نزول المصطفى ﷺ بالخيمتين وقد رواه الأعاريب الذين لا يتهمون بوضع الحديث وقد أخذوه لفظًا بعد لفظ عن أبي معبد وأم معبد.

رسولُ اللهﷺ(*) من مكة، وخرج منها يريد المدينة، ومعه أبو بكر، ومولى لأبي بكر، يُقال له عامرُ بنُ فهيرة، وعبدالله بن أريقط الليثي، دليلهم، فمرّوا بنا فدخلوا خيمتي، وأنا محتبية بفناء خيمتي، أسقي وأطعم المارّين.

-٣-

قالت أم معبد(**):

طلعَ علينا أربعةٌ، على راحلتين فنزلوا بي فجئتُ رسولَ اللهﷺ، بشاة أريد أن أذبَحها فإذا هي ذاتُ درّ، فأدنيتها منه، فلمس ضَرعها، فقال: لا تذبحيها، فأرسلتها، قالت: وجئت بأخرى، فذبحتها، فطحنتُ لهم، فأكل هو وأصحابه، ابن أبي قحافة، ومولى ابن أبي قحافة، وابن أُريقط وهو على شركه. قالت: فتغدّى رسول الله ﷺ منها وأصحابه، وسفّرتُهم منها، ما وسِعَتْ سُفرتهم، وبقي عندنا لحمها أو أكثره، فبقيت الشاة التي لمس رسول الله ضرعها عندنا، حتى كان زمان الرمادة، زمان عمر بن الخطاب (رض)، وهي سنة ثماني عشرة من الهجرة.

قالت: وكنا نحلبها صبوحًا وغبوقًا، وما في الأرض قليل ولا كثير(١).

(*) الاستيعاب ٤/١٨٧٦، صفة الصفوة ١/ ٥٣، تاريخ الذهبي ١/ ٤٣٧: نسبت القصة إلى أبي معبد، وفي الذهبي نسبت إلى قيس بن النعمان.

(**) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٩. ومن الملاحظ أن هذه الرواية اختلفت عن الروايات الأخرى للقصة التي جاءت أغلبها متشابهة فلم يرد ذكر ذبح الشاة في الروايات الأخرى.

(١) يروي ابن سعد في هذه الرواية أن أم معبد يومئذٍ كانت مسلمة، ويقول: وفي رواية أنها قدمت بعد ذلك وأسلمت وبايعت. والرواية الثانية أصحّ وذلك لأسباب: الأول أن أكثر رواة القصة لم يذكروا إسلامها ذلك الحين. الثاني أنها لو كانت قد أسلمت من قبل لعَرفتْ رسولَ الله وبايعته وعرفت صفاته، فإنها كانت تجهل شخصه حين ضافها مع صحابته. الثالث، أن أم معبد قالت لزوجها: إنّه مرّ بنا رجل مبارك، فقال لها: والله إنّي لأراه صاحب قريش صفيه لي، (صفة الصفوة ١/ ٥٣ وتاريخ الذهبي ١/ ٤٣٧). وفي رواية أخرى للذهبي ١/ ٣٢٩ أن أم معبد كانت تسمي النبيﷺ حين قدم إلى خيمتها (الرجل المبارك) ولم تكن تعرف اسمه.

(٣٠)
عاتكةُ بنتُ عبد المطلب القرشية

أديبةٌ، شاعرة، عمةُ رسول الله ﷺ، اختُلف في إسلامها، فقال ابنُ الأثير[١] إنها أسلمتْ، وقال محمد بن حبيب إنها من المبايعات له[٢]. اشتهرت بشعرها في رثاء أبيها عبد المطلب بن هاشم، ساعة الاحتضار، وبرؤياها التي أثارت ضجّة بين رجالات قريش وكبرائها، وسيردُ ذكر القصّة بكاملها ان شاء الله تعالى وروايتها لتلك القصّة تحسم الموضوع، إذ أنها أسلمت ودافعت عن الإسلام، وهاجرت إلى المدينة.

قصة رؤيا عاتكة ترويها السيدة عاتكة بنت عبد المطلب

رأت عاتكةُ رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له[*]:

يا أخي واللّهِ رأيتُ الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة، فاكتمْ ما أحدّثكَ به[٣]. فقال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيت راكبًا أقبلَ على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته:

ألا انفِروا يا لَغُدَر لمصارعكم في ثلاث[٤]، فأرى الناس، اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجدَ والناسُ فيتبعونَهُ[٥]، فبينما هو حوله مَثَل به بعيرُه على ظهرِ الكعبة، ثم صرخ بمثلها ألا انفروا يا لَغُدَر لمصارعكم في ثلاث[٦]، ثم مَثَل

(١) ينظر تجريد أسماء الصحابة لابن الأثير ٣٠١.
(٢) ينظر المحبّر ١٦٦، وللمزيد من الفائدة ينظر ديوان أشعار النساء ق٢/ ١١٩.
(*) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٧، وطبقات=

= ابن سعد ٨/ ٤٣، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٢٨، والأغاني ٤/ ١٧ والاستيعاب ٤/ ١٧٨٠ والمستدرك ٣/ ١٩ والإصابة ٤/ ٣٥٧. في الأغاني رواها عروة بن الزبير.
(٣) في طبقات ابن سعد: اكتم عليّ ما أحدّثكَ فإنّي أتخوّف. في تاريخ الطبري: فاكتم عليّ.
(٤) في طبقات ابن سعد: يا آل غدر انفروا.. في تاريخ الطبري: أن انفروا يا آل غدر.. في الإصابة: انفروا يا آل بدر..
(٥) في طبقات ابن سعد: يتبعونه.. وهذه الرواية أصحّ.
(٦) في تاريخ الطبري: أن أنفروا يا آل غدر..

به بعيرِه على رأس أبي قُبَيْس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة[١] فأرسلها. فأقبلتْ تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل، ارفضّتْ فما بقي[٢] بيت من بيوت مكة، ولا دار دخلتْها منها فلقةٌ[٣]، قال العباس: والله إنّ هذه لرؤيا، وأنت فاكتُميها ولا تذكريها لأحد.

وذاعت الرؤيا في قريش[٤]، فقال أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأتْ عاتكةُ، قال: فقلت وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتُم أن يتنبأ رجالُكم حتى تتنبأ نساؤكم[٥]، قد زعمتْ عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فستربص بكم هذه الثلاث.

قال العباس: وفي المساء لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقالت:

أقررتُم لهذا الفاسق الخبيث[٦] أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء، وأنت تسمعُ ثم لم يكن عندكَ غِيَرٌ لشيء مما سمعتَ.

قال: قلت: قد والله فعلتُ، ما كان منّي إليه من كبير. و أيمُ الله لأتعرضنَّ له. فإن عاد لأكفينّكَه[٧].

(١) في طبقات ابن سعد: من أبي قبيس فأرسلها.

(٢) في طبقات ابن سعد: انفضّت فما بقي. في الاستيعاب: فتفلقت الصخرة.. في الإصابة: حتى ترضفت..

(٣) في طبقات ابن سعد: ولا دار من دور مكة إلّا دخلته منها فلذة.. في تاريخ الطبري: ولا دار من دورها إلّا دخلت.. في الاستيعاب: ولا دار من دور قريش إلّا دخلتها كسرة.. في الإصابة: فما بقيت دار ولا بَيْة إلّا دخل فيها بعضها.

(٤) في طبقات ابن سعد: فقال العباس: إن هذه لرؤيا. وذكرها لصديقه الوليد بن عتبة، وفشا الخبر بين الناس. في تاريخ الطبري: والله إنّ هذه لرؤيا رأيتِ فاكتميها ولا تذكريها لأحد.

(٥) في طبقات ابن سعد: أن تُنبّأ.. حتى تَنبّأ.. فإن يكنْ ما قالت حقًا وإلّا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

(٦) الخبيث هو أبو جهل بن هشام.

(٧) في تاريخ الطبري: لأكفينكموه. كانت هذه الرؤيا قبل قدوم ضمضم بن عمرو الغفاري أحد زعماء المشركين مكة بثلاث ليال (تاريخ الطبري). وقال العسقلاني في الإصابة: أن عاتكة زوج أبي أمية بن المغيرة أبو أم سلمة (رض) رأت الرؤيا في وقعة بدر، وصدق الله رؤيا عاتكة وهاجرت إلى المدينة..

(٢١)

عفراء[١] بنت غفار الحميرية[*]

-١-

قالت مخاطبةً خولة بنت الأزور، وكانتا مستعدّتين لقتالِ الروم، في أرض المعركة في بلاد الشام:

صدقتِ واللهِ يا بنتَ الأزور، نحن في الشجاعة كما ذكرتِ، وفي البراعة كما وصفتِ لنا، المشاهدُ العظام، والمواقفُ الجِسام، ووالله لقد اعتدْنا ركوبَ الخيل، وهجومَ الليل، غير أنّ السيف يحسُن فعلهُ في مثل هذا الوقت، وإنما دَهَمنا العدوّ، على حين غفلةٍ، وما نحن إلا كالغنم، بدون سلاح.

-٢-

وقالت أيضًا مخاطبة خولة[**]:

والله ما دعوتِ إلّا ما هو أحبّ إلينا مما ذكرتِ.

(١) عفراء بنت غفار الحميرية، أم أبان بن عتبة، مجاهدة مقاتلة شجاعة، شاركت مع خولة ومع المجاهدات في فتوح الشام.

(*) فتوح الشام للواقدي ١/١٨٣ و ٢/٤٧. والدرّ المنثور ١٨٥.

(**) المصادر نفسها.

(٢٢)

الغميصاء أو الرميصاء (أم سليم بنت ملحان)

اسمها سهلة أو رميلة أو أنيفة أو رميثة من بني النجار، أسلمتْ وبايعتْ، وشهدتْ حنينَ وأُحُدَ تسقي العطشَى وتداوي الجرحَى، وكان معها خنجر حزمته على وسطها، قالت: يا رسول الله أتخذُه إنْ دنا منِي أحد من المشركين، بقرتُ بطنه[١].

فقال النبي ﷺ وهو مبتسم:

يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن[٢].

وأم سليم هي أم أنس بن مالك الصحابي المعروف خادم رسول الله ﷺ.

١- حوار أم سليم بنت ملحان الأنصارية

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٤٢٤ والإصابة ٤/ ٤٦١.

(٢) وقد كان أبوها وأخوها قد قتلا مع رسول الله ﷺ، لذلك كان يعطف عليها ويرحمها، فيزورها في بيتها (الإصابة ٤/ ٤٦١).

لقي أبو أنس زوجته بعد غياب فقال[*]: أصبوْتِ؟ قالت: ما صبوتُ لكني آمنتُ بهذا الرجل.

فجعلت أم سليم تلقّن ابنها أنسَ بنَ مالك قل: لا إله إلّا الله، قل: أشهد أنّ محمدًا رسول الله. ففعل، فقال أبوه: لا تُفسدي عليّ ولدي. قالت: إنّي لا أفسده، فخرج مالك زوجها فلقيه عدوّ له فقتله. فقالت:

لا جرمَ، لا أفطم أنسًا حتى يدَع الثدي حيًا، ولا أتزوج حتى يأمرني، فيقول: قد قضتِ الذي عليها، وخطبها مشرك فرفضته وقالت:

أرأيت حجرًا تعبدُه، لا يضرّكَ ولا ينفعُكَ، أو خشبةً تأتي بها النجارَ، فينجرها لكَ، هل يضرّكَ، هل ينفعكَ؟ فوقع في قلبه الذي قالت.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٢٥.

قالت: فإني أتزوجك، ولا آخذ منكَ صداقًا غيرَه.

-٢-

وحين خطبها أبو طلحة[(١)] قالت[(*)]:

إني قد آمنت بهذا الرجل، وشهدتُ أنه رسولُ الله فإن تابعتني تزوجتُك. قال: فأنا على مثلِ ما أنت عليه. فتزوجها وكان صداقها الإسلام.

-٣-

وقالت[(**)]: لا أتزوجُ حتى يبلغَ أنس، ويجلسَ في المجالس، فيقول: جزى الله أمي خيرًا لقد أحسنت ولايتي.

-٤-

وقالت[(***)]: إنه لا ينبغي لي أن أتزوجَ مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكُم التي تعبدون، ينحتُها عبدُ آل فلان النجار، وأنكم لو شعلتم فيها نارًا لاحترقتْ؟. فوقع الإيمان في قلبه، وجعلت تكرر ذلك كلَّ يوم.

-٥-

وقالت[(****)]: يا أبا طلحة ألستَ تعلم أنّ إلهك الذي تعبد، إنما هو شجرة تنبت من الأرض، وإنما نجّرها حبشي بني فلان؟ قال: بلى.

قالت: أما تستحي تسجدُ لخشبة تنبت من الأرض، نجّرها بني فلان، قالت: فهل لكَ أن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، وأزوجُكَ نفسي، ولا إريد منك صداقًا غيره؟ قال لها: دعيني حتى أنظر.

-٦-

وقالت[(*****)]: كان رسولُ الله ﷺ يقبلُ في بيتي، فكنتُ أبسطُ له قطعًا، فيقبلُ عليه فيعرق، فكنت آخذ سُكًّا فأعجنه بعرقه[(٢)].

---

(١) أبو طلحة زوج أم سليم بعد مالك من الصحابة الكرام، أبو عبدالله، وكان له عشرة أولاد كلهم قرأ القرآن الكريم.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٢٥.

(**) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٥.

(***) المصدر نفسه ٨/ ٢٢٦.

(****) المصدر نفسه ٨/ ٤٢٧.

(٢) كانت أم سليم تمسح العرق حين ينام رسولُ الله ﷺ فلما استيقظ قال: ما تصنعين يا أم سليم؟ قالت: آخذ هذه للبركة التي تخرج منكَ.

(*****) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٣٠.

-٧-

وكانت تقول للنبي ﷺ(*): باقي عرقك أريد أن أدوف به طيبي.

-٨-

وحين مات ولدها (أبو عمير)، بن أبي طلحة، لم تبادره بالحزن أو الاكتئاب، بل قالت له(**):

يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان استعاروا عاريةً، فتمتعوا بها، فلما طُلِبتْ إليهم شقّ عليهم؟ قال:

ما أنصفوا!! قالت: فإن ابنكَ فلانًا، كان عاريةً من الله، فقبضه إليه.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٣٤.

(**) وفي رواية قالت: ما رأيت ما صنع ناس من جيرتنا، كانت عندهم عارية فطلبوها، فأبوا أن يردُّوها. فقال: بئس ما صنعوا! قالت: هذا أنت، كان ابنك عارية من الله وإنّ الله...

(٣٣)
فاطمة بنت قيس[1]

فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهريّة، أختُ الضحاك بن قيس، من المهاجرات الأول، كانت ذاتَ جمال وعقل، زوجةُ أسامة بن زيد، يقول العسقلاني[2]: وهي التي انفردت برواية قصة الجساسة بطولها، لما قدِمت الكوفةَ، وقال: وقد وقفت على بعضها من حديث جابر دون أن يذكر شيئًا عنها، ولم أجد لها ذكرًا في مكان آخر.

إلّا أني وجدتُ القصّة في معجم البلدان رواها أبو الفضل العباس الصولي عن فاطمة[3].

«قصّة الجسّاسة»

قالت فاطمة بنت قيس[*]:

صعد النبيُّ ﷺ المنبرَ، وكان لا يصعده إلّا يوم جمعة، فأنكر الناسُ ذلكَ، فكانوا بين قائم وجالس، فأومأ النبيُّ ﷺ إليهم بيدِه أنِ اجْلسوا، ثم قال:

إني لم أقم بمقامي هذا إلّا لأمر يُنغِضكم[4]، ولكن تميمًا الداري[5] أخبرني أنَّ بني عمّ لهُ كانوا في البحر، فأخذتهم ريحٌ عاصف، فألجأتهم إلى جزيرة، فإذا هم بشيء أسودَ أهدب، كثير الشعر، فقالوا: ما أنتَ؟! قالت: أنا الجسّاسةُ[6]، فقالوا: أخبرينا! فقالت: ما أنا بمخبرتِكم بشيء ولكن عليكم بهذا الدير، فإنّ فيه رجلًا هو بالأشواق إلى محادثتكم، فدخلوا فإذا هم بشيخ موثقٍ شديدِ الوثاق، شديدِ التشكّي مظهِرٍ للحزن، فسألهُم: من أيّ العربِ أنتم؟

(١) ينظر الإصابة ٤/ ٣٨٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ينظر معجم البلدان ٤/ ٥٣.
(*) المصدر نفسه.

(٤) ينغضكم: ينهضكم، نغض: تحرك واضطرب وتعجّب.
(٥) تميم الداري: صحابي أقطعه النبي ﷺ قرية الخليل ت ٤٠هـ.
(٦) الجسّاسة: التي تتجسّس الأخبار وتأتي بها.

فقالوا: نحن قوم من العرب من أهل الشام، قال: فما فعل الرجل الذي خرج فيكم؟ قالوا: بخير قاتله قومهُ فظهرَ عليهم. قال: فما فعلت عينُ زُغر؟[١] قالوا: يشربون منها ويسقون. قال: فما فعل نخلٌ بين عمّان وبيسان؟ قالوا: يُطعَم جناه في كلّ حين، قال: فما فعلت بحيرةُ طبرية؟ قالوا: يتدفّق جانباها فزفر ثلاثَ زفرات، ثم قال: لو قد أفلتَ من وثاقي هذا، لم أدع أرضًا إلّا وطئتُها برجلي، إلّا طيبة[٢]، فإنه ليس لي عليها سلطان، ثم قال النبي ﷺ:

إلى هذه انتهى فرحي، هذه طيبةُ، والذي نفسُ محمدٍ بيده، ما فيها طريقٌ واسع، ولا دقيقٌ ولا سهلٌ ولا جبلٌ إلّا وطئ عليه ملكٌ شاهرٌ سيفَه إلى يوم القيامة.

(١) عين زغر: منطقة في لبنان تاريخيّة، وتسمى حاليًا (زغرتا).

(٢) طيبة: المدينة المنورة.

(٢٤)

فاطمة بنتُ محمد ﷺ

هي فاطمةُ الزهراء بنتُ محمد ﷺ، كنيتُها أم أبيها، أصغرُ بناتِ النبي، وأحبهُنَّ إليه، وكانت أكبرهنَّ زينبَ ثم رقيةَ، ثم أمَّ كلثوم ثمّ فاطمة، أمها خديجةُ بنتُ خويلد رضي الله عنها، اختُلف في سنة ولادة فاطمة، ففي رواية أن ولادتها في سنة بناء الكعبة[1] وفي رواية أنها ولدت سنة ٤١ من مولد النبي، قبل البعثة بقليل، وهي أسنُّ من عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بنحو خمس سنين[2]، اختُلف في المفاضلة بينهما في معظم كتب الصحابة والتراث القديم فمنهم من فضَّلَ فاطمةَ ومنهم من فضَّلَ عائشةَ، وهما كلاهما أفضلُ نساء العالمين، لقربهما من قلب النبي ﷺ، وتضحيتهما من أجل المبادئ الروحية.

(١) ينظر الاستيعاب ٤/١٨٩٩ و الإصابة ٤/٣٧٧.

(٢) المصدر نفسه.

تزوجها الإمامُ عليٌّ كرمَ الله وجهه في ٢هـ بعد زواجِ عائشةَ بأربعة أشهر.

وفي يوم زواجهما دعاهما النبي ﷺ، ودعا بإناء فيه ماء، فمجَّ فيه رسولُ الله ومسكَ يدَهُ، فنضحَ على كتفيهِ وصدرهِ، وذراعيهِ، وأقبلتْ فاطمةُ تتعثر بثوبها، حياء من أبيها رسول الله ﷺ، وفعل معها مثلَ ذلك، وكانت بنتُ ثمانيَ عشرةَ سنة. وأمَر النبيُّ ﷺ، عليًا أن يولم[3] وأمرهُ أنْ يلتمسَ لها منزلًا بالمدينة[4].

توفيت فاطمةُ لثلاثِ خلونَ من شهر رمضان سنة إحدى عشرةَ من الهجرة، ودُفنت بالبقيع. وقبلَ وفاتها قالت لأسماء بنتِ عميس[5]: يا أسماء إني قد

(٣) ينظر للمزيد من التفصيل (فاطمة) في ديوان أشعار النساء.

(٤) ينظر الإصابة: ٤/٣٧٧.

(٥) ينظر الاستيعاب ٤/٨٩٧ وأسد الغابة ٧/٢٢٥.

استقبحتْ ما يصنع بالنساء، إنه يُطرَح على المرأة الثوبُ، فيصفها، فقالت أسماء: يا بنتَ رسول الله ألا أريكِ شيئًا رأيتهُ في الحبشة، فدعتْ بجرائدَ رطبةٍ فحنتْها، ثم طرحتْ عليها ثوبًا، فقالت فاطمة: ما أحسنَ هذا وأجملَهُ! تُعرفُ المرأة به دون الرجال، فكانت فاطمةُ أول من غُطّي نعشُها من النساء في الإسلام، فتوفيتْ عن ثلاثين أو خمس وثلاثين سنة وذلك بعد وفاة أبيها ﷺ بأشهر(١).

للسيدة فاطمة أشعارٌ وخطب بليغةٌ، إلّا أن من المؤسف أنّ الأهواء الطائفيّة، والتيارات الشعوبية الهدّامة، المعادية للإسلام والعروبة لعبتْ دورًا كبيرًا في نسبة كثير من النصوص إليها أو إلى غيرها لأغراض رخيصة دنيويّة، والله أعلم، وسيرد إيضاح ذلك فيما بعد.

ـ ١ ـ حوار السيدة فاطمة وأبيها ﷺ وزوجها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه(*)

قال علي: والله لقد سَنوتُ(٢) حتى قد اشتكيتُ صدري وقد جاءَ الله أباك، بسبي، فاذهبي فاستخدميه.

قالت فاطمة: وأنا والله قد طحنتُ حتى مجلتْ يدايَ. فأتت النبيَّ ﷺ، فقال: ما جاء(٣) بكِ يا بنيّة؟ قالت: جئتُ لأسلّم عليكَ. واستحيت أن تسألهُ ورجعتْ. قال: ما فعلتِ؟ قالت: استحييتُ أن أسألَه. فأتياه جميعًا، فقال له علي: واللهِ يا رسولَ الله، لقد سنوْتُ حتى(٤) اشتكيتُ صدري.

قالت فاطمة: قد طحنتُ حتى مجلتْ يدايَ، وقد أتى الله بسبي وسعةٍ، فأخدِمْنا. قال النبيُّ ﷺ: واللهِ لا أعطيكما وأدَعُ أهلَ الصفةِ، تُطوَى بطونُهم، لا أجدُ ما أُنفقُ عليهم، ولكني أبيعهُم وأنفِقُ عليهم أثمانَهم.

ـ ٢ ـ

قالت فاطمة بعد دفن رسول الله ﷺ(**):

---

(١) ينظر أسد الغابة ٧/ ٢٢٥.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥، والمستدرك ٣/ ١٥٦ وصفة الصفوة ٢/ ٤. وكان رسول الله ﷺ قد علمهما دعاء التسبيح قبل النوم وقال إن ذلك خير وأبقى لهما.

(٢) في صفة الصفوة: سلوت حتى اشتكيت.

(٣) في صفة الصفوة: ما جاء بك وما حاجتك أي بنية..

(٤) في صفة الصفوة: والله لقد سلوت. سلوت: سلا يسلو، تكلف السلوان، طابتْ نفسي عنه وهجرتهُ. سنوت: تسنّت العقدة: انحلّتْ وانفكّتْ. مجلتْ: مجلتْ يده من العمل أي امتلأت قيحًا وتشققتْ.

(**) العقد الفريد: ٣/ ١٢، والمستدرك ٣/ ١٦٣ مع بعض التقديم والتأخير.

يا أنسُ كيف طابتْ أنفُسكم، أن تَحثُوا على رسولِ الله ﷺ التراب، ثم بكتْ ونادت:

يا أبتاه[١]، أجابَ ربًا دعاه، يا أبتاه من ربِهِ ما أدناه، يا أبتاه من ربّه ناداه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه جنةُ الفردوس[٢] مأواه.

-٣-

وقالت[*]:

وا أبتاه ربّه يكرمه إذا أتاه، وا أبتاه الربّ ورسلُه، يسلّمُ عليه حينَ يلقاهُ.

-٤-

أتت فاطمة (رض) النبي ﷺ فقالت[**]:

يزعمُ قومك أنك لا تغضبُ لبناتكَ، وهذا عليٌّ ناكحٌ بنتَ أبي جهل[٣].

-٥-

خطبت السيدة فاطمة (رض) بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكانت خطبتُها حول (قرية فدك) التي منعها الخليفةُ أبو بكر (رض) أن ترثَها، تطبيقًا لما جاء في الحديث النبويّ الشريف الذي قال فيه النبي ﷺ[٤].

«نحنُ معاشرُ الأنبياء لا نُورثُ، ما تركناهُ صدقةٌ».

وقد اختلفت الروايات حول خطبة فاطمة، فقد تكون موضوعةً، فقد قال ابن طيفور في خصوص ذلك[٥]: «قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي.. عند منع أبي بكر إياها فدك، وقلت له إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوعٌ وإنه من كلامِ أبي العيناء، الخبرُ منسوقٌ البلاغةِ على الكلام، فقال لي رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه...».

وعلى أغلب الظن أن الخطبةَ موضوعة بدليل قول ابنِ طيفور حين كان يروي القصّة: «وبلغ ذلك فاطمة لاثتْ خمارها على رأسها وأقبلتْ في لمة من حفدتِها»[٦] فمن أين أتي الراوية بالحفدة، وقد كانت السيّدة فاطمة (رض) لم تبلغ سوى ثلاثين أو خمس

(١) في المستدرك: وا أبتاه.

(٢) في المستدرك: وا أبتاه جنان الخلد مأواه.

(*) المستدرك ٣/١٦٣.

(**) عمدة القارئ ١٦/ ٢٣٠.

(٣) قال العيني في عمدة القارئ إنه ثبت في الصحيحين والترمذي والطبراني (أي خطبة الإمام علي) فخطب رسول الله ﷺ وبيّنَ غضبه وقال: إن فاطمة بضعةٌ مني واني أكره أن يسؤها، فتركَ عليٌّ الخطبة.

(٤) ينظر بلاغات النساء ١٦.

(٥)(٦) ينظر بلاغات النساء ١٦.

وثلاثين سنة يوم وفاتها، وكان أبناؤها (رض) كلّهم صغارًا، فمنْ هُم الحفدة؟!

افتتحت الكلام بحمدِ الله، والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ، وقالت(*):

«لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليكم ما عنِتُّم حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم»(١) فإن تعرفوه تجدُوه(٢) أبي دون آبائكم، وأخا ابنِ عمي، دون رجالكم، فبلغ النذارة صادعًا بالرسالة(٣) مائلًا على مدرجة(٤) المشركين، ضاربًا لتجنّبهم(٥)، آخذًا بكظمِهم يهشُم(٦) الأصنامَ، وينكتُ(٧) الهامَ، حتى هزمَ الجمعَ، وولَّوْا الدبُر، وتفرّى(٨) الليلُ عن صبحه، وأسفرَ الحقّ عن محضِهِ، ونطقَ زعيمُ الدين وخرِستْ شقاشقُ الشياطين(٩)، وكنتم على شفا حفرةٍ من النار مذقةَ الشارب، ونهزةَ الطامع، وقبسةَ العجلان، وموطئَ الأقدام، تشربون الطرْقَ وتقتاتون الورق(١٠)، أذلّةً خاشعين، تخافون أن(١١) يتخطّفكم الناسُ من حولكم، فأنقذكُم اللهُ(١٢) برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي وبعدما مُنِي ببُهْم الرجال(١٣) وذؤبان العرب ومردةِ أهل الكتاب، كلما حَشَوْا نارًا(١٤) للحرب أطفأها، ونجمَ قرنُ المضلال، وفغرَتْ فاغرةٌ من المشركين، قذف بأخيه في لَهواتِها(١٥)، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصهِ(١٦) ويخمدَ لهبَها بحدّه مكدودًا، في ذاتِ الله، قريبًا من رسول الله، سيدًا

(*) بلاغات النساء ١٦، والفاضل للوشاء ٢/ ٧٠ ونثر الدرّ للآبي ٤/ ٨.

(١) سورة التوبة، الآية ١٣٨.

(٢) في الفاضل: تعزوه... دون نسائكم. في نثر الدرّ:... دون آبائكم.

(٣) في نثر الدرّ: فبلّغ الرسالة صادعًا بالنذارة.

(٤) في نثر الدرّ: عن سَنَن...

(٥) في الفاضل: آخذًا بأكظامهم. في نثر الدرّ: ضاربًا لِثَبَجهم.

(٦) في الفاضل: يجذّ الأصنام.

(٧) في الفاضل: ويقصّ الهام.. في نثر الدرّ: ويفلق الهام..

(٨) في الفاضل والنثر: حتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه. ورواية البلاغات أصح.

(٩) في الفاضل والنثر: الشيطان. مذقة الشارب: المخلوط بالماء.

(١٠) في الفاضل والنثر: القِدّ.. خاسئين. الطرْق: الماء الذي خاضته الإبل، وبالت فيه. أكظام: جمع كظم وهو مخرج النفَس، كربَ وغمَّ. القِدّ: إناء من جلدة، أو نوع من سمك البحر.

(١١) في الفاضل والنثر: بحذف (تخافون أن).

(١٢) في الفاضل والنثر: حتى أنقذكم.

(١٣) في الفاضل والنثر: وبعد أن مُنِيَ ببُهَمِ..

(١٤) في الفاضل والنثر: أوقدوا..

(١٥) في الفاضل والنثر: قذف أخاه في لهواتها..

(١٦) في الفاضل: يطأ بيضتها بأخمصه.. بسيفه. في النثر: يطأ صحافها بأخمصه.. ويطفئ عادية لهبها بسيفه.

في أولياء الله، وأنتم في بُلَهْنِيَةٍ(١)، وادِعونَ آمنونَ، حتى إذا(٢) اختار الله لنبيّه دارَ أنبيائه، ظهرتْ خلةُ النفاق(٣) وسُمِلَ جلبابُ الدين، ونطَق كاظم(٤) الغاوين، ونبغ خاملُ الآفلين(٥)، وهدر فنيقُ المبطلين، فخطَرَ في عرصاتكم، وأطلعَ الشيطانُ رأسهُ من مغرزِهِ، صارخًا بكم(٦) فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، فاستنهضكم، فوجدكم خفافًا وأجمشكم(٧) فألفاكم غضابًا فوسمتم(٨) غيرَ إبلِكُم، وأوردتمُوها(٩) غيرَ شربِكُم، هذا والعهدُ قريب، والكلمُ رحيب، والجرحُ لمّا يندملْ بدارِ زعمتم(١٠)، خوفَ الفتنة، ألا في الفتنة سَقطُوا، وإنَّ جهنمَ لمحيطةٌ بالكافرين، فهيهاتَ منكم، وإني بكم، وأنّى تؤفكون، وهذا كتابُ الله بين أظهركم وزواجرُه بيّنةٌ، وشواهده لائحةٌ، وأوامرهُ واضحةٌ، أرغبةً عنه تُدْبرون، أم بغيره تحكمون، بئسَ للظالمين بدلاً، ومن يبْتغِ غيرَ الإسلام دينًا فلن يُقبلَ منه، وهو في الآخرة من الخاسرين، ثم لم تريثوا(١١) إلّا ريثَ أنْ تسكنَ نغرتها(١٢) تشربون حَسْوًا، وتسرون في ارتغاءٍ، ونصبرُ منكم على مثلِ حزّ المُدى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرْثَ لنا(١٣)، «أفحكم الجاهلية تبغون، ومن

(١) في الفاضل: وادعون تتوكّفون. في النثر: وأنتم في رفاهة فكهون آمنون وادعون.

(٢) في الفاضل: فلما اختار.

(٣) في نثر الدرّ: حسكة النفاق.

(٤) في الفاضل: كاظم يبلغ جاهل.

(٥) في نثر الدرّ: الأقلين.

(٦) في نثر الدرّ: فدعاكم فألفاكم.

(٧) في نثر الدرّ: وأحمشكم. جمش: قرص بأصابع اليد، كلتا الروايتين صحيحتان.

(٨) في الفاضل: فأسمتم. كلاهما صحيح.

(٩) في النثر: وأوردتم. ذؤبان العرب: لصوصهم. مردة أهل الكتاب: الذين تجرّدوا من الخير. المضلال: على زنة مفعال، الذي لا يُوفّق لخير. لهواتها: جمع لهاة، وهي أقصى الحلق. بُلَهْنِية: بلهنية العيش، رخاوته. سمل: أخلق وبلي. فنيق: الجمل الفحل. أجمشكم: جمش الرأس، حلقه. أحمشكم: أغضب، = ساقكم بغضب. فوسمتم: وسم: جعل له علامة، اتسم: جعل له سمة. حَسَكة النفاق: العداوة والحقد. تتوكّفون: توكّف لفلان، تَعَرّضَ له حتى يلقاه. بُهَم الرجال: شُجعانهم. نَجَم: ظهَر. الصِماخ: داخل الأذن.

(١٠) في الفاضل: أزعمتم، في نثر الدرّ: أبماذا زعمتم.

(١١) في الفاضل: ثم لم تريّثوا أختها إلّا ريْث أن يسكن نَقريها ويسلس قيادها.

(١٢) في نثر الدرّ: نفرتها. كلاهما صحيح.

(١٣) في الفاضل: أن لا أرِثَ أبي..

أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون»[١] ويها[٢] معشر المهاجرين أأبتز إرث أبي، أفي الكتاب أن ترث أباك و لا أرث أبي[٣]، «لقد جئت شيئًا فريًا»[٤]، فدونكما مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون «ولكل نبأ مستقر»[٥]، وسوف تعلمون.

٦ ـ خطبة السيدة فاطمة (رض)

أيها الناس أنا فاطمةُ، وأبي محمدٌ ﷺ أقولها عودًا على بدءٍ، لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم[٦].

وقالت:

أفعلى محمد تركتم كتابَ الله، ونبذتُموه وراء ظهوركم إذ يقولُ الله تبارك وتعالى، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٧] وقال الله عزّ وجلّ فيما قصّ من خبر يحيى بن زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٨] وقال عزّ ذكره ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٩]، وقال ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[١٠] وقال ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١١] وزعمتم[١٢] أن لا

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٠.

(٢) في نثر الدرّ: إيها معشر المسلمة المهاجرة.

(٣) في الفاضل: أبين إرثيه. في النثر: أبيه، أبى الله في الكتاب يا ابن قحافة أن ترث أباك.

(٤) سورة مريم الآية ٢٧.

(٥) سورة الإنعام آية ٦٦.

(*) بلاغات النساء ٢٠. يبدو أن هذه الخطبة متممة للسابقة بدليل قولها (رض): «عودا على بدء...» وبدليل قول ابن طيفور ص٢٠، بعد أن انتهى من ذكر خطبتها: (ثم قالت أيها الناس)، وبدليل عدم ختامها بالسلام.

(٦) قال ابن طيفور ص٢٠ (ثم ساق ـ أي الراوي ـ الكلام على ما رواه زيد بن علي...).

(٧) سورة النمل الآية ١٦.

(٨) سورة مريم الآية ٦.

(٩) سورة الأنفال الآية ٧٥.

(١٠) سورة النساء الآية ١١.

(١١) سورة البقرة الآية ١٨٠.

(١٢) الفاضل في صفة الأدب والكامل ٢/ ٧٢ (ابتداء من هذه العبارة): تزعمون أن لا أرث أبي (أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسنُ من الله حكمًا) هذا وكتاب الله بين أظهركم، زواجره بينة وأوامره لائحة رغبة عنه «بئس للظالمين بدلًا» ألا «ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» ويها معاشر المسلمين أبين إرثيَة أفي الله أن ترث أباك ولا أرث أبيَة، «لقد جئت شيئًا فريًا». فدونكما مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك فنعم الحَكَمُ الله والموعدُ القيامة، والزعيمُ محمد، وعند الساعة يُحشر المبطلون ولكل نبَة مستقر=

حقٌ، ولا إرثَ لي من أبي ولا رحِمَ بيننا، أفخَصّكم الله بآية أخرجَ نبيّه ﷺ أم تقولون: أهلُ ملّتين لا يتوارثون أوَلستُ أنا وأبي من أهلِ ملّة واحدة، لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومِه، من النبي ﷺ أفحُكمُ الجاهليةِ تبغونَ، ومن أحسَنُ من اللهِ حُكمًا لقوم يوقنون أأُغلَبُ على إرثي جَورًا وظُلمًا، وسيعلمُ الذين ظَلموا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبون.

- ٧ -

ولما فرغتْ من كلامها عدلتْ إلى مجلس الأنصار فقالت(*):

معشرَ البقيّة(١)، وأعضاء الملّة، وحُصونَ الإسلام(٢)، ما هذه الغميرة(٣) في حقي والسنة عن ظلامتي، أما قال رسولُ الله ﷺ(٤) المرءُ يُحفَظُ في ولدِه، سرعانَ ما أجديتم(٥)، فأكديتم وعَجلانَ ذا إهانة(٦)، تقولون مات رسولُ الله ﷺ فخطْبٌ جليل استوسع وَهيُهُ، واستنهر(٧) فتقُهُ، وبَعُد وقتهُ(٨) وأظلمتِ الأرض لغيبته، واكتأبت(٩) خيرة الله لمصيبتِهِ وخَشعت الجبالُ، وأُكدِتِ الآمالُ، وأضيعَ الحريمُ، وأُذيلتِ(١٠) الحرمةُ، عندَ مماتهِ ﷺ، وتلك نازلٌ علينا بها كتابُ الله في أمنيتِكم في ممساكُم ومصبحِكم يهتفُ(١١) بها في أسماعكم،

= وسوف تعلمون. إنني أشك في صحّة رواية الخطبة لأسباب معنوية دينية: ١. إن السيدة فاطمة (رض) كانت تحبّ من يحبّ أباها، وتكره من يكرهه، وكان أبو بكر (رض) (ثاني اثنين)٢. إنها لم تفكر بالأغراض الدنيوية الرخيصة، وكانت أعلى بكثير من هذا المستوى الدنيوي، الذي يفرّق وحدة المسلمين٣. تدخل كثير من المغرضين والشعوبيين من أجل وضع ما يروق لهم من الأحاديث.

(*) بلاغات النساء ٢١، والفاضل ٢/ ٧٣، ونثر الدرّ ٤/ ١١.

(١) في الفاضل: يا معشر النَقيَة، في نثر الدرّ: يا معشر الفتْة.

(٢) في الفاضل: وحضنة الإسلام، في نثر الدرّ: وحضنة...

(٣) في الفاضل: الغميزة..، في نثر الدرّ: ما هذه الفترة.

(٤) في نثر الدرّ: أما كان لرسول الله ﷺ أن يُحفظ..

(٥) في الفاضل: ما أحدثتم... في النثر: لَسرْعَ ما أحدثتم..

(٦) في الفاضل والنثر: إهالة... أتقولون..

(٧) في الفاضل: وانتهر فأظلَمتْ.

(٨) في نثر الدرّ: وفُقِد راتِقهُ..

(٩) في الفاضل: واكتأنت، رواية البلاغات أصحّ.

(١٠) في الفاضل: وأُزيلتْ... فتلك نازلةٌ أعلنَ.. في النثر: وأزيلت.. نازلةٌ علنَ بها..

(١١) في الفاضل: هُيافًا هُيافًا ولقبله ما خلتْ. في النثر: ولقبله ما حلّتْ.

وقبلَهُ حلّتْ بأنبياء الله عزّ وجلّ ورسله، «وما محمد إلّا رسولٌ قد خلتْ من قبله الرسُل أفإنْ مات أو قُتل انقلبتُم على أعقابكم، ومن ينقلبْ على عقِبَيْهِ فلن يَضرّ الله شيئًا، وسيجزي الله الشاكرين»[١].

أيها بني قيلةَ[٢] أأهضمُ تراث أبِيَهْ[٣]، وأنتم بمرأى منه ومسمع، تلبسكم الدعوةُ وتشملكم[٤] الخيرةُ وفيكمُ العددُ والعِدّة ولكم[٥] الدارُ وعندكم الجُنَن، وأنتم الألى نخبةُ الله التي انتخب لِدينهِ، وأنصارُ رسوله وأهلُ الإسلام، والخيرةُ التي اختار لنا أهلُ البيت، فباديتُم[٦] العرب، وناهضتُم الأمم، وكافحتُم البُهم، ولا نبرحُ نأمركم وتأمرون[٧]، حتى دارت لكم[٨] بنا رحا الإسلام ودرّ الأنام، وخضعتْ نعرة الشرك، وباخت نيرانُ الحرب، وهدأتْ دعوةُ الهرج، واستوسقَ نظامُ الدين[٩]، فأنّى جِرتم[١٠] بعد البيان، ونكَصتُم بعدَ الإقدام، وأسررتُم بعد الإعلان[١١]، لقوم نكثوا إيمانهم، «أتخشونَهم، فالله أحقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كنتم مؤمنين»[١٢]، ألا قد[١٣] أرى أن قد أخلدتم إلى الخَفْض، وركنتم[١٤] إلى الدَعَة، فعِجتُم عن الدين وبَجحتُم[١٥] الذي وعَيتم، ودسَعتم الذي سوّغتُم «فإن تكفروا أنتم ومَن في الأرض جميعًا فإنّ الله لغنيٌّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.
الإهالة: الشحم والزيت. يُضرب مثلًا لما يأتي قبل أوانه. هُيافًا: الهيف، ريح حارة تعطش الحيوان وتيبّس النبات وتجفّف المياه. هيافا الإبل: استقبلت هبوب الرياح برجوهها فاتحة أفواهها من العطش.

(٢) قيلة: أم الأوس والخزرج.

(٣) في الفاضل: يا آل بني قيلة أهتضم... أبي.

(٤) في النثر: مني..

(٥) في الفاضل: ويشملكم الخبر. في النثر: وتشملكم. في الفاضل: وأنتم شجرة الله التي امتحن وخيرته التي انتحل لنا.. تناهدتم..

(٦) في النثر: فتابذتم.. (تصحيف).

(٧) في الفاضل: لا نبرح وتبرحون ونأمركم وتأمرون.. في النثر: لا نبرح نأمركم فتأتمرون..

(٨) في الفاضل: حتى دارت تبالكم.. حلب البلاد (في هذا الكتاب كثير من التصحيف) في النثر: حلب الأيام..

(٩) في الفاضل: نظام العرب وسكنت دعوة الهرج.

(١٠) في الفاضل: فناحرتم.. بعد ثبوت الأقدام..

(١١) في النثر: بعد التبيان..

(١٢) سورة التوبة: الآية ١٣.

(١٣) في الفاضل: ألا وقد أرى الله..

(١٤) في الفاضل: واستحليتم.

(١٥) في الفاضل: فمججتم.. وأسغتم الذي تجزعتم. في النثر: ولفظتم الذي سوّغتم.

حميد»(١) ألا قلت الذي قلته على معرفةٍ منّي بالخُذلان(٢) الذي خامَر صدورَكم، واستشعرتْه قلُوبكم، ولكن قلتُه فيضَةَ النفس ونفثة الغيظ(٣) وبثة الصدر ومعذرة الحجة، فدونكُموها، فاحتقِبوها، مدبِرة الظهر، ناكبةَ الحقّ(٤)، باقية العار، موسومةً بشنار الأبد، موصولةً بنار الله الموقدة، التي تطّلع على الأفئدة، فيعين الله ما تفعلون، «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون»(٥)، وأنا ابنةُ نذيرٍ لكم بين يدي عذابٍ شديد، فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظِرون(٦).

ـ ٨ ـ

وجَّهتِ السيدةُ فاطمةُ خطبةً للأنصار فقالت(*):

أبدأ بحمدِ اللهِ، الحمدُ لله على ما أنعَم، وله الشكرُ على ما ألهَم، والثناءٌ بما قدّم من عموم نعم ابتدأها، ومبوغ آلاءٍ أسداها، وإحسانٍ منن والاها، جَمّ عن الإحصاءِ عددَها، ونأى عن المجازاة أمدَها، وتفاوتَ عن الإدراك آمالها، واستثنى الشكرَ بفضائلها، واستحمدَ إلى الخلائقِ بأجزالها، وثنى بالندب(٧) إلى أمثالها، وأشهدُ أن لا إله

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٨. الجنن: جمع جُنة، الدرع. الهرج: الفتنة. استوسق نظامُ الدين: اجتمعَ وتضامّ.

(٢) في الفاضل: بالخذلة التي خامرتكم..

(٣) في الفاضل: وسورة الغيظ ونفثة الصدر..

(٤) في الفاضل: ناقبة الخفّ. في النثر: ناقبة الخفّ..

(٥) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

(٦) قال ابن طيفور في بلاغات النساء ٢٢: «قال أبو الفضل، وقد ذكر قوم أن أبا العيناء ادعى هذا الكلام، وقد رواه قوم، وصحّحوه وكتبناه على ما فيه» ومن المؤكد أنه موضوع لأسباب:

١ـ إن السيدة فاطمة (رض) كانت على عهد رسول الله ﷺ تؤمن بكل ما يقوله النبي ﷺ، حين طلبت منه خادمًا ورفض وأمرها بالتسبيح والتهليل والتكبير ثلاثًا وثلاثين مرة قبل النوم وقال ذلك أفضل من متاع الحياة الدنيا. .

٢ـ وإن السيدة فاطمة (رض) لم تكن تطمع في دنيا تصيبها لأن رسول الله ﷺ وعدها أنها ستكون سيدة نساء أهل الجنة. فكيف ينسب إليها كلام هو من متاع الدنيا وأطماعها.

٣ـ إن الخليفة أبا بكر (رض) كان ملتزمًا التزامًا دقيقًا بسُنة رسول الله ﷺ وحافظًا لأحاديثه، ومبشّرًا بالجنة ولا يمكن أن يخطئ في حدّ من حدود الله أو يتجاوزه. فلا بدّ من الإشارة إلى أن الخطبة كلها منتحلة وموضوعة على السيدة فاطمة، كما وضعت كثير من الأقوال على السيدة عائشة رضي الله عنهما. والله أعلم.

٤ـ إن الرسول ﷺ قال: لا نورَثُ، ما أبقيناه صدقةٌ.

(*) بلاغات النساء ١٩.

(٧) وثنى: قد تكون الكلمة الأصلية (وأثني)، لكي تتناسق مع الأفعال التي سبقتها.

إلّا الله كلمةٌ جُعِلَ الإخلاصُ تأويلُها، وضمِنَ القلوبَ موصولُها وأُبيّ في الفكرةِ معقولُها، الممتنعُ من الأبصار رؤيتُه، ومن الأوهام الإحاطةُ به، ابتدَع الأشياء، لا من شيء قبلَهُ، واحتذاها بلا مثال[١] لغيرِ فائدةٍ زادتْهُ، إلّا إظهارًا لقدرته، وتعبّدًا لبريّته، وإعزازًا لدعوتِه، ثم جعلَ الثوابَ على طاعتِه، والعقابَ على معصيتِه زيادةً لعباده عن نقمته وحياشًا لهم إلى جنتِه، وأشهدُ أن أبي محمدًا عبدُه ورسولُه، اختارهُ قبلَ أن يجتبلَهُ[٢]، واصطفاه قبل أن ابتعثهُ، وسمّاه قبل أن استنجَبه[٣]، إذ الخلائقُ بالغيوب مكنونةٌ، وبسترِ الأهاويل مصونةٌ، وبنهايةِ العدَمِ مقرونةٌ علمًا من الله عزّ وجلّ بمآيلِ الأمور، وإحاطةً بحوادث الدهور، ومعرفةً بمواضع المقدور ابتعثهُ الله تعالى، عزّ وجلّ، إتمامًا لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، فرأى الأمم ﷺ فرقًا في أديانها عكَّفًا على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله عزّ وجلّ، بمحمد ﷺ، وفرّج عن القلوب بُهمها، وجلّى عن الأبصار غمَمها، ثم قبضَ الله نبيَّهُ ﷺ قبضَ رأفةٍ، واختيارَ رغبة، بأبي ﷺ عن هذه الدار موضوعٌ عنهُ العِبءُ والأوزارُ، مُحتفٍ بالملائكة الأبرار، ومجاورةِ الملك الجبار، ورضوان الربّ الغفّار صلّى الله على محمد نبيّ الرحمةِ، وأمينِه على وحيِه، وصفيِّه من الخلائق، ورضيّه ﷺ، ورحمةِ الله وبركاته، ثم أنتم عبادَ الله، نُصُبَ أمرِ الله، ونهيِهِ، وحملةُ دينه ووحيِهِ، وأمناءُ الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعمتم حقًّا لكم، أَللّهِ فيكم عهدٌ، قدّمه إليكم، ونحن بقيةٌ استخلَفنا عليكم، ومعنا كتابُ الله بيّنةٌ بصائره وآيٌ فينا منكشفةٌ سرائرهُ، وبرهانٌ مُنجليةٌ ظواهره، مديمُ البرية أسماعهُ، قائدٌ إلى الرضوان اتباعهُ، مودٍّ إلى النجاة استماعه، فيه بيانُ حججِ الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمهُ المحذّرة، وتبيانه الجالية، وجُمله الكافية، وفضائلهُ

(١) العبارة كلّها من مصطلحات الفلسفة التي انتشرت في العصر العباسي، ولا بد من كون هذه الخطبة قد وُضعتْ في هذه الفترة، ونُسبتْ إلى السيدة فاطمة (رض) ويغلب عليها السجع.

(٢) يجتبله: يخلقه على الفطرة. الجَبلة: الخلقة والطبيعة.

(٣) أن ابتعثه، وأن استنجبه: لا تتناسق مع المعطوف عليها (أن يجتبله) فالأول مضارع منصوب بأن، والثاني المعطوف (ماض) مسبوق بأن مما يبين الإرباك في تنسيق الألفاظ وهذا دليل آخر على وضع هذه الخطبة ونسبتها إلى السيّدة فاطمة (رض).

المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة ففرضَ الله الإيمانَ تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاةَ تنزيهًا عن الكبر، والصيامَ تثبيتًا للإخلاص، والزكاةَ تزييدًا في الرزق، والحجَّ تسليةً للدين، والعدلَ تنسُّكًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا، وإمامتَنا أمنًا من الفرقة، وحبَّنا عِزًا للإسلام، والصبرَ منجاة، والقصاصَ حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعرّضًا للمغفرة، وتوفيةً للمكاييل والموازين تعبيرًا للنحسةِ، والنهيَ عن شرب الخمر، تنزيهًا عن الرجس، وقذف المحصنات اجتنابًا للعنة، وتركَ السرق إيجابًا للعفّة، وحرّم الله عزّ وجلّ الشركَ إخلاصًا له بالربوبيّة، فاتقوا الله حقّ تقاتهِ، ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماءُ.

(٣٥)
قيلة بنت مخرمة التميمية[١]

من بني العنبر قال العسقلاني: ومنهم من نسبها غنوية، فصحَّف[٢]. وروي (العنبرية)[٣]:

كانت قيلة بنت صفية بنت صيفي، أخت أكثم بن صيفي. تزوّج قيلةَ حبيبُ بن أزهر من بني جناب، فولدتْ له البنات، ولما توفي منعتها بناتها الزواج من ثوب بن أزهر عمّهنّ، فذهبت تريد صحبةَ رسول الله ﷺ.

وقد روى القصّة ابنُ مندة بلفظه، كما يشير إلى ذلك العسقلاني، وقال أيضًا[٤]:

«ساقه الطبراني، وابنُ مندة بطوله وهذا لفظُ ابن مندة، من طرق ثلاثة عن عبدالله ابن حسّان بهذا السند إنها أخبرتهما»، أي إنّ القصة مرويّة بمعناها فقط، وليس بلفظ (قيلة).

ـ ١ ـ

تزوجتُ رجلًا من بني جناب بن الحارث بن جهبة بن عديّ بن جندب بن العنبر. فقالت[*]: كنتُ ناكحةً في بني جناب بن الحارث بن جهبة بن عديّ[٥] بن جندب بن العنبر، رجلًا

(١) ينظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٩١.

(٢) المصدر نفسه، وقال العسقلاني أيضًا إن حديث قدومها على النبي ﷺ أخرجه بطوله الطبراني والبخاري، وأبو داود والترمذي، ووصف الحديث (إنه فصيح حسن) ووصفه أهل العلم (أنه غريب)، ووصفه آخر فقال: (حديث طويل فيه كلام فصيح)، ووصفه آخر (إنه مختصر).

(٣) ينظر الاستيعاب ٤/ ٣٩٢.

(٤) ينظر الإصابة ٤/ ٣٩٢.

(*) بلاغات النساء ١٢١ والمعجم الكبير للطبراني ٢٥/ ٧، الإصابة ٤/ ٣٩١.

(٥) في معجم الطبراني: أن قيلة بنت مخرمة حدثتهما أنها كانت تحت حبيب بن أزهر أخي بني جناب فولدت له النساء، ثم توفي فانتزع بناتها منها أثوب بن أزهر عمّهن، فخرجتْ تبتغي الصحابة إلى رسول الله ﷺ في أول الإسلام فبكت جويرية منهن حديباء قد كانت أخذتها الفرصة، وهي أصغرهن=

منهم، يُقال له الأزهرُ بنُ مالك، وإنّه ماتَ وتركَ بنات فيهنّ واحدة فزيراء وهي صغراهنّ، وقد أخذتْها الغرسةُ. . قالت: خرجتُ أبتغي الصحابةَ إلى رسول الله ﷺ، في نأناةِ الإسلام، فبكت الحديباء عليّ، فرحمتها، فحملتها معي على بعيري سرًا من عمّها أثوب بن مالك، فخرجنا نرتُك جملَنا، إذا انتفجت الأرنب. فقالت الحديباء القصيّة: وربّ الكعبة، قالت: وقالت في الثعلب قولًا حين عنّ لنا وقالت الفزيراء: وربّ الكعبة، لا يزالُ كعبُكِ عاليًا، على كعب أثوب فبينا الجملُ يرتكُ، إذ خلا وأخذتْه رعدةٌ، فقالت الحديباء: أدركتك والأمانة أخذة أثوب، فقلت: واضطررتُ إليها، فما أصنع، قالت: تقلبين ثيابكِ ظهورها لبطونها، وتقلبين ظهركِ لبطنكِ، ثم قلبت مستحًا لها من صوف، فقلبت ظهرها، لبطنها، قالت: ففعلتُ ما أمرتني به، فقام الجمل ففاجّ، وبال، وأعدتُ عليه أداته، ثم خرجنا نرتكُه، فإذا أثوبُ يسعَى على آثارها، بالسيف صلتًا، فوألنا منه إلى خباء ضخم، فالتقى الجملُ ذلولًا، لدى روق البيت، الأوسط، فاقتحمتُ داخله بالجارية، وتناولني بسيفِهِ، فأصابتْ ظبتُه طائفةً من قرني، وقال: ألقِ إليّ ابنة أخي، يا دَفارِ، فألقيتها إليه وكنت أعلمَ به، منهم، وقد تحشحشَ له القوم، ثم انطلقت إلى أخت لي ناكح في بني شيبان أبتغي الصحابةَ إلى رسول الله ﷺ، فبينا[1]

= عليها سبيج لها من صوف، فرحمتها فاحتملتها معها، فبينما هما ترتكان الجمل إذ انتفجت الأرنب فقالت الحديباء القصية: لا والله لا يزال كعبكِ أعلى من كعب أثوب، في هذا الحديث أبدًا ثم لما سنحت الثعلب، فسمته اسمًا غير الثعلب، نسميه عبدالله بن حسّان، ثم قالت فيه ما قالت في الأرنب، فبينما هما ترتكان الجمل، إذ برك الجمل، وأخذته رعدة، فقالت الحديباء القَصْية: أدركتك والله أخذة أثوب، فقلت: واضطررتُ إليها ويحكِ ما أصنع؟ قالت: قلّبي ثيابك ظهورها لبطونها، وتدحرجي ظهركِ لبطنكِ، وقلبي أحلاس جملكِ، ثم خلعتُ سبيجها فقلبتُهُ، وتدجرت ظهرها لبطنها، فلما فعلتُ ما أمرتني انتفض الجمل ثم قام فتفاجّ وبال، فقالت الحديباء: أعيدي عليكِ أداتك، ففعلتُ ما أمرتني به، فأعدتُها ثم خرجنا نرتكُ، فإذا أثوبُ يسعَى على أثرنا بالسيف صلتًا، فوألنا إلى جواء ضخم فداراه حتى ألقى الجمل إلى رواق البيت الأوسط جمل ذلول، فاقتحمت داخله بالجارية، فأدركني بالسيف، فأصابت ظبّته طائفة من قرون رأسي، وقال: ألقي إليّ بنت أخي، يا دَفارِ، فرميتُ بها إليه، فجعلها على منكبه، فذهب بها، وكنت أعلم به من أهل البيت، ومضيت إلى أخت لي.

(١) في معجم الطبراني: فبينما أنا عندها=

أنا عندها ذات ليلة تحسبُ أني نائمة، إذ جاء زوجها من السامر فقال: وأبيكِ لقد أصبتُ لقيلة صاحبَ صدق، قالت: ومن هو؟ قال: هو حريث بن حسّان غاديًا ذا صباح، وافد بكر بن وائل إلى رسول الله ﷺ، قالت: يا ويلها، لا تخبر بهذا أختي، فتتبع أخا بكر بن وائل، بين سمع الأرض وبصرها، ليس معها من قومها رجل، قال: لا تذكريه فإنّي غير ذاكره لها، فلما أصبحتُ وقد سمعتُ ما قالا، شددتُ على جملي، فانطلقتُ[1] إلى حريث بن حسان، فسألتُ عنه فإذا به وركابه مناخة فسألته الصحابةَ إلى رسول الله ﷺ، فقال: نعم وكرامة، فخرجتُ معه، صاحب صدق، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ[2] فدخلنا المسجد حيث شقّ الفجر، وقد أقيمت الصلاة، فصلّى والنجوم شابكة والرجال لا تكاد تعارف، من ظلمة الليل، فصففت مع الرجال، وكنت امرأةً حديثة عهد بجاهلية، فقال لي رجل إلى جنبي[3]:

امرأةٌ أنتِ أم رجل؟ قلتُ: امرأة، قال: كدت تفتنيني[4] عليكِ بالنساء وراءكِ، فإذا صفٌّ من النساء، قد حدث عند الحجرات، لم أكن رأيته حين دخلت، فصففت معهنّ[5]، فلما صلّينا، جعلت أرى ببصري الرجل ذا الرواء والقشر[6]، لأرى رسول الله ﷺ، حتى دنا رجل فقال:

السلام عليك يا رسول الله، فإذا هو جالسٌ القرفصاء ضامٌّ ركبتيه إلى صدره، عليه أسمالُ مليّتين كانتا مصبوغتين بزعفران فتعصا، وبيده عسيب مقشور،

= ذات ليلة من الليالي، تحسب عيني نائمة جاء زوجها من السامر... وجدت لقيلة صاحبًا صاحب صدق، فقالت أختي: من هو؟ قال: حريث... الشيباني عاد وافد بكر بن وائل.. ذات صباح فقالت أختي: الويل لي، لا تسمع بهذا أختي فتخرج مع أخي بكر بن وائل، فيمن سمع الأرض وبصرها، ليس معها...

(١) في معجم الطبراني: فوجدته غير بعيد.

(٢) في الطبراني: فسألته الصحبة، وركابه مناخة عندي فخرجت معه.

(٣) في الطبراني: وهو يصلي بالناس صلاة الغداة، وقد أقيمت حين شق الفجر والنجوم شابكة في السماء... فقال لي الرجل الذي يليني من الصف...

(٤) في الطبراني والإصابة: تفتنيني، فصلّي في النساء.

(٥) في الطبراني: فكنت فيهنّ.

(٦) في الطبراني: حتى إذا طلعت الشمس دنوت... ذا رداء وإذا قِشر طمح إليه بصري.

غير خوصتين من أعلاه فقال: وعليكَ السلام ورحمة الله، فلما رأيتُ رسول الله ﷺ، والتخشع في مجلسه[١]، أرعدتُ من الفَرق، فقال له جليسه: يا رسول الله أرعدتَ المسكينة، فقال بيده: يا مسكينة، عليك السكينة، فذهبت عني ما كنت أجد من الرعب[٢]، قالت: فتقدّم صاحبي أول من تقدّم[٣]، فبايعه على الإسلام، وعلى قومه، ثم قال:

يا رسولَ الله، اكتب لنا بالدهناء[٤] لا يجاوزها من تميم إلينا إلّا مسافر أو مجاوز، فقال: يا غلام، اكتبْ له بالدهناء[٥]، قالت: فلما رأيت ذلك شَخص بي وهي داري ووطني[٦] فقلت: يا رسول الله، إنه لم يسلك السويّة من الأمر[٧] هذه الدهناء عندكَ مَقيدَ الجمل، ومرعَى الغنم، ونساءُ تميم وأبناؤها وراء ذلك، قال: صدقتِ[٨]، أمسكْ يا غلام، المسلم أخو المسلم يسعهم الماء والشجر[٩]، يتعاونان على الفتان كذا[١٠]، قالت: فلما رأى حريثُ وقد حيل دون كتابة، صفّق بإحدى يديه على الأخرى[١١]، ثم قال: كنت أنا وأنت كما قال الأول: «حتفها حملت ضأن بأظلافها»[١٢]، قالت: فقلتُ أما والله لقد كنتَ دليلًا في الليلة الظلماء، جوادًا لدى الرحل[١٣]، عفيفًا عن الرفيقة، صاحبَ

(١) فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام ورحمة الله، وعليه أسمال مُليتين قد كانت بزعفران وقد نقصتا، وبيده عسيب نخلة مقصر (مقشور) (قفر) غير خوصتين من أعلاه قاعد القرفصاء... فلما رأيت.. المتخشع في الجلسة... فقال رسول الله ﷺ ولم ينظر إليّ وأنا عند ظهره: يا مسكينة عليك السكينة.

(٢) في الطبراني: فلما قالها رسول الله ﷺ أذهبَ الله عني ما كان دخلَ في قلبي من الرعب.

(٣) في الطبراني: وتقدم صاحبي أول رجل حريث بن حسان...

(٤) في الطبراني: اكتب بيننا وبين بني تميم بالدهناء.

(٥) في الطبراني: اكتب له بالدهناء يا غلام.

(٦) في الطبراني: فلما أمر له بها شُخِص بي وهي وطني وداري.

(٧) في الطبراني: لم يسألك.. من الأمر الأرض إذ سألك إنما هذه...

(٨) في الطبراني: صدقت المسكينة.

(٩) في الطبراني: يسعهما.

(١٠) في الطبراني: الفَتانِ، والرواية الأولى أصح.

(١١) في الطبراني: ضرب.

(١٢) في الطبراني: وحتفها ضائن تحمل ضأن بأظلافها.

(١٣) قالت: والله ما أعلم إن كنت لدليلًا في الظلماء تدولًا عن الرجل.. ورواية البلاغات أصح.

صدق، حتى قدِمنا على رسول الله ﷺ[١] عليّ أسأل حظي إذا سألت حظك، قال: وما حظك من الدهناء لا أبا لك[٢]، قالت: قلت مَقيد جملي سلهُ لجمل امرأتك[٣]، قال: أما أني أشهد رسول الله ﷺ أني لكِ أخ[٤]، وأحييت إذ أثنيت هذا عليّ عنده[٥]، قالت: قلت إذ بدأتها، فإني لا أضيعها[٦]، قالت: فقال رسول الله ﷺ ما يمنع ابن هذه أن يفصل الخطة، وينتصر من وراء الحجرة[٧].

قالت: فبكيت وقلت: يا رسول الله، والله لقد ولدته حزامًا، وقاتل معك يوم الربذة، ثم انطلق إلى خيبر يميرتي منها، فأصابته حُمّاها، فمات وترك عليّ النساء[٨].

فقال رسول الله ﷺ: لولا أنك مسكينة لجررت على وجهك، أو لأمرت بكِ فجُررتِ على وجهك، أتغلب إحداكن أن تصاحب صويحبها في الدنيا معروفًا، فإذا حال بينه وبينها من هو أولى به منها[٩]، قالت: ربّ أثبتني على ما أمضيت[١٠]، وأعنّي على ما أبقيت فوالذي نفس محمد بيده، أني أُحَيْدَكم ليَبكي فيستعبر إليه صويحبه[١١] فيا عباد الله لا تعذّبوا إخوانكم. قالت: ثم أمر فكتب لي في قطعة أديم أحمر:

لقيلة والنسوة بنات قيلة لا يُظلمن حقًا، ولا يُكرهنَ على منكح، وكلّ مؤمن مسلم لهنّ نصير أحسنَّ ولا يُسئنَ[١٢].

(١) في النص سقط يمكن إضافته من معجم الطبراني وهو: ولكن لا تلمني على أن أسأل حظي إذا سألت...

(٢) في الطبراني: في الدهناء.

(٣) في الطبراني: تسأله لجمل..

(٤) في الطبراني: لا جرم أني أشهد رسول الله ﷺ أني لك أخ وصاحب.

(٥) في الطبراني: على هذا عنده.

(٦) في الطبراني: فلن أضيعها.

(٧) في الطبراني: أيلام ابن هذه أن يفصل الخطّة وينصر من وراء الحجزة. كلتاهما صحيحتان.

(٨) في الطبراني: قد والله ولدته يا رسول الله حرامًا فقاتل... ثم ذهب يجيرني من خيبر.

(٩) في الطبراني: استرجع..

(١٠) في الطبراني: أنسني..

(١١) في الطبراني: إن إحداكن لتبكي... ورواية الطبراني أصحّ.

(١٢) في البلاغات ١٢٣: قال أبو عبدالله ومما سمعته من غير عفان، قال: وأظنه من حديث يعقوب، قال: ولست أحققه وقال ابن طيفور: أدركت إحدى بنات قيلة في زمن الحجاج، قد خطبها رجل من أهل الشام فأبتْ فأرسل إليها الحجاج، حتى أكرهها عليه، فجعلت تتقي بكتابها وهو في يديها، وتقول: إن في كتابنا أن لا تكره على منكح، فلم يلتفت إلى كتابها، ودفعها إلى الشمامي. المعاني التي شرحها=

ـ ٢ ـ دعاء قيلة

كانت قيلة إذا أخذت حظها من المضجع بعد العتمة، قالت(*):

بسم الله وأتوكلُ على الله، وضعتُ جنبي لربّي، وأستغفره لذنبي، حتى تقولها مرارًا، ثم تقول:

أعوذ بالله وبكلماته التامات، التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجرٌ، من شرّ ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وشرّ ما ينزل في الأرض وشرّ ما يخرج منها، وشرّ فتن النهار، وشرّ طوارق الليل إلّا طارقًا يطرق بخير، آمنت بالله واعتصمتُ به، الحمدُ لله الذي استسلم لقدرته كلُّ شيء، والحمدُ لله الذي ذلّ لعزته كلُّ شيء، والحمد لله الذي تواضع لعظمتهِ كلّ شيء، والحمد لله الذي خضع لملكه كلُّ شيء، اللهمَّ إني أسألك بمقاعد العزّ من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وجدّك الأعلى، واسمك الأكبر وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، أن تنظر إلينا نظرة مرحومة لا تدع لنا ذنبًا إلّا غفرته ولا فقرًا إلّا جبرته ولا عدوًا إلّا أهلكته ولا عريانًا إلّا كسوته، ولا دَيْنًا إلّا قضيته، ولا أمرًا لنا فيه صلاح في الدنيا والآخرة إلّا أنطيتناه، يا أرحم الراحمين، آمنت بالله واعتصمت به.

ـ ٣ ـ حوار قيلة العنبرية(**)(١)

حين تحدّث الصحابي البكري مع

= ابن طيفور: تحشحش له القوم: إن التحشحش أن يهزل الرجل بعد يبس، وقال العقيلي: تحشحشنا آخر شهر رمضان أي هزلنا، وتحسحس أصوب. ـ كما يقول ابن طيفور ـ أي تحرك له القوم. الفزيراء: الفَرَز: هنة تخرج في أعلى الفخذ، الشقوق. وشرح الطبراني عن ابن عائشة فقال: الفرصة ذات الحدب والفرصة القطعة من المسك والفرصة الدولة. السبيج: سمل كساء. مُسجت: الثوب البالي. الرتكان: ضرب من السير. الانتفاج: السعي السفر. تفاج: تفتح. صلَتَ: جرّد السيف من غمده. وألنا: لجأنا. دفار: يا منتنة، والدنيا أم دفر لنتنها. القَتانِ: الشياطين، واحدتها قاتن. حتفها تحمل ظأن بأظلافها: مَثل يقال في شاة بحثت بأظلافها في الأرض، فأظهرت مدية فذُبحت بها. الدهناء: عشبة حمراء يُدهن بورقها. صحراء النفوذ بالسعودية. حريث بن حسان البكري (الاستيعاب ٤/ ٣١٣ والإصابة ١/ ٢٩٠) صاحب حديث قيلة، سأله رسول الله ﷺ عن حديث عاد، فقال: يا رسول الله على الخبير سقطت. فذهبت مثلًا.

(*) المعجم الكبير للطبراني ٢٥/ ١١.

(**) الحيوان ٥/ ٤٨٧.

(١) أعتقد أن قيلة العنبرية، هي قيلة التميمية بدليل قول العسقلاني في الإصابة ٤/ ٣٩١: قيلة بنت مخرمة التميمية من بني العنبر.

زوجته وقال: عن حتفها تبحث ضأن بأظلافها وتوجّها إلى النبي ﷺ، فقالت:

مهلًا فإنك ما علمت، جوادًا بذي الرّجل، هاديًا في الليلة الظلماء، عفيفًا عن الرفيقة. فقال البكري زوجها:

لا زلت مصاحبًا بعد أن أثنيتِ عليّ بحضرة الرسول بهذا!

(٢٦)
ماوية أو مارية مولاة حجير أبي إهاب

«قصة»

زوجةُ عقبة بن الحارث بن عامر.

روتْ ماوية[١] مولاةُ حُجير[٢]، قصة خُبيب بنِ عديّ (رض) الذي حبَسه المشركون في بيتها بمكة، حتى تخرج الأشهر الحرم، فيقتلوه. وكانت تحدّثُ بقصّته بعدُ، ثم أسلمتْ فحسُن إسلامُها. فكانت تقول[*]:

واللهِ ما رأيتُ أحدًا خيرًا من خبيبٍ، لقد اطّلعتُ عليه من صير الباب، وإنّه لفي الحديد، ما أعلمُ في الأرض حبةَ عنبٍ تُؤكل[٣]. وكان خبيبٌ يتهجّدُ، فكان يسمعُه النساء، فيبكينَ ويرققْنَ عليه. فقلتُ له:

يا خبيبُ هل لكَ من حاجة؟ فقال: لا إلّا أن تسقيني العذْبَ، ولا تُطعميني ما ذُبح على النصب، وتُخبريني إذا أرادوا قتلي.

فإذا انسلختِ الأشهرُ الحرم، وأجمعوا على قتله، أتيتُه فأخبرتُه، فوالله ما رأيته اكْترثَ لذلك، وقال: ابْعثي إليّ

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٨/ ٣٠١، والإصابة ٤/ ٤٠٦ ونسبت القصّة في الأغاني ٤/ ٤٢، وعمدة القارئ ١٤/ ٢٩٠ إلى إحدى بنات الحرث أو الحارث بن عامر.

(٢) حجير التيمي: الذي ابتاع خبيبًا، أخو الحارث بن عامر لأمّه.

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٠١، والأغاني ٤/ ٤٢، والإصابة ٤/ ٤٠٥، وعمدة القارئ ١٤/ ٢٩٠.

(٣) في الأغاني: لقد رأيته وما بمكة من ثمرة. وإنّ في يده لقِطفًا يأكله إنْ كان إلّا رزقًا، رزقَه الله. وفي الإصابة: وإن في يده لقِطفًا من عنب أعظمَ من رأسه، يأكل منها. وما في الأرض يومئذٍ حبةُ عنب. وفي رواية أخرى: إذ اطلعتُ من خلل الباب وفي يده قطفٌ من عنب مثلُ رأس الرجل...

بحديدة أستصلح بها. قالت:

فبعثتُ إليه بموسى مع ابني أبي حسين. (وكانت تحضُنه، ولم يكن ابنَها ولادةً). قالت: فلما ولّى الغلامُ[١]، قلت: أدرَكَ الحديدةَ فيقتله ويقول: رجلٌ برجل. فلما أتاه ابني بالحديدة تناولها، ثم قال ممازحًا:

وأبيكَ إنك لجريءٌ، أما خشيتْ أمك غدري حين بعثتْ معكَ بحديدةٍ، وأنتم تُريدونَ قتلي؟ قالت ماويةُ: وأنا أسمع ذلك، فقلت: يا خبيبُ إنما ائتمنْتُك بأمان الله، وأعطيتكَ بإلهكَ، ولم أعطِكَ لتقتلَ ابني، فقال خبيبٌ: ما كنت لأقتله، وما نَستحِلُّ في ديننا الغدرَ. قالت: ثم أخبرتُه أنَّهم مُخرِجوهُ، فقاتلوهُ بالغداة. قالت: فأخرجوهُ في الحديد، حتى انتَهوْا به إلى التنعيم[٢] وخرج معه الصبيانُ، والنساء والعبيد، وجماعةُ أهل مكة، فلم يتخلّف أحدٌ، إمّا موتورٌ فهو يريدُ أن يتشافى بالنَظرِ من وتره، وإمّا غيرُ موتور فهو مخالِفٌ للإسلام وأهله. فلما انتَهَوا به إلى التنعيم، ومعه زيدُ بنُ الدثنة، أمروا بخشبةٍ طويلة، فحُفِر لها، فلما انتَهوْا بخبيب إلى خشبته، قال:

هل أنتم تاركيَّ، فأصلّي ركعتَيْنِ؟ قالوا: نعم. فركع ركعتَيْنِ. أتمَّهما من غير أن يطوّلَ فيها[٣].

---

(١) في عمدة القارئ: فوجدتُهُ مُجلِسَه على فخذهِ والموسَى بيدهِ، ففزعتُ فزعة عرفَها خبيبٌ في وجهي.

(٢) التنعيم: موضع بالقرب من مكة. الموتور: طالب الثأر. الرُهط: ما دون العشرة. زيد بن الدّثنة: الصَحابي الجليل (رض) الذي أرسله رسول الله ﷺ في بعثة الرجيع، فغدرَ به الكفار وبصاحبِهِ خبيب، فقُتِلا.

(٣) كانت صلاته ركعتين ولم يُطِل لأنه خشِي أن يتهمهُ المشركون بالجُبن أو الخوف.

(٢٧)

نائلة بنتُ الفرافِصة بن الأحوص الكلبيّة

«رسالة»

زوجةُ الخليفةِ الراشد عثمان بن عفان (رض)، بعد أن تراسل مع سعيد بن العاص وهو على الكوفة، وكان قد تزوّج هندًا بنتَ الفرافصة فوصفَها للخليفة وقال: إنها بيضاءُ مديدة. فطلبَ منه أن يخطبَ له أختَها نائلة، فأوصاها أبوها يوم نُقلتْ لدار عُرسها، في السنة الثامنة والعشرين للهجرة[١]:

إنّكِ تقدمينَ على نساءٍ من نساء قريش هنّ أقدرُ على الطيب منكِ. فاحفظي عني خَصلَتين. فتكحّلي وتَطيّبي بالماء. حتى يكون ريحُكِ ريحَ شنّ أصابهُ مطرٌ.

أبرزُ ما في حياتها، موقفُها الصلبُ يومَ الدار[٢]، إذ كان المصحفُ الشريفُ بيدِ الخليفة، وقد احمرّ أديمُه ونشرتْ نائلة شعرها، فأمرها الخليفة أن تأخذَ خمارَها. وقال:

لَعمْري لَدُخولُهم عليَّ أعظَمُ من حُرمةِ شعرِكِ، وضربَهُ رجلٌ بالسيف فاتّقتْه بيدِها، فقطَع إصبعين من أصابعها وقُتل عثمان(رض)، فخرج القاتلون وهم يكبّرون واستُشهد وهو صائم فكتبت زوجته كتابًا إلى معاوية، وبعث بقميص عثمان مع النعمان بن بشير أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة[٣].

١ - كتاب نائلة إلى معاوية بن أبي سفيان

(١) ينظر الأغاني ١٥/ ٧٠، وينظر الكامل لابن الأثير ٣/ ٤٩.

(٢) يوم قتل الخليفة (رض) سُمّيَ يوم الدار.

(٣) تنظر حياة نائلة مفصلة، في ديوان أشعار النساء ق٢.

كتبت فيه(*):

من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعدُ، فإني أدعوكم[١]، إلى الله الذي أنعم عليكم وعلّمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدوّ، وأسبغ عليكم نعمهُ ظاهرةً[٢] وباطنة، وأنشدُ الله وأذكّركم حقّه[٣]، وحقَّ خليفتِه، أن تنصروه بعزم اللهِ عليكم[٤]. فإنه قال[٥]:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فإن أمير المؤمنين بُغي عليه، ولو لم يكن لعثمانَ عليكم إلّا حقُّ الولاية[٦]، لحقَّ على كلّ مسلم يرجو إمامته أن ينصرَه[٧]، فكيف وقد علمتم قدمه في الإسلام وحُسن بلائه، وأنه أجاب الله وصدّق كتابه[٨]، واتبعَ رسوله، والله أعلمُ به، إذ انتخبهُ فأعطاه شرفَ الدنيا، وشرفَ الآخرة. وإني أقصّ عليكم خبره، إني شاهدة أمره كله[٩]، إن أهل المدينة حصروه في داره، وحرسوه ليلهم ونهارهم قيامًا على أبوابه بالسلاح، يمنعونه من كلّ شيء قدروا عليه، حتى منعوه الماء. فمكث[١٠] هو ومن معه خمسينَ ليلة، وأهلُ مصرَ قد أسندوا أمرهم إلى عليّ ومحمد بن أبي بكر[١١]، وعمّار بن ياسر، وطلحة والزبير، فأمروهم بقتله، وكان معهم من القبائل: خزاعةُ وسعدُ بن بكر، وهذيل، وطوائفُ من جهينة، ومزينة، وأنباطُ يثرب، فهؤلاء كانوا أشدّ الناس عليه[١٢]، ثم إنه حُضر فرُشق بالنبل والحجارة، فجُرح ممن كان في الدار ثلاثةُ نفر معه، فأتاه

(*) العقد الفريد ٤/١١٤، الأغاني ١٥/٧١.

(١) في الأغاني: فإني أذكركم..

(٢) في الأغاني: النعمة.

(٣) في الأغاني: وأنشدكم.

(٤) في الأغاني: الذي لم تنصروه وبعزمة الله..

(٥) سورة الحجرات الآية ٩.

(٦) في الأغاني: ثم أتى إليه ما أتى لحق.

(٧) في الأغاني: يرجو أمام الله أن ينصره.

(٨) في الأغاني: أجاب داعي الله وصدّق رسوله..

(٩) في الأغاني: لأني كنت مشاهدة.

(١٠) في الأغاني: يحضرونه الأذى ويقولون له الإفك...

(١١) في الأغاني: وكان عليّ مع الحضريين من أهل المدينة.. ولم يقاتل مع أمير المؤمنين، ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به.

(١٢) في الأغاني: ولا أرى سائرهم ولكني سمّيت لكم الذين كانوا أشدّ الناس عليه في أول أمره وآخره.

الناس يصرخون إليه، ليأذن لهم في القتال فنهاهُم، وأمرهم أن يردّوا إليهم نبلهم، فردّوها عليهم فما زادهم ذلك، في القتل إلّا جرأة، وفي الأمر إلّا إغراقًا، فحرقوا باب الدار ثم جاء نفر من أصحابه[١].

فقالوا: إنّ ناسًا[٢] يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل، فاخرج إلى المسجد يأتوك، فانطلق فجلس فيه ساعة، وأسلحة القوم مُظلّة عليه من كلّ ناحية.

فقال:

ما أرى اليوم أحدًا يعدل، فدخل الدار، وكان معهم نفرٌ ليس على عامّتهم سلاح فلبس درعه[٣] وقال لأصحابه: لولا أنتم ما لبستُ اليوم درعي. فوثب عليه القوم، فكلّمهم ابنُ الزبير، وأخذ عليهم ميثاقًا في صحيفة بعث بها إلى عثمان: عليكم عهدُ الله وميثاقُه، أن لا تقربوه بسوء، حتى تكلّموه[٤] وتخرجوا، فوضع السلاحَ، فلم يكن إلّا وضعَهُ. ودخل عليه القومُ يقدمُهم محمدُ بنُ أبي بكر فأخذ بلحيته ودعوه باللقب، فقال:

أنا عبدُ الله وخليفتهُ عفان، فضربوه على رأسه ثلاثَ ضربات، وطعنوه في صدره ثلاثَ طعناتٍ وضربوه على مقدم العين فوق الأنف ضربة أسرعتْ في العظم[٥]، فسقطتْ عليه وقد أثخنوه وبه حياة، وهم يريدون أن يقطعوا رأسهُ، فيذهبوا به. فأتتني ابنةُ أبي شيبة ابن ربيعة، فألقتْ بنفسها معي فوطئنا وطئًا شديدًا[٦]، وعُرينا من حلينا[٧]، وحرمةُ أمير المؤمنين أعظم فقتلوا أمير المؤمنين في بيته مقهورًا على فراشه، وقد أرسلتُ إليكم بثوبه عليه دمه، فإنّه والله إن كان أثِم من قتلَه، فما سلِمَ من خذلِهِ، فانظروا أين أنتم من الله وأنا أشتكي كل ما مسّنا إلى الله عزّ وجلّ وأستصرخ بصالحي عباده[٨]، فرحم الله عثمان ولعن قتلته، وصرّعهم في الدنيا مصارعَ الخزي والمذلّة، وشفَى منهم الصدور.

---

(١) في الأغاني: ثلاثة نفر.
(٢) في الأغاني: في المسجد ناسًا.
(٣) في الأغاني: وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح، فلبس درعه.
(٤) في الأغاني: أن لا تغزو بشيء فكلموه وتخرجوا.

(٥) في الأغاني: مقدم الجبين..
(٦) في الأغاني: معي عليه..
(٧) في الأغاني: من ثيابنا..
(٨) في الأغاني: ونستنصر وليّه وصالح..

ـ ٢ ـ حوار نائلةُ وعثمان (رض)

لما أتتْ نائلةُ بنتُ الفرافصة من الشام إلى المدينة قال لها الخليفة عثمان بن عفان (رض)(*):

لا تكرهين ما رأيتِ من شيبي.

قالت: إني من نسوة أحبّ أزواجهنّ إليهنّ الكهل السيّد.

قال: إني قد جاوزت التكهيل، فأنا شيخ.

قالت: أبليتَ عمرك في الإسلام، ونصرةِ رسول الله ﷺ، في خير ما أُفنِيتْ فيه الأعمار.

(*) بلاغات النساء ١٣٨.

(٣٨)
نسيبة الأنصارية

قالت يوم أحد(*):

خرجتُ أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزتُ إلى رسول الله ﷺ. فقمت أباشرُ القتالَ، وأذبّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصتْ الجراح إليّ. قالت أم سعد بن الربيع، فرأيت على عاتقها جرحًا، أجوف له غور فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت أم عمارة:

ابن قمئة أقمأه الله! لمّا ولّى الناس عن رسول الله ﷺ، أقبل يقول:

دلّوني على محمد فلا نجوْتُ إن نجا، فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكنه عدو الله وكان عليه درعان.

(*) سيرة ابن هشام ٣/ ٨١.

(٢٩)

هند بنتُ أبي أمية (أمّ سلمة)(١)

المخزومية القرشية أم المؤمنين قيل أن اسمها رملة، كان أبوها يلقّب زادُ الزكب لأنه كان أحد أجواد العرب، أمها عاتكةُ بنت عامر، تزوجها أبو سلمة بن عبد الأسد ابنُ عمها. وهاجرتْ معه إلى الحبشة، ثم هاجرت إلى المدينة. فكانت أوّل ظعينة دخلتْ إلى المدينة، مات زوجها من الجراح التي أصابته، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام. فقد أسلم بعد عشرة أنفس، وكان أخا النبي ﷺ، من الرضاعة، وأمه برّة بنت عبد المطلب، وهو الذي قال عنه الرسول ﷺ أولُ من يُعطى كتابه بيمينه، استُشهد في يوم أحد، فتزوّج النبي ﷺ أم سلمة، إكرامًا له، وحفاظًا على أولاده ومواساة لمصاب أهله. كانت فصيحةً بليغةً جميلةً مُصيبةً، لها شخصية فذّة وعقل راجح، توفيت آخر سنة ٦١هـ أو ٦٠هـ واختُلف في تحديد وفاتها، وكانت بنتَ أربعٍ وثمانين سنة.

١- كتاب أمّ سلمة إلى عائشة (رض)(*)

كتبت أم سلمة إلى عائشة بعد خروجها من المدينة إلى البصرة:

أما بعدُ فإنكِ سدةٌ بين رسول الله(٢)، وبين أمّتهِ، وحجابُكِ

(١) الإصابة ٢/ ٣٣٣، و ٤/ ٤٢٣ وينظر ديوان أشعار النساء للمزيد من التفصيل.

(*) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٤٥، والعقد الفريد ٤/ ١٢٥، ونثر الدرّ للآبي ٢٠ و٤٥.

(٢) في العقد الفريد: من أم سلمة زوج النبي ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين، فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلّا هو، أما بعدُ، فقد هتكتِ سدّة بين رسول الله ﷺ وأمتهِ، حجابًا مضروبًا على حرمته. فقد جمع القرآن ذيولك، فلا تسحبيها، وسكر خفارتك، فلا تبتذليها، فالله من وراء هذه الأمة، لو علم رسول الله ﷺ أنّ النساء يحتملنَ الجهاد عهد إليك. أما علمتِ أنه قد نهاكِ عن الفراطة في الدين، فإنّ عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مالَ، ولا يرأب بهنّ إن انصدَع. جهاد النساء غضّ=

مضروبٌ على حرمته، قد جمع القرآن الكريم ذلك، فلا تبذليه وسكن عقيرتك، فلا تضيّعيه . الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسولُ الله مكانكِ، لو أراد أن يعهدَ إليكِ، وقد علمتِ أنّ عمودَ الدين، لا يثبتُ بالنساء، إن مال، ولا يُرأب بهنّ، إن انصدعَ، خمراتُ النساء غضّ الأبصار، وضمّ الذيول، ما كنتِ قائلةً لرسول الله ﷺ لو عارضكِ، بأطرافِ الجبان والفلوات، على قعود من الإبل، من منهل إلى منهل، أن يعين الله مهواكِ، وعلى رسول الله ﷺ، تردين، وقد هتكتِ حجابةُ الذي ضربَ الله عليك، عُهَيداه. ولو أتيت الذي تريدين، ثم قيل ادخُلي الجنة، لاستحييتُ أن ألقَى الله، هاتكةً حجابًا، قد ضربهُ عليَّ، فاجْعلي حجابكِ، الذي ضُربَ عليكِ حصنَكِ، فابْغيهِ منزلًا لكِ، حتى تلقَيْه، فإنّ أطوع ما تكونين، إذا لزمْتهِ، وأنصحَ ما تكونين إذا ما قعدتِ فيه، ولو ذكّرتكِ كلامًا قاله رسولُ الله ﷺ لنهشتني نهشَ الحيّة والسلام.

٢ - رسالةُ أم سلمة إلى الإمام علي كرّم الله وجهه ٣٦هـ

قالت(*):

= الأطراف وضمّ الذيول وقصر الموادة ما كنت قائلة لرسول الله ﷺ، وأقسم لو عارضكِ ببعض هذه الفلوات ناصة قعودًا من منهل إلى منهل، وغدًا تَردينَ على رسول الله ﷺ، وأقسم لو قيل لي: يا أمّ سلمة ادخلي الجنةَ، لاستحييتُ أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكةً حجابًا ضربَه عليّ فاجعليهِ ستركِ، وقاعةُ البيتِ حصنُكِ، فإنكِ أنصحُ ما تكون لهذه الأمة، ما قَعدتِ عن نصرتهم. ولو أني حدثتكِ بحديثٍ سمعتُه من رسول الله ﷺ، لنهشتِ نهشَ الرقشاء المطرقةِ والسلام. في نثر الدرّ للآبي: قالت أمّ سلمة: يا عائشةُ إنكِ جُنّةٌ بين رسول الله ﷺ، وبين أمتهِ، وحجابُكِ مضروبٌ حرمتهُ. قد جمع القرآن ذيلك فلا تملخيه، وسكّني عقيراكِ فلا تُصحريها، لو ذكّرتكِ قولةً من رسول الله ﷺ، لتهشّشتِ تهشّش الرقشاء المطرقة. ما كنتِ قائلةً لرسولِ الله ﷺ لو لقيكِ ناصة قعودًا من منهل إلى منهل، قد برحتِ عُهيداه، وهتكتِ ستره، إنّ عمود الدين لا يُرأب بالنساء ولا يُقام بهنّ إذا انصدَعَ، حما داهُنّ خفضُ الأعراضِ وقصرُ الوهازة، اجعلي قاعدةَ البيت قبرَكِ حتى تلقَيهِ، وأنتِ على ذلك. الفراطة: الإفراط. ناصة: تسرع المسير بالناقة أقصى سرعتها. تملخيه: تجذبيه باستلال. تصحّريها: تبرزيها إلى الصحراء. الوهازة: الهوادة، الخطو. إن من الملاحظ اختلاف الروايات المذكورة فيما بينها، علمًا بأن ابنَ قتية توفي ٢٧٦هـ، وابن عبد ربه ٣٢٨هـ، والآبي ٤٢١هـ، مما يدلّ على تعدّد الجهات التي روت الخبر، مما سبب زيادة أو نقصان من قبل الرواة، أو بسبب التعصّب إلى عائشة أو أم سلمة.

(*) تاريخ الطبري ٤/٤٥١.

يا أميرَ المؤمنين، لولا أن أَعصي الله عزّ وجلّ، وأنكَ لا تقبلهُ منّي، لخرجتُ معكَ، وهذا ابني عمرُ، والله لهو أعزُّ عليَّ من نفسي، يخرج معك، فيشهد مشاهدك.

- ٣ - «وصيَّة»

قالت أمّ سلمة:

أتت أم سلمة الخليفةَ عثمان بن عفان (رض) فقالت(*):

يا بنيَّ مالي أرى رعيتكَ عنكَ مُزوّرين[١]، وعن ناحيتكَ نافرين[٢] لا تَعَفْ سبيلًا[٣] كان رسولُ الله ﷺ لَحَبها[٤]، ولا تقدحْ زندًا كان أكباها[٥] توخّ حيث توخى صاحباكَ، فإنّهما ثكما الأمر[٦] ثكمًا، ولم يظلماه [٧]، لستَ بغُفْلٍ فتعتذر ولا بحلو فتعتزل ولا تقول، ولا يقال إلّا لمظن، ولا يختلف إلّا في ظُنين فهذه وصيتي إياكَ، وحقّ بنوتِكَ، قضيتها إليكَ، ولله عليكَ حقّ الطاعة، وللرعيّة حقّ الميثاق.

(*) بلاغات النساء ٩، ومجمع الأمثال للميداني ٣/٤٩١.

(١) في مجمع الأمثال: نافرين.
(٢) في مجمع الأمثال: وعن جناحك ناقرين. وهذا تصحيف. ورواية البلاغات أصحّ.
(٣) في مجمع الأمثال: طريقًا.
(٤) في مجمع الأمثال: يحبّها.
(٥) في مجمع الأمثال: ولا تقتدح بزند كان عليه السلام أكباه وتوخّ.
(٦) ثكما: لزماه.
(٧) في مجمع الأمثال: ولم يظلما هذا حق أمومتي غضيته إليكَ، وإن عليكَ حقّ الطاعة.

(٣٠)

هند بنتُ عتبة

ـ ١ ـ حوار هند مع رسول الله ﷺ

أسلمتْ هندٌ يوم الفتح مع نسوة أتينَ رسولَ الله بالأبطح فبايعنَه، فقالت هند(*):

يا رسول الله، الحمدُ لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسهِ، لتنفعني رحمك، يا محمدُ إني امرأة مؤمنة بالله، مصدقةٌ برسوله، ثم كشفتْ عن نقابها، وقالت:

أنا هندُ بنت عتبة، فقال الرسول ﷺ: مرحبًا بكِ. قالت:

واللهِ ما كان على الأرض(١) أهلُ خباء أحبَّ إليَّ من أن يذلّوا من خبائكَ(٢)، ولقد أصبحت(٣) وما على الأرض أهلُ خباءٍ أحبّ إليّ من أن يعزّوا من خبائكَ(٤).

فقال الرسول ﷺ: وزيادة. وقرأ عليهنّ القرآن وبايعهنّ.

فقالت هند: يا رسولَ الله نُماسحكَ؟

فقال: إني لا أصافح النساء، إنّ قولي لمائة امرأة مثل قولي لامرأة واحدة.

ولما ضربتْ صنمًا لها قالت: كنّا منكَ في غرور.

ـ ٢ ـ

قالت هند بنت عتبة في بيعة النساء، للرسول ﷺ(**):

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٣٦، تنظر حياة هند مفصلة في ديوان أشعار النساء. وتاريخ الإسلام للذهبي/ المغازي ٥٦٠، وعمدة القارئ ٢٤/ ٢٣٣ و ٢٣/ ١٧٣.

(١) في تاريخ الإسلام وعمدة القارئ: يا رسول الله ما كان مما على ظهر الأرض.

(٢) في تاريخ الإسلام: من أهل خبائك.

(٣) في تاريخ الإسلام: ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض.

(٤) في تاريخ الإسلام: من أهل خبائك.

(**) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٣٧ و ٨/ ٩، وتاريخ الطبري ٣/ ٦١، والاستيعاب ٤/ ١٩٢٣، وأسد الغابة ٧/ ٢٩٢.

لما قال النبي ﷺ: ولا يزنين، قالت: وهل تزني الحرّة.

قال: ولا يقتلن أولادهنّ، قالت: وهل تركتَ لنا واحدًا إلّا قتلته يوم بدرٍ؟[١] فأنتَ وهم أعلم[٢].

قال: ولا يعصينكِ في معروف[٣]. قالت: ما جلسنا هذا المجلسَ ونحن نريد أن نعصيَك في معروف[٤].

ولما قال النبي ﷺ: تبايعنَ أن لا تشركْن بالله شيئًا. قالت: إنا لقائلوها. وقال: فلا تسرقْنَ. قالت: كنتُ أصيب[٥] من مالِ أبي سفيان، قال أبو سفيان: فما أصبتِ من مالي فهو حلالٌ لكِ.

(١) في رواية أخرى لابن سعد: قالت: أنتَ قتلتَهم. في الاستيعاب: قد ربّيناهم صغارًا، وقتلتَهم أنت ببدرٍ كبارًا.

(٢) من تاريخ الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري: ولا تعصينني في معروف. وهذه الرواية أصحّ. قال الصحابي ميمون: ولم يجعل الله لنبيّهِ عليهنّ الطاعة، إلّا في المعروف، والمعروف طاعة الله تعالى.

(٤) الإضافة من تاريخ الطبري.

(٥) في تاريخ الطبري: والله إن كنتُ لأصيب.. الهَنَةَ، الهنَةَ، وما أدري أكان ذلك حِلًا لي!.

ولما قال الرسول ﷺ: ولا تأتينَ ببهتان، قالت[٦]: إنّ إتيان البهتان لقبح، ولبعض التجاوز أمثل.

- ٣ -

قالت هند[*]: يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيح[٧]، لا يعطيني وولدي ما يكفيني، إلّا ما أخذتُ من ماله وهو لا يعلم.

فقال: خذي ما يكفيكِ وولدكِ بالمعروف.

(٦) تاريخ الطبري: ٣/ ٦١.

(*) طبقات ابن سعد ٨/٢٣٨ و ٨/٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥٦٠ المغازي.

(٧) في رواية أخرى: مِسّيك فهل عليّ من حَرج أن أطِيبَ من غير إذنهِ؟ فرخّص لها رسول الله ﷺ في الرطب ولم يرخّص لها في اليابس. في تاريخ الإسلام: مُمسِك فهل عليّ من حرج أن أطعم من الذي له؟ قال: لا، بالمَعروف. وفي رواية: فهل عليّ من حرج أن أطعم من الذي له عيالَنا، قال: لا، عليكِ أن تطعميهم بالمعروف.
فبعد ذلك الحوار قال النبي ﷺ لعمر (رض): بايعهنّ واستغفر لهنّ الله. وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء، ولا يمس امرأة، ولا تمسّه إلّا أحلّها الله له. ويروى أن البيعة كانت على نحوين: يوضع بين يدي الرسول ﷺ إناء فيه ماء فإذا أخذ عليهنّ وأعطينه، غمس يده في الإناء ثم أخرجها فغمست النساء أيديهنّ، أو يقول اذهبنَ فقد بايعتكنّ.

ـ ٤ ـ وصية هند لابنها معاوية

بعد طلاقها من أبي سفيان، وقدومها إلى ابنها معاوية، حين سألها: ما أقدمكِ أي أُمّة؟ قالت(*): النظرُ إليك أي بنيّ، إنه عمر(١). وإنما يعملُ لله. وقد أتاك أبوك، فخشيتُ أن تُخرِجَ إليه من كل شيء، وأهلُ ذلك هو، فلا يعلم الناسُ، من أين أعطيتَه فيؤنّبكَ ويؤنبكَ عمرُ، فلا يستقيلها(٢) أبدًا.

ـ ٥ ـ

كلامها حين أتاها نعيُ يزيد بن أبي سفيان(**):

قال لها أحدُ المعزّين: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خلف من يزيد.

قالت: ومثلُ معاوية لا يكون خلفًا من أحد، فواللهِ أنْ لو جُمِعَتِ العربُ من أقطارها، ثم رُمي به فيها، لخرجَ من أيّ أغراضها شاء.

ـ ٦ ـ حوار هند والأعرابي(***)

كان معاويةُ يمشي مع أمّه فعثرَ، فقالت له: قمْ لا رفعكَ الله ـ وأعرابيٌّ ينظرُ إليه ـ فقال: لمَ تقولين له هذا؟ فواللهِ إني لأظنّه سيسود قومهُ، قالت:

لا رفعَه الله إنْ لم يسدْ إلّا قومَه.

(*) تاريخ الطبري ٤/ ٢٢١.

(١) استقرضت هند من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) مالًا تتّجر فيه فعدلت إلى ابنها معاوية، بعد أن تمّ طلاقها، وأوصته بهذه الوصية، فبعث إلى أبيه وأخيه ببعض المال، فقال أبو سفيان: إن هذا إعطاءٌ لم تغبْ عنه هند.

(٢) يستقيل من إقالة العثرة، أو القبول بالعذر.

(**) البيان والتبيين ١/ ٥٦.

(***) نثر الدرّ للآبي ٤/ ٦٦.

(٣١)
هند بنت النعمان بن المنذر

١- حوار هند بنت النعمان(١) وخالد(*)

دخل خالدُ بن الوليد، لما فتح الحيرةَ، على هند بنت النعمان، فسلّمتْ عليه وقال لها:

أسلمي حتى أزوّجكِ رجلًا شريفًا مسلمًا. قالت: أما الدينُ فلا رغبةَ لي فيه غير دين آبائي، وأما التزويجُ، فلو كانت فيَّ بقيةٌ لما رغبتُ فيه. فكيف وأنا عجوزٌ هرمة، أترقبُ المنيّةَ، بين اليوم والغد!

قال: سَليني حاجةً، قالت:

هؤلاء النصارى الذين في ذمّتكم تحفظونَهم. قال: هذا فرضٌ علينا أوصانا به نبينا محمد ﷺ، قالت: ما لي حاجةٌ غير هذا، فإنّي ساكنةٌ في هذا الدير الذي بنيتُه ملاصقًا لهذه الأعظُم البالية من أهلي حتى أَلْحَقَ بهم.

فأمر لها بكسوةٍ ومال.

قالت: أنا في غنى عنه، لي عبدان يزرعان مزرعةً لي أتقوتُ بما يخرجُ منها ويُمسكُ الرمَقَ، وقد اعتددْتُ بقولكَ فعلًا، وعرضك نقدًا.

قال لها: أخبريني بشيء أدركت، قالت:

ما طلعتِ الشمسُ بين الخورنق والسدير إلّا على ما هو تحتَ حُكمِنا. فما أمسى المساءُ حتى صِرْنا خَولًا لغيرِنا.

ثم قالت: اسمعْ مني دعاءً كنا ندعو به لأملاكنا:

شكرتْكَ يدٌ افتقرتْ بعد غِنًى، ولا ملكتْكَ يدٌ استغنَتْ بعدَ فقرٍ، وأصابَ اللهُ بمعروفِكَ مواضعَ، ولا أزالَ عن كريمٍ

(*) معجم البلدان ٢/ ٥٤١.

(١) أبوها النعمان بن المنذر ملك الحيرة قبل الإسلام.

نعمةً إلّا جعلكَ سببًا لِردّها إليهِ، ولا جعلَ لكَ إلى لئيم حاجةً.

وجاءها قومُها وقالوا: ما صنعَ بكِ الأميرُ؟

قالت:

صانَ لي ذمّتي وأكرَم وجهي
إنما يُكرمُ الكريمُ الكريمَ

٢ ـ حوار هند بنت النعمان بن المنذر والمغيرة

ذهبَ المغيرةُ بن شعبة إلى هند بنت النعمان، وكان واليًا على الكوفة وهي يومئذٍ متنصّرةٌ، عمياءُ، بنتُ تسعين، فقالت له(*): من أنتَ؟

قال: أنا المغيرةُ بنُ شعبة، قالت: أنتَ عامل هذه المِدرة؟ تعني الكوفة. قال: نعم، قالت: فما حاجتُكَ؟ قال: جئتكِ خاطبًا إليكِ نفسَكِ[١]، قالت: أما والله لو كنتَ جئت تبغي جمالًا أو دنيا لزوجناكَ، ولكنك أردتَ أن تجلس في موسمٍ من مواسم العرب، فتقولَ: تزوجتُ بنتَ النعمان بن المنذر، وهذا، والصليبِ، لا يكون أبدًا. أوَ ما يكفيكَ فخرًا أن تكونَ في ملك النعمان وبلادهِ، فتديرها كما تريد. وبكتْ فقال لها: أيّ العرب كان أحبَّ إلى أبيكِ. قالت: ربيعةُ. قال: فأين كان يُجلِسُ قيسًا. قالت: كان يستعفِيهم من طاعتِه. قال: فأين كان يجعَلُ ثقيفًا. قالت: رويدَكَ لا تعجلْ. بينا أنا ذات يوم جالسةٌ إلى خدرٍ لي إلى جنب أبي، إذ دخل عليه رجلان، أحدهما من هوازن، والآخر من بني مازن، كل واحد منهما يقول: إن ثقيفًا منا.

فخرجَ المغيرة وهو يقول:

أدركْتُ ما منّيتُ نفسي خاليا
للهِ درُّكِ يا ابنةَ النعمانِ

(*) الأغاني ١٤/١٤١ والمستطرف ٢/٢٢١.

(١) في المستطرف: قالت: إنك لم تكن جئتني لجمال ولا مال، ولكنك أردتَ أن تتشرفَ في محافل العرب. فتقول تزوجت هندًا بنت النعمان بن المنذر، وإلّا فأيّ خيرٍ في اجتماعِ عمياء وأعورَ.

الكُنى و الألقاب

(٣٢)
ابنةُ عبدالله بن جعفر الطيّار(*)

يقال أنها ما رؤيتْ ضاحكةً منذ تزوجها الحجّاجُ الثقفي، فقيل لها:

لو تسلّيتِ فإنه أمرٌ قد وقعَ. قالت: كيف وبمَ، واللهِ لقد ألبستُ قومي عارًا لا يُغسَل دَرنه بغُسْل.

ولما مات أبوها عبدُالله، لم تبكِ عليه، وقالت:

والله إنّ الحزنَ ليبعثني، وإنّ الغيظ ليُسكتني.

(*) بلاغات النساء ١٤٢.

(٣٣)

أم رعلة القشيرية(*)

«حوار»

قدمتْ أمُّ رعلةَ على النبيّ ﷺ، وكانت ذاتَ لسان وفصاحة[١]، فقالت:

السلامُ عليكَ يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاته، إنّا ذواتُ الخِدْر، ومحلّ أزر البُعول، ومن بناتِ الأولاد ولا حظّ لنا في الجيش. فَعلّمْنا شيئًا يُقرّبُنا إلى الله عزّ وجلّ.

قال ﷺ:

عليكنّ بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، وغضّ البصر وخفض الصوت.

قالت:

يا رسولَ الله إني امرأة مُقيّنة، أُقيّن النساء، وأُزيّنهنّ لأزواجهنّ، فهل هو حوبٌ فأثبطَ عنه.

قال ﷺ:

يا أمّ رعلة قيّنيهنّ وزيّنيهنّ إذا كسدْنَ.

(*) الإصابة ٤/٤٤٨.

(١) قال العسقلاني عن ابن عباس: أنّ أم رعلة كانت امرأة بدوية ذات لسان، فكان النبي ﷺ معجبًا بها. (المصدر نفسه).

(٣٤)
أم شُرَيك

«قصة الدلو»

سماها ابنُ عباس قصَةَ الدلو[١] وذكر أن لها قصَةً أخرى شبيهة بها. وأمّ شُرَيك هي غُزيّة بنتُ جابر وقيل من دوس من الأزد، وهبتْ نفسها للنبيِّ ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتتْ. واختُلف في هذا الخبر، وفي اسم أم شريك[٢].

كانت تدعو نساءَ قريش للإسلام سرًا، وهاجمتْها قريشٌ حين علمتْ بأمرها. قالت[*]:

فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ، ولا غيرهُ، ثم تركوني ثلاثًا، لا يُطعموني، ولا يسقوني، قالت: فما أتتْ عليَّ ثلاثٌ، حتى ما في الأرض شيء أسمعهُ، فنزلوا منزلًا، وكانوا إذا نزلوا أوثقوني في الشمس، استظلّوا وحبسوا عنّي الطعام، والشراب، حتى يرتحلوا، فبينما أنا كذلك إذ أنا بأثر شيء يرِدُ عليَّ منهُ ثمّ رُفعَ، فصُنعَ ذلك مرارًا، حتى رويتُ ثم أفَضْتُ سائرَه على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا فإذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنةَ الهيئة، قالوا لي:

أتحلّلتِ فأخذتِ سقاءنا فشربتِ منه.

فقلت:

لا واللهِ ما فعلتُ ذلك، كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنتِ صادقةً فدينُك خيرٌ من دِيْننا، فنظروا إلى الأسقية، فوجدوها كما تركوها، وأسلموا بعد ذلكَ. وأقبلتْ إلى النبي ﷺ ووهبتْ نفسها له.

---

(١) ينظر الإصابة ٤/٤١٦.

(٢) قيل اسمها عزيلة، وقيل عزية.

(*) المصدر نفسه.

(٣٥)

امرأة الحطيئة(*)

قالت له حين تحوَّل عن بني رياح إلى بني كليب، بئس ما استبدلتَ من بني رياحٍ بعرَ الكبشِ لأنهم متفرقون، وكذلك بعرُ الكبشِ يقع متفرقًا.

(*) البيان والتبيين ٢/٣٥٨ طبعة بيروت.

(٣٦)

امرأة قيس بن عاصم

رُوي أنَّ قيسَ بنَ عاصم أسلَم[١]، وعنده امرأةٌ من حنيفة، فأبى أهلها أن يُسلموا، وخافوا إسلامها، فأقسموا لها أنّها إن فعلتْ، لم يكونوا معها في شيء ما بقيت، وكان قيسٌ يحبّها، لولا شركُها، فقالت له(**):

أثنيتَ بحسبكَ وفضلكَ، وأنتَ والله إن كنتَ لدائمَ المحبةِ، كثيرَ القضية، قليلَ الألية، مُعجب الخَلْوة، بعيدَ النبوة، ولئن تكون أيْمتي في حياتك أهونَ منها عليّ لمماتك، ولنعلَمنَّ أني لا أريح إلى حضن زوج بعدكَ.

فقال قيس: ما فارقتُ نفسي شيئًا تتبعهُ كما تبعَتْها.

(١) قيس بن عاصم بن أسيد من بني عامر بن صعصعة النميري، وفد على النبي ﷺ ومسح وجهه، وقال ﷺ: اللهم باركْ عليه، وعلى أصحابه. (الإصابة ٣/ ٢٥٢). ورد ذكر قيس بن عاصم المنقري وهو شخص آخر وهو صحابي أيضًا سماه الرسول ﷺ سيد أهل الوبر، وكان أول من وأد البنات، اشتهر بعقله وحلمه، وبلاغته. (الإصابة ٣/ ٢٥٣) له وصية بليغة وجميلة.

(**) بلاغات النساء ٨٨.

(٣٧)
جـارية

فـي الـكـوفـة زمـن الـفـتـح الإسلامي(*):

قـالـت امـرأة لـزوجـهـا، وقـد أثـار غضبها حين اشترى جارية:

الله في قلبي أعظمُ وأجلّ، وأنتَ في عيني أذلّ وأحقر، من أن أعصَى الله فيكَ فكيف ذُقتَ طعم الغيرة.

حـوار بـيـن جـاريـة وعـبـدالله بـن جعفر[1] بن أبي طالب(**)

جاءته امرأة فقالت له:

تفديك خالتك هذه دجاجة، ربيتها فروجة وسمنتها فلم أر أحدًا أحقّ بها منك. فأخذها منها وأمر لها بألف درهم.

فقالت: أبقاك الله وأعانك على ما أنت فيه، فقال: زودوها ألفًا. فقالت: حفظ الله نفسك الكريمة. فقال: زودوها ألفًا. فقالت: أمتعني الله وسائر الناس ببقائك. فقال: زودوها ألفًا. فقالت: جعلني الله فدا هذه الروح الطيبة. فقال: زودوها ألفًا. فقالت: حسبك يا مسرف والله لو ثبتَ لثبتّ.

(*) المستطرف ٢/ ٢٢٤.

(**) المحبر لمحمد بن حبيب ١٤٧.

(١) كان عبدالله زوج أم كلثوم بنت علي (المحبر ٤٣٧).

قال النبي ﷺ

«خير النساء، من تسر إذا نظر، وتطيع إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها».

صدق رسول الله ﷺ

أدبياتُ العصر الأمويّ

(أ)

آمنة بنت الشريد

من أنصار الإمام علي كرّم الله وجهه يوم وقعة صفين، كانت خطيبةً فصيحة، تحرّض قومها على القتال وتخطبهم[1] وتدعوهم إلى قتال معاوية وكان قد قتل زوجها في تلك الوقعة، فأرسل إليها رأس زوجها، فأرجعت الرسول إلى معاوية، مع رسالة شفوية يلقيها الرسول عليه، وفيها ندبة وتوجع، ودعاء على معاوية وبني أميّة.

فأرسل إليها معاويةُ يطلبها للحضور أمامَهُ وحبسها في سجن دمشق سنتين[2] فأتتهُ وعنده رجالٌ من قادة جيشه، منهم إياسُ بنُ حُسل، فقال إياس[3]: اقتل هذه يا أمير المؤمنين، وذلك لهول ما يتذكّر من موقفها، وصرامتها في أرض المعركة. فعنّفته، ووبّخته بأشدّ ما تستطيع من قوة فطردها معاوية، وأشار ببنانه، أي اخرجي ولا تعودي أبدًا.

فخرجت وهي تولول، وتقول ما تقول فسمعها أحدُ أنصارِ معاويةَ وهو الأسودُ الهلالي، فوبّخته أيضًا بكلام عنيف، وعبارات بليغة.

فقال له معاوية: أفلا تركتَ كلامها قبل البصيصة منها والاعتذار إليها؟ فقال: إي واللهِ يا أمير المؤمنين لم أكنْ أرى شيئًا من النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغت هذه المرأةُ.

فأرسل معاوية من يقطع لسانَها، وذلك بالصلة وليس بالعقوبة، فأرسل إليها جوائزَ ثمينةً. فخرجت عائدة إلى قومها وماتت بالطاعون، فقال له الرجل: ما أصابني من حرارة كلامها إلّا وقد أصابك مثله.

آمنة بنتُ الشريد(*)

زوجةُ عمرو بن الحمق الخزاعي، بعثَ معاويةُ بنُ أبي سفيان في طلبها،

(١) يخطب القوم ويجوز يخطب فيهم.
(٢) ينظر بلاغات النساء ٦٤، ومخطوطة الوفود الورقة ١٧ب.
(٣) ينظر المصدر نفسه.

(*) بلاغات النساء ٦٤، ومخطوطة الوفود للشهرزوري، الورقة ١٧ ب. مع اختلاف في طول النص وقصره.

بعدَ مقتلِ الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ثم مقتل زوجها، فقالت:

واحزناه لصغره في دار هوان، وضيقٍ من ضَيْمِه[١] سلطانٌ، نفيتموهُ عنّي طويلًا، وأهديتموه إليّ[٢] قتيلًا، فأهلًا وسهلًا بمن كنتُ له غيرَ قاليةٍ[٣]، وأنا له اليومَ غيرُ ناسيةٍ[٤]، إرجعْ به أيّها الرسولُ إلى معاويةَ، فقلْ له[٥]، ولا تطوهِ دونه[٦]: أيتمَ اللهُ ولدكَ، وأوحشَ منكَ أهلكَ، ولا غفرَ لكَ ذنبكَ.

فأرسل معاويةُ يطلبها، فأتتْهُ، وكان عنده إياسُ بنُ حسل، فقال معاوية:

ألَنتِ يا عدوةَ اللهِ صاحبةُ الكلام الذي بلغني؟ قالت: نعم، غيرُ نازعةٍ عنه، ولا معتذرةٍ منه ولا منكرةٍ له، فلعَمري فلقد اجتهدتُ في الدعاء[٧] إنْ نفعَ الاجتهادُ، وإنّ الحقَّ لمن وراءِ العباد[٨]، وما بلغتَ شيئًا، من جزائكَ[٩]، وإنّ اللهَ بالنقمةِ[١٠] من ورائكَ.

فقال إياسُ: اقتلْ هذه يا أميرَ المؤمنين، وكان في لسانه ثقلٌ، فقالت:

تبًا لك[١١]، ويلك، بين لحيتيكَ كجثمانِ الضفدع[١٢] ثم أنتَ تدعوهُ إلى قتلي، كما قتلَ زوجي بالأمسِ، إن تريدُ إلّا أنْ تكونَ جبارًا في الأرض[١٣]، وما تريدُ أن تكونَ من المصلحين[١٤].

فقال معاويةُ: للهِ درُّكِ، اخرُجي ثم لا أسمع بكِ في شيءٍ من الشام.

قالت: وأبي لأخرجنَّ[١٥]، ثم لا تسمعُ لي في شيءٍ من الشام، فما الشامُ لي بحبيبٍ، ولا أعرجُ فيها على حميمٍ،

(١) في المخطوطة: وضيق مجلس سلطان.

(٢) في المخطوطة: ثم أهديتموه.

(٣) في المخطوطة: بمن كانت، ورواية البلاغات أصحّ.

(٤) في المخطوطة: وأنا اليوم له.

(٥) في المخطوطة: وقل له.

(٦) في المخطوطة: ولا تطوهِ أيتم الله داركَ.

(٧) في المخطوطة: لقد.. غاية الاجتهاد..

(٨) في المخطوطة: وإنّ الله من...

(٩) في المخطوطة: فما بلغتَ..

(١٠) في المخطوطة: والله بالنقمة..

(١١) في المخطوطة: فيا لكَ ويلك.. الأولى أصحّ.

(١٢) في المخطوطة: من لحيكَ..

(١٣) في المخطوطة: إنْ يريد إلّا أنْ يكون ضارًا في الأرض، ورواية البلاغات أفصح لأنّها مستوحاة من آي القرآن الكريم. سورة القصص: آية ٢٨.

(١٤) في المخطوطة: وما يريد أن يكون..

(١٥) في المخطوط: إن خرجت من الشام فما هي الشام لي من حبيب.

وما هي لي وطن(١)، ولا أحنّ فيها إلى سكن، ولقد عظُم فيها ديني(٢)، وما قرّت فيها عيني، وما أنا فيها إليكَ بعائدةٍ، ولا حيثُ كنتَ مجامدة(٣).

فخرجت وهي تقول:

واعجبي لمعاوية(٤) يكفّ عنّي لسانَه، ويشيرُ إليّ الخروج ببنانِه، أما والله ليعارضنّه عمرو(٥) بكلام مؤيد سديد، أوجعَ من نوافذِ الحديد، أو ما أنا يا بنت الشريد(٦).

ولما خرجتْ سمعتْ وهي تقولُ ما تقول ورآها الأسودُ الهلالي(٧)، فقالت له: خزيًا لكَ وجدْعًا أتلعتُني؟ واللعنةُ بينَ جنبيكَ، وما بين قَرنيكَ إلى قدميْكَ(٨)، اخسأْ يا هامةَ الصُّعْلِ(٩)، ووجْهَ الجُعْلِ، فأذلِلْ بكَ نصيرًا، وأقلِلْ بكَ ظهيرًا، فبُهتَ الأسلعُ ينظر إليها، فاعتذرَ إليها خوفًا من لسانها.

وقالت: قد قبلتُ عُذرَكَ، وإنْ تعدْ أعُدْ، ثم لا أستقيلُ، ولا أراقبُ فيكَ(١٠)، فبلغَ ذلك معاويةَ، فقال:

زعمتَ يا أسلعُ أنكَ لا تواقفُ من يغلبُكَ، أما علمتَ أنّ حرارةَ المتبولِ ليست بمخالسةِ نوافذِ الكلام، عند مواقفِ الخصام، أفلا تركتَ كلامَها قبلَ البصيصة منها، والاعتذار إليها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين لم أكنْ أرى شيئًا من النساء يبلغُ من معاضيلِ الكلام، ما بلغتْ هذه المرأةُ حالتها(١١)، فإذا هي تحملُ قلبًا شديدًا، ولسانًا حديدًا، وجوابًا عتيدًا، وهالتني رعبًا، وأوسعتني سبًا.

فأرسل معاوية من يقطعُ لسانها لتقضي به ما ذكرتْ من دَيْنها، وقال:

اللّهم أكفِني شرَّ لسانِها.

---

(١) في المخطوط: بوطن..

(٢) في المخطوط: رأيي.

(٣) في المخطوط: ولا حيث كنت لك بحامدة، والمخطوط أصحّ رواية.

(٤) في المخطوط: يا عجبي..

(٥) في المخطوط: والله لما مسّه قاتل عمرو بكلام مريد شديد، ورواية البلاغة أصحّ وعمرو الحمق زوجها.

(٦) في المخطوط: ألست بابنة الشريد.

(٧) الأسود الهلالي: هو أحد رجال معاوية.

(٨) في المخطوط: من فوقك إلى قدميك..

(٩) في المخطوط: يا هامة الصُلع.. الصُعْل: الأصعل والصعلاء، دقيق الرأس والعنق= من الناس والنعام. الأسلع: سلع رأسه، شقّه، الأسلع المتشقق القدم.

(١٠) في المخطوط: ثم لم أنلك ولم أراقبك.

(١١) في المخطوط: وقد جالستها، البصيصة: بصت الشجرة، ظهر أوّل أوراقها.

فقالت:

يا عجبي لمعاوية[١]، يقتلُ زوجي، ويبعثُ إليّ بالجوائز فليت أبي كربٍ سدّ عني حرّه[٢] وخُذْ من الرَّضفَةِ ما عليها[٣].

---

(١) في المخطوط: واعجبا!.

(٢) في المخطوط: فليت حظي من أبي كرب سد عني خيره، وبره. وهذه الرواية أصح.

(٣) الرضَفَة: الحجارة المحماة. وقد ماتت في طريق عودتها بالطاعون، فقال معاوية: إن موتها لم يكن بأريح لي، ولعمري لقد أثخنتْ بكَ ـ وكان يُخاطبُ أحدَ رجاله ـ حتى أفرغت عليك شوء بو يا وبيلا. فقال الرجل: ما أصابني من حرارة كلامها إلّا وقد أصابك مثله وأشدّ منه.

(٢)
أمامة بنت زيد بن الصعق

حوارُ أُمامةَ بنتَ زيدِ بنِ الصعق ومعاوية

قدِمتْ أمامةُ بنتُ زيد بن الصعق على معاويةَ، فقال لها حدّثيني عن هذا الحيّ من مضر فقالت(*):

أما ناصيةُ[1] مضَر فهذانِ الحيّان، كنانةُ وأسد، وأما أظفارهُ التي تخادشُ بها، فهذا الحيُّ من قيسٍ.

فقال معاوية: ما تركتِ لتميم؟ قالت:

ذلك الكاهل[2] المحمول عليها، والكرش المأكول فيها.

قال حدّثيني عن قيس قصره[3] قالت:

جمجمةُ قيس غطفانُ وأضراسُها بني سليم[4]، وخيشومها عامرُ بنُ صعصعة.

(*) مخطوطة (كتاب الوفود) الورقة ٢٥ ب.

(١) الناصية: مقدّم الرأس «ويؤخذ بالنواصي والأقدام».

(٢) الكاهل: أعلى الظهر مما يلي العنق، كاهل القوم: سندهم ومعتمدهم.

(٣) أعتقد أن في هذا الموضع سقط لا أعرف مقداره.

(٤) الأصحّ أن تكون: وأضراسها بنو سليم.

(٣)
بكارة الهلالية

إحدى أديبات العرب، اشتهرتْ بشجاعتِها وخطبتِها وفصاحةِ لسانها، وحوارِها مع معاويةَ بنِ أبي سفيان، من أنصار الإمام علي يوم صفين، كانت تحرّض قومها على القتال، وهي إحدى النساءِ الوافدات على معاويةَ بعد انتهاءِ وقعةِ صفين.

وسيأتي حوارُها، وخطبتُها وبلاغةُ كلامها أمامَ معاوية، الذي أكرمها، وأجزَل لها العطاء، وقضى حوائجها[١].

حوار بكارة الهلالية ومعاوية

دخلتْ بكارةُ على معاوية بن أبي سفيان، بعد أن كبرتْ سنّها ودقّ عظمُها، ومعها خادمان لها وهي متكئةٌ عليهما، وبيدها عكازٌ فسلمتْ على معاويةَ، فأحسنَ عليها الردّ، وأذِنَ لها في الجلوس، وكان مروانُ بنُ الحكم وعمرو بن العاص قد حضرا، فتذاكروا شعرَ بكارةَ يومَ صفين، حين كانت تحرّض المقاتلين على قتال معاوية، فقالت[*]:

نبحتْني كلابُكَ يا أميرَ المؤمنين، واعتوَرتْني فقصُرَ مِحجَني، وكثُر عجَبي، وعشيَ بصري، وأنا واللهِ قائلةٌ ما قالوا، لا أدفعُ ذلك بتكذيبٍ. فاقْضِ لشأنكَ، فلا خيرَ في العيش بعد أميرِ المؤمنين.

فقال معاويةُ: إنّه لا يضعكِ شيءٌ، فاذكري حاجَتكِ تُقضَى.

وفي رواية أخرى[٢] قال لها معاوية: كيف أنتِ يا خالة؟ قالت: بخير يا أميرَ المؤمنين، قال: غيّركِ الدهر، قالت: كذلك هو ذو غِيَرٍ، من عاشَ كَبُر، ومن مات قُبِر.

وقالت في رواية أخرى[٣]: إن عشيَ

---

(١) ينظر بلاغات النساء ٤٠ والعقد الفريد ٢١٩/١ وأعلام النساء ١٣٧/١.

(*) بلاغات النساء ٤٠، العقد الفريد ٢١٩/١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

بصري[١]، وقصُرت حجتي، فأنا قائلةٌ ما قالوا وما خفيَ عليك أكثرُ، فضحكَ معاويةُ وقال: ليس بمانعي من برّكِ يا خالة غيرُ عدم مجيئك، قالت: أما الآن فلا.

(١) في العقد الفريد، قالت: يا معاوية، كلامك أعشى بصري... أنا والله قائلة... عليك مني أكثر... ليس يمنعنا ذلك من برّك، أذكري حاجتك، قالت: الآن فلا.

(٤)
جروةُ بنتُ مرّةَ بن غالب التميمية(*)

من بني أُسيد وكانت بمكة[١]، أرسل معاوية في طلبِها وكان قد أرِق أرقًا شديدًا، في ليلة من الليالي، فلما دخلت قال:

مرحبا يا جروة أرعناك؟[٢] قالت:

إي واللهِ يا أميرَ المؤمنين، لقد طرقتَ في ساعةٍ لا يطرقُ فيها الطيرُ في وكره، فأرعتَ قلبي[٣] وريعَ صبياني، وأفزعتَ عشيرتي، وتركتَ بعضهم يموج في بعض، يراجعون القول، ويديرون الكلام[٤] خشيةً منك وشفقة عليَّ.

فقال: ليسكنْ روعكِ[٥]، ولتطبْ نفسُكِ فإنّ الأمر على خلاف ما ظننتِ، إنّي احتجمتُ فأعقبني ذلك (أرق) فأرسلتُ إليكِ، تخبريني عن قومكِ[٦].

قالت:

عن أيّ قومي تسألني؟ قال: عن بني تميم.

قالت: يا أميرَ المؤمنين، هم أكثرُ الناس عددًا وأوسعُه بلدًا[٧]، وأبعدُه أمدًا[٨]، هم الذهبُ الأحمر، والحَسبُ الأفخر.

قال: صدقتِ، فنزليهم لي.

قالت: يا أميرَ المؤمنين، أما بنو عمرو بن تميم، فأصحابُ بأسٍ ونجدة وتحاشدٍ[٩] وشدّة لا يتخاذلون عند اللقاء، ولا يطمح فيهم الأعداء، سِلمُهم فيهم، وسيفهُم على عدوّهم.

(*) بلاغات النساء ٧٧، ومخطوطة كتاب الوفود للشهرزوري، الورقة ١٢ ب.

(١) في المخطوطة: وهي امرأة أسيد..

(٢) في المخطوطة: أرعيناك، وذلك خطأ لأنه من الروع والخوف، حين أرسل معاوية بطلبها ليلًا ويدل على ذلك الحديث الآتي.

(٣) في المخطوطة: فأُرعب.. وأرعب صبياني.

(٤) في المخطوطة: القول...

(٥) في المخطوطة: لتسكن روعتك وتطب...

(٦) في المخطوطة: بحذف العبارة كلّها ثم تأخيرها فيما بعد. في بلاغات النساء والمخطوطة: أرقًا شديدًا، وذلك خطأ نحوي.

(٧) في المخطوطة: وأوسعهم.

(٨) في المخطوطة: وأبعدهم.

(٩) في المخطوطة: وحشد وشدة.

قال: صدقتِ، ونِعْم القوم لأنفسهم.

قالت: وأما بنو سعد بن زيد مناة، ففي العدد الأكثرون وفي النسب الأطيبون[١]، يضرّون إنْ غضبوا[٢] ويدركون إن طلبوا، أصحابُ سيوف وجُحف[٣] ونِزالٍ وزُلَف[٤] على أنَّ بأسهم[٥] فيهم، وسيفَهم عليهم.

وأما حنظلةُ فالبيتُ الرفيع والحسبُ البديع والعزّ المنيع[٦]، المكرمون للجارِ، والطالبون بالثأر، والناقصون للأوتار.

قال: إنّ حنظلة شجرة تفرع[٧].

قالت: صدقْتَ يا أمير المؤمنين، وأما البراجمُ فأصابعُ مجتمعة، وكفٌّ ممتنعة[٨]، وأما طهَيّةُ فقومٌ هوج[٩] وقرنٌ لجوج، وأما بنو ربيعةَ فصخرةٌ صماء، وحيّةٌ رقشاء، يخزون بغيرهم ويفخرون بقومهم[١٠]، وأما بنو يربوع، ففرسانُ الرماح وأُسود الصباح، يعتنقون الأقرانَ، ويقتلون الفرسانَ.

وأما بنو مالك، فجمعٌ غيرُ مفلول، وعزّ غيرُ مجهول[١١]، ليوثٌ هرّارة، وخيولٌ كرّارة[١٢]، وأما بنو دارم فكرمٌ لا يُدانى، وشرَفٌ لا يُسامَى، وعزّ لا يوازَى[١٣].

قال: أنتِ أعلمُ الناس بتميم، فكيف عِلمُكِ بقيس؟ قالت: كعِلمي بنفسي.

قال: فخبّريني عنهم.

قالت: أما غطفانُ، فأكثرُ سادة وأمنعُ قادة، وأما فزارةُ فبيتُها المشهور، وحسبُها المذكور، وأما ذُبيانُ فخطباءُ

(١) في المخطوطة: وفي الحسب.
(٢) في المخطوطة: يصبرون.
(٣) الجحف: السيول الجارفة.
(٤) في المخطوطة: ودُلف. والزلف: المنازل والقربى.
(٥) في المخطوطة: إلّا أنّ بأسهم.
(٦) في المخطوطة: والعمر المنيع، ورواية البلاغات أصحّ.
(٧) في المخطوطة: تتفرع، وكلاهما صحيح، لورود ذلك في القرآن الكريم، مثل: يدكر ويذّكر.
(٨) في المخطوطة: وأكفّ.
(٩) في المخطوطة: بنو طهيّة فقوم هوج.

(١٠) في المخطوطة: يعتزّون بعدّهم، ورواية المخطوطة أصحّ لأنهم كما وصفتهم بالصلابة والغدر والذكاء، في البلاغات (بغيرهم) وهو خطأ.
(١١) في المخطوطة: غير منحول.
(١٢) في المخطوطة: ليوث هزازة وخيول كرّارة. هرّارة: هرّ الكلب، كشر عن أنيابه، أي عابسون مصوّتون في القتال، كما يهرّ الكلب وهذا تشبيه بدوي.
(١٣) في المخطوطة: لا يواتي.

شعراء، أعزّة أقوياء، وأما عبسٌ فجمرةٌ لا تطفأ[١]، وعقبةٌ لا تُعلى، وحيّةٌ لا تُرقى.

وأما هوازنُ فحِلمٌ ظاهر وعزٌّ قاهر.

وأما سليم ففرسانُ الملاحم، وأسودُ ضراغم.

وأما نميرٌ فشوكةٌ مسمومة، وهامةٌ مذمومة ورايةٌ ملمومة[٢]. وأما هلالٌ، قاسمٌ فخمٌ وعزّ قوم[٣]. وأما بنو كلاب فعددٌ كثير، وفخرٌ أثير[٤].

قال: لله أنتِ!! فما قولُكِ في قريش؟

قالت: يا أميرَ المؤمنين، هم ذروةُ السنام، وسادةُ الأنام، والحسَبُ القمقام.

قال: فما قولُكِ في علي (رض)؟

قالت: جاز واللهِ في الشرف حدًّا لا يُوصف[٥]، وغايةً لا تُعرف، وباللهِ أسألُ أميرَ المؤمنين إعفاني مما أتخوف[٦].

قال: قد فعلتُ. فأكرَمها بضيْعةٍ وعشرةِ آلاف درهم.

(١) في المخطوطة: فحمم لا تطفى.

(٢) في المخطوطة: وهامة ملمومة، وآية مفهومة.

(٣) في المخطوطة: وعزّ ضخم.

(٤) في المخطوطة: وبحر زخير... وحكم كبير.

(٥) في المخطوطة: حتى لا يوصف.

(٦) في المخطوطة: أسألك... إعفائي.

(٥)
الجمانةُ بنتُ المهاجر بنِ خالد بن الوليد

نظرت الجمانةُ إلى عبدالله بن الزبير وهو يرقأ المنبر، يخطب يوم الجمعة، فقالت(*):

يا نقّار انقر يا نقار(١)، أما والله لو كان فوقه نجيبٌ من بني أميّةَ، أو صقرٌ من بني مخزوم لقال المنبرُ طيق طيق(٢).

ولما علم ابنُ الزبير بذلك أرسل إليها، فأتتْ وقال: بلغني عنكِ يا لَكاعِ.. قالت: الحقُّ أُبلِغتَ يا أميرَ المؤمنين.

قال: ما حملكِ على ذلك؟ قالت:

لا تعدَمِ النساء ذامًّا(٣)، والساخطُ ليس براضٍ، ومع ذلك فما عدوْتُ فيما قلتُ لكَ، إن نسبتُك إلى التواضع والدين، وعدوّك إلى الخيلاء والطمع لئن ذاقوا وبالَ أمرهم، لتحدث عاقبة شأنِك وليس من قال فكذبَ، كمن حدّثَ فصدقَ، وأنت بالتجاوز جدير، ونحن للعفو منك أهلٌ، فاسترْ عليّ الحرمةَ تستتمّ النعمة، فوالله ما يرفعكَ القولُ ولا يضعُكَ، وإنّ قريشًا لتعلم أنكَ عابدُها وشجاعها ولسانها(٤)، حاط الله دنياكَ، وعَصم أُخراكَ وألهمكَ شكر ما أولاكَ.

(*) بلاغات النساء ٤٥، ونثر الدر ٨٤.

(١) في نثر الدرّ: أيا..

(٢) في نثر الدرّ: طِيق طيق.

(٣) ينظر الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٥.

(٤) في نثر الدرّ: وسنانها ولسانها..

(٦)

جمرة امرأة عمران بن حطان(*)

قالت لزوجها:

أنا لَعلَى خيرٍ إنْ شاءَ الله، أُعطِيتَ مثلي فشكرتَ، وابتُليتُ بِكَ فصبرتُ.

(*) بلاغات النساء ١٠٦.

(٧)
الدارمية الحجونية

كانت امرأة سوداء تدعى دارميّة الحجونيّة، أرسل في طلبها معاويةُ بنُ أبي سفيان حين حجّ سنةً من السنين، فقال لها حين حضرتْ(*):

كيف حالُكِ يا ابنةَ حام[1]؟

قالت: بخير، ولستُ لحام، إنما أنا امرأة من قريشٍ من بني كنانة، ثُمّتَ من بني أبيكَ، قال: صدقتِ هل تعلمين لِمَ بعثتُ إليكِ[2]، قالت:

لا يا سبحان الله، وأنّى لي بعِلمِ ما لم أعلم[3]. قال:

بعثتُ إليك أن أسألك علامَ أحببت عليًا عليه السلام وأبغضتيني، وعلام واليتيه، وعاديتيني؟[4]

قالت: أوَ تَعفيني من ذلك[5]، قال: لا أعفيكِ، ولذلك دعوتُكِ[6].

قالت: فأما إذا أبيتَ[7]، فإني أحببتُ عليًا عليه السلام[8]، على عدله في الرعية وقسمه بالسوية، وأبغضتُكَ على قتالكَ[9] من هو أولى بالأمر منكَ،

(*) بلاغات النساء ٧٦، العقد الفريد ١/ ٢٢٢، صبح الأعشى ١/ ٢٥٩. الحجون: منطقة بالحجاز بمكة المكرمة.

(١) في العقد: ما جاء بك يا.
في الصبح: ما حالك يا ابنة..

(٢) في العقد: قالت: لست لحام إنْ عبتني أنا، أنا امرأة من بني كنانة، قال: صدقتِ أتدرين لم بعثت إليكِ.
في الصبح: قالت: لستُ لحام أدْعَى، إن عبتني أنا امرأة من بني كنانة، قال: صدقت لِمَ أرسلْت إليك..

(٣) في العقد والصبح: قالت: لا يعلم الغيبَ إلّا الله.

(٤) في العقد والصبح: لأسألك علام... والصحيح: وأبغضتني... واليته، وعاديتني.

(٥) في الصبح: أو تعفيني.. يا أمير المؤمنين..

(٦) في العقد والصبح: (بحذف العبارة).

(٧) في العقد والصبح: أما إذا...

(٨) في العقد والصبح: (بحذف العبارة).

(٩) في العقد: على قتال... منك بالأمر..

وطلبُكَ ما ليس لك[١]، وواليتُ عليًا، عليه السلام[٢]، على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاية[٣]، وحب المساكين[٤]، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتُكَ على سفكك الدماء وشقّكَ العصا[٥]، قال:

صدقتِ فلذلك انتفخَ بطنُكِ وكبرَ ثديُكِ، وعظُمتْ عجيزَتكِ[٦]، قالت:

يا هذا، بهندِ واللهِ يُضرب المثلُ، لا أنا[٧].

قال معاوية:

يا هذه لا تغضبي فإنا لم نقل إلّا خيرًا[٨]، إنه إن انتفَخَ بطنُ[٩] المرأة، تمّ خلق ولدها، وإذا كبر ثديُها حسُن غذاء ولدها[١٠]، وإذا عظُمت عجيزتُها، رزنَ مجلسُها، فرجعت المرأة، فقال لها: هل رأيتِ عليًا؟ قالت: إي والله لقد رأيته[١١]، قال: كيف رأيته[١٢]؟ قالت:

لم يفتنْهُ المُلكُ[١٣]، ولم تشغلهُ النعمةُ[١٤]، قال: فهل سمعتِ كلامَه؟ قالت: نعم، قال: فكيف سمعته؟ قالت:

كان والله كلامه يجلو القلوبَ من العمى[١٥]، كما يجلو الزيتُ صداء الطست[١٦]، قال: صدقتِ، هل لكِ من حاجة؟.

قالت: وتفعل إذا سألت[١٧]؟ قال: نعم، قالت:

---

(١) في العقد: وطلبك ما ليس لك بحق. في الصبح: ما ليس لك بحق.
(٢) في العقد والصبح: (بحذف العبارة).
(٣) في العقد: من الولاء.
(٤) في العقد: وحبّه المساكين، في الصبح: وعلى حبه المساكين.
(٥) في العقد والصبح: (بحذف العبارة) وإضافة: وجورك في القضاء وحكمك بالهوى..
(٦) في العقد والصبح: وعظم ثدياك، وربت عجيزتك..
(٧) في العقد: كان يضرب المثل في ذلك لأبي (تصحيف). في الصبح: بهند كانت تضرب الأمثال لأبي.
(٨) في العقد والصبح: يا هذه اربعي.
(٩) في العقد والصبح: إذا انتفخ..
(١٠) في العقد والصبح: وإذا عظم ثدياها تروي رضيعها.
(١١) في العقد: بحذف (لقد رأيته)، في الصبح: قالت: لقد كنت رأيته.
(١٢) في الصبح والعقد: فكيف... في الصبح: كيف كنت رأيته.
(١٣) في العقد: رأيته والله لم يفتنه الملكُ الذي فتنكَ. وهذه الرواية هي الصحيحة.
(١٤) في العقد والصبح: لم تشغله النعمة التي شغلتكَ.
(١٥) في العقد: نعم والله فكان يجلو القلوب.. في الصبح: نعم والله كان يجلو..
(١٦) في العقد: صدأ، في الصبح: الطست من الصدأ.
(١٧) في العقد والصبح: سألتك، قال..

تعطيني مائةَ ناقةٍ حمراء فيها فحلُها وراعيها. قال: تصنعين بها ماذا؟ قالت:

أغذو بألبانها الصغار، وأستحيي بها الكبار[١]، وأكتسب بها المكارمَ، وأصلحُ بها بين عشائر[٢] العرب. قال: فإن أنا أعطيتك هذا، أحلُّ منكِ محلّ علي عليه السلام[٣]؟ قالت:

يا سبحانَ الله، أو دونه[٤]، فقال معاوية:

إذا لم أجدْ منكم عليكم[٥]
فمن ذا الذي بعدي يؤمَّلُ بالحِلمِ[٦]
خذيها هنيئًا، واذكري فعلَ ماجدٍ
حباكِ على حربِ العداوة بالسلم[٧]

أما والله، لو كان عليًا[٨]، ما أعطاكِ شيئًا[٩]؟ قالت: إي واللهِ، ولا برّةً واحدةً[١٠] من مال المسلمين يعطيني.

(١) في العقد والصبح: وأستحيي.

(٢) في العقد والصبح: بين العشائر.

(٣) في العقد والصبح: (بحذف العبارة).

(٤) في العقد: سبحان الله أو دونه، فأنشأ.. في الصبح: قالت: ماء ولا كصدّاء، مرعى ولا كالسعداء، وفتى ولا كمالك يا سبحان الله أو دونَه..

(٥) في العقد والصبح: إذا لم أعد مني عليكم، في البيت اختلال في الوزن ونقص في التفعيلة، ولم أجد في المصادر ما يسدّ هذا النقص.

(٦) في العقد والصبح: للحِلم.

(٧) في العقد والصبح: جزاكِ.. وهذه الرواية أصحّ.

(٨) في العقد: لو كان عليّ حيًا... وكلتا الروايتين صحيحتان.

(٩) في العقد والصبح: أعطاك منها...

(١٠) في العقد والصبح: ولا وبْرة...

(٨)
رملة بنت الزبير بن العوام

أخت مصعب بن الزبير لأمّه التي كانت من بني كلاب، وأم عبدالله بن عثمان زوج سكينة بنت الحسين.

روى ابنُ طيفور أنّ الخليفةَ عبدَ الملك بن مروان خطبَ رملةَ فردّته[١]، وخطبها خالدُ بنُ يزيد بن معاوية، حين حجّ مع الخليفة، وبيّن سبب خطبته لها، فقال موضحًا سببَ إعجابه بها، وعشقه لها[٢]:

إنّ الهوى لا يتمكّن إلّا من صنفين: الشعراء والأعراب. فأما الشعراء فإنّهم ألزموا قلوبَهم الفِكْر في النساء والغَزل، فمالَ طبعُهم إلى النساء، فضعُفتْ قلوبُهم عن دفع الهوى فاستسلموا منقادينَ، وأما الأعرابُ فإنّ أحدَهم يخلو بامرأته فلا يكونُ الغالب عليه غيرُ حبّه لها.

فتزوّجها خالد وظعنَ بها إلى الشام.

وفي رملة يقول خالد[٣]:

تجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرى
لرملةَ خلخالًا يجولُ ولا قلبا
فلا تُكثِروا فيها الملامَ فإنّني
تخيّرتها منهم زبيريّةً قلبا
أُحِبّ بني العوّام طُرًّا لحُبّها
ومن أجلِها أحببتُ أخوالَها كلْبا

ولما نشزتْ سكينةُ بنت الحسين على عبدالله بن عثمان، ابن رملة، دخلت أمُه على الخليفة عبد الملك وهو عند خالد، وشكتْ له أمرَ سكينة ونشوزها على عبدالله، قال عبد الملك:

يا رملةُ هذه سكينة، فقالت: وإنْ كانت سكينة؟! فوالله لقد ولدْنا خيرهم، ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيرهم[٤].

حوار رملةُ بنت الزبير[*]

دخلتْ رملة على عبد الملك بن مروان فقالت له:

(١) ينظر بلاغات النساء ١٣٠ والأغاني ١٦/ ٩٠.
(٢) ينظر أعلام النساء ١/ ٤٦١.
(٣) الكامل للمبرد ١/ ٣٤٨.
(٤) ينظر حوارها في تحقيق النص الذي سيأتي فيما بعد.
(*) الأغاني ١٦/ ٩٠.

يا أميرَ المؤمنين، لولا أن يبتزّ أمرُنا، ما كانت لنا رغبةٌ فيمن لا يرغبُ فينا، سكينةُ بنتُ الحسين قد نشزتْ على ابني[1]. قال: يا رملة إنّها سكينة.

قالت: وإنْ كانت سكينة، فوالله لقد ولدنا خيرهم، ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيرهم.

وكانت تعني بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب، ومن أنكحوا النبي ﷺ، فقال:

يا رملةُ غرّني منكِ عروةُ بنُ الزبير.

فقالت: ما غرّكَ، ولكن نصحَ لكَ، لأنكَ قتلت أخي مصعبًا فلم يأمَنّي عليكَ.

(١) ابنها عبدالله بن عثمان زوج سكينة بنت الحسين.

(٩)

رملة بنت معاوية(*)

روي أن رملة بنت معاوية أتت مراغمة لزوجها عمرو بن عثمان بن عفان، فقال: ما لكِ يا بنيةُ أطلّقكِ زوجُكِ؟ قالت: لا، الكلبُ أضنّ بشحمتهِ، ولكنه فاخرني، فكلما ذكرَ رجلًا من قومه، ذكرتُ رجلًا من قومي، حتى عدا ابني منه، فوددتُ أنّ بيني وبينه البحرُ الأخضر، فقال لها:

يا بنيةَ آل أبي سفيان أقل خطا في(١) الرجال من أن تكوني رجلًا(٢).

(*) الأمالي للقالي ١/ ٢٢٦.

(١) خطا في: خطأ في وهو إهمال الهمزة بسبب الأخطاء المطبعية.

(٢) قال القالي: وقع عمرو بنُ معدة، إذا كان الإكثار أبلغ، كان الإيجاز تقصيرًا، وإذا كان الإيجازُ كافيًا، كان الإكثار عِيًا.

(١٠)

ريّا بنت الكميت بن زيد(*)

حين حجّت ريّا بنت الكميت وهبتها لفاطمة بنت أبان بن الوليد في مكة خلخالَيْ ذهب فقالت بنت الكميت:

جزاكمُ الله خير آل أبان، فما تتركون برَّكم بنا قديمًا ولا حديثًا.

فقالت بنت أبان:

بل أنتم فجزاكُم الله خيرًا، فإنا أعطيناكم ما يبيدُ ويَفنَى، وأعطيتمونا من المجدِ والشرف ما يبقى أبدًا ولا يبيدُ، يتناشرهُ الناس في المحافل، فيحيي ميت الذكر، ويرفع بقيةَ العقِب.

(*) الأغاني ١٥/ ٣٠.

(١١)
زينب بنت حدير

حوار زينب بنت حدير وأمها والقاضي

لما انتهى شُريح القاضي من مجلس قضاه انتهى إلى باب دار، قال: فناديت فخرجت إليّ الجارية فكلمتني من وراء الباب.

-١-

فقالت(*): من أنت؟ قلت: أنا شُريح.

قالت: القاضي؟ قلت: نعم، قالت: حيّاكَ الله يا أبا أميّة، حاجتُك؟

قلت: أردتُ فلانة، أعني أمها. قالت: هي غائبة، وأنا خليفتها في المنزل.

قلت: أتيتها خاطبًا فلانة ابنتها فاستحيتْ منّي وتسترتْ منّي. فبعثت إلى أمها وأهلها فجمعتهم وتزوجتها. وبعثت المال ونقدتهم من ساعتي وقلت لهم: أقسمت عليكم إن باتت إلّا عندي. فقالوا: أللّهم اغفرْ، أنصنعُها لكَ؟ حسبي ما رأيت فهيّئوها وزفّوها إليّ من ليلتهم. فأقبلت تهديها النساء، فلما وقفت بباب الحجرة سلّمتُ فاستحفا ذلك النساء منها.

ويروى أنّ القاضي شُريح مرّ بدور بني تميم، فإذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة، فاستسقى شُريح منها.

-٢-

فقالت(**): أيُّ الشراب أعجبُ إليك، النبيذ أم اللبن أم الماء. قال: أي ذلك تيسّر عليكم. قالت[١]: اسقوا الرجلَ لبنًا فإنّي أخالهُ عربيًّا[٢]، فلما

(*) الأخبار الموفقيات ٤٦.

(**) الأغاني ١٦/ ٣٧ والمستطرف ٢/ ٢١٨، والدر المنثور ٢٢٨.

(١) في المستطرف: قالت: ويحك يا جارية آتيه بلبن..

(٢) في المستطرف والدرّ المنثور: غريبًا. وهذه الرواية أصحّ ومن المؤكد أنه (تصحيف). القاضي شُريح، بن الحارث الكندي، ولي قضاء الكوفة لعمر وعثمان وعلي، وتولى قضاء البصرة، وبلغ مائة وعشرين عامًا وتوفي ٧٨هـ. الأخبار الموفقيات ٤٥ وصفة الصفوة ٣/ ٢٠.

شرب نظر إلى الجارية فأعجبتْه فقال: من هذه؟ قالت: ابنتي، قال: وممن؟ قالت: زينب بنت حدير إحدى نساء بني تميم، ثم إحدى نساء بني حنظلة ثم إحدى نساء بني طُهيّة.

قال: أفارغة أم مشغولة. قالت: بل فارغة، قال: أتزوجينيها، قالت: نعم إن كنت كفيًا ولها عم فاقصده[١].

ـ ٣ ـ زينب بنت حدير

قالت يوم تزوجها القاضي شريح[*]:

الحمدُ لله[٢]، أحمدُه وأستعينه وأؤمنُ به وأتوكلُ عليه وصلّى الله على محمد، أما بعد: فإني امرأة غريبة[٣]، لا والله، ما سِرتُ مسيرًا قطّ هو أشقّ عليّ من مسيري إليك[٤]، وأنت رجل لا أعرف[٥] أخلاقكَ، فحدّثني بما تحبّ فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه[٦] أقول قولي هذا وأستغفرُ الله.

قال: فقلت: الحمدُ لله، وصلّى الله على محمد، أما بعدُ: فقدمتِ خيرَ مَقدم على أهل زوجِكِ، سيّدِ رجالهم، وأنتِ ـ إن شاء الله ـ سيدةُ نسائهم، أحبّ كذا وأكره كذا.

قالت: فأخبرني عن أختانكَ. أتحبّ أن يزورركَ؟

فقلت: إني رجل قاض وأكره أن يملّوني.

قال: فبِتّ بأعَيْشِ ليلة، ثم أقمتُ عندها ثلاثًا، ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء، فلبثتُ فيه حولًا لا أرى فيه يومًا

(١) في المستطرف: إن كنت كفء ولم تقل (كفوء) وهي لغة بني تميم (هذا كلام الابشيهي). في الدرّ المنثور: إن كنت كفوءًا..

(*) الأخبار الموفقيات ٧/٤٦، والأغاني ١٦/٣٧، والمستطرف ٢/٢١٨، والدرّ المنثور ٢٢٨. الحوار كان بين الشعب والقاضي شريح وكان يوصيه بنساء تميم، وقد اختلفت رواية سبب الحوار في المصادر الأخرى، أي الأغاني والمستطرف والدرّ المنثور أن القاضي كان منصرفًا من جنازة ومرّ بدور بني تميم، فخطب منهم امرأة. الأختان: الأصهار أو من كان من أقارب المرأة.

(٢) في الأغاني والمستطرف والدرّ: إنّ الحمد.

(٣) في الأغاني والدرّ: إنّي امرأة عربيّة..

(٤) في الأغاني والدرّ: أشدّ عليّ منه.. واتفاق روايتي الأغاني والدرّ يدل على أن المصدر الأساسي هو الأغاني.

(٥) في الأغاني والدرّ: رجل غريب..

(٦) في المستطرف: فأجتنبه فإنه قد كان لكَ مَنكَحٌ في قومكَ ولي في قومي مثلُ ذلك، ولكن إذا قضي الله أمرًا كان مفعولًا وقد ملكتَ فاصنعْ ما أمركَ الله تعالى أما إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان أقول... وأستغفر الله لي ولك ولجميع المسلمين.

إلّا وهو أحبّ إليّ من الذي قبله، فلما كان عند رأس السنة[١] انصرفتُ من مجلس القضاء إلى منزلي، فإذا عجوز تأمر وتنهَى، فقالت[٢]: كيف أنت يا أبا أميّة؟

فقلت: يا ريب من هذه؟ قالت: ختنك فلانة، تعني أمها؟ قلت: حياكِ الله بالسلام، كيف أنتِ يرحمكِ الله؟ قالت: كيف رأيتَ صاحبتك؟ قال: كخير امرأة. قالت: إن المرأة لا تكون في حال أسوأ خلقًا منها في حالين[٣]: إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدت غلامًا، فإذا رابك[٤] من أهلك شيء فالسوط. فإنّ الرجال ـ والله ـ ما حازتْ إلى بيوتها شيئًا شرًّا من الورهاء، الحمقاء المدلّلة[٥]...

قلت: أشهدُ أنّها ابنتُكِ، قد كفيتنا الرياضةَ، وأحسنتِ الأدب. قال: وكانت تأتي في كل سنة توصيني بهذه الوصية ثم تنصرف. (وأنشد شعرًا).

---

(١) في الأغاني والمستطرف والدرّ المنثور: رأس الحول..

(٢) في الأغاني والدرّ: أبا أميّة كيف أنت وحالك.. في المستطرف: السلام عليك يا أبا أميّة... في الأغاني والمستطرف والدرّ: زوجتك.

(٣) في الأغاني والدرّ: إن المرأة لا ترى في حال أسوأ خلق منها.. في المستطرف: إن المرأة لا يرى أسوأ حالًا منها..

(٤) في الأغاني والدرّ: فإن رابك منها ريب. في المستطرف: فإن رابك مريب فعليك بالسوط..

(٥) في الأغاني والدرّ: المتدلّلة.. الورهاء: الحمقاء.

(١٢)
زينب بنت الزبير بن العوام(*)

قدمت زينب مكة، فخطبها رجل من بني أميّة، قد كانت هي وأمه، قبل ذلك عند رجل من قريش فأبت، فقيل لها في ذلك، قالت:

أكره ثلاث خلال، لم أكن لأرجع في أرض هاجر منها آبائي، ولم أكن جئت على ظهر بعير لأتزوج، وما كنت لأكون كنّة، بعد أن كنت ضرّة.

(*) بلاغات النساء ١٢٨.

(١٣)

زينبُ بنتُ عليّ بن أبي طالب (رض)

أمّها فاطمةُ بنتُ محمّد ﷺ، أدركتِ النبيّ، وولدتْ في حياته، وكانت امرأةً عاقلة لبيبة جزلة[1] زوّجها أبوها علي من عبدالله بن جعفر الطيار، فولدت له عليًا، وعونًا الأكبر، وعباسًا، ومحمدًا، وأم كلثوم، وكانت مع الحسين لما قتل، وحُملت إلى دمشق، وحضرت عند يزيد بن معاوية، وكلامها يدلّ على عقل وقوة جنان.

١ ـ حوار زينب بنت علي أمام عبدالله بن زياد في الكوفة

قالت(*):

الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهّرنا تطهيرًا، لا كما تقول، إنما يُفتضحُ الفاسق ويُكذَّبُ الفاجرُ.

وقال عبيد الله: كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتك؟

قالت: كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم[2]، وسيجمعُ الله بينكَ وبينهم فتحاجون إليه، وتخاصمون عنده.

قالت: لعمري لقد قتلتَ كهلي، وأبرَزت أهلي، وقطعتَ فرعي، واجتثثتَ أصلي، فإنْ يشفِكَ هذا فقد اشتفيتَ.

قال: هذه شجاعة لعمري.

قالت: ما للمرأة والشجاعة.

٢ ـ خطبة زينب بنت علي كرم الله وجهه

قالت(**):

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلام على سيّد المرسلين، أما بعدُ، يا أهلَ كوفة الختْل والخذْل أتبكون، فلا سكنتِ العبرة، ولا هدأت الرنّة. إنما مثلكم مثل التي نقضتْ غزْلها من بعد قوةٍ أنكاثًا، تتخذون أيمانكم دَخلًا بينكم[3]. ألا وإنّ فيكم الصلفُ

(١) أسد الغابة ٧/ ١٣٢.

(*) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٧.

(٢) مستوحاة من سورة عمران الآية ٣.

(**) الدرّ المنثور لزينب فواز ٢٣٢.

(٣) من سورة النحل الآية ١٦.

والضعفُ، وداءُ الصدرِ الشنفُ، وملف الأمَة، وحجز الأعداء، كمرعى على دِمْنة، أو كفضةٍ على ملحودة، ألا ساء ما تزرون. إي والله فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلًا، فقد ذهبتم بعارِها وشنارها، فلن تدحضوها بغسل أبدًا، وإنما تدحضون قتلَ سليلِ خاتم النبوة، ومعدِنِ الرسالة، ومدار حجّتكم، ومنار محجّتكم، وسيّد شباب أهل الجنّة. ويلكم يا أهل الكوفة، ألا ساء ما سوّلت لكم أنفسكم. إنّ سخطَ الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون. أتدرون أيّ كبد الرسول ﷺ فريتم، وأيّ دم له سفكتم، وأيّ كريمة له أبرزتم، لقد جئتم شيئًا أدًّا[1]. تكاد السموات يتفطّرنَ منه، وتنشقُّ الأرض، وتخِرّ الجبال هدًّا، ولقد أتيتم بها خرقاءَ شوهاء، طلاعَ الأرضِ، أفعجبتم أن أمطرتِ السماء دمًا، فلَعذابُ الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصرون[2]، فلا يستخفنكم المهل، فلا يحقره البدار، ولا يخاف عليه فوت الثار، كلّا إن ربّي وربّكم لبالمرصاد.

ـ ٣ ـ ندبة وتأبين

قالت زينب بنت علي لما رأت مقتل أخيها الحسين (رض)[*]:

واثكلاه، ليتَ الموتَ أعدمني الحياة. اليوم ماتتْ فاطمةُ أمي وعليّ أبي، وحسنُ أخي، يا خليفةَ الماضي وثمالَ الباقي.

ثم قالت:

بأبي أنت وأمي، واستقتلت نفسي لنفسك الفداءُ. ثم قالت: وا ويلتاه أفتغصب نفسك اغتصابًا، فذلك أقرحُ لقلبي، وأشدُّ على نفسي.

ثم قالت:

يا محمد صلّى عليك ملائكةُ السماء. هذا الحسينُ بالعراء، مرمّل[3] بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمّداه، وبناتُك سبايا وذريتُك مقتَّلةٌ تسفي عليها الصبا.

ـ ٤ ـ زينب بنت الإمام علي كرّم الله وجهه

قالت زينب مخاطبة يزيد بن معاوية

---

(١) أدّ أدًّا: دهاه، أثقله وعظم عليه منكرًا. من سورة مريم الآية ٨٩. البدار: بادر: أسرع بدارًا أي إسراعًا وسرعة.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٦.

(*) تاريخ الطبري ٥/٤١٩ و ٤٥٦، والكامل لابن الأثير ٣/٢٨٥ والدرّ المنثور زينب فواز العاملي ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٣) في الدرّ المثور: مزمل.

بعد نكبة كربلاء(*):

صدقَ الله ورسولُه يا يزيد ثم كان عاقبةُ الذين أساءوا السوءَ[١] أن كذبوا بآياتِ الله، وكانوا بها يستهزؤون. أظننتَ يا يزيدُ أنه حين أُخِذَ علينا بأطراف الأرض، وأكنافِ السماء، فأصبحنا نُساق كما يُساق الأسارى إنّ بنا هوانًا على الله وبكَ عليه كرامةً، وإنّ هذا لعظيم خطرِكَ، فشمختَ بأنفِكَ ونظرتَ في عِطفِكَ[٢] جذلانَ فرِحًا حين رأيتَ الدنيا مستوسقة لك والأمور متسقةً عليك وقد أُمهلتَ ونفّستَ[٣] وهو قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا[٤] نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أمِنَ العدل يا ابنَ الطلقاء تخديرُكَ نساؤكَ[٥] وإماؤكَ وسوقُكَ بنات رسولِ الله ﷺ قد هتكتَ ستورهنّ وأصلحتَ صوتهنّ[٦]، مكتئبات، تخدي بهنّ الأباعر، ويحدو بهنّ الأعادي، من بلد إلى بلد، لا يراقَبْنَ، ولا يُؤْوَيْنَ يتشوّفهنّ القريبُ والبعيد، ليس معهنّ وليّ من رجالهنّ، وكيف يستبطأ في بغْضتِنا مَن نظر إلينا بالشنق[٧] والشنآنَ والإحن والأضغان، أتقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

غيرَ متأثم ولا مستعظم، وأنت تنكتُ ثنايا أبي عبدالله بمخصرتك؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأتَ القرحة واستأصلتَ الشأفة[٨] بإهراقك دماء ذرية رسول الله ﷺ[٩] ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، ولَتردنّ على الله وشيكًا موردهم، ولتودَّن أنكَ عميتَ وبكُمتَ وأنك لم تقل: فاستهلّوا وأهلّوا فرحًا، ألّلهم خذْ بحقنا وانتقمْ لنا ممن ظلَمنا!، واللهِ ما فريتَ إلّا في جلدكَ،

(*) بلاغات النساء ٢٥، نثر الدرّ للآبي ٢٥.

(١) في نثر الدرّ: السوأى وهذه الرواية أصحّ لأنّها من سورة الروم الآية ١٠.

(٢) في نثر الدرّ: في عِطفك.

(٣) في نثر الدرّ: وقد مُلّتَ ونفّستَ.

(٤) ورد خطأ في نقل الآية في بلاغات النساء، وتمّ تصحيحها من القرآن الكريم سورة آل عمران الآية ١٧٨.

(٥) في نثر الدرّ: نساءك وإماءك. وهذه الرواية أصحّ لأنّه معمول للمصدر تخدير.

(٦) في نثر الدرّ: وضحكت لجوجهنّ. هوانًا: ذلًا، مستوسقة: مجتمعة، صحل: بحّ وخشن وهذه الرواية أصحّ. تخدي: خدى الفرس مدّ قوائمه وأسرع، تمشي قليلًا قليلًا.

(٧) في نثر الدرّ: بالشنف. . وهذه الرواية أصحّ.

(٨) في نثر الدرّ: الشأفة، وهذه الرواية أصحّ.

(٩) في نثر الدرّ: ذرية محمّد ﷺ.

ولا حزرتَ(١) إلّا في لحمك، وستردُ على رسول الله ﷺ برغمك، وعترته ولُحمته في حظيرة القدس، يومَ يجمع الله شملَهم، ملمومين من الشعث وهو قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٢) وسيعلم من بوّاكَ ومكّنكَ من رقاب المؤمنين. إذا كان الحكمَ الله والخصمَ(٣) محمّدٌ ﷺ وجوارحُكَ شاهدةً عليك، فبئس للظالمين بدلًا، أيّكم شرّ مكانًا(٤) وأضعف جندًا، مع أني والله يا عدوّ الله وابنَ عدوّه أستصغر قدركَ، وأستعظمُ تقريعَك. غير أنّ العيون عَبرى، والصدورَ حرّى، وما يجزى ذلك أو يغني عنّا، وقد قتل الحسين عليه السلام، وحزب الشيطان يقربنا إلى جزب السفهاء، ليعطوهم أموال الله، على انتهاكِ محارمِ الله، فهذه الأيدي تنظف من دمائنا وهذه الأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عُسْلان الفلوات، فلئن اتخذْتنا مغنمًا لتتخذنّ مغرمًا(٥) حين لا تجد إلّا ما قدّمتْ يداكَ، تستصرخ يا ابنَ مرجانة، ويستصرخ بكَ، وتتعاوى وأتباعُكَ عند الميزان، وقد وجدتَ أفضل زاد زوّدكَ معاوية قتلكَ ذريةَ محمد ﷺ، فوالله ما اتقيتُ غيرَ الله، ولا شكوايَ إلّا إلى الله. فكِدْ كيدَكَ واسْعَ سعيَكَ، وناصبْ جهدَكَ، فوَاللهِ لا يرخَص(٦) عنك عارُ ما أتيتَ إلينا أبدًا، والحمدُ لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة، لسادات شبان الجنان فأوجب لهم الجنّة. أسألُ الله أن يرفَع لهم الدرجات، وأن يوجب لهم المزيدَ من فضلهِ، فإنّه وليّ قدير.

(١) في نثر الدرّ: ولا خرزت..

(٢) في نثر الدرّ: فرحين.. من سورة آل عمران ١٦٩.

(٣) في نثر الدرّ: والخصيم.

(٤) في نثر الدرّ: وأيكم. الشنف: النظر بمؤخر العين للاعتراض، البغض. الشأفة: أصله القرحة في أسفل القدم، ومعناه: إزالته من أصله. حززت: قطعت، خرزت: ثقبه بالمخرز وخاطه. ورواية البلاغات أصحّ. الخصيم: المخاصم جمعها خصماء، الخصم: المُخاصِم وجمعها خُصوم.

(٥) في نثر الدرّ: لَتجدنّنا..

(٦) في نثر الدرّ: لا يرحَضُ. تنطف: تسيل قليلًا قليلًا، تقطر. تتحلب لحومنا: تسيل دماؤنا. يعتامها عسلان: يأتيها في الظلمة ذئاب. يرخص عار: الرخيص ضد الغالي، وهو بمعنى لا يغسل عنك العار. يرحض عار: يفتضح، ورحض الثوب: غسله وكلاهما صحيح.

(١٤)
الزرقاء بنت عديّ بن قيس الهمدانية

خطيبة من ذوات الشجاعة، من أهل الكوفة، شهدتْ مع قومها وقعةَ صفين، وخطبت فيها مرّات تحرّض فيها الناس على قتال معاوية[١]. ولمّا تمّ الأمر لمعاوية استدعاها، فأحضِرت إليه وحاورته، ثم عادت إلى قومها.

وكان معاويةُ معجبًا بفصاحتها، وبلاغتها، ووفائها للإمام عليّ (رض)، فأكرمها وأعطاها ومن معها من النساء الوافدات.

ومن خلال خطبتها أمام معاوية، وحوارها له يتبين منطقها وفكرها وخلقها، ولا أريد الإطالة في الكلام، إذ يتبين ذلك في تحقيق النص.

حوار الزرقاء بنت عديّ بن قيس الهمدانية ومعاوية

سمرَ معاوية بن أبي سفيان ليلةً، فذكر الزرقاءَ بنتَ عديّ بن غالب بن قيس، امرأة من أهل الكوفة، من أتباع الإمام عليّ كرّم الله وجهه، فقال معاوية:

أيكم يحفظُ كلامَ الزرقاء؟ قال القومُ: كلّنا نحفظهُ وأشاروا عليه بقتلها، لتحريضها المقاتلين لقتاله يوم صفين، فقال: بئس ما أشرتم عليّ به، وأمر عاملهُ في الكوفة، فأوفد له الزرقاء، فقالت[*]:

أما أنا فغيرُ زائغةٍ عن طاعة[٢]، وإنْ كان أمير المؤمنين جعلَ المشيئة إليّ لم أرِمْ من بلدي هذا، وإنْ كان حكَّم الأمرَ، فالطاعةُ له أولى بي، فحملها في هودج، وجعل غشاءه حَبْرًا[٣] مبطّنًا

(١) ينظر الأعلام ٣/ ٧٦ لم أجد لها سوى خطبتها أمام معاوية وحوارها الذي سيرد في التحقيق.

(*) بلاغات النساء ٣٧، العقد الفريد ١/ ٢٢٠، الفاضل في صفة الأدب الكامل ٢/ ٧٦، نثر الدر ٤/ ٧٩.

(٢) في العقد الفريد: إنْ كان أمير المؤمنين جعل الخيال (وهو تصحيف والصحيح هو الخيار) إليّ فإنّي لآتية وإن كان حتَم، الطاعةُ أولى. زاغ زوغًا: مال، وزاغ زيغًا: مال عن الحق. في الفاضل: فإنْ.. جعل الاختيار.. حتم الأمر فالطاعة.

(٣) حَبْر وحُبْر وحِبْر: ضرب من برود اليمن الموشاة.

بعصب اليمن. فرحّب بها معاوية وقال:

مرحبًا وأهلًا، خير مَقْدَم قدِمهُ وافدٌ[١]، كيف حالُك يا خالة، وكيف رأيتِ مسيركِ؟

قالت: خيرَ مسيرٍ كأني كنتُ ربيبة بيت أو طفلًا ممهدًا.

قال: بذلك أمرتهم[٢]، فهل تعلمين لِمَ بعثتُ إليك؟

قالت: سبحانَ الله، أنّى لي بعلم ما لم أعلم[٣]؟ وهل يعلمُ ما في القلوب إلّا الله؟

قال: بعثتُ إليك أن أسألكِ، ألستِ راكبة الجمل الأحمر يوم صفين، بين الصفين توقدين الحرب[٤]، وتحضّين على القتال، فما حَملكِ على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين إنه قد مات الرأس وبُتر الذنَب[٥] والدهرُ ذو غِيَرٍ، ومن تفكّر أبصرَ والأمر يحدث بعده الأمر، قال لها: صدقتِ فهل تحفظين كلامكِ يوم صفين، قالت: ما أحفظه[٦].

قال: ولكني واللهِ أحفظهُ، للهِ أبوكِ لقد سمعتُكِ تقولين[٧]: أيها الناس إنكم في فتنة غَشَتكم[٨] جلابيبُ الظُلم، وجارتْ بكم عن قصد المَحجّةِ[٩]، فيا لها من فتنةٍ عمياء صمّاء يُسمعُ لقائلها[١٠]، ولا ينظار لسائقها، أيها الناس[١١]، إن المصباح لا يضيء في الشمس، وإنّ الكوكب لا يقِدُ في القمر[١٢]، وإنّ البغل لا يسبقُ

(١) في العقد والفاضل: قدِمتِ خيرَ مقدم..

(٢) في العقد: بذلك أمرناهم، أتدرين فيم بعثت..

(٣) في العقد: بحذف (سبحان الله). في الفاضل: لا يعلم الغيب إلّا الله.

(٤) في العقد: والواقفة بين الصفين تحضّين.. وتوقدين.

(٥) في العقد: ولم يعد ما ذهب والدهر.. في نثر الدرّ: وبقي الذنب.

(٦) في العقد: أتحفظين كلامكِ يومئذٍ، قالت: لا والله لا أحفظه ولقد أُنسيته.

(٧) في العقد: لكني أحفظه، للهِ أبوكِ حين تقولين: أيها الناس ارعَوا وارجعُوا إنكم قد أصبحتم في فتنةً...

(٨) في الفاضل: غشيتكم بجلابيب... وجاوزت.

(٩) في العقد: المحبّة. الحجا(ج) أحجاء: الناحية، القصد، الطريق المستقيم.

(١٠) في العقد: لا تسمع لناعقها ولا تنساق لقائدها.. في الفاضل: لا تسمع لقائلها ولا تنقاد لسايقها.. في النثر: ولا يتقاد لسائقها.

(١١) في العقد: بحذف (أيها الناس).

(١٢) في العقد: ولا تنير الكواكب مع القمر. في الفاضل: والكواكب لا تنير في القمر. في النثر: وإنّ الكواكب لا تقِدُ في القمر.

الفرس[١]، وإنّ الزف[٢] لا يوازن الحجر، ولايقطع الحديدَ إلّا الحديدُ، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن استخبرنا أخبرناه[٣]، إنّ الحقّ[٤] كان يطلب ضالته، فأصابها فصبرًا، يا معشرَ[٥] المهاجرين والأنصار، فكأن[٦] قد اندمل شعبُ الشتات، والتأمت كلمةُ العدل، وغلب الحقُّ باطلَه[٧]، فلا يعجلَنّ أحدٌ فيقول: كيف وأنّى ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا، ألا إنّ[٨] خضاب النساء الحناء، وخضابَ الرجال الدماء، والصبرُ خير في الأمور عواقبًا.

إيهًا إلى الحرب قِدَمًا غير ناكصين[٩]، فهذا يوم له ما بعده، ثم قال معاوية: واللهِ يا زرقاءُ، لقد شركت عليًا عليه السلام في كل دم سفكه، فقالت: أحسنَ الله بشارتَك يا أميرَ المؤمنين، وأدامَ سلامتك، مِثلُك من بشَّر بخيرٍ، وسرَّ جليسه. قال لها: وقد سرَّكِ ذلك[١٠]؟ قالت: نعم، والله لقد سرّني قولك[١١] فأنّى بتصديق الفعل.

فقال معاوية: والله لوفاؤكم[١٢] له بعد موته أحبّ إليّ من حبكم له[١٣]، أذكري حاجتك. قالت: يا أمير المؤمنين إليّ قد[١٤] آليت على نفسي أن أسأل أميرًا أعنت عليه شيئًا أبدًا ومثلك أعطى عن غير مسألة[١٥]، وجاد عن غير

(١) في العقد: بحذف (وإنّ البغل.. إلى ولا يقطع).
(٢) الزفّ: الصغير من الريش.
(٣) في العقد: ومن سألنا أخبرناه. في الفاضل: ومن سألنا أجبناه.
(٤) في العقد: أيها الناس إنّ الحق..
(٥) في الفاضل: يا معاشر.
(٦) في العقد: يا معشر المهاجرين على الغصص فكأنّ.. في الفاضل والنثر: فكأن..
(٧) في العقد: كلمة الحق، ودفع الحق بالظلمة فلا يجهلن أحد فيقول... في الفاضل: التأم شعب الشتات.. وظهرت كلمة الحق.
(٨) في العقد: وإنّ.. في العقد: ولهذا اليوم وما بعده. والصبر خير...
(٩) في العقد: إيها في الحرب.. ولا= متشاكسين. في الفاضل والنثر: قدمًا.
إيها: اسم فعل للاستزادة من الحديث.
قدمًا: مضى على وجوده زمن طويل.
القدم: الشجاع. ناكصين، نكص: أحجم ورجع عما كان عليه.
(١٠) في العقد: أو يسرّك ذلك. في النثر: وقد سرّك ذاك.
(١١) في العقد: لقد سررت بالخبر.. في الفاضل: لقد سرّني قولك فأنّى لي بتصديقه؟.
(١٢) في البلاغات، والأصل خطأ إملائي وهو (لوفاءكم). وقد تمّ تصحيح النصّ إملائيًا.
(١٣) في العقد والفاضل: أعجب من حُبّكم له، وهذه الرواية أصحّ.
(١٤) في العقد والفاضل: بحذف (قد).
(١٥) في العقد: من غير مثلة (وهو تصحيف).

طلب[1]، فقال: صدقت، فأقطعها ضيعة أغلتها في أول سنة عشرة آلاف درهم وأحسن صفدها.

(١) في العقد: غير طلبة. في الفاضل: وجاء من غير طلب.

(١٥)
سكينةُ بنتُ الحسين

ابنة علي بن أبي طالب (رض)، أمُها الرباب بنت امرئ القيس بن عديّ، وكان نصرانيًا من بني كلب، قدِم على الخليفة عمر (رض) فأعلن إسلامَه(١).

سكينةُ لقبها وكان اسمها آمنة وقيل أمينة، وقيل أميمة(٢). كانت امرأة جميلة ظريفة تزوجها مصعبُ بنُ الزبير بن العوام، كانت أديبةً، ناقدة للشعر، تناظر الشعراء، وتحاورهم وتجمعهم في ناديها، مثل الشاعر جرير والفرزدق، وكثير وجميل والأحوص ونصيب، وتستقدمُ المغنين. ولها حكومة بين الشعراء فتطرد من تشاء وتكرم من تشاء.

لم أجد واحدًا من المصادر التراثيّة القديمة أو الحديثة من يذكر أنها روت الحديث النبوي الشريف.

قيل لسكينة(٣): لقب أمكِ فاطمة يا سكينة، وأنتِ تمزحين كثيرًا، وأختكِ لا تمزحُ(٤)، قالت: لأنكم سميتموها باسم جدّتِها المؤمنة، تعني فاطمة (رض)، وسميتموني باسم جدتي التي لم تُدرك الإسلام، أي آمنة بنت وهب، أم الرسول ﷺ.

إلّا أنني أرى أن هذا الكلام قد يكون منحولًا لأنه ليس من صفات أسرة النبي ﷺ أو أمه آمنة بنت وهب أن تشتهر بالمزاح كما في قول سكينة.

كانت سكينة تصفّف شعرها بشكل لم يُر أحسنَ منه(٥) حتى عُرِف ذلك، وكانت تلك الجُمَّة تسمى (السكينية) وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلًا يصففُ جمَّته السكينية جَلَدَهُ وحلَقهُ، قالت سكينة: دخلتُ على مصعب، وأنا أحسنُ من النار الموقدة، وكان زوجها مصعب بن الزبير، معجبًا بها، محِبًا لها

(١) ينظر نسب قريش ٥٩ والنجوم الزاهرة ٢٧٦/١.
(٢) ينظر الأغاني ١٦٣/١٢ وفيات الأعيان ١٣١/٢٥٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) أختها فاطمة بنت الحسين.
(٥) المصدر نفسه.

حتى قُتل. توفيت سكينة في ١١٧هـ[1].

ـ١ـ حكومة سكينة بنت الحسين بين الشعراء

أُنشِدَت سكينةُ شعرَ الحرث بن خالد[*]:

فـفـرغـنَ عـن سـبـع وقـد جـهـدتْ
أحـشـاؤهـنّ مـوائـلُ الـخُـمُـرِ

فقالت: أَحَسَنٌ عندكم ما قال!!
قالوا: نعم. قالت:

وما حَسَّنهُ فوالله لو طافتِ الإبلُ
سبعًا لجهدَتْ أحشاؤها.

ـ٢ـ

اختصمت سكينة وعائشة بنت طلحة، فقالت الأولى[**]:

أنا أجملُ منكِ وقالت الثانية: بل أنا أجملُ منكِ. فكان الحَكَمُ بينهما عمرُ بن أبي ربيعة ـ الشاعر القرشي ـ فقال: لأقضين بينكما:

أما أنتِ يا سكينة فأملحُ منها. وأما أنتِ يا عائشةُ فأجملُ منها. فقالت

(١) الأعلام ٣/١٦١.

(*) الأغاني ٣/١٠٨.

(**) الأغاني ١٤/١٦٨.

سكينة: قضيتَ لي والله[2].

ـ٣ـ

حين مرّت سكينة بأحد المنازل، وهي عائدة من مصرَ قالت[***]:

ما اسم هذا المنزل؟ قالوا: جوف الحمار. قالت: ما كنتُ لأدخل جوفَ الحمار أبدًا.

ـ٤ـ رسالة سكينة إلى إبراهيم[****]

يروى أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف خطب سكينةَ فبعثت إليه:

أبلَغ من حمقِكَ أن تبعثَ إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، تخطبها، فأمسِكْ عن ذلك.

ـ٥ـ سكينة ومصعب بن الزبير (زوجها)[*****]

(٢) لا أستطيع أن أصدق ما يرويه صاحب الأغاني لأن عائشة بنت طلحة كانت من راويات الحديث الشريف، وإنما هو كتاب كانت غايته الأدب والطرافة وليس الدقة العلمية.

(***) الأغاني ١٤/١٦٩، والمستطرف ١/٦٢.

(****) الأغاني ١٤/١٦٩ هذه الرسالة شفوية وليست مكتوبة.

(*****) الأغاني ١٧/١٦٤.

لما كان يوم قتل مصعب، دخل على سكينة فنزع فلبس غلاله، وتوشّح بثوب، وأخذ سيفه، فعلمت سكينةُ أنه لن يعود، فصاحت:

واحزناه عليك يا مصعب.

فالتفت إليها فقال: أوكلّ هذا لي في قلبِكِ. قالت: إي والله، وما كنتُ أخفي أكثر. قال: لو كنتُ أعلمُ أنّ هذا كلّه لي عندكِ، لكانت لي ولكِ حال، ثم خرج ولم يعد.

-٦-

نظرت سكينةُ إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب (رض)، وكانت فيه غلظةٌ، فقالت(*):

هذا الرجلُ في قريش كالشيرج في الادهان. فلقب بهذا اللقب، ولصق به حتى مات.

٧- سكينة وأشعب(**)

(*) الأغاني ١٣/ ١١٤.

(**) الأغاني ١٧/ ٩٣ لم يذكر الأصبهاني اسم الرجل ولا غرضه من الزيارة، ووجود أشعب بهذه الصورة، غير مستساغ، لذا فإني لا أصدق ما ورد في هذه الرواية، إذ أنها ضرب من الخيال غرضه الظرف والضحك.

دخل رجل من قريش على سكينة، وكان أشعبُ جالسًا تحت السرير، فلما رآه أخذ يقرقر مثل الدجاجة، فجعل الرجل ينظر إليه، فقالت سكينة:

إنه لخبيث قد أفسد علينا أمورنا بغباوته، فحضنتُهُ بيضَ الدجاج، ثم أقسمتُ أنه لا يقوم عنه حتى ينفق.

٨- سكينة وأشعب وابن سريج(***)

نسك ابنُ سريج وآلى أن لا يغنّي ولزِم المسجد الحرام، حتى عوفي. فاغتمتْ سكينةُ لذلك وقالت لأشعب:

ويلَكَ إنّ ابن سريج شاخص، وقد دخل المدينة منذ حول، ولم أسمع من غنائه قليلًا ولا كثيرًا، ويعزّ ذلك عليّ، فكيف الحيلة في الاستمتاع منه ولو صوتًا واحدًا.

وقصّ أشعب القصّة لابن سريج فعاد إلى سكينة. فقالت:

يا عبيد ما هذا الجفاء. قال: قد علمتِ بأبي أنت ما كان مني. واستأذن ابن سريج فقالت: فأين؟ قال: المنزل.

قالت:

(***) الأغاني ١٥/ ١٣٠.

برئتُ من جدّي إنْ برحت داري ثلاثًا، وبرئت من جدّي إنْ أنت لم تغنّ، إن خرجت من داري شهرًا، وبرئت من جدّي إن أقمت في داري شهرًا، إن لم أضربك، لكل يوم تقيم فيه عشرًا، وبرئت من جدّي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحدًا.

فقال عبيد (ابن سريج):

وا سخنة عيناه، وا ذهاب دنياه، وا فضيحتاه.

فقالت سكينة: فهل عندك يا عبيدُ من صبر؟ وأعطته دملجًا وزنه أربعون مثقالًا وقالت: أقسمتُ عليكَ لما أدخلته في يدِكَ.

قالت لأشعب:

اذهبْ إلى عزة[1] فأقرئها مني السلام وأعلمها أنَّ عبيدًا عندنا، فلتأتنا متفضلةً بالزيارة فأتاها أشعبُ.

ولما غنّى ابن سريج وعزة، قالت سكينة:

قد علمتَ ما أردت بهذا، وقد شفعناكَ، ولم نردَّكَ، وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام، فاذهبْ في حفظ الله وكلاءته.

(١) عزة الميلاء مغنية المدينة.

ـ ٩ ـ حوار سكينة وجاريتها(*)

قالت بنانةُ جارية سكينة:

أحبّ أن أرى في الدار جلبةً، تعني العرس، فدعت مولى لها تثق به وقالت:

اذهبْ إلى ابراهيمَ بنِ عبد الرحمن بن عوف، فقل له: إنّ الذي ندفعُكَ عنه قد بدا لنا فيه، ائتِ[2] أخوالَ رسول الله ﷺ.

ففعل. وعلم بنو هاشم فغضبوا وقالوا: هذه السفيهة تريد أن تتزوجَ إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن عوف، وتضاربَ القومُ. ثم قالها:

أين سكينة، ولامها على فعلها.

فقالت سكينةُ: أي بنانة أرأيتِ في الدار جلبة؟! قالت: إي والله إلّا أنّها شديدة.

ـ ١٠ ـ حوار سكينة والقاضي(**)

قدمتْ سكينة على القاضي ابن حزم تشكو إليه زوجها زيد بن عمرو بن عثمان، قالت:

(*) الأغاني ١٤/١٦٩.

(٢) كان إبراهيم قد خطب سكينة ورفضته.

(**) الأغاني ١٤/١٧١. القاضي ابن حزم أيام كان عمر بن عبد العزيز واليًا على المدينة.

واللهِ لا أدخلُ إلّا ومعي ولائدي، فأدخلن معها، فلما دخلت قالت:

يا جاريةُ ائتني لي هذه الوسادة.

وجلس زيد أيضًا.

فقال القاضي ابنُ حزم: يا ابنةَ الحسين إنّ الله يحبّ القصد في كل شيء، قالت: وما أنكرتَ مني إنّي والله وإيّاك كالذي يرى الشعرة في عين صاحبِهِ، ولا يرى الخشبةَ في عينه.

قال القاضي: أما والله لو كنتِ رجلًا لسَطوتُ بكِ. فقالت:

يا ابنَ فرتنى، لا تزال تتوعدني، فشتمته وشتمها[1].

ثم حضر زيدٌ زوجها وخضع لها، فقالت:

ما أعرفني بكَ يا زيدُ، والله لا تراني أبدًا، أتراك تمكث مع جواريك سبعةَ أشهر، ثم أعودُ إليك، واللهِ لا تراني بعد الليلة أبدًا.

(١) تركت المشاتمة بينهما ولم أدرجها مع الحوار (الأغاني ١٤/ ١٧١) لعل هذه المحاورة من نسج خيال صاحب الأغاني.

(١٦)

سودة بنت عمارة

إحدى النساء الوافدات على معاوية بن أبي سفيان، بعد وقعة صفين، وهي سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية[١].

وفي رواية أنها سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية[٢]، اشتهرت بفصاحتها، وبلاغة كلامها، وحوارها مع معاوية، وسيأتي تفصيل ذلك الحوار في تحقيق النص.

حوار سودة بنت عمارة ومعاوية

استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسك[٣] الهمدانية، على معاوية بن أبي سفيان، فأذن لها فلما دخلت عليه، سألها عن شعرها في معركة صفين، فقالت[*]:

إني والله، ما مثلي من رغب عن الحقّ، أو اعتذر بالكذب، قال لها: فما حملكِ على ذلك؟ قالت:

حبُّ علي عليه السلام، وأتباعُ الحقّ، قال: فوالله ما أرى عليكِ من أثر عليّ شيئًا.

قالت:

أنشدُكَ الله[٤] يا أمير المؤمنين، وإعادة ما مضى، وتذكار ما قد نُسي، قال: هيهات ما مثلُ مقام أخيكِ يُنسى، وما لقيتُ من أحد ما لقيتُ من قومكِ وأخيك.

---

(١) بلاغات النساء ٣٥ ونثر الدرّ ٤/ ٧٧.

(٢) العقد الفريد ١/ ٢٨٨.

(٣) في العقد الفريد ١/ ٢٨٨: سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية. في نثر الدرّ ٤/ ٧٧: سودة بنت عمارة الهمدانية. وهي من أتباع الإمام علي كرّم الله وجهه، ولم أجد لها ترجمة.

(*) بلاغات النساء ٣٧، والعقد الفريد ١/ ٢٢٨ والفاضل في صفة الأدب الكامل ٢/ ٧٨، ونثر الدرّ للآبي ٤/ ٧٧ وفي هذه المصادر تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان.

(٤) في العقد الفريد: قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نُسي، قال: هيهات، ليس مثل مقام أخيك يُنسى، قالت: صدقتَ والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام، ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء... في الفاضل: قالت: بلى يا أمير المؤمنين، وما مثلي من يرغب عن الحقّ، ويعتذر بالكذب، قال: فما حملك على ذلك، قالت: حبّ عليّ... من أخيك وقومك. قالت: صدقت يا أمير المؤمنين لم يكن أخي والله..

قالت:

صدق فوك، لم يكن أخي ذميمَ المقام ولا خفيَّ المكان، كان والله كقول الخنساء:

وإنّ صخرًا لتأتم الهداة به
كأنّه علم في رأسه نار

قال: صدقت، لقد كان كذلك.

قالت:

مات الرأس وبتر الذنب، وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه، قال: قد فعلت، فما حاجتك؟[١] قالت: إنكَ أصبحتَ للناس سيّدًا، ولأمرهم متقلدًا[٢]، والله سائلكَ من أمرنا، وما افترض عليكَ من حقنا[٣]، ولا يزالُ يقدم علينا من ينوء بعزّك، ويبطش بسلطانكَ[٤]، فيحصدنا حصدَ السنبل، ويدوسنا دوسَ البقر[٥]، ويسومنا الخسيسة[٦]، ويسلبنا الجليلةَ، هذا بسرُ بن أرطأة[٧]، قدِم علينا من قبلك[٨] فقتلَ رجالي، وأخذ مالي[٩]، يقول لي فوُهي بما استعصمَ الله منه، وألجأ إليه فيه، ولولا الطاعة، لكان فينا عزّ ومنعة، فأما عزلته عنّا فشكرناكَ، وأما لا فعرفناك[١٠].

فقال معاوية:

أتهدّديني بقومك[١١]، لقد هممتُ أن أحملك على قتب أشرس[١٢]، فأردّك إليه، ينفذ فيكِ حكمَه[١٣]، فبكتْ، وأنشدت شعرًا[١٤]:

---

(١) في نثر الدرّ: ما حاجتك...

(٢) في العقد: يا أمير المؤمنين، إنك للناس سيد ولأمورهم مقلّد... في الفاضل: ولأمرهم وليًا...

(٣) في العقد: سائلك عمّا افترض عليك... في الفاضل: والله يسألك عن أمرنا...

(٤) في العقد والفاضل: ولا تزال تقدّم علينا من ينهض بعزّك ويبسط سلطانك.. ينوء: يثقل.

(٥) في العقد: دِياس. دوس دياسة دياسًا: وطئ برجله أذلّه.

(٦) في الفاضل: ويسومنا سوْم الخَسْف. يسوم: يذلّ.

(٧) في العقد والفاضل: هذا ابن أرطأة... هو بسر بن أرطاة قائد جيش معاوية لقمع حركات أعدائه.

(٨) في العقد: قدِم بلادي وقتل...

(٩) لا توجد هذه العبارة في العقد..

(١٠) في الفاضل: أو أقررته فعرفناك...

(١١) في العقد: إيّاي تهدّدين بقومك... في الفاضل: أبقومك تهدّديني... في النثر: أتهدّديني... قتب: البعير شدّ عليه القِتْب، شددت عليه: غلظت عليه. أشرس: الشِرْس، ما صغر من شجر الشوك، كناية عن الشدّة.

(١٢) في العقد: والله لقد... أن أردّك عليه.. في الفاضل: لهمَمتُ.. الأشوس.

(١٣) في العقد: حكمه فيكِ...

(١٤) ينظر ديوان أشعار النساء ق٢ شعر سودة.

صلّى الإله على جسم تضمّنه
قبرٌ فأصبح فيه العدلُ مدفونا

قال لها: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب (ع)[١] قال: وما صنعَ بكِ حتى صار عندكِ كذلك[٢] قالت:

قدمت عليه في رجل ولّاه صدقتنا، قدم علينا من قبله فكان بيني وبينه[٣] ما بين الغثّ والسمين، فأتيت عليًا (ع) لأشكو إليه ما صنع بنا، فوجدته قائمًا يصلي، فلما نظر إليّ انفتل من صلاته[٤]، ثم قال لي برأفة وتعطّفٍ: ألكِ حاجة، فأخبرته الخبرَ[٥]، فبكى ثم قال:

اللّهم إنك أنتَ الشاهدُ عليّ، وعليهم، إني لم آمرهم بظلم خلقكِ، ولا بترك حقّك[٦]، ثم أخرجَ من جيبه قطعة جلد، كهيئة طرف الجراب[٧]، فكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بينةٌ من ربّكم، فأوفوا الكيلَ والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا الأرض مفسدين، بقيةُ الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ»[٨] إذا قرأت كتابي[٩]، فاحتفظ بما في يديك من عملنا، حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام. فأخذته منه والله ما ختمه بطين، ولا خزمه بخزام[١٠].

فأمر معاوية أن يردَّ لها مالها والعدل عليها. فقالت: أَلِيَ خاص[١١] أم لقومي عام.

(١) في العقد: رحمه الله تعالى... في الفاضل: علي بن أبي طالب...

(٢) في العقد: قال: ما أرى عليك منه أثرًا... في الفاضل: قال: وما عِلمُكِ..

(٣) في العقد: قالت: بلى أتيته يومًا في رجل ولّاه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه... في الفاضل: قالت: أتيته في رجل ولّاه علينا لم يكن بيننا وبينه إلّا ما بين الغيب والشمس (أظنه تصحيفًا، والرواية الأولى أصحّ). في النثر: قدِمتُ عليه في مُتَصَدِّقٍ قدم علينا من قِبلِهِ، والله ما كان بيني وبينه...

(٤) في العقد: فانفتل من الصلاة.

(٥) في العقد: فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء.

(٦) في العقد: اللهم إني لم آمرهم... ولا ترك.

(٧) في الفاضل: اللّهم اشهد عليّ وعليهم أني... طرف الجراب: قراب السيف، وعاء من جلد.

(٨) سورة هود الآية ٨٥.

(٩) في العقد: إذا أتاكَ كتابي... في يديك حتى يأتي من...

(١٠) في العقد: فعزله يا أمير المؤمنين، ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام. في النثر: بخزام فقرأته.

(١١) في العقد: خاصة... عامة. في النثر: فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان، فبطيئًا ما تُفطمون.. فقالت: إليّ خاصة.. عامة.

قال: ما أنتِ وقومكِ(١)، قالت:
هي والله إذن الفحشاء واللوم إنْ لم يكن
عدلًا شاملًا(٢) وإلّا فأنا كسائر قومي.
قال: اكتبوا لها ولقومها.

(١) في العقد: قال: ما أنتِ وغيركِ.. في الفاضل: وما أنتِ وما قومك..

(٢) في العقد: إن كان عدلًا.. وإلّا يسعني ما يسع قومي، قال: هيهات لمَظكم ابن أبي طالب الجرأة وغرّكم..

(١٧)
عائشة بنت طلحة

من أشهر النساء العربيات حسنًا وجمالًا، أمّها أمّ كلثوم بنتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وخالتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أبوها طلحةُ بن عبيد الله بن عثمان التيمي، من أندر نساء زمانها عفة وأدبًا، مُحدّثة فقيهة، راوية للحديث النبوي الشريف، روت عن عائشة (رض)[١].

وصفتها عزّةُ الميلاء، وهي امرأة عالمة بأمور النساء، في المدينة، وكانت تجالس الشعراء، وكبراء المدينة، وتساعد في خطبة النساء. وصفت عزّة عائشة، حين لجأ إليها مصعب بن الزبير كي تساعده في خطبتها، فقالت[٢]:

يا ابنَ أبي عبدالله، أما عائشةُ فلا والله إنْ رأيت مثلها، مقبلة ومدبرة، محظوظة المتنين، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب، نقية الثغر، وصفحة الوجه، فرعاء الشعر، لفّاء الفخذين، ممتلئة الصدر، خميصة البطن ذات عكن، ضخمة السرّة، مسرولة الساق[٣] يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها، وفيها عيبان: أما أحدُهما فيواريه الخمارُ، وأما الآخر فيواريهِ الخفّ عِظَم القدم، والأذن.

وقد كان مع مصعب، سعيدبن العاص، وعبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وكل منهم يستمع عزّة وهي تصف خطيبته ثم قالت: أمّا أنت يا ابن أبي أحيحة، فإني والله ما رأيت مثلَ خَلْق عائشة بنت عثمان، لامرأة قط، ليس فيها عيب، والله كأنما أُفرغتْ إفراغًا، ولكن في الوجه إدّة[٤] وإنْ استشرتني، أشرتُ عليكَ بوجهٍ تستأنس به.

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٨/٤٦٧ طبعة بيروت.
(٢) الأغاني ١٠/٥٥.

(٣) مسرولة الساق: حمامة مسرولة، في رجليها ريش.
(٤) إدّة: جمعها إداد، والإدّة: الأمر القظيع أو المنكر.

وأما أنت يا ابنَ الصدّيق، فوَالله، ما رأيتُ مثلَ أم القاسم كأنها خوطُ بانة، تنثني وكأنها خذل عنان، أو كأنها خشف[١] يتثنى على رمل، لو شئتِ أن تقعد أطرافها، لفعلت، ولكنها شحنة الصدر[٢]، وأنت عريض الصدر، فإذا كان ذلك كان قبيحًا، لا والله حتى يملأ كلُّ شيء مثله، فوصلها الرجال والنساء، وتزوج الجميع.

روي أن عائشة بنت طلحة وفدتْ على هشام بن عبد الملك، فبعث إلى مشايخ بني أمية أن يسمروا عنده، فما تذاكروا شيئًا من أخبار العرب وأشعارها إلّا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم إلّا وسمته[٣].

وهذا الخبر فيه شيء من الريبة، لأن الأصبهاني أراد أن يصوغه بأسلوب قصصي، أضاف قضية السمر، وهذا خطأ، لأن عائشة كانت زوجة مصعب بن الزبير، ثم بعد مقتله، زوجة عمر بن عبيد الله التيمي، الذي مات ٨٢هـ، وهي

(١) خشف: ولد الظبي أول ما يولد.

(٢) شحنة الصدر: شحن المكان ملأه، ممتلئة الصدر، أو قد يكون المعنى من المشاحنة، أي العداوة والحقد.

(٣) الأغاني ١/ ٧٩ والأعلام ٤/ ٥.

بوضع اجتماعي، ومن أسرة فقهاء ومحدثين، لا يمكن أن تكون كما وصفها صاحب الأغاني، لتعارض ذلك مع الواقع، ولتناقض كلامه مع واقع حياتها.

ولعائشة حوار مع الأدباء والشعراء والفقهاء، سيرد ذكره فيما بعد، في تحقيق نصوصها. توفيت سنة ١٠١هـ[٤] وقيل ١٢٣هـ[٥].

١ـ حوار عائشة والحرث

لما حجّت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحرث بن خالد وهو أمير مكّة، أنعم الله بكِ عينًا، وحياكِ، قد أردتُ زيارتك، فكرهت ذلك إلّا عن أمر، فإن أذنتِ فيها فعلتُ[٦].

(٤) المصدر نفسه.

(٥) النجوم الزاهرة ١/ ٢٩٠.

(٦) الأغاني ٣/ ١٠٦ وفي رواية أخرى للأغاني: لما قدمت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحرث بن خالد وهو أمير على مكة، إني أريد السلام عليك، فإذا خفّ عليكِ، أذنت، وكان الرسول الغريض، فقالت له: إنا حرُم، فإذا أحللنا أذناكَ، فلما حلتْ سرتْ على بغلاتها، ولحقها الغريض بعسفان، ومعه كتاب الحرث إليها: ما ضرّكم لو قلتم سددًا فلما قرأت الكتاب قالت: ما يدع الحرث باطله. وغناها الغريض بعضًا من شعره، فقالت له: والله ما قلنا إلّا سددًا، ولا أردنا إلّا أن نشتري=

فقالت لمولاة لها جزلة: وما أردّ على هذا السفيه؟! قالت: أنا أكفيكِ، فخرجتْ إلى الرسول وقالت له: اقرأ عليه السلام، وقل له، وأنت أنعم الله بكَ عينًا وحيّاكَ، نقضي نسكنا، ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله، ثم قالت لها: قومي وطوفي واسعَيْ واقضِي عمرتكِ واخرجي في الليل. فخرجت ليلًا من مكة.

ولكن الحرثَ أرسل إليها من يتبعها فأوصل الكتاب إليها، فقالت لمولاتها:

خذيهِ فإنّي أظنّه بعضَ سفاهاتِهِ، فأخذته وقرأته وقالت له: ما قلنا إلّا سدادًا وأنت فارغٌ للبطالة ونحن عن فراغِكَ في شغل.

- ٢ -

وأنشدها الغريض شعرًا لعمر بن أبي ربيعة فقالت له(*):

وأنت يا غريضُ، فأنعمَ الله بكَ عينًا، وأنعم بابنِ أبي ربيعةَ عينًا، لقد تلطّفتَ حتى أدّيتَ إلينا رسالتهُ، وإنَّ وفاءكَ له لمما يزيدنا رغبةً فيكَ، وثقة بكَ.

- ٣ -

أنشدت عائشة قصيدة استحسنتها، وكان بحضرة عائشةَ جماعةٌ من الشعراء، فقالت(**):

من قدرَ منكم أن يزيدَ فيها بيتًا واحدًا يشبهها ويدخل في معناها فله حلّتي هذه، فلم يقدر أحد على ذلك(١).

- ٤ - حوار عائشة بنت طلحة وزوجها مصعب بن الزبير(***)

عاد مصعبٌ من حرب قد خاضها، فخرجت إليه عائشةُ وهنأتهُ بالفتح، وجعلت تمسحُ التراب عن وجهه، فقال لها:

إني أُشفِقُ عليك من رائحة الحديد.

قالت: لهو والله أطيبُ عندي من ريح المسك الأذفر.

- ٥ - حوارها مع هشام بن عبد الملك(****)

= لسانه. وأتى على الشعر كلّه فاستحسنته، ولما أرسل لها الحرث بن خالد، وهو أمير مكة، رسالة أجابته بهذه الرسالة: ما قلنا إلّا سدادًا، وأنت فارغ للبطالة، ونحن عن فراغك في شغل.

(*) الأغاني ٣/ ١٠٥.

(**) الأغاني ١٣/ ٧.

(١) القصيدة التي أعجبت بها عائشة وكانت أنموذجًا لنقدها للشعر، كانت لقيس بن الحدادية وهي أربعون بيتًا في الأغاني ١٣/ ٧.

(***) الأغاني ١٠/ ٥٧.

(****) الأغاني ١٠/ ٦٠.

وفدتْ عائشةُ على هشام، فقال لها: ما أوفَدكِ؟ قالت: حبستِ السماءُ المطرَ، ومنعَ السلطانُ الحقَّ.

فتذاكر الخليفة هشام، ومعه مشايخ بني أميّة وعائشة شيئًا من أخبار العرب، وأشعارها، وأيامها، فأفاضت معهم في ذلك، وما طلع نجم ولا غار إلّا وسمته[١]، فسألها هشام عن علمها بالنجوم، فقالت: أخذتها عن خالتي عائشة..[٢]

٦ـ حوار عائشة بنت طلحة والنميري(*)

لما نُسبَ الراعي النميري لعائشة، قالت:

ائتوني به، فأتَوْها به، فقالت: أنشِدْني مما قلتَ في زينب، فامتنع وقال: تلك ابنةُ عمي وقد صارت عظامًا بالية.

قالت:

أقسمتُ عليك بالله إلّا فعلتَ، فأنشدها قوله:

تضوع مسكًا بطن نعمان إذ مشت... الأبيات

قالت: والله ما قلت إلّا جميلًا، ولا ذكرتَ إلّا كرمًا وطيبًا، ولا وصفتَ إلّا دينًا وتُقى.

وأنشد النميري شعرًا للحرث بن خالد أمام عائشة فقالت:

والله ما ذكر إلّا جميلًا، ذكر أني إذا صبَّحتُ زوجًا بوجهي غدا بكواكب الطلق، وإني غدوتُ مع أمير تزوَّجني إلى الشرق، وأني أحسن الخلق في البيت، ذي الحسب الرفيع.

فأكرمته وقالت له: لا تعُدْ لإتياننا يا نميري.

---

(١) الأغاني ١٠/ ٦٠.

(٢) خالتها السيدة عائشة أم المؤمنين (رض).

(*) الأغاني ٦/ ٣٠.

(١٨)
عائشة بنت عثمان بن عفان

من ربّات الفصاحة والبلاغة، خرجتْ يومَ استشهاد أبيها (رض) إلى الناس وهم يتساعَوْنَ، فصاحت: يا ثاراتِ عثمان، وخطبتْ فيهم، وشكت مظلمة أبيها، وندبته[1]، ورثتهُ بكلام شجيّ حزين.

وقدم معاويةُ المدينةَ بعد عام الجماعة أي بعد ٤١هـ فدخل دار عثمان فصاحت عائشةُ، وبكتْ ونادتْ أباها. فقال لها معاوية: يا ابنةَ أخي، إنّ الناس أعطونا طاعة، وأعطيناهم أمانًا، وأظهرنا لهم حلمًا تحته غضبٌ، وأظهروا لنا ذلّا تحته حِقدٌ، ومع كل إنسان سيفُه، ويرى موضع أصحابه.

خطبها سعيد بن العاص وأرسل عزّة الميلاء تلك المرأة التي كانت تساعد في خطبة النساء بالمدينة وكان قد وفد إليها مع مصعب بن الزبير وعبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر يرومون مساعدتهم في خطبة النساء فقالت عزّةُ تصف عائشة بنت عثمان[2] وتخاطب سعيد بن العاص:

أما أنت يا ابن أبي أحيحة، فإني والله ما رأيتُ مثل خَلْق عائشة بنت عثمان، لامرأة قط، ليس فيها عيبٌ والله كأنما أُفرغت إفراغًا ولكنْ في الوجه إدّةٌ[3] وإنْ استشرتني أشرتُ عليك بوجه تستأنس به.

١ـ رسالة عائشة بنت عثمان(*)

أرسلت عائشة بنت عثمان بن عفان

---

(١) الأغاني ١٠/٥٥.

(٢) ينظر بلاغات النساء ٧٣ ونثر الدرّ ص ٣٦ وأعلام النساء ١٥٩ وقد نقل الآبي كل ما رواه ابن طيفور، في هذا النص أو في غيره من النصوص. لم أجد لها ترجمة في كتب التراث، سوى لمحات وردت في المصادر السابقة.

(٣) إدّة: الداهية والمنكر، العيب.

(*) الأغاني ١٧/٨٨.

(رض) إلى محمد بن عمرو بن حزم، والي المدينة، وكان عفيفًا، عظيم اللحية، له جارية موكلة بلحيته، إذا ائتزر، لا يأتزر عليها، وكان إذا جلس للناس جمعها، ثم أدخلها تحت فخذه، فأرسلت عائشة:

يا أخي قد ترى ما دخل عَلَيّ من المصيبة، بابنتي، وغيبةِ أهلي، وأهلها، وأنتَ الوالي، فأمّا ما يكفي النساء من النساء، فأنا أكفيكه بيدي وعيني، وأما ما يكفي الرجال من الرجال، فأكفِنيه، مرْ بالأسواق أن تُرفع، ومرْ بتجويد عمل نعشها ولا يحملُها إلّا الفقهاءُ الألبّاء من قريش، بالوقار والسكينة، وقمْ على قبرها، ولا يدخلْه إلّا قرابتها من ذوي الحجا أو الفضل.

فكان جواب الوالي:

أقرئ ابنةَ المظلوم السلام، وأخبرها أني قد سمعتُ الواعيةَ[1] وأردتُ الركوب إليها، فأمسكتُ عن الركوب، حتى أبردَ ثم أصلّيَ، ثم أنفذَ كلَّ ما أمرتُ بِهِ.

ونفّذ كلّ ما أمرته به.

(١) الواعية: مؤنث الواعي الوالي والحافظ الجلبة والصوت وأظنّ الكلمة مصحّفة عن (الداعية).

ـ ٢ ـ تأبين عائشة بنت عثمان بن عفان (رض)

صاحت عائشة عند مقتل أبيها (رض)[*]:

يا ثاراتِ عثمان! إنّا لله وإنّا إليه راجعون! أُفنِيَتْ نفسُه وطَلّ دمه في حرم رسول الله ﷺ ومُنعَ من دفنِهِ. اللّهم ولو يشاء لامتنع ووجد من الله عزّ و جلّ حاكمًا، ومن المسلمين ناصرًا، ومن المهاجرين حتى يفيء إلى الحق من صدّ عنه، أو تطيح هاماتٌ، وتُفرَى غلاصمُ[2] وتخاض دماء، ولكن استوحش مما أنستم به واستوخم مما استمرأتموه[3].

يا من استحلَّ حُرَمَ الله ورسوله، واستباح حِماهُ، لقد كره عثمان ما أقدمتم عليه، ولقد نقمتم عليه أقلّ مما أتيتم إليه، فراجعَ فلم تراجعوه، واستقالَ[4] فلم تُقيلوه.

رحمةُ الله عليكَ يا أبتاه. احتسبتَ

(*) بلاغات النساء ٧٢.

(٢) غلاصم: جماعة القوم.

(٣) استمرأ: استمرأ الطعام، وجده مريئًا واستطيبه.

(٤) استقال: سأل الإقالة، أي سأل من ينهضه من سقوطه.

نفسكَ وصبرتَ لأمر ربّكَ، حتى لحقتَ به، وهؤلاء الآن قد ظهر منهم تراوضُ الباطل، وإذكاءُ الشنان، وكوامن الأحقاد، وإدراكُ الإحن والأوتار[1]. وبذلك وشيكًا كان كيدهم وتبغيهم وسعي بعضهم ببعض، فما أقالوا عاثرًا، ولا استعتبوا مذنبًا، حتى اتخذوا ذلك سبيلًا إلى سفك الدماء، وإباحةِ الحمى، وجعلوا سبيلًا إلى البأساء والعَنَت.

فهلا علنتْ كلمتكم، وظهرتْ حسكتكم[2]، إذ ابن الخطاب قائمٌ على رؤوسكم، مائل في عرصاتكم يرعَدُ ويبرقُ بإرغائكم، يقمعكُم غير حذر من تراجُعِكم إلّا ما في بينكم، وهلّا نقمتم عليه عودًا وبدءًا، إذ ملكَ وتملكَ عليكم من ليس منكم بالخلق اللين، والخصمُ العضلُ يسعَى عليكم وينصبُ لكم، لا تنكرون ذلك منه خوفًا من سطوته، وحذرًا من شدّته، أن يهتفَ بكم متقسورًا[3]، أو يصرخ بكم متعذورًا[4]. إن قال صدقتم قالته، وإنْ سأل بذلتم سألته يحكم في رقابكم وأموالِكم، كأنكم عجائزُ صلعٌ، وإماء قُضعٌ[5]، فبدأ معلنًا لابن أبي قحافة بإرث نبيكم على بعد رحمهِ، وضيقِ بلدِهِ، وقلةِ عددهِ، فوقا الله شرّها[6]، زعم لله دَرّهُ ما أعرفه ما صنع، أو لم يخصم الأنصار بقيس؟ ثم حكَم بالطاعة لمولى أبي حذيفةَ يتمايلُ يمينًا وشمالًا، قد خطبَ عقولكم، واستمهرَ وجلَكم ممتحنًا لكم، ومعترفًا أخطاركم، وهل تسمو هِممكُم إلى منازعته، ولولا تيكَ لكان قسمةُ خسيسًا وسعيةُ تعيسًا، لكنْ بدرَ بالرأي، وثنّى بالقضاء، وثلّث بالشورى ثم غدا سامرًا مسلطًا[7] درّته على عاتقهِ، فتطأطأتم له تطأطؤ الحقّة[8] ووليّتموه أدباركم حتى علا أكتافكم، فلم يزل، ينعق بكم في كل مرتع ويشدّ منكم على كلّ مخنق، لا ينبعثُ لكم هتاف، ولا يأتلق لكم شهاب، يهجم عليكم بالسراء، ويتورط بالحوباء[9]، عرفتم أو

(١) الإحن: جمع إحنة، العداوة والحقد. الأوتار: جمع وتر، الانتقام والظلم.

(٢) حسكتكم: حقدكم.

(٣) متقسورًا: مستأسدًا، الغلام القوي الشجاع.

(٤) متعذورًا: على زنة متحذلق، مقدم لنفسه العذر.

(٥) قضع: جمع قضيعة، التي تلزم البيت.

(٦) الصحيح فوقى، أصلها وقى يقي.

(٧) استمهر: أصبح ماهرًا حاذقًا. سامرًا: مجلس المتسامرين، ومعناه هنا الساهر الليل.

(٨) الحقة: الحقّ والواجب.

(٩) الحوباء: الإثم، النفس لأن النفس موطن الحاجات.

أنكرتم، لا تألمون ولا تُستنطَقون، حتى إذا عاد الأمر فيكم ولكم، في مُونقة[(١)] من العيشِ، عِرقُها وشيجٌ، وفرعُها عميمٌ، وظلُّها ظليلٌ، تتناولون من كثبٍ ثمارها أنّى شئتم رغدًا، وخُليتْ عليكم[(٢)] عُشار الأرض دُرّرًا، واستمرأتم أكلكُم من فوقكم، ومن تحتِ أرجلكم، في خِصْب غَدِق، وأَوْف شَرف، تنامون في الخَفْض، وتستلينون الدَّعة، ومقتم زبرجة[(٣)] الدنيا وحرجتها، واستحليتُم غُضارَتها ونُضرَتها، وظننتم أنّ ذلك سيأتيكم من كثبٍ عفوًا، ويتحلّب عليكم رِسْلًا[(٤)]، فانتضيتُم سيوفَكم، وكسرتُم جُفونكم[(٥)]، وقد أبى الله أن تُشام[(٦)] سيوفٌ جُرّدتْ بغيًا وظلمًا، ونسيتم قولَ الله عزّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾[(٧)].

فلا يُهَنينّكم الظفرُ، ولا يستوطِننَّ بكم الحَضرُ، فإنَّ الله بالمرصاد، وإليه المعاد، واللهِ ما يقومُ الظَّليمُ إلّا على رِخلين، ولا ترِنّ القوس إلّا على سِيَتَين[(٨)]، فاثبتوا في الغَرْز[(٩)] أرجلَكم، فقد ظَلَلتم هُداكُم في المتيهةَ الخرقاء، كما أظلَّ أُدحيّتهُ الحِسْل[(١٠)]. وسيعلمُ كيف يكون إذا كان الناسُ عباديد[(١١)]، وقد نازعتكم الرجال، واعترضتْ عليكم الأمور، وساورتكم[(١٢)] الحروبُ بالليوث، وقارعتكم الأيامُ بالجيوش وحَمِي عليكم الوطيسُ، فيومًا تدْعون من لا يجيب، ويومًا تُجيبون من لا يدعو. وقد بسط باسطُكم كلتا يديْهِ، يرى أنّهما في سبيل الله، فَيَدٌ مقبوضةٌ وأخرى مقصورة، والرؤوس تندو عن الطُّلى[(١٣)]، والكواهل[(١٤)] كما يُنقَفُ

---

(١) مونقة: أنق: فرح. مونقة: أنيقة حسنة معجبة.
(٢) خُليت: الخُلّب: السحاب لا مطر فيه، خُدعت وفُتنت.
(٣) ومقتم: أحببتم. الحرجة: المكان الضيق كثير الشجر.
(٤) رِسلًا: الرخاء والخصب.
(٥) جفونكم: أغماد السيوف.
(٦) تُشام: تغمد وتستل (من الأضداد).
(٧) سورة المعراج الآية ١٩ ـ ٢١.

(٨) سِيَتَين: سِيَتُ القوس جمعها سِيات، ما عُطِف من طرفيها.
(٩) الغرز: الرحل.
(١٠) أدحيته: بيضه وموضع بيضه. الحِسْل: ولد الضبّ.
(١١) عباديد: ليس لها مفرد، الفرق من الناس أو الخيل.
(١٢) ساورتكم: واثبتكم، ساور: وثب.
(١٣) تندو: ندا يندو ندوًا: جاد، الندوة: السخاء. الطلى: الشربة من اللبن.
(١٤) الكاهل: أعلى الظهر مما يلي العنق، كاهل القوم: سندهم ومعتمدهم.

التنوم[١]، فما أبعدَ نصر الله من الظالمين، وأستغفر الله مع المستغفرين.

(١) التنوم: شجر له مثل حبّ الخروع.

(١٩)

عاتكة بنت يزيد بن معاوية

أم يزيد بن عبد الملك، من ربّات المجد والسؤدد والرفعة والعظمة، والحسن الباهر، والجمال البارع، لها مكانة رفيعة في المجتمع الأموي، أحبّها زوجها عبد الملك بن مروان حبًّا عظيمًا، وكان يبذل الغالي والنفيس لإرضائها. وقصة غضبها عليه، سترد في الحوار الذي جرى بينها وبينه في تحقيق نصوصها، إذ أغلقت الباب الذي كان بينهما. وتوسّط بينهما رجل من خاصة الخليفة، هو عمر بن بلال الأسدي[(١)]، وأفلح في مهمته، فمنحه مزرعة بعدّتها، وما فيها، وألف دينار، وأنشد الخليفةُ شعرًا لكثير، يذكر حبه لعاتكة ويقول[(٢)]:

وإنّي لأرعى قومها من جلالها
وإنْ أظهروا غشًّا نصحت لهم جهدي
ولو حاربوا قومي، لكنت لقومها
صديقًا، ولم أحملْ على قومها حقدي

ولما أراد حربَ آلِ الزبير، مصعبَ في العراق، وعبدِالله في الحجاز، أشارتْ عليه بمشورة ذكيّة، تدلّ على بعد نظر، وعمق تفكير، فقالت له:

وجّهِ الجنودَ وأقمْ، فليس الرأي أن يباشر الخليفةُ الحربَ بنفسه.

ولم يرض بذلك، فبكت وأبكت جواريها، فقال[(٣)]:

إذا ما أراد الغزو لم تثنِ همّه
حَصانٌ عليها عِقدُ درّ يزينها
نهتْه، فلما لم ترَ النّهي عاقَهُ
بكتْ فبكى مما شجاها قطينُها

كانت عاتكةُ كريمةَ النفس، فقد تصدقتْ بمالها على فقراء آل أبي سفيان، وكان روحُ بنُ زنباع حاضرًا، وهو رجل

(١) ينظر الأغاني ١٧/ ١٦٢ وأخبار النساء ١٨٤.
(٢) ينظر أعلام النساء ٣/ ٢١٨.
(٣) ينظر المصدر نفسه.

من خاصة بني أمية، يدخل على نسائها مداخلَ المشايخ والأهل، فأخبر الخليفة عبد الملك بذلك، وكان الخليفة يريدها أن توصي بميراثها من أبيها لابنيها، فقال روح[١]:

يا أمير المؤمنين إني تركت معاوية بن أبي سفيان في الديوان جالسًا، وكان يُشبِّهُ عاتكةَ بجدّها معاوية في دهائه، وذكائه.

يروى أنها كانت تحرم على اثني عشرَ خليفة من خلفاء بني أمية، وهم:

معاوية ويزيد ومروان والوليد وسليمان وهشام والوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن مروان بن الوليد، ويزيد بن عبد الملك، ومعاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان، ولم يتفق ذلك لامرأة قبلها.

لم أجد ما يشير إلى سنة وفاتها، إلّا أنها كانت في دمشق، وعاشت إلى أن أدركت مقتل ابنها الوليد بن يزيد[٢].

١- عاتكة بنت يزيد بن معاوية(*)

«حوار»

زوجة عبد الملك بن مروان، وكان قد طلب منها أن تجعلَ أموالَها لابنَيْها يزيد ومروان دون سائر الأبناء، قالت:

إجْمع لي شهودًا من مواليّ ومواليكَ. ففعلَ، وحضر مع الجمع روحُ بنُ زنباعٍ[٣] فقالت:

يا روح، أتراني أخشى على ابنَيَّ العيْلةَ[٤]، وهما ابنا أميرِ المؤمنين، أشهدُتُكَ أني تصدقتُ بمالي على فقراء آل أبي سفيانَ[٥].

٢- عاتكة بنت يزيد بن معاوية(**)

«وصيّة»

قالت عاتكة زوجة عبد الملك بن مروان، حين أراد التوجه إلى العراق، بجيشه لمحاربةِ مصعب بن الزبير:

يا أمير المؤمنين وجّهِ الجنودَ، وأقمْ، فليس الرأيُ أن يباشر الخليفةُ الحربَ بنفسهِ[٦].

(١) أعلام النساء ٣/٢١٩.
(٢) أعلام النساء ٣/٢٢٠.
(*) بلاغات النساء ١٢٩ ونثر الدرّ ٤/١٢٧.

(٣) في نثر الدرّ: لي أهل معدلة.
(٤) في نثر الدرّ: عيْلة..
(٥) في نثر الدرّ: أشهدكم أني قد.. بمالي وضياعي..
(**) الأغاني: ١٧/ ١٦٢.
(٦) هذه الوصيّة تبين الأثر العظيم للمرأة في السياسة في العصر الأموي.

٣ـ حوار عاتكة(*)

كان عبدُ الملك بن مروان يحبّ زوجته حبًا عظيمًا، فغضبت عليه يومًا، فاستعان بعمر بن بلال الأسدي، فجلس الرجل يبكي بين يديها، فسألته جاريتُها عن السبب فقال:

جئتُ إلى ابنة عمّي في أمرٍ مهم، عظيم. فقالت عاتكة:

ما بالك؟ قال: قد عرفت حالي مع أمير المؤمنين عبدِ الملك، ولم يكن لي غير ابنين فقتلَ أحدهما الآخرَ، فعفوتُ عن ابني، وأصرّ أمير المؤمنين على معاقبته، فرجاها أنْ تكلّمَ الخليفة فيه، ورجاها جواريها وخدمُها.

قالت:

عليّ بثيابي. وعلم عبد الملك بمقدمها، فقال لغلامه: ويلك رأيتها!

فأقبلت وسلّمتْ، فسكتَ، فقالت:

أما والله لولا مكانُ عمر بن بلال، ما فعلتُ، ولا أتيتُكَ واللهِ، إنْ عدا أحدُ بنيه على الآخر فقتله، وهو الوليّ، وقد عفا عنه، لتقتله؟ قال: إي والله وهو راغم.

قالت:

أنشدك الله أن لا تفعل. فدنت فأخذت بيده، فأعرض عنها، فتراضيا. وكافأ عبد الملك عمر، وعلمت عاتكة بهذه الخدعة، فكان كيدُ الرجالِ عظيمٌ.

(*) أخبار النساء ١٨٤ لم أذكر من الحوار إلّا ما يتعلق بعاتكة، لطوله.

(٣٠)
عكرشة بنت الأطرش

هي عكرشةُ بنت الأطرش[١] بن رواحة[٢]، من ربّات الفصاحة والبلاغة والبيان، وقوّة الحجّة، دخلت على معاوية وبيدها عكاز، وكانت من النساء اللاتي وفدن على معاوية بن أبي سفيان، بعد وقعة صفين، فخطبت، وحاورته، وحاورت جلساءه، وكانت جريئة فصيحة، إذ كانت إحدى النساء اللاتي وقفن يحرّضنَ الجند في صفوف جيش الإمام علي، وقد أجلسها معاوية، وحاورها، وقال لها:

يا عكرشة الآن صرتُ أميرَ المؤمنين؟! ألستِ صاحبةَ الكور المسدول، والوسيطَ المشدود، والمتقلدة بحمائل السيف وأنتِ واقفة بين الصفّين يومَ صفين. فذكرها بموقفها ضدّه، لكنه سامحها وأكرمها وردّها إلى قومها مكرّمة، وهذا هو دهاء معاوية وحلمه وذكاؤه.

حوار عكرشة بنت الأطرش ومعاوية

دخلت عكرشة بنت الأطرش على معاوية[٣] وبيدها عكاز في أسفله زج[٤] فسلمت عليه، فقال لها معاوية: يا عكرشة الآن صرت أمير المؤمنين؟![٥]

قالت[*]:

نعم إذ لا علي حيّ! قال: ألست صاحبة الكور المسدول، والوسيط المشدود، والمتقلدة بحمائل[٦] السيف[٧]، وأنت واقفة بين الصفين، يوم صفين تقولين:

---

(١) في بلاغات النساء ٧٥ هي عكرشة بنت الأطش.

(٢) العقد الفريد ١/ ٢٢٢ أما في صبح الأعشى ١/ ٢٥٤ فهي عكرشة بنت الأطرش.

(٣) بلاغات النساء ٧٥.

(٤) الزّج: الحديدة في أسفل العكاز أو الرمح.

(*) بلاغات النساء ٧٥، والعقد الفريد ١/ ٢٢٢ وصبح الأعشى ١/ ٢٥٤.

(٥) في العقد والصبح: صِرت عندكِ..

(٦) في العقد والصبح: ألستِ المتقلدة حمائل...

(٧) في العقد: السيوف بصفين.

يا أيها الناس[١] «عليكم أنفسكم، لا يضرّكم من ضلّ إذا اهْتديتُم» إن الجنة دارٌ لا يرحَلُ عنها من قطنَها[٢] ولا يحزنُ من سكَنها[٣]، فابتاعوها بدارٍ لا يدوم نعيمُها، ولا تنصرمُ همومُها، كونوا[٤] قومًا مستبصرين[٥]، إنّ معاويةَ دلفَ إليكم، بعجم العرب، غُلْفِ القلوب لا يفقهون الإيمانَ، ولا يدرون ما الحكمةُ، دعاهم بالدنيا، فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوْه[٦]، فالله الله، عباد الله، في دين الله، وإيّاكم والتواكل، فإنّ في ذلك نقضَ عروةِ الإسلام[٧]، وإطفاءَ نورِ الإيمان[٨]، وذهابَ السُّنةِ، وإظهارَ الباطل[٩]، هذه بدرُ الصغرى، والعقبةُ الأخرى، قاتلوا يا معشرَ الأنصار والمهاجرين، على بصيرة من دينكم[١٠]، واصبروا على عزيمتكم، فكأني بكم غدًا قد لقيتم أهل الشام كالحُمر النهاقة، والبغال الشحّاجة، تضفعُ ضفعَ البقر[١١]، وتروثُ روثَ العتاق[١٢].

قال معاوية: فوالله، لولا قدرُ الله، وما أحبُ أن يجعلَ لنا هذا الأمرَ، لقد كان انكفأ عليّ العسكران، فما حملكِ على ذلكَ؟[١٣]

---

(١) في العقد والصبح: أيها الناس.. (سورة المائدة الآية ١٠٤).

(٢) في العقد: من أوطأها.

(٣) في العقد والصبح: ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها.

(٤) في العقد والصبح: وكونوا..

(٥) في العقد: مستبصرين في دينهم مستظهرين على طلب حقهم. دلف: أغلظ عليكم. في الصبح: مستبصرين في دينهم مستظهرين على حقهم.

(٦) في الصبح: دعاهم إلى الباطل فأجابوه واستدعاهم إلى الدنيا فلبّوْه.

(٧) في العقد والصبح: إيّاكم فإنّ ذلك ينقضُ عُرى الإسلام.

(٨) في العقد والصبح: ويطفئ نور الحقّ.

(٩) في العقد والصبح: (بحذف العبارة).

(١٠) في العقد والصبح: يا معشر المهاجرين والأنصار امضوا على بصيرتكم.

(١١) في العقد: قد لقيتم.. كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير. في الصبح: قد لقيتم.. كالحمر الناهقة تقصع قصع البعير. تضفع: ليس لها معنى وهي تصحيف من صقع. تقصع: قَصَعت الناقة بجرّتها، ردّتها إلى جوفها وملأت بها فاها. تصقع: الصُقْعة: بياض في رؤوس الخيل. تفلّين: فَلِيَ يَفلَى: تأمل وجوهَ الأمر.

(١٢) في العقد والصبح: بحذف العبارة.

(١٣) في العقد: فكأني أراكِ على عصاكِ هذه، وقد انكفأ عليكِ العسكر أن يقولوا هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فإن كنت لتقتلين أهل الشام، لولا قدر الله، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا فما حملكِ على ذلك؟ في الصبح: فكأني أراكِ على عصاكِ هذه قد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الأطرش، فإن كدتِ لتَفلّين أهل الشام، لولا قدر الله وكان أمرُ الله قدرًا مقدورًا فما حملكِ على ذلك؟.

قالت:

يا أمير المؤمنين إنّ اللبيب إذا كرهَ أمرًا، لم يحبّ إعادته. قال: صدقتِ، اذكُري حاجتكِ(١).

قالت:

يا أميرَ المؤمنين، إنّ الله قد ردّ صدقاتِنا علينا، وردّ أموالَنا فينا، إلّا بحقها، وإنا قد فقدنا ذلك، فما يُنعَشُ لنا فقير، ولا يُجبَر لنا كسير فإن كان ذلك عن رأيكَ، فما مثلُكَ منِ استعانَ بالخونةِ، ولا استعملَ الظالمين(٢).

قال معاويةُ: يا هذه إنه تنوبُنا أمورٌ، هي أولَى بنا منكم، من بحورٍ تنبثقُ، وثغورٍ تنفتقُ(٣).

قالت: يا سبحانَ الله، ما فرضَ الله لنا حقًا، جعل لنا فيه ضررًا على غيرنا ما جعله لنا، وهو علام الغيوب(٤).

وأمر لها بصدقة وأكرمها.

---

(١) في العقد: بحذف العبارة.

(٢) في العقد: قالت: يا أمير المؤمنين إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا، فتردّ على فقرائنا، وإنا قد فقدنا ذلك. قالت: فما يُجبر لنا كسير، ولا يُنعش لنا فقير، فإن كان... فمثلك تنبّه عن الغفلة وراجع التوبة، وإن كان عن غير رأيك، فما مثلك من استعان بالخونة ولا الظلمة. في الصبح: قالت: كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا، فتردّ على فقرائنا وقد فقدنا ذلك. فما يُجبر لنا كسير، ولا ينعش لنا فقير، فإن كان عن رأيك، فمثلك من انتبه من الغفلة، وراجع التوبة، وان كان عن غير رأيك، فما مثلك من استعان بالخونة، ولا استعمل الظلمة.

(٣) في العقد: أمور تنبثق، وبحور تنفهق. في الصبح: ثغور تنفتق، وبحور تتدفق.

(٤) في العقد والصبح: يا سبحان الله، والله ما فرض... فجعل فيه ضررًا على غيرنا وهو علام الغيوب.

(٢١)

الفارعة بنت عبد الرحمن الحارثية

حوار امرأة عشمة[1] ومعاوية[*] والفارعة بنت عبد الرحمن الحارثية

لما حجّ معاوية أتى مياه بني كنانة، حتى صار إلى خباءٍ بفنائهِ امرأة، فقال: من القوم؟

قالت: من الذين يقول لهم الشاعر:

هـم قـنـعـوا حـبـيـش الأحـابـيـش عنوة..[2]

قال: كوني ذهلية، قالت: ذهلية، قال: هل من قرى؟ قالت:

إي ها الله، خبز خمير، وحيس فطير، ولبن يمير، وماء نمير. فقدمت الطعام، وسأل معاوية عن حاجة المرأة؟

قالت: كلأك[3] يا أمير المؤمنين.

---

(١) عشمة ـ عجوز.

(*) بلاغات النساء ١٢٦، والأغاني ٢/ ١٩٦ ومخطوطة كتاب الوفود الورقة ١٩ أ للشهرزوري.

ملاحظة: على الرغم من طول المخطوطة إلّا أنّني لم أعتمدها أساسًا في تحقيق هذا النص، لأني لا أعرف سنة وفاة المؤلف أو زمن تأليفها أو نسخها.

(٢) الصحيح: هم منعوا جيش...

(٣) روي النص في الأغاني كالآتي، وفيه تصحيح ما ورد في النص: خرج معاوية بن أبي سفيان متنزهًا، فمرّ بحواء ضخم، بفنائه امرأة برزة، فقال لها: هل من غداء؟ قالت: نعم. قال: وما غداؤك؟ قالت: خبز خمير، وماء نمير، وحيس فطير، ولبن هجير.
فلما تغدّى قال: هل لك من حاجة؟ قالت: فذكرت حاجة أهل الحواء. قال: هاتي حاجتك في خاصة نفسك. قالت: يا أمير المؤمنين، إني أكره أن تنزل واديًا، فيرفّ أوله، يقفّ آخره. وروي في المخطوطة كالآتي:
فارعة بنت عبد الرحمن الحارثية ومعاوية.
خرج معاوية بن أبي سفيان من المدينة، وهو يتجوّل بمجال المدينة، فقامت امرأة جميلة حسنة البزّة فقالت:
أمير المؤمنين والله ثمّ قالت: اللهم امنع العرب به، فعطف عليها راجعًا وقال: أو تحبين العرب؟ قالت: إي والله كل أسود الرأس، وأبيضه، قال: ومن أنت؟ قالت: أنا من القوم الذين يقول فيهم شاعرهم:

هم جمعوا حلف الأحابيش كلهم
وهم منعوا منّا غواة بني بكر

قال: أنت من بني الحارث، قالت: أنا=

قال: وما يدريك أني أمير المؤمنين. قالت: بشمائلك حين لفتك الريح مقبلًا، قال: أما إذا عرفت فاسألي، قالت: حلقى نساء الحي، أفلا تعمّهم؟ قال: سلي في نفسك، قالت: صانك الله يا أمير المؤمنين إن واديًا يرف أعلاه، ويقف أسفله. فنادت قومها وقضى لهم حوائجهم.

= منهم. قال: ما رأيك في قريش؟ قالت: إنّي أحبّ صغيرها وكبيرها، وأرضى حلفها، قال: ما رأيك في إخوتك من بني بكر، قالت: والله إني لأبغض صغيرها وكبيرها، وأذكر سوء عهدها.

قال: أما الآن فاقصري عنهم، فقد جاء غير ذلك. قال: هل عندك عشاء؟ قالت: نعم. قال: هات وما هو؟ قالت: عندي خبز خمير، وحيس فطير، ولبن حزير، وتمر كثير، وماء نمير.

قال: والله إنّك أريت عشاء.

وقال معاوية: احكمي بيني وبين فاختة بنت قرظة، قالت: يا أمير المؤمنين وكم أتت لك؟ قال: ابن خمس وسبعين، قالت: وكم أتت لها، قال: هي بنت أربعين، قالت: فقد والله آنست الكبير فذهلت، وأخذت ريح الكبر فذلت، فكيف الذي عندك للنساء، قال: إنه لصالح، قالت: هي والله تبصر في معايبك = فتعجبها نفسها، ثم قال: ما تقولين في علي بن أبي طالب، قالت: وما عسيت أقول فيه، وقد سبق له من الفضل ما لا يشكره أحد، وزوّجه رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة، واختصّه بسرّه، وهو كاشف الكرب عن وجهه فرحمة الله عليه، هذا ما أقول.

المعاني:

الحيس: طعام مركّب من تمر وسمن وسويق.

النمير: الزاكي من الماء.

كلأك: حرسك (دعاء).

حلقى: أصيبت بشرّ.

أهجر: أعظم وأبعد.

اللبن الهجير: اللبن الخاثر.

الحواء: جماعة البيوت المتدانية.

يرفّ: يتلألأ، يهتزّ نضارة.

يقفّ: ييبس، القفّ: حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها بسهولة.

(٣٢)
فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

أديبةٌ فصيحة، جميلة، ذاتُ دين وورع، لم يُرَ مثله في نساء بني أمية، تزوجها عمرُ بنُ عبد العزيز، قبل خلافته، وشاركته حلاوةَ الحياة ومرارتها، وعاشت حياةَ الكفاف والقناعة، وبيَّن لها زوجُها سيرتَه وقال:

إن أردتِ صُحبتي، فردّي ما معكِ من حلي وأموال، إلى بيت مال المسلمين، واستجابتْ لإرادته، إيمانًا بالله تعالى، وحبًا لزوجها، ولما توفي رحمه الله، واستخلف بعده أخوها يزيد بن عبد الملك، الذي كان يظنّ أنّ أخته قد ظلمت، أراد أن يعيد لها ما تركت من الأموال في بيت المال، فرفضت ذلك وامتنعت من استرجاع شيء وقالت:

ما كنت لأطيعه حيًا وأعصيه ميتًا[1].

ـ ١ ـ فاطمة بنت عبد الملك

«حوار»

زوجة عمر بن عبد العزيز، لما بويع بالخلافة أعاد كل مجوهرات زوجته إلى بيت مال المسلمين وقال:

لا أجتمع أنا وأنت وهو (أي المال) في بيت واحد. فأطاعته.

ولما توفي الخليفة عمر، ولِيَ يزيدُ بنُ عبد الملك الخلافةَ، وأراد أن يعيد لها أموالها فرفضت وقالت[*]:

كلا والله، ما كنت لأطيعه حيًا، وأعصيه ميتًا.

ـ ٢ ـ «قصة»

وقالت فاطمة[**]:

لما مرض عمر اشتدّ خلقه ليلة، فسهرنا معه، فلما أصبحنا، أمرتُ وصيفًا له يقال له مرثد، ليكون عنده، فإن كانت له حاجة، كنت قريبًا منه، ثم نمنا، فلما انتفخ النهار، استيقظتُ فوجهتُ إليه، فرأيت مرثدًا خارجًا من البيت، فقلت

(١) ينظر تاريخ ابن الأثير ٤/ ١٧٣ و ١٥٥ والدرّ المنثور ٣٦٦.

(*) تاريخ ابن الأثير ٤/ ١٥٣.

(**) تاريخ ابن الأثير ٤/ ١٥٥.

له: ما أخرجكَ؟ قال: هو أخرجني، وقال لي: إني أرى شيئًا، ما هو بأنس ولا جنّ، فخرجتُ فسمعته يتلو ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] فدخلت فوجدته بعدما دخلت، قد وجه نفسه للقبلة، وهو ميت.

(١) سورة القصص الآية ٨٣.

(٢٣)
فاطمةُ بنت علي بن أبي طالب (رض)

بنت فاطمة بنت محمد ﷺ، وأختُ زينب، والحسن والحسين (رض)، راويةٌ للحديث الشريف، قُدِم بها إلى دمشق مع أبناء الحسين (رض)، بعد استشهاده، كانت فصيحةً، بليغة، خطيبة، أديبة، توفيت في ١١٧هـ[1] وأختها زينب توفيت في ٦٥هـ إلّا أن هناك فرق كبير بين وفاة الأختين، والله أعلم.

وقد روت فاطمة قصّة حضورها أمام يزيد بن معاوية، بعد مقتل أخيها الحسين (رض)، وسيأتي ذكرها فيما بعد.

فاطمة بنت علي (رض) «قصة العودة إلى المدينة»

قالت فاطمة(*):

لما أُجلِسْنا بين يدي يزيد بن معاوية، رقّ لنا وأمر لنا بشيء، وألطفنا. قالت: ثم أن رجلًا من أهل الشام أحمرَ قام إلى يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه ـ يعنيني، وكنت جاريةً وضيئة ـ فأرعدتُ وفرقتُ، وظننتُ أن ذلك جائز لهم وأخذتُ بثياب أختي زينب.

قالت:

وكانت أختي زينب أكبرَ مني، وأعقلَ، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون، فقالت:

كذبتَ والله ولؤمتَ! ما ذلك لكَ وله، فغضبَ يزيدُ، وقال: كذبتِ والله إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت. قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لكَ، إلّا أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغير ديننا، قالت: فغضب يزيد واستطار، ثم قال: إياي تستقبلين بهذا! إنما خرج من الدين، أبوكِ وأخوكِ.

قالت زينبُ: بدينِ الله ودينِ أبي ودينِ أخي وجدّي اهتديتَ، أنت وأبوك وجدُّكَ.

قال:

كذبتِ يا عدوة الله. قالت: أنت أمير مسلّط تشتم ظالمًا، وتقهر بسلطانكَ، قالت:

---

(١) ينظر أعلام النساء ٤/ ٨١ و ٢/ ٩١.

(*) تاريخ الطبري ٥/ ٤٦١ بتحقيق أبو الفضل إبراهيم.

فوالله لكأنه استحيا فسكتَ، ثم عاد الشاميُّ فقال:

يا أميرَ المؤمنين هب لي هذه الجارية، قال: أغرُبْ، وهبَ الله لكَ حتفًا قاضيًا! قالت:

ثم قال يزيدُ بن معاوية: يا نعمانَ بنَ بشير جهّزهم بما يُصلحهم، وابعثْ معهنّ رجلًا من أهل الشام أمينًا صالحًا، وابعثْ معه خيلًا وأعوانًا، فيسير بهم إلى المدينة ثم أمر بالنسوة أن يُنزلْنَ في دار على حدة، معهنّ ما يصلحهنّ، وأخوهنّ معهنّ، عليُّ بنُ الحسين في الدار التي هنّ فيها، قال: فخرجنَ حتى دخلنَ دار يزيد. فلم تبقَ من آل معاوية امرأة إلّا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثًا.

وكان يزيد لا يتغدّى ولا يتعشّى إلّا دعا علي بن الحسين إليه. فدعاه ذات يوم ودعا عمرَ بنَ الحسن بن عليّ، وهو غلام صغير، فقال لعمر بن الحسن:

أتقاتل هذا الفتى؟ يعني خالدَ ابنه. قال: لا ولكن أعطني سكينًا وأعطه سكينًا، ثم أقاتله، فقال له يزيد، وأخذه فضمّه إليه:

شِنشنةٌ[1] أعرِفُها من أَخزَمٍ[2]، هل تلدُ الحيّة إلّا حيّة! قال: ولمّا أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد علي بن الحسين، ثم قال:

لعن الله ابنَ مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبدًا إلّا أعطيتها إياه، ولدفعتُ الحتفَ عنه، بكلّ ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتِبْني وأْنهِ كلّ حاجة تكون لك، وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول.

فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءًا أو قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزلْ ينازلُهم في الطريق هكذا، ويسألهم عن حوائجهم، ويلطفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب[3] فقالت لي فاطمة بنت علي:

---

(١) الشنشنة: الخلق والطبيعة، العادة، القطعة من اللحم.

(٢) الأخزم: الحية الذكر.

(٣) الحارث بن كعب: رجل من أهل الشام أرسله يزيد لحماية بنات الحسين (رض) ومن معهم لدى عودتهم إلى المدينة.

قلت لأختي زينب: يا أخية لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ قالت: والله ما معنا شيء نصله به، إلّا حليّنا. قالت لها: فتعطيه حلينا. قالت: فأخذت سواري ودملجي، وأخذت أختي سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه، واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤكَ بصحبتكَ إيانا بالحسَن من الفعل، فقال: لو كان الذي صنعتُ إنما هو للدنيا كان في حليكنّ ما يُرضيني ودونه، ولكن واللهِ ما فعلته إلّا للهِ ولقرابتكم من رسول الله ﷺ.

(٢٤)

فاطمة بنت مروان

(حوار)

عمّةُ الخليفة عمر بن عبد العزيز، لما ولي الخلافة أخذ من أهله ما بأيديهم، وسمّى ذلك مظالم، ففزع بنو أميّة إلى عمته فاطمة بنت مروان، فقالت له(*): تكلم أنت يا أمير المؤمنين.

فقال:

إنّ الله بعث محمدًا ﷺ رحمةً ولم يبعثه عذابًا إلى الناس كافة، . . .

قالت:

حسبُكَ قد أردتُ كلامكَ، فأما إذا كانت مقالتك هذه، فلا أذكر شيئًا أبدًا وقالت:

إنّ بني أميّة يقولون كذا وكذا، إنّهم يحذّرونكَ يومًا من أيّامهم، فغضب، وقال:

كلُّ يوم لا أخافهُ، غيرَ يوم القيامة، فلا أمنت شرّه.

فرجعت إليهم وقالت:

أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب، فجاء يشبه جدّه.

فسكتوا لما رأوا الحقّ.

(*) تاريخ ابن الأثير ٤/ ١٦٤.

(٣٥)

فرغانة بنت أوس بن حجر

إذا كانت بنت أوس بن حجر التميمي الشاعر الجاهلي المعروف، فهي من بيت عزّ وشرف، ومن أسرة معرقة في الشعر، إذ كان أوس زوج أم زهير بن أبي سلمى، وأولاد زهير أكثرهم شعراء، كعب وبجير وسلمى وخنساء، وليس غريبًا أن تكون ابنة أوس أديبة، فصيحة بليغة.

قامت فرغانة بنت أوس بن حجر[١] على قبر الأحنف بن قيس، وهي على راحلة، فقالت[*]:

إنّا لله وإنا إليه راجعون. رحمَكَ اللهُ أبا بحرٍ من مجَنّ[٢] في جَنَنٍ[٣]، ومُدْرَج في كَفَن، فوَالذي ابتلانا بفقدكَ وأبلغَنا يومَ موتكَ، لقد عِشتَ حميدًا،

---

(١) فرغانة، لم أجد لها ترجمة في كتب التراجم أو الأدب.

(*) البيان والتبيين ٢/٣٠٢، ط ١٩٨٥، بلاغات النساء ٥٦. نسبت في البلاغات إلى صفية بنت هشام المنقرية، وكانت في الكوفة أيام إمارة مصعب بن الزبير على الكوفة، وصفية بنت عمّ الأحنف. وقد روي كلامها كما يأتي، قالت: لله درّكَ من مجنّ في جفن، ومدرج في كفن، إنا لله وإنا إليه راجعون، جعلَ الله سبيلَ الخير سبيلكَ، ودليلَ الرشد دليلكَ، أما والذي أسأله أن يفسح لك في مدخلك، وأن يباركَ لك في محشركَ، و والذي كنتَ من أجله في عدّة، ومن الكآبة في= مدّة، ومن الأثرة إلى نهاية، ومن الضمار إلى غاية، لقد كنت صحيح الأديم، منيع الحريم، عظيم السلم، فاضل الحلم، واري الزناد، رفيع العماد، وإن كنتَ لمسوّدًا وإلى الملوك لموفدًا، وفي المحافل شريفًا، وعلى الأرامل عطوفًا، وكانت الملوكُ لقولكَ مستمعين، ولرأيكَ متبعين، وقد عشت حميدًا ودودًا، ومت شهيدًا فقيدًا. ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت: عباد الله إن أولياء الله في بلاده شهود على عباده، وإنا لقائلون حقًا، ومثنون صدقًا وهو أهل لطيب الثناء، فعليه رحمة الله وبركاته، وما مثله في الناس إلّا كما قال الشاعر:

عليك سلام الله يا قيسَ بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحّما

فتعجب الناس من كلامها، وقال فصحاؤهم: تالله ما رأينا كاليوم قطّ، ولا سمعنا أفصح ولا أبلغ من هذه.

(٢) مجنّ: الموضع الذي يستتر فيه، القبر، والمقبور.

(٣) جنن: جمعه أجنان وهو القبر أو الميت.

ومتَّ فقيدًا، ولقد كنتَ عظيمَ الحِلم، فاضلَ السلم، رفيعَ العماد، واريَ الزناد، منيعَ الحريم، سليمَ الأديم[١]، وإنْ كنتَ في المحافل لشريفًا، وعلى الأرامل لعطوفًا، ومن الناس لقريبًا، وفيهم لغريبًا، وإن كنتَ لمُسوّدًا، وإلى الخلفاء لموفدًا، وإن كانوا لقولك لمستمعين، ولرأيك لمتّبعين.

ثم انصرفتْ.

(١) سليم الأديم: سليم الجلد كناية عن براءته عمّا يشينه.

(٢٦)
ليلى الأخيليّة

ليلى بنتُ عبدِالله الرحّال بنِ شدّاد بنِ كعب الأخيليّة من بني عامرِ بنِ صعصعةَ[١]، من عقيل[٢]، كانت امرأةً برزةً، طويلةً، دعجاءَ العينين، حسنةَ المشية، حَسنةَ الثغر، بدويّةً، فصيحةً، ذكيةً جميلةً، أديبةً شاعرة، كان يهواها توبةُ بنُ الحميّر وتهواهُ، لها وفاداتٌ على القادة والخلفاء في العصر الأموي، ولها هجاءٌ ومناقضات مع النابغة الجعدي[٣] والفرزدق[٤] ولها موقفٌ مع مالكِ بنِ المريب[٥].

ومن أهمّ ما اشتهرتْ به كأديبةٍ ناثرة، حوارُها مع الحجاج ومدحُها له، بكلامٍ جميلٍ وأسلوبٍ بليغٍ، فأُعجبَ بفصاحتها، وحُسْنِ بيانِها، فأكرمَها وأجزلَ العطاء، فقالتْ له:

أيّها الأمير أحسِبْها أُدمًا. قال قائل: إنما أمرَ لكِ بشاءٍ، قالت: الأميرُ أكرمُ من ذلكَ، فجعلَها[٦] إبلًا على استحياء.

اختُلفَ قديمًا في المفاضلة بين ليلى والخنساء، فقال المبردُ: كانتا بائنتين في أشعارهما، متقدّمتين لأكثرِ الفحول[٧]. وقال الأصمعيّ: ليلى أشعرُ من الخنساء[٨].

وحين تذاكر أشرافُ قريش الخنساءَ وليلَى، أجمعوا على أنّ ليلى أفصحُهما، وقال أبو زيد الأنصاري: ليلى أكثرُ تصرُّفًا، وأغزرُ بحرًا، وأقوى لفظًا، والخنساء أذهبُ عمودًا في الشعراء[٩] وفُضّلت ليلى على النابغة الجعديّ.

ولو دقّقنا النظرَ في نثر الأديبَتينْ،

(١) ينظر فوات الوفيات ٢/ ١٤١، النجوم الزاهرة ١/ ١٩٣، الأعلام ٦/ ١١٦، معجم المؤلفين ٧/ ١٦٢، وأعلام النساء ٤/ ٣٢١.

(٢) ينظر الأغاني ١٩/ ٢٦.

(٣) ينظر طبقات فحول الشعراء والأغاني ٤/ ١٣٢.

(٤) ينظر الأغاني ١٩/ ٢٦.

(٥) ينظر الأغاني ١٩/ ١٦٧.

(٦) الكامل للمبرد ١/ ٣٠٦.

(٧) ينظر كشف الظنون ٨٠٨ وشرح ديوان الخنساء / شيخو ٩ وأعلام النساء ٤/ ٣٣٢.

(٨) ينظر الموشّح ١٢٠ وشرح ديوان الخنساء ٩.

(٩) ينظر شرح ديوان الخنساء ٩.

ولاحظْنا ألفاظَ الناثِرتين، ومعانيهما، والخيالَ الخصبَ في كلامِهما، لوجدْنا أنّ ليلى تفوقُ الخنساءَ، لفظًا ومعنى، وخيالًا، وأسلوبًا وعذوبةَ منطقَ، وجمالَ حديث، ولُطفَ مأخذ، إلّا أنّ الفرقَ بينهما هو منزلةُ الخنساء عند النبي ﷺ، وحبُّ السيدة عائشة لها، وإجلالُ عمرَ بنِ الخطاب (رض)، وإكرامُه لها، كان كلّ ذلك قد رفع منزلَتها عند الرواة، أعظمَ من ليلى. فعِفّةُ الخنساء أكبر، ورقة ليلى أشدُّ، ولا سيّما مراثيها لتوبة بنِ الحمير، وذِكرُها له حتى بعد مماته. توفيت في ٧٥ هـ[١] وقيل في ٨٥هـ[٢] في خراسان، وقيل في الري[٣].

ـ١ـ حوارُ ليلى الأخيليّة والحجاج[*]

قال محمدُ بنُ الحجّاج بن يوسف، بينما الأمير جالسٌ، إذ استُؤذِن لِليلَى، فقال الحجّاجُ:

ومَن ليلَى؟، قيل: الأخيليّةُ صاحبةُ توبةَ، قال: أدخِلوها. فدخلتْ، فسلّمتْ، ورحَّب بها، فقال لها:

(١) ينظر عيون التواريخ حوادث ٧٥ هـ.

(٢) ينظر ديوان ليلى الأخيليّة ٣٠.

(٣) ينظر الأغاني ١٠/ ٨٢.

(*) الأغاني ١٠/ ٨٣.

وراءكِ، ضعْ لها وسادةً يا غلامُ، فجلستْ، فسألها: ما أعمَلكِ إلينا؟

قالت:

السلامُ على الأمير، والقضاءُ لحقّه، والتعرّضُ لمعروفِهِ.

قال: كيف خلّفتِ قَومكِ. قالت: تركتُهم في حالِ خصبٍ وأمْنٍ ودَعةٍ، أما الخصبُ ففي الأموال والكلأ، وأما الأمنُ، فقد أمّنهم الله عزّ وجلّ، بكَ، وأما الدعَةُ فقد خامَرهم من خوفِكَ ما أصلحَ بينهم.

ولما أدخلها على أسماءَ بنتِ خارجَة[٤] قالت ليلى:

أصلحَ الله الأمير، أضرّ بنا العريفُ في الصدقة، وقد خربتْ بلادُنا، وانكسرتْ قلوبُنا، فأخذَ خيارَ المال.

(٤) أسماء بنت خارجة، من أعقل النساء، زوجةُ الحجاج بن يوسف الثقفي، وسيأتي ذكر هند بنت أسماء بن خارجة وهو الصحيح وليس (أسماء بنت خارجة) لأنه اسم أبيها. وفي العقد الفريد ١/ ١٧٥ أن الحجّاج قال لها: أيّ النساء أحبّ إليك؟ أَنزلكِ عندَها. قالت: ومن نساؤك أيّها الأمير؟ قال: أمّ الجلاس ابنةُ سعيد بن العاص، وهندُ ابنة أسماء الفزارية، وهندُ ابنة المهلّب بن أبي صفرة العتكيّة. قالت ليلى: القيسيّة أحبُّ إليّ.

فأكرمَها وعزلَ العريفَ الذي شَكَتْه إليه.

٢ـ ليلى الأخيلية والحجّاج «حوار وصفي»

وفدتْ ليلى على الحجّاج فقال لها، ما أَتَى بكِ، قالت[*]:

أخلافُ النجوم[١]، وقلّةُ الغيوم، وكَلَبُ البرد[٢]، وشدّةُ الجهد، وكنتَ لنا بعدَ اللهِ الرِّفد[٣].

فقال لها الحجّاج: صِفي لنا الفِجاج[٤]، قالت:

الفِجاجُ مغبّرةٌ، والأرضُ مقشعرّةٌ، والمَبركُ معتلٌ[٥]، وذو العِيال مختلٌ[٦]، والهالِكُ للقُلّ[٧]، والناسُ مسنِتون[٨] رحمةَ الله يرجون، وأصابتنا سنونٌ مُجحِفةٌ[٩] مبْلِطةٌ[١٠]، لم تدعْ لنا هُبَعًا[١١] ولا رُبَعًا، ولا عافِطةً، ولا نافِطةً أذهبتِ الأموالَ[١٢] ومزّقتِ الرجالَ، وأهلكتِ العيال.

ثم قالت:

إنّي قلتُ في الأمير قولًا، قال: هاتي، فأنشدتهُ ثمانيةَ أبيات، كانَ أوّلُها:

أحَجّاجُ لا يُفلَلْ سلاحُكَ إنما
المنايا بكفّ اللهِ حيثُ تراها

فلما انتهت من ذكر الشعر قال الحجّاجُ:

(*) أمالي القالي ١/٨٦، الأغاني ١٠/٦٨ و ١٠/٨ ونثر الدرّ للآبي ج ٤ ص ٥ وأخبار النساء لابن الجوزي ٤٥.

(١) أخلاف النجوم: كناية عن اضطراب الجوّ، وقلّة المطر، وفي الأمالي أن أخلاف النجوم، يكون فيها توقع سقوط المطر أو عدم سقوطه حقيقة.

(٢) كلب البرد: شدّته، وهذا مثل، لأن الكَلَب السُّعار الذي يصيبُ الكلاب والذئاب.

(٣) في الأغاني: الردّ. الرِّفد: المعونة، العطيّة، رفَدَ يرفدُ من الرِّفدِ وأرفدْتهُ، أعنتُه على ذلكَ.

(٤) في الأغاني: فأخبريني عن الأرض. الفجاج: جمع فجّ، وهو السَّعة بين نشازَيْن.

(٥) في الأغاني: وذو الغِنى مُختلّ، وذو الحسد منفلّ، قال: وما سبب ذلك؟ قالت: أصابتنا سنون... مظلمة. المَبرك معتلّ: الإبل معتلّة.

(٦) ذو العيال مختلّ: محتاج الخَلّة: الحاجة.

(٧) الهالك للقلّ: من أجل القِلّة.

(٨) مُسنِتون: مُقحِطون.

(٩) مُجحفة: قاشِرة.

(١٠) مُبلطة: مُلزمة بالبَلاط، أي الأرض الملساء.

(١١) في الأغاني: فصيلًا ولا ربعًا، ولم تُبقِ عافِطة. لا عافِطة ولا نافِطة: أي لا ضائنة ولا ماعزة، كقولنا لا سَبَد ولا لَبَد.

(١٢) في الأغاني: فقد أهلكت الرجال، ومزّقت العيال، وأفسدت الأموال.

قاتَلها الله، واللهِ ما أصابَ صِفتي شاعرٌ مذ دخلتُ العراقَ غيرُها، ثم التفتَ إلى عنبسةَ بن سعيد[١] فقال: واللهِ إني لأعدّ للأمر، عسى أن لا يكون أبدًا، ثم التفتَ إليها، فقال: حسبُكِ.

قالت:

إني قد قلت أكثر من هذا، قال: حسبُكِ، ويحكِ حسبُكِ. ثم قال: يا غلام اذهبْ إلى فلان فقلْ له اقْطع لسانَها، فذهبَ بها، فقال له: يقولُ لكَ الأميرُ اقطعْ لسانها.

فأمرَ بإحضار الحجّام، فالتفتتْ إليه فقالت:

ثكلتكَ أمُّكَ، أما سمعتَ ما قال! إنما أمركَ أنْ تقطَع لساني بالصّلةِ، فبعث إليه، يستثبتُه، فاستشاط الحجّاجُ غضبًا، ورجعت إليه، فقالت له:

كادَ وأمانةِ اللهِ يقطعُ[٢] مِقولي. فأنشدته شعرًا[٣]، وأُعجبَ به. وسألها عن تَوبةَ بنِ الحمير، فقال لها:

يا ليلى، ما الذي رابهُ من سفوركِ؟ قالت:

أيّها الأميرُ، كان يُلمّ بي كثيرًا[٤]، فأرسلَ إليّ يومًا أنّي آتيكِ، وفطِنَ الحيُّ، فأرصدوا له، فلما أتاني سفرتُ عن وجهي فعَلمَ أنَّ ذلك لشرّ، فلم يزد على التسليم والرجوع.

قال الحجّاج:

للهِ درُّكِ، هل رأيتِ منهُ شيئًا تكرهينَهُ، قالت: لا والله الذي أسألُه أن يصلحَكَ، غير أنّه قال مرّةً قولًا، ظننتُ أنه قد خضع لبعضِ الأمر. وأنشدتْ شعرها في توبة وقالت:

فلا واللهِ الذي أسألهُ أن يصلحَك، ما رأيتُ منه شيئًا حتّى فرّق الموتُ بيني وبينه..[٥]

(١) عنبسة بن سعيد: أحد رجال الحجاج في العراق.

(٢) في الأغاني: كاد وعهد الله يقطع...

(٣) في الأغاني: حين قالت: غلام إذا هزّ القناة سقاها. قال لها: لا تقولي غلامٌ، قولي هُمام.

(٤) في أخبار النساء: أصلح الأمير، لم يرَني قطّ إلّا متبرقعة وكان أرسل إليّ رسولًا، أنّه يلمّ بنا، ففطن الحيّ لرسوله، فأعدّوا له وكمِنوا، وفطنتُ لذلك، فلم يلبث أن جاء، فألقيتُ برقعي، وسفرتُ له. فلما رأى ذلك أنكره، وعرف الشرّ فلم يزد أن سلّم عليّ، وسأل عن حالي وانصرفَ راجعًا.

(٥) في أخبار النساء: فلا والذي أسأله صلاحَك، ما كلّمني بشيء بعدها استربته، حتى فرّق الدهر بيني وبينه.

قال الحجّاج: ثم مهْ؟

قالت ليلى:

ثم لم يلبثْ أنْ خرجَ في غزاةٍ له، فأوصَى ابنَ عمّ له: إذا أتيتَ الحاضرَ من بني عبادة، فنادِ بأعلى صوتِكَ:

عفا الله عنها هل أبيتنّ ليلةً
من الدهر لا يسْري إليّ خيالُها

وأنا أقول:

وعنه عفا ربّي وأحسنَ حالَه
فعزّتْ علينا حاجةٌ لا ينالُها

قال: ثم مهْ؟

قالت: ثم لم يلبث أن مات.

فقال محسن الفقعسي أحدُ جلساء الحجّاج: إنّي لأظنها كاذبةً!

فنظرتْ إليه، وقالت:

أيها الأمير، إن هذا القائل لو رأى توبةَ لسرّهُ أنْ لا تكون في داره عذراءُ إلّا وهي حامل منه، فقال الحجّاج[1]:

أكنتِ تحبّينَ توبةَ؟ قالت: نعم أيها الأمير، وأنتَ لو رأيته أحببْتهُ، قال الحجّاج:

هذا وأبيكِ الجوابُ! وقد كنتُ عنه غنيًا، سَلِي يا ليلى تُعْطَيْ.

قالت: أعطِ فمثلكَ أعطى فأحسنَ.

قال: لكِ عشرون، قالت: زِدْ فمثلُك زادَ فأكمَل.

قال: لكِ ثمانون، قالت: زِدْ فمثلُك زادَ فتمّم. قال: لكِ مائة، واعلمي أنها غنمٌ.

قالت: معاذَ الله أيّها الأمير، أنتَ أجودُ جودًا، وأمجدُ مجدًا، وأورَى زندًا، من أن تجعلَها غنمًا. قال: فما هي ويحَكِ يا ليلى!؟

قالت: مائةٌ من الإبل، برُعاتِها، فأمر لها بها، ثم قال: ألكِ حاجةٌ بعدها؟

قالت: تدفع إليّ النابغةَ الجعدي. قال: قد فعلتُ، فهرب النابغةُ إلى عبد الملك بن مروان ولحقتْه إلى خراسان، وماتت هناك[2].

ـ ٣ ـ حوار ليلى والحجّاج

أُعجِب الحجّاج بابن ليلى، وما رآه من شبابه فسألها عنه، فقالت[*]:

(١) إضافة العبارة فقط من: نثر الدرّ ٤/ ١٤.

(٢) يُقال أنّها ماتت إلى جانب قبر توبة (الأغاني ١٠/ ٨٢) ويروى أنّها ماتت بالري (المصدر نفسه).

(*) العقد الفريد ٦/ ٥.

إنـي والله مـا حـملتُه سـهوًا[1]، ولا وضعتُه يتنًا، ولا أرضعتُه غيلًا، ولا أنمتُه نيقًا[2] أي لم أنوّمْهُ مستوحشًا باكيًا.

ـ ٤ ـ حوار ليلى ومعاوية[*]

سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيليّة، عن توبة بن الحمير. فقال: ويحكِ يا ليلى، أكما يقول الناس كان توبةُ؟ قالت:

يا أميرَ المؤمنين ليس كلُّ ما يقول الناسُ حقًّا، والناسُ شجرةُ بغْيٍ، يحسدُون أهلَ النِعَم، حيثُ كانت، وعلى من كانتْ، ولقد كان يا أميرَ المؤمنين سبطَ البنان، حديدَ اللسان، شجًا للأقران، كريمَ المختبر، عفيفَ المئزر، جميلَ المنظر، وهو يا أميرَ المؤمنين، كما قلتُ لهُ. قال: وما قُلتِ لهُ؟

قالت: قلتُ ولم أتعدَّ الحقَّ، وعِلمي فيهِ:

بعيدُ الثرى، لا يبلغُ القومُ قعرَهُ
ألدّ ملدٌّ، يغلبُ الحقُّ باطلَه

قال معاوية:

ويحكِ، يزعم الناسُ أنّهُ كان عاهرًا، خاربًا، قالت، من ساعتها:

معاذَ إلهي كان واللهِ سيّدًا
جوادًا على العِلّات جمًّا نوافلهُ

قال معاوية: ويحكِ، يا ليلى، لقد جُزْتِ بتوبةَ قدرَهُ.

قالت: واللهِ يا أميرَ المؤمنين، لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنّي مُقصّرةٌ في نعتِهِ، وأنّي لا أبلغُ كُنْهَ ما هو أهله.

قال معاوية: مِنْ أيّ الرجالِ كان؟

قالت: أتته المنايا حين تمَّ تمامُه
وأقصرَ عنه كلُّ قرنٍ يُصاولهُ.

فأمر لها بجائزة عظيمة، وسألها عن أجود شعرها في توبة، قالت: يا أميرَ المؤمنين ما قلتُ فيه شيئًا، إلّا والذي فيه من خصالِ الخيرِ، أكثرُ منه، ولقد أكثرَ منه، أجدتُ حين قلتُ:

---

(١) شرح النص في العقد الفريد كما يأتي: سهوًا أي في بقايا الحيض، وضعًا وتضعًا أي في استقبال الحيض، يتنًا: منكسًا، غيلًا: لبنًا فاسدًا.

(٢) نِيق: نَوق: نَقّى الشحمَ من اللحم، وهو استخدام مجازي بمعنى المذلل، استنوق الجمل أي أصبح مثل النوق مذلّلًا.

(*) الأغاني ١٠/٦٩ و ٧٩. قد يكون في رواية الأغاني مبالغة إذ أن معاوية حكم عشرين سنة وهو خليفة من ٤١ ـ ٦١ هـ وكانت وفاة ليلى حوالي ٨٠ هـ فالمدّة متباعدة بين التاريخين، فقد يكون الحوار مع رجل آخر غير معاوية، أي متأخر عنه، والله أعلم.

جزَى اللهُ خيرًا والجزاءُ بكفِّهِ
فتًى من عقيلٍ سادَ غيرَ مكلَّفِ
فتًى كانتِ الدنيا تهونُ بأسرِها
عليهِ ولا ينفكُّ جمُّ التصرّفِ

ـ ٥ ـ حوار ليلى الأخيلية وعبد الملك(*)

دخلَ عبدُ الملك يومًا على زوجته، عاتكةَ بنتِ يزيد بن معاوية، فرأى عندها امرأةً بدويّة أنكرَها، فقال لها:

من أنتِ، قالت: أنا الوالهةُ الحَرّى ليلى الأخيليّةُ، قال: أنتِ التي تقولينَ:

أُريقتْ جفانُ ابنِ الخليعِ فأصبحتْ
حياضَ الندى زلّتْ بهنّ المراتبُ

قالت: أنا الذي أقولُ ذلك، قال: فما أبقيتِ لنا؟

قالت: ما[1] أبقاهُ اللهُ لكَ. قال: وما ذاكَ؟

قالت: نسبًا ونشبًا[2]، وعيشًا رخيًّا، وأمرة مطاعة، قال: أفردتِه بالكرَم. قالت: أفردتُه بما انفرد[3] به. قالت عاتكة:

إنّها قد جاءت تستعينُ بنا عليك، لِتسقيَها[4]، وتحمي لها، ولستُ ليزيد إنْ شفَّعتَها في شيءٍ من حاجاتِها، لتقديمها أعرابيًا، جَلِفًا على أمير المؤمنين، قال:

فوثبتْ ليلى فجلستْ على راحلتها[5]، فأنشدتْ شعرًا.

ـ ٦ ـ حوار

وفي رواية أنَّ ليلى دخلتْ على عبد الملك بن مروان فقال لها(**):

ما رأى منكِ توبةُ حتى عِشقَكِ؟! قالت:

ما رأى الناسُ منكَ حينَ جعلوكَ خليفةً!

ـ ٧ ـ مثل

قالت ليلى(***):

أحيا من فتاةٍ، ومن هديّ.

وهي المرأة تُهدى إلى زوجها، قالت ليلى في توبة بن الحميّر:

(*) بلاغات النساء ١٤٧ والأغاني ١٠/٨٣.
(١) في الأغاني: الذي أبقاه الله...
(٢) في الأغاني: نسبًا قرشيًا، وعيشًا رخيًا، وامرأة مطاعة.
(٣) في الأغاني: بما أفرده الله به.
(٤) في الأغاني: في عين تسقيها وتحميها لها.
(٥) في الأغاني: فقامت على رجلها.
(**) النجوم الزاهرة ١/ ١٩٤.
(***) مجمع الأمثال ١/ ٣٨٨.

فتًى كان أحيا من فتاةٍ حَييَّةٍ
وأجرأ من ليثٍ بخَفَّانِ خادِرِ[1]

(١) خفّان: اسم موضع.

(٣٧)

هند بنت أسماء بن خارجة الفزاريّ

هندُ بنتُ أسماءَ بنِ خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، كان أبوها أسماءُ تابعيًا من الطبقة الأولى، من أهل الكوفة، توفي سنة ٦٦هـ.[١] وله ثمانون سنة.

كانت من أعقلِ النساء، ومن بيتِ شرفٍ وعزّ بين العرب، يروَى أنّ أبا حماد عجرد الراوية، كان مولًى لبني هند بنت أسماء، وكان وكيلًا لها في ضَيعَتِها بالسواد، تزوّجها بشرُ بنُ مروان، ثم تزوّجها الحجّاجُ الثقفيّ.

أخبارُ أخيها مالكٍ مع الحجاج في كتاب الأغاني مفصلة، كانت هندٌ هي الوسيطُ بين مالك وبين زوجها، حين حبَسه في إصبهان، ولما أراد الحجّاجُ إطلاقه من سجنه بعد وقعة بنات قين، طلبَ الحجّاجُ إلى زوجته هند أن تقوم على أخيها، فتُخرِجَهُ من سجنه، قالت له[٢]:

لا أقومُ عليه، وأنتَ ساخطٌ عليه.

وهذا الموقف له دلالتان، الأولى احترامُها العظيم لزوجها فيعزّ عليها أن يبقى ساخطًا على أخيها، فأرادتْ إصلاح ما بين زوجها وأخيها، والدلالة الثانية، احترامُ زوجها لرأيها واستجابتهُ لمطلبِها، ومكانتُها في نفسِه، وفي المجتمع الذي يُحيط بها.

لم يرد في المصادر شيء يُذكَر عن وفاتها أو شؤونِ حياتها الأخرى، إلّا أنه ورد في الأغاني ما رُوي عن وفادة ليلى الأخيليّة على الحجّاجُ، وإلقائها الكلام الجميل والشعر العذب، وتقديم شكواها واليَ اليمامة، فأمرَ الحجّاجُ زوجَتهُ هندًا أن تقوم بضيافتها وإكرامها من حليّها[٣].

وكان كثير من أهلِ الكوفة يحتكمون إليها في نزاعاتِهم، لرجاحةِ عقلها.

١ ـ هند بنت أسماء بن خارجة

أطلقَ الحجّاجُ مالكَ بنَ أسماء من

(١) ينظر الفاضل ٢/ ٨٢ والإصابة ١/ ١٠٤.

(٢) ينظر الأغاني ١٠/ ٨٤.

(٣) ينظر الأغاني ١٦/ ٤١.

السّجن، وقال لأختِهِ هند، قومي إلى أخيك، فقالت(*):

لا أقومِ إليه وأنتَ ساخط عليه.

فأقبل الحجّاج على مالك وقال: إنك والله، ما علمتُ الخائنُ لأمانتِهِ اللئيمُ حسبُه، الزاني فرجُه.

قالت هند:

إن أذنَ لي الأميرُ تكلّمتُ، فقال: تكلّمي، قالت:

أما قول الأمير الزاني فرجه فوالله لهو أحقرُ عند الله، وأصغرُ في عين الأمير، من أن يجبَ للهِ عليه حدٌ، فلا تقيمهُ، وأما قولُ اللئيم حسبُه فوالله لولا عِلم الأمير مكانَ رجل أشرفَ منهُ، لصاهرَ إليه، وأما قولُ الخائن أمانتهُ، فوالله لقد ولّاه الأمير فوفر، فأخذه بما أخذهُ به فباع ما وراء ظهرهِ، ولو ملكَ الدُنيا بأسرِها، لافتدَى بها من مثل هذا الكلام.

فأعجبَ ذلك الحجّاج من قولها.

ـ ٢ ـ هند بنت أسماء بن خارجة(**)

قالتْ حين خطَبها اسماعيلُ بنُ طلحة(١):

والله إنه لكريمٌ، ولكني إنما أريد رجلًا يصلحُ للعِراقَيْن، البصرة والكوفة، وما اختير صاحبُكم في هذه الفتنة، ولا أرِبَ(٢)، إنما أبغي رجلًا لا يودَى قتيلُه(٣) ولا يُفكّ أسيرُه(٤).

ـ ٣ ـ هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري

خطبها عمرانُ بنُ موسى بن طلحة(٥)، فردّتْهُ، وقالت(***):

إنّي والله ما بي عنك رغبةٌ، ولكن لا أتزوجُ إلّا من لا يودَى(٦) قتلاه، ولا يُردُّ قضاؤهُ، وليس ذلك عندكَ.

(*) بلاغات النساء ١٤٠.

(**) بلاغات النساء ١٥١.

(١) اسماعيل بن طلحة: رجل من العرب في العصر الأموي.

(٢) أرب: أرب أربًا، حاجة.

(٣) لا يودَى قتيلهُ: لا يطلب الديّة من أهل القاتل بل يأخذ بثأره ببطولة وشجاعة.

(٤) ولا يُفكّ أسيرهُ: أي يذهبُ هو ويدافع عن أسيرهِ، دون أن يَطلبَ فكاكَ أسيرهِ بالأموال.

(٥) عمران بن موسى بن طلحة: رجل من سادات العرب في العصر الأموي.

(***) بلاغات النساء ١٣٣.

(٦) لا يُودَى: لا يقبل الديّة، وإنما يثأر بقتل رجال مكان قتيله.

(٣٨)

أخت عبدالله بن عامر بن ربيعة ومعاوية

حوار

استعدتْ أختٌ لِعبد الله بن عامر بن ربيعة معاويةَ على أخيها، فلم يعدْها[١].

فقال له عبدالله: إني والله يا أمير المؤمنين ما أخاف عليك من الناس كلّهم، إلّا من هذه المرأة، فإنها بذيئة اللسان. فوكّل معاوية بنفسه في محفظة منها، وخرج في الناس، فلم يفجأه إلّا المرأة قد بلغتْ مركبَه، واعترضتْ طريقه، وأخذت بلجام بغلته، فقالت[*]:

يا أميرَ المؤمنين أعِنّي على شبهِ البغلِ الذي لم ينسبْه أباهُ، ولا أمّه.

فاعترضها الضحّاكُ بن قيس، فقال:

أسكتي يا عدوّة الله، فأقبلتْ على معاوية وقالت: يا أمير المؤمنين من هذا؟ قال: أوَ ما تعرفينه؟ قالت: لا فمن هو؟ قال: الضحّاكُ بن قيس الفهري[٢]، فضحكت ثم قالت:

نمير كثير ولا طيّب هذا الذي يقول فيه الشاعر[٣]:

قصير القميص فاحش عند بيته
ونسر قريش في قريش مركّبا

فاعترضها مروانُ بنُ الحكم فقال: أسكتي يا عدوّةَ الله، فأقبلتْ على معاوية فقالت:

يا أميرَ المؤمنين، من هذا؟ قال: أو ما تعرفينَه، قالت: لا فمن هو؟ قال: مروانُ بن الحكم. قالت: غير كثير ولا طيّب، أما والله لو كانت أمُّكَ قرشيةً، لحميتَ لي.

(١) عبدالله بن عامر هو أحد رجال معاوية المقرّبين.

(*) ينظر مخطوطة (كتاب الوفود) الورقة ٢٦ أ.

(٢) الضحّاك بن قيس هو زعيم قبائل قيس، من أنصار معاوية، والي الكوفة، قتل في مرج راهط.

(٣) الشاعر لم أعثر على اسمه.

(٣٩)

أختُ النعمان بن بشير بن سعد الأنصاريّ

والدها بشيرُ بن سعد استُشهد في عين التمر مع خالد بن الوليد وكان صحابيًا، وهو أوّل من بايع أبا بكر من الأنصار[١] وأخوها النعمان أوّلُ مولود في الإسلام بعد الهجرة، من الأنصار[٢] وأمّها عمرةُ بنتُ رواحة، تغزّل بها قيسُ بن الخطيم قبل الإسلام وقال:[٣]

وعمرةُ من سروات النساء
تنفحُ بالمسك أردانها

لم أجد اسم الأديبة (أخت النعمان)[٤]، في كتب التراث إلّا أنها روت قصة قصيرة عن بركة رسول الله ﷺ. وسيأتي ذكرها.

أخت النعمان بن بشير بن سعد

قالت[*]:

دعتني أمي عمرةُ بنتُ رواحة فأعطتني حفنةً من تمر في ثوبي، ثم قالت:

أي بنيّةُ، اذهبي إلى أبيكِ، وخالكِ عبدالله بن رواحة، بغذائهما، قالت: فأخذتُها فانطلقتُ بها، فمررتُ برسول الله ﷺ، وأنا ألتمسُ أبي وخالي، فقال: تعالي يا بنيّة، ما هذا معكِ؟ قالت: يا رسولَ الله، هذا تمرٌ، بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رواحة يتغدّيانه، قال: هاتيه، قالت:

فصببْتُه في كفّيّ رسول الله ﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبُسِطَ له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدّد فوق الثوب، وقال لرجل: اصرخ في أهل الخندق، أن هلمّ إلى الغداء.

فاجتمع أهل الخندق[٥] فجعلوا

---

(١) ينظر الإصابة ١/١٥٨.
(٢) ينظر الإصابة ٣/٥٥٩.
(٣) ينظر الإصابة ٤/٣٦٦.
(٤) في سيرة ابن هشام ٣/٢١٨ (ابنة بشير بن سعد).
(*) سيرة ابن هشام ٣/٢١٨ وأسد الغابة ٧/٤١٤.
(٥) هذه الفقرة من (أسد الغابة) وقال ابن الأثير: (أخرجها أبو موسى) وقد تكون الرواية مبالغة، والله أعلم.

يأكلون، وجعل يزداد حتى صدر أهل
الخندق، وإنه ليسقط من أطراف الثوب،
وهم ثلاثة آلاف.

(٣٠)
أم البراء بنت صفوان

حوار أم البراء بنت صفوان ومعاوية

استأذنتْ أمّ البراء بنتُ صفوان بن هلال على معاوية فأذِن لها. فدخلت في ثلاثة دروع تسحبُها قد كارت على رأسها كورًا كهيئة المنسف، فسلّمت ثم جلست، فقال(*):

كيف أنتِ يا بنت صفوان؟(١)

قالت: بخير يا أمير المؤمنين. قال: فكيف حالك؟(٢)

قالت: ضَعفتُ بعد جلد(٣)، وكسلْتُ بعد نشاط.

قال: سيّان بينكِ اليوم. وحين تقولين:

يا عمرو دونكَ صارمًا ذا رونقٍ
عضبِ المهزّة ليس بالخَوّارِ(٤)

(*) بلاغات النساء ٧٨ وصبح الأعشى ١/ ٢٦١.
(١) في صبح الأعشى: يا ابنة صفوان.
(٢) في الصبح: كيف حالك..
(٣) في الصبح: بحذف العبارة.
(٤) في الصبح: يا زيدُ.

قالت:

قد كان ذاك يا أمير المؤمنين(٥)، ومثلُك عفا، والله تعالى يقول: عفا الله عمّا سلف(٦).

قال: هيهاتَ، أما إنّه لو عاد لعُدْتِ(٧)، ولكنّه اختُرِمَ دونكِ(٨)، فكيف قولُك حين قُتِل؟

قالت: نسيتُه يا أمير المؤمنين.

فقال معاوية: قاتلكِ الله يا بنت صفوان ما تركتِ لقائلٍ فقال مقالًا(٩)، اذْكري حاجتَكِ، فقالت: هيهاتَ بعد هذا(١٠) واللهِ ما سألْتُكَ شيئًا، ثم قامت فعثرتْ. فقالت: تَعِسَ شانِئ عليّ.

(٥) في الصبح: قد كان ذلك (مع حذف أمير المؤمنين).
(٦) في الصبح: «ومن عاد فينتقم الله منه» مع حذف العبارة التي سبقتها.
(٧) في الصبح: أما والله لو عاد.
(٨) في الصبح: اخترم منك، قالت: أجل، والله إنّي لعلَى بيّنةٍ من ربّي وهدى من أمري.
(٩) في الصبح: فما تركت مقالًا لقائل.
(١٠) في الصبح: قالت: أمّا الآن فلا، وقامتْ فعثرتْ.

فقال: يا بنت صفوان، زعمت ألّا[1]، قالت: هو ما علمتَ. فلما كان من الغد بعثَ إليها بكسوة ودراهم، وقال: إذا أنا ضيّعتُ الحلمَ فمن يحفظهُ.

(١) في الصبح: أن لا.

(٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣)

أمّ البنين

خلط الأستاذ عمرُ رضا كحالة بين ثلاث نسوة، من الشخصيات الأدبيّة، في أسرة الخلافة الأمويّة، وهي:

١ ـ أمّ البنين بنتُ عبد العزيز، وقصّتها معروفة لدى الباحثين، عن وضّاح اليمن ومصرعه.

٢ ـ أمّ البنين بنت عمر بن عبد العزيز التي عُرفتْ بالزهد والتقوى، وصَفها ابنُ الجوزيّ بقوله[١]:

كانت تعتقُ كلّ جمعة رقبةً، وتحمل على فرس في سبيل الله، واشتهرتْ ببعض أقوالها التي وصلت إلينا، نعرف من خلالها، فصاحتها، وجزالة كلامها، وحبَّها للخير، وصلاحِ الدنيا، وحبّ الآخرة.

٣ ـ أمّ البنين بنت عبد الملك بن مروان، وهي كما يتبيّن من اسمها، أخت الوليد ابن عبد الملك بن مروان، وليس كما ذكر عمر رضا كحّالة في أعلام النساء[٢] قصّة وفادة الحجّاج الثقفي على الوليد بن عبد الملك، إذ خلط بين الشخصيات الثلاثة، وجعلهنّ امرأة واحدة.

والحقيقة فإن لكل واحدة منهنّ شخصيتها التي تميّزها، وخلقها التي اتّصفتْ به، وحياتها الخاصة بها، وتدلّ على ذلك المصادر التي ذكرت آنفًا، وما وصل عن نصوصهنّ الأدبيّة في القول والحكمة والحوار، مما استطعتُ الحصول عليه. والله أعلم.

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٧١.

(٢) ينظر أعلام النساء ١/ ١٥٠.

(٣١)

أمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان و وضّاح(*)

«حوار»

نشأ وضّاحُ اليمن وأمّ البنين صغيريْنِ بالمدينة، فأحبّها وأحبّته. وكان لا يصبرُ عنها، حتّى إذا شبّتْ، حُجبتْ عنه، فطال بهما البلاء. وخطبها الوليدُ بنُ عبد الملك لعلمِها وأدبها وجمالِها، فازداد بلاءُ وضّاح اليمن وحزنه، فقدم إلى الشام. وبالمصادفة أصبح إلى جانب القصر، فسأل إحدى الجواري عن أمّ البنين، فقالت:

عن مولاتي تسألُ؟ قال: هي ابنةُ عمّي وإنّها لتُسرُّ بموضعي إن أخبرْتِها.

قالت: فأنا أُخبرها. فقالت: ويلكِ أحيٌّ هو؟

قالت الجارية: نعم يا مولاتي.

قالت: إرجعي إليه وقولي له، كن مكانكَ حتّى يأتيكَ رسولي، فإنّي لا أدع الاحتيالَ لكَ.

فأدخلته في صندوق، ومكث عندها حينًا، فإذا أمنتْ أخرجته فقعد معها.

فأُهدي للوليد جوهرٌ، أرسله إلى زوجته بيد أحد الغلمان، وحين دخل الخادمُ عرف سرَّ المرأة واستغلَّ ذلك، فوشى بها عند زوجها، وحضر الوليدُ غرفتها، وفي الصندوق وضّاح قد اختبأ، فقال الوليد:

هبي لي صندوقًا. قالت: أنا لكَ يا أمير المؤمنين، وهي لكَ فخذ أيها شئت، قال[1]: ما أريد إلّا هذا الذي تحتي.

قالت: يا أمير المؤمنين إن فيه شيئًا من أمور النساء.

لكنّه أصرَّ على طلبه، قالت: فهُو لَكَ.

فأخذ الصندوقَ ودفَنهُ في بئر وغطاه بالتراب ووضاحٌ فيه حيّ، حتّى مات.

وبقيَتْ أم البنين باكية من تعذيب الضمير حتّى ماتتْ.

(*) أخبار النساء ١٥٦.

(١) رويت القصّة في الأغاني بصورة أخرى فيها كثير من الخيال والمبالغة (الأغاني ١١/ ٤٩).

(٣٢)

أمّ البنين بنت عمر بن عبد العزيز بن مروان

أقوال

ـ ١ ـ

قالت(*):

أفّ للبخلِ، لو كان قميصًا ما لبستهُ، ولو كان طريقًا ما سلكتُه(١).

ـ ٢ ـ

وكانت كثيرة التعبّد، كثيرة السخاء، قالت(**):

أحبُّ حديثكُنَّ، فإذا قمتُ في صلاتي لَهوْتُ عنكنَّ، ونسيتُكنَّ.

ـ ٣ ـ

وكانت تعطي الفقراء الكسوة والدنانير، فقالت(***):

جعلَ الله لكلّ قومٍ نهمةً في شيء، وجعلتُ نهمتي في البذل، والإعطاء، واللهِ للصِلةُ، والمواساةُ، أحبُّ إليّ من الطعام الطيّب على الجوع، ومن الشرابِ البارد على الظمأ.

ـ ٤ ـ

وقالت(****):

وهل ينالُ الخيرُ إلّا باصطناعِه.

وقالت أيضًا:

ما حسدتُ أحدًا قطّ على شيء، إلّا أن يكون ذا معروف، فإنّي كنت أحبُّ أن أشركه في ذلك(٢).

ـ ٥ ـ «حوار»

يُروى أنّ عزّة دخلت على أمّ البنين فقالت لها(*****):

ما يقول كثير:

قضى كلُّ ذي ديْن علمتُ غريمهُ
وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها

(*) صفة الصفوة ٤/ ٢٧١، المستطرف ١/ ١٧١.

(١) في المستطرف، نسب إلى أخت عمر وروى: أن البخل.... أوكان..

(**) صفة الصفوة ٤/ ٢٧١.

(***) المصدر نفسه.

(****) المصدر نفسه.

(٢) وقال ابن الجوزي في المصدر نفسه: كانت تعتق في كل جمعة رقبة، وتحمل على فرس في سبيل الله.

(*****) صفة الصفوة ٤/ ٢٧١.

ما كان هذا الدين يا عزّة؟ فاستحيَتْ، فقالت:

عليَّ ذلكَ، قالت: كنتُ وعدتُه قبلةً، فتحرّجتُ منها.

قالت أمّ البنين: أنجزيها له، وإثمها عليَّ. وندمتْ أمُّ البنين لكلمتها هذه، فأعتقتْ أربعين رقبة، وإذا ذكرتْها بكتْ وقالت: ليتني خرِسْتُ ولم أتكلّمْ.

وقالت: ما تحلّى المُتحلّون بشيء أحسنَ عليهم من عِظَمِ مهابة اللهِ في صُدورِهم.

(٣٣)

أمّ البنين بنتُ عبد الملك بن مروان(*)

قدِم الحجّاج على الوليد بنِ عبد الملك فدخل عليه، وعليه درعٌ وعمامة سوداء، وقوسٌ عربيّة، وكنانة، فبعثتْ إليه أمّ البنين:

مَن هذا الأعرابيّ؟ المستلئم في السلاح عندك، وأنت في غلالةٍ؟

قال: هذا الحجّاجُ، فأعادتِ الرسول إليه، وقالت:

واللهِ لئن يخلو بكَ مَلكُ الموت أحبّ إليّ من أنْ يخلوَ بكَ الحجّاجُ.

فأخبره الوليد، وهو يمازحُهُ، فقال الحجّاجُ:

يا أميرَ المؤمنين، دع عنكَ مفاكهةَ النساء بزخرف القول، فإنّما المرأة ريحانةٌ، وليست بقهرمانةٍ، فلا تطلعها على سرّكَ، ومكايدة عدوّكَ.

فأخبرها الوليد بمقالة الحجّاج. فقالت أمّ البنين:

يا أميرَ المؤمنين، حاجتي أن تأمره غدًا يأتيني مسلمًا. ففعل، فلما أتى الحجّاجُ حجبتْهُ، فلم يزل قائمًا، فقالت له:

إيه يا حجّاج، أنت الممتنُّ على أمير المؤمنين، بقتلك عبدالله بن الزبير، وابن الأشعث، أما واللهِ لولا أن الله علمَ أنّك من أشرار خَلقِهِ، ما ابتلاكَ برمي الكعبة، وقتلِ ابن ذاتِ النطاقين، أوّلِ مولود ولد في الإسلام، وأما نهيُكَ أميرَ المؤمنين عن مفاكهة النساء، وبلوغ أوطاره[1] منهن، فإنْ كنَّ ينفرجنَ عن مثلك، فما أحقه بالأخذ عنكَ، وإنْ كنَّ ينفرجنَ عن مثله[2] فغيرُ قابل لقولك. أمَا والله لقد نقضَ كساء أمير المؤمنين الطِيِّب عن غدائرهنّ، بعثكَ في أعطيةِ أهل الشام، حتّى كنت في أضيقِ من الفرق[3]، قد

(*) العقد الفريد ٥/٢٧.

(١) أوطار: جمع وطر، الحاجة والبغية.

(٢) ينفرجن: الفرجة، الخلوص من الشدّة والهمّ.

(٣) الفَرَق: الفزع، الفَرْق: الطريق في شعر الرأس.

أظلتكَ رماحهُم، وأثخنتك كفاحهم[1]. وحتّى كان أميرُ المؤمنين أحبَّ إليهم من آبائهم وأبنائهم، فما نجاكَ الله، من عدوِّ أمير المؤمنين إلّا بِحبّهم إيّاه، ولله درُّ القائل إذ نظر إليكَ وسِنانُ غزالةَ[2] بين كتفيكَ:

أسدٌ عليَّ، وفي الحروب نعامةٌ
ربداءُ تجفلُ من صفيرِ الصّافرِ[3]

هلّا برزتَ إلى غزالةَ في الوغى
بل كان قلبكَ في مخالب طائرِ

صدعتْ غزالةُ جمعَه بعساكرٍ
تركت كتائبَه كأمسِ الدابرِ

ثم قالت له:

أُخرج. فخرج.

---

(١) كفاحهم: مواجهتهم.

(٢) غزالة الحرورية: من الخوارج التي حاربها الحجّاج.

(٣) ربداء: رَبد: أقام، الأربد والربداء: ما كان فيه ربدة، أي فيه غبرة.

(٣٤)

أم جعفر(*)

حوار أم جعفر والأحوص

أمّ جعفر امرأة من الأنصار، من بني خطمة بن عبدالله بن عرنطة، كانت عفيفةً ذكيّة، أنشد الأحوص كثيرًا من شعرهِ في التغزلِ بها.

جاءت أمُّ جعفر يومًا إلى مجلس الأحْوص، متنقبةً، فوقفتْ عليه في مجلس قومه، وهو لا يعرفُها، فقالت:

اِقضِ ثَمن الغنم التي ابتعتها منّي، قال: ما ابتغتُ منكِ شيئًا، فأظهرتْ كتابًا قد وضعتهُ عليه، وبكتْ وشكتْ حاجةً، وضرًّا وفاقةً، وقالت:

يا قوم كلّموهُ، فلامَه قومُه. وقالوا: اِقضِ المرأة حقَّها، فجعل يحلفُ أنه ما رآها قطّ، ولم يرَها، فكشفتْ وجهها وقالت:

ويحكَ أما تعرفُني؟

فجعل يحلفُ مجتهدًا أنّه ما يعرفُها، وما رآها قط. حتّى إذا استفاض قولها، واجتمع الناس وكثُر لغطهُم، قالت:

أيّها الناس اسكتوا، ثمّ أقبلت عليه وقالت: يا عدوُّ الله صدقتَ والله، ما لي عليكَ حقٌّ، ولا تعرفُني، وقد حلفتَ على ذلك، وأنتَ صادق، وأنا أمّ جعفر، وأنت تقول:

قلتُ لأمّ جعفر، وقالت لي أمّ جعفر في شعرِكَ، فخجل الأحْوص وانكسر، وبرئت عندهم.

وكان كيدُها عظيمًا، وانتصارها حاسمًا.

(*) الأغاني ٦/ ٥٣.

(٣٥)

أمّ حبيب بنت عبدالله أو بنت عمر بن الأهتم

حوار

خطبها الحسن بن علي بن أبي طالب (رض)، وكانت قد حجّتْ بيت الله الحرام، فقالت(*):

إنّي لم آتِ هذا البلد للتزويج، وإنّما جئت لزيارة هذا البيت، فإذا قدمتُ بلدي، وكانت لكَ حاجة فشأنكَ.

فازداد بها رغبةً. فلمّا صارتْ إلى البصرة، أرسلَ إليها فخطبها، فقال إخوتها إنها امرأة لا يُفتاتُ على مثلها برأي، فأخبروها، فقالت:

إن تزوّجني على حكمي أجبْتُه، فأدّوا ذلك إليه، فقال: امرأةٌ من تميم أتزوجُها على حكمها، وما عسى أن يبلغَ حُكمها لها. فأعطاها ذلك.

قالت:

قد حكمت صِداق أزواج النبي ﷺ وبناته، اثنا عشرَ أوقيةً(١)، فتزوّجها على ذلكَ، وأهدى لها مائة ألف درهمٍ فبنى بها في ليلة قائضة لا حِظار عليه ـ حائط ـ فشدّتهُ بخمارها وَرِجْلها.

فقال: ما هذا.

قالت:

أنا على سطحٍ ليس عليه حظار، ومعي في الدار ضرائر، ولم آمن عليك وسن النوم ففعلت هذا لأنّك إذا تحركتَ، تحركتُ معكَ.

فازدادَ فيها رغبةً وإعجابًا.

ولمّا مات، قالت:

ما كنتُ لآخذ له ميراثًا أبدًا.

(*) بلاغات النساء ١٣٣.

(١) الصحيح اثنتي عشرة أوقية.

(٣٦)
أمُّ خالد بن عبدالله القسري

«رسالة»

كتبت إليه(*):

مِن أمّ خالد، أمّا بعدُ، فقد جاءني كتابُكَ، وفهمتُ ما دعوتَني إليه من دينِكَ، الذي ارتضيتَه لنفسِكَ، ولعَمري، ما ليتني خيرًا عند نفسك(١)، وإن لكَ دِينًا، ولي دينٌ، وزعمتَ أنّه أقوى لك على بِرّي، إذا قربتُ منكَ، ولَعمري إنّك لقويّ على بِرّي، أين كنتَ، واعلمْ يا بنيّ أنّي قرأتُ كتاب الله، إنّهُ من عمِل بكبيرة، اسْودَّ ثلثُ قلبِهِ، فإن عاد اسْودَّ ثلثاه، فإن عاد اسْودَّ قلبُه كلّهُ، ومن عمِل السّيئ، وهو يراه حَسنًا فقد خاسَ(٢)، واعْلمْ يا بنيّ أنّ كلّ ذنبٍ مع الدم أمم(٣).

(*) بلاغات النساء ١٥٠.
خالد بن عبدالله القسري: أمير من قبيلة بجيلة، ولي مكّة زمن الوليد بن عبد الملك، ثمّ ولي العراق، اشتهر بحزمه، قتله يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٦ هـ.

(١) هكذا نقلت عن بلاغات النساء، ولست أرى لها تفسيرًا.

(٢) خاس: كذب.

(٣) أمم: قريب.

(٣٧)

أمُّ الخير بنتُ الحريش البارقية

امرأةٌ من الكوفة من أنصار الإمام علي كرّم الله وجهه، خطيبةٌ فصيحة، أرسل معاوية ابنُ أبي سفيان إلى والي الكوفة، يطلب منه أن يوفد إليه أمّ الخير، ويجزيه بالخير خيرًا، فأوفدها إليه، في دمشق، وقد كان حوارها مع معاوية حوارًا صريحًا، وكلامُها جزلًا، ولهجتُها جريئة، لم تكن تبالي بشيء، وأجابتْ عن كلّ ما سألها من أسئلة عن وقعة صفين وموقفها المعادي له، وهو يستمع لكلامها ويعجب ببلاغتها، وبحلمه وصبره على ما سمع من تقريعها له، وتعنيفها لأصحابه، وأكرمها وأعادها إلى بلادها، ومنحها الأعطيات السخيّة[1].

حوار أمّ الخير بنت حريش ومعاوية

كتب معاويةُ بن أبي سفيان إلى واليه بالكوفة، أن أوفِدْ عليَّ أمَّ الخير بنتَ الحريش بن سراقة البارقية[2] رحلة محمودةَ الصحبة، غير مذمومة العاقبة. واعلمْ أنّي مُجازيك بقولها فيكَ، بالخير خيرًا، وبالشرّ شرًّا، فلمّا علمتْ أمّ الخير بذلك، قالت[*]:

أمّا أنا فغيرُ زائغةٍ عن طاعة، ولا معتلّةٍ بكذب، ولقد كنتُ أحبُّ لقاء أمير المؤمنين، لأمور تختلج في صدري، تجري مجرى النَّفَس، يغلي بها غلي المرجلِ بحَبّ البلسن[3] يوقد بجزْلِ السَّمُر[4]، فلمّا حملَها[5]، وأراد مفارقَتها، قال:

يا أمّ الخير إنّ معاوية قد ضمن لي

---

(١) ينظر بلاغات النساء ٤١ والعقد الفريد ١/ ٢٢٣ وصبح الأعشى ١/ ٢٤٩ والدّر المنثور ٥٧.

(٢) ينظر بلاغات النساء ٤١ والدّر المنثور ٥٧. قالت زينب فواز: كانت من المتكلمات الخطيبات، البليغات من نساء العرب.

(*) بلاغات النساء ٤١، العقد الفريد ١/ ٢٢٣ وصبح الأعشى ١/ ٢٤٩.

(٣) حَبّ البلسن: حَبّ يشبه العدس.

(٤) في العقد وصبح الأعشى: بحذف العبارة من (تجري .... إلى جزل السمر). جزل السمر: الحطب الصلب، والسمر: شجر من العضاه.

(٥) في العقد والصبح: فلما شيّعها.

عليه أن يقبل بقولكِ فيَّ، بالخير خيرًا، وبالشرّ شرًّا، فانظري كيف تكونين[١]. قالت:

يا هذا لا يطمعكَ والله[٢] برُّكَ بي في تزويقي الباطل ولا يؤيسنّكَ معرفتُك إياي أن أقول فيك غيرَ الحقّ[٣]. فسارت خيرَ مسير، فلمّا قدِمتْ على معاوية، أنزلها مع الحرم ثلاثًا، ثم أذِن لها في اليوم الرابع، وجمع لها الناسَ، فدخلت عليه فقالت:

السلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنين[٤]، فقال:

وعليكِ السلام، وبالرغم والله منكِ دعوتِني بهذا الاسم[٥]، فقالت:

مه، يا هذا فإنّ بديهة السلطان مدحضةٌ لما يجبُ علمهُ، قال: صدقتِ يا خالة، وكيف رأيت مسيركِ؟ قالت[٦]:

لم أزل في عافية، وسلامة، حتّى أوفدتُ إلى ملك جزلٍ وعطاء بذْل، فأنا في عيش أنيق عند ملك رفيق[٧]. فقال معاوية:

بحسن نيّتي ظفرتُ بكم، وأعنتُ عليكم[٨]، قالت:

مه، يا هذا، لكَ والله من دحض المقال ما تردى عاقبته[٩]. قال:

ليس لهذا أردناكِ[١٠]. قالت: إنّما

---

(١) في العقد: يا أمّ الخير إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ، أنه مجازيني بالخير.. فمالي عندك.
في الصبح: يا أمّ الخير إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أنّه يجازيني بقولك فيّ.. فما عندك؟.

(٢) في العقد: بحذف (والله).

(٣) في العقد والصبح: برّك بي أن أسرّك بباطل ولا يؤيسْك معرفتي بك أنْ أقول....

(٤) في العقد والصبح: ورحمة الله وبركاته.

(٥) في العقد: وعليك السلام يا أمّ الخير بحقّ ما دعوتني.
في الصبح: وبالرغم منك دعوتيني...

(٦) في العقد: قالت: يا أمير المؤمنين لكلّ أجل كتاب. وحذف العبارة (مه.. قال).
في الصبح: قالت: مه يا أمير المؤمنين فإن... لما يجب علمه ولكلّ أجل كتاب.

(٧) في العقد: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتّى صرت إليك، فأنا في مجلس أنيق..
في الصبح: حتّى صرت إليك فأنا في مجلس أنيق..

(٨) في العقد والصبح: (بحذف وأعنتُ عليكم)..

(٩) في العقد: قالت: يا أمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وما تؤدّى عاقبتُه.
في الصبح: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله من دحض المقال وما تُردى....

(١٠) في العقد: ليس هذا أردنا، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمّار بن ياسر.. =

أجري في ميدانك، فإذا أجريتَ شيئًا، أجريتُه، فاسأل عما بدا لكَ[١]. قال:

كيف كان كلامُكِ، يومَ قُتل عمارُ بن ياسر، قالت:

لم أكن واللهِ رويتُه قبل، ولا زورته بعد[٢]، وإنّما كانتْ كلماتٌ نفثهنّ لساني حين[٣] الصدمةِ، فإن شئتَ أن أُحدِثَ لك مقالًا غير ذلك[٤]، فعلتُ.

قال:

لا أشاءُ ذلك، ثم التفتَ إلى أصحابه، فقال: أيكم حفظ كلام أمّ الخير؟ قال رجل من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين[٥]، وعليها زبيديّ كثيف الحاشية، وهي على جمل أرمك[٦] وقد أحيط حولها حواء، وبيدها سوط منتشر الظُفر، وهي كالفحل يهدر في شقشقته[٧]، تقول:

يا أيّها الناس «اتّقوا ربّكم، إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم»[٨]، إنّ الله قد أوضحَ الحقّ[٩] وأبان الدليل، ونوّرَ السبيل، ورفع العِلْم، فلم يدعكم في عمياءَ مبهمةٍ[١٠]، ولا سوداءَ مدلهمة، فإلى أين تريدون رحمكم الله[١١]، أفرارًا من أمير المؤمنين، أم فِرارًا من الزحف، أم رغبةً عن الإسلام، أم ارتدادًا عن الحقّ، أما سمعتُم الله عزّ وجلّ يقول:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[١٢] ثمّ رفعت

= في الصبح: برواية العقد نفسها، و(يوم قتل عمار...).

(١) في العقد و الصبح: بحذف العبارة.

(٢) في العقد والصبح: لم أكنْ والله زورته قبل، ولا روّيته بعد.

(٣) في العقد: نفثها لساني عند.

(٤) في العقد: فإن أحببْتَ.

(٥) في العقد: أنا أحفظ بعض كلامها.. في الصبح: أنا أحفظه.. كحفظي سورة الحمد..

(٦) جمل أرمك: أرمكَ إرماكًا، كان في لون الرماد، صفة للبعير.

(٧) في العقد: كأنّي بها بين بردين زئبريّين كثيفي النسيج، وهي على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الظفيرة، وهي كالفحل يهدر في شنشنته تقول...

في الصبح: قال نعم كأنّي بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها بُردٌ زَبيديّ كثيف الحاشية.

شقشقته: شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج.

الشنشنة: الخلق والطبيعة، العادة، القطعة من اللحم.

(٨) سورة الحج الآية ١.

(٩) في العقد: قد أوضح لكم...

(١٠) في العقد: ولم.... مدلهمة. وحذف (ولا سوداء مدلهمة).

(١١) في العقد: فأين تريدون.

(١٢) سورة محمد الآية ٣١.

رأسَها إلى السماء وهي تقول:

اللهمّ قد عِيل الصبرُ، وضعُفَ اليقينُ، وانتشر الرعبُ[١]، وبيدِك يا ربُّ أزمةُ القلوب، فاجمعْ إليه الكلمة على التقوى[٢]، وألِّفِ القلوب على الهدى، واردُدِ الحقَّ إلى أهله. هلمّوا رحِمكُم الله إلى الإمام العادل، والوصيّ الوفي[٣]، والصديق الأكبر. إنّها إحَنٌ بدريّة، وأحقادٌ جاهلية، وضغائنُ أُحُديّة[٤] وثب بها معاوية حين الغفلة[٥] ليدركَ بها ثاراتِ بني عبد شمس، ثمّ قالت:

«قاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا إيمان لهم، لعلّهم ينتهون»[٦] صبرًا معشر الأنصار والمهاجرين[٧]، قاتلوا على بصيرة من ربّكم، وثباتٍ من دينكم، وكأني بكم غدًا[٨] لقد لقيتم أهل الشام كحُمر مستنفرة[٩] لا تدري أين يُسلكُ بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرةَ بالدنيا واشتروا الضلالةَ بالهدى، وباعوا البصيرةَ بالعمى[١٠] عما قليل، ليصبحنَّ نادمين، حتّى تحلّ بهم الندامةُ فيطلبون الإقالة[١١]، إنّه والله من ضلّ عن الحقّ[١٢] وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنّة، نزل النار[١٣].

أيّها الناسُ، إنّ الأكياسَ[١٤] استقصروا عمر الدنيا، فرفضوها، واستبطأوا مدّة الآخرة[١٥]، فسعَوا لها، واللهِ أيّها الناس، لولا أن تبطلَ الحقوق وتعطّلَ الحدود، ويظهرَ الظالمون وتقوى كلمة الشيطان، لما

(١) في العقد والصبح: وانتشرت الرغبة.

(٢) في العقد: فاجمع أللهمّ بها الكلمة على..
في الصبح: فاجمع الكلمة على...
أزمة القلوب: جمع زمام ما يشدّ به.

(٣) في العقد: والرضي التقي.

(٤) في العقد: (بحذف العبارة).

(٥) في العقد: وثب بها واثب.

(٦) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٧) في العقد: صبرًا يا معشرَ المهاجرين والأنصار..
في الصبح: صبرًا معشر المهاجرين والأنصار..

(٨) في العقد: فكأنّي... وقد لقيتم.

(٩) في العقد والصبح: كحمر... فرّت من قسورة.
وهذه العبارة مستمدّة من القرآن الكريم في سورة المدّثر، الآية ٥٠.

(١٠) في العقد: (بحذف العبارة).

(١١) في العقد: الإقامة. الإقالة: الصفح، النهوض بعد السقوط.

(١٢) في العقد: إنّه من ضلّ والله....

(١٣) في العقد: (بحذف العبارة).

(١٤) في العقد: جمع الأكياس، العقلاء.

(١٥) في العقد: ألا إن أولياء الله استصغروا عمرَ الدنيا... واستطابوا الآخرة.

اخترنا ورودَ المنايا على خفض العيش وطيبه، فإلى أين تريدون رحمكم الله[(١)] على ابن عمّ رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، وأبي ابنَيْهِ[(٢)] خُلقَ من طينتِه وتفرّع من نبعتِه، وخصّه بسرّه، وجعله بابَ مدينتهِ[(٣)]، وعلّمَ المسلمين[(٤)]، وأبانَ ببغضِه المنافقين، فلم يزل كذلك يؤيّده الله عزّ وجلّ بمعونته، ويمضي على سنن استقامته، لا يعرج لراحة الدأب [(٥)] ها هو مفلق الهام[(٦)] ومكسّر الأصنام، إذ صلّى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون[(٧)] فلم يزل كذلك، حتى قتل مبارزي بدر[(٨)] وأفنى أهل أحد، وفرّق جمعَ هوازن[(٩)]، فيا لها من وقائع[(١٠)] زرعت في قلوبِ قوم نفاقًا وردّة وشقاقًا[(١١)]، قد اجتهدتُ في القول، وبالغتُ في النصيحة، وبالله التوفيق، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

فقال معاوية:

واللهِ يا أمَّ الخير، ما أردتِ بهذا الكلام إلّا قتلي، واللهِ لو قتلتكِ ما حُرِجْتُ في ذلك.

قالت: واللهِ ما يسوؤني يا ابنَ هند أن يجريَ الله ذلك على يديّ، من يُسعِدُني الله بشقائه.

قال: هيهاتَ يا كثيرةَ الفضول. ما تقولين في عثمانَ بنِ عفّان؟

قالت: وما عسيتُ أن أقول فيه، استخلفه الناسُ وهم له كارهون، وقتلوه وهم راضون[(١٢)].

---

(١) في العقد: فالله الله أيّها الناس قبل أن تبطل الحقوق وتبطل الحدود وتقوى كلمة الشيطان فإلى أين تريدون رَحِمَكم...

(٢) في العقد: وصهره وأبي سبطيه.

(٣) في العقد: وجعله باب دينه.

(٤) في الصبح: وأعلم بحبّه المسلمين..

(٥) في العقد: بحذف العبارة من (فلم يزل... إلى ها).

(٦) في العقد: وها هوذا..

في الصبح: فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعونته، ويمضي على سنن استقامته، لا يعرّج لراحة اللذّات وهو مفلق الهام..

(٧) في العقد: والناس كارهون.

(٨) في العقد: فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزيه.

(٩) في العقد: وهزم الأحزاب وقتل الله به أهل خيبر، وفرّق بين جمع أهوائهم فيا لها من....

(١٠) في الصبح: فيا لها وقائع!.

(١١) في العقد: بإضافة: وزادت المؤمنين إيمانًا..

(١٢) في العقد: استخلفه الناس وهم راضون به، وقتلوه وهم له كارهون.

فقال معاوية: إيهًا يا أمّ الخير، واللهِ أصلُكِ الذي تبنينَ عليه(١) قالت:

لكنّ الله يشهدُ بما أنزل إليكَ، أنزله بعلمهِ والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدًا. ما أردتُ لعثمان نقصًا(٢) وكان سبّاقًا إلى الخيرات، وإنه لرفيع الدرجة.

قال: فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟(٣) قالت: وما عسى أن أقول في طلحة، اغتيلَ من مأمنه، وأوتيَ من حيث لم يحذَر(٤)، وقد وعَدهُ رسولُ الله ﷺ الجنة.

قال: فما تقولين في الزبير؟

قالت: يا هذا، لا تدعني كرجيع الصبيغ(٥) يعرك في المِركَن، قال:

حقًا لتقولنّ ذلكَ، وقد عزمتُ عليكِ. قالت: وما عسيتُ أن أقولَ في الزبير بنِ عمّة رسول الله ﷺ، وحواريّه، وقد شهدَ له رسولُ الله ﷺ الجنة(٦) ولقد كان سبّاقًا إلى كلّ مكرمة في الإسلام، وإنّي أسألُكَ بحقّ الله يا معاويةَ، فإنّ قريشًا تحدّث أنّك أحلمُها(٧) فأنا أسألك بأن تسعني بفضلِ حلمِكَ، وأنْ تعفيني من هذه المسائل، وامضِ لما شئتَ من غيرها، قال:

نعم وكرامة، قد أعفيتُكِ، فكرّمها.

(١) في العقد: هذا ثناؤك الذي تثنين.

(٢) في العقد والصبح: لكنّ الله يشهد وكفى بالله شهيدًا ما أردتُ بعثمان... ولكن كان سبّاقًا إلى الخير.

(٣) في العقد: بحذف الفقرة (فما تقولين في طلحة....).

(٤) في الصبح: وأُتِيَ.

(٥) في الصبح: الضبْع - رجيع الصبيغ، المردود إلى صاحبه، الثوب والخلف. المِركَن: الآنية.

(٦) في العقد والصبح: بالجنّة: وهذه الرواية أصح.

(٧) في الصبح: من أحلمها.

(٣٨)

أم سفيان الثوري[١]

«وصية»

قالت لابنها(*):

يا بُنيَّ اطْلبِ العلمَ وأنا أكفيكَ بمغزلي، وقالت له:

يا بُنيَّ إذا كتبتَ عشرة أحرف، فانظرْ هل ترى في نفسكَ زيادةً، في مشيكَ وحِلمكَ ووقارِكَ فإن لم يزدْكَ فاعلم أنّهُ لا يضرُّك ولا ينفعُكَ.

(١) سفيان الثوري هو: أبو عبدالله محدّث من الأئمة المجتهدين، ولد في الكوفة وتوفي في البصرة ١٦١ هـ وهو ابن ٦٤ سنة زمن المهدي (ينظر الفهرست ٢٢٥، وفيات الأعيان ٢/ ٣٩٤).

(*) صفة الصّفوة ٣/١١٦.

(٣٩)
أمُّ سنان بنتُ جُشَمَة

لم أجد لها ذكرًا في السيرة النبويّة والاستيعاب والإصابة، ولم أجد ذكرًا لأبيها أيضًا، إلّا أنّه ورد ذكرها في بلاغات النساء[١] باسم أمّ سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجيّة، وفي العقد الفريد[٢] باسم أمّ سنان بنت جشمة، وفي صبح الأعشى[٣] أمّ سنان بنت جشميّة. وهي إحدى النساء اللاتي حرّضنَ على قتال معاويةَ ونصرةِ عليّ (رض) في وقعة صفين، وفدتْ على معاويةَ بنِ أبي سفيان بعد أن حبسَ مروانُ بن الحكم والي المدينة حفيدَهَا غلامًا من بني ليث في جناية جناها، فلمّا كلّمته في الغلام أغلظ لها فاتّجهتْ إلى معاوية تشكو أمره، فرحّب بها، وذكّرها بموقفها في وقعة صفين، حين كانت تحرّض قومها بكل صراحة، وجرأة، بكلام جزل، فصيح، ومعانٍ عميقة، وأسلوب متين، يمثل أنموذجًا من نماذج أدب الوافدات، الذي أصبح ظاهرة أدبيّة متميّزة فيما بعد.

(١) ينظر بلاغات النساء ص٦٧.

(٢) ينظر العقد الفريد ١/٢٢١.

(٣) ينظر صبح الأعشى ١/٢٥٨ ولا بدّ أن يكون سبب الاختلاف في هذه الروايات هو التصحيف، أو عدم نقل النسّاخ له بشكله الصحيح.

حوار أمّ سنان بنت خيثمة بن خرشة ومعاوية

حبس مروانُ بنُ الحكم والي المدينة، غلامًا من بني ليث في جناية جناها بالمدينة، فأتته جدّة الغلام أم أبيه، وهي أمّ سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجيّة[٤]، فكلّمته في الغلام، فأغلظ لها مروان، فخرجت إلى معاوية بن أبي سفيان، فانتسبتْ له، فقال: مرحبًا بك يا بنت خيثمة ما أقدَمكِ أرضي، وقد عهدتُكِ تنشئين قربي وتحضّين عليّ عدوّي، قالت[*]:

(٤) ينظر بلاغات النساء ٦٧، وورد اسمها في العقد الفريد ١/٢٢١ أمّ سنان بنت جشمة، وفي صبح الأعشى ١/٢٥٨ أم سنان بنت جشميّة.

(*) بلاغات النساء ٦٨، والعقد الفريد ١/٢٢١، وصبح الأعشى ١/٢٥٨.

يا أميرَ المؤمنين إنّ لبني عبد مناف أخلاقًا طاهرة، وأعلامًا ظاهرة[١]، لا يجهلونَ بعد عِلم، ولا يسْفَهون بعد حِلْم، ولا يتعقّبون بعد عَفو[٢]، فأولَى الناس بإتباعِ سُنن آبائه لأنتَ[٣].

قال: صدقتِ.

وسألها عن أشعارها في صفين حين كانت من أتباع الإمام علي كرّم الله وجهه، قالت:

كان ذلك يا أميرَ المؤمنين، وإنّا لَنطمعُ بكَ خلَفًا[٤].

فقال رجلٌ من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين، وهي القائلةُ أيضًا (وذكّره بشعرها في التحريض على قتاله).

قالت:

يا أميرَ المؤمنين لسانٌ نطَق، وقولٌ صدَق[٥]، لئن تحقّق فيكَ ما ظننّا[٦]، فحظُّك أوفر[٧]. واللهِ ما أورثَكَ الشناءةَ في قلوب المسلمين إلّا هو[٨]، فادحضْ مقالتَهم وأَبعِدْ منزلتَهم، فإنّك إن فعلتَ ازددْتَ بذلك من الله تباركَ وتعالى قُربًا[٩]، ومن المؤمنين حبًّا، قال: وإنكِ لتقولين ذلك. قالت:

يا سبحانَ الله[١٠]، واللهِ ما مثلُكَ من مُدِح بباطل[١١]، ولا اعتُذِر إليكَ بكَذب، وإنّكَ لتَعلَم ذلكَ، من رأينا وضمير قلوبنا، كان والله عليّ عليه السلام أحبّ إلينا من غيرك[١٢] إذا كنت باقيًا[١٣]، قال: ممن؟ قالت:

من مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، قال: وبِمَ استحققْتُ ذلك عليهم[١٤]، قالت:

---

(١) في العقد الفريد: وأحلامًا وافرة.
(٢) في العقد: ولا يتقمون بعد عفو. في صبح الأعشى: ولا يشتُمون بعد عفو.
(٣) في العقد وصبح الأعشى: وإنّ أولى الناس... ما سنّ آباؤه.
(٤) في العقد: وأرجو أن تكون لنا خلفًا. في صبح الأعشى: وأرجو أن تكون لنا خلفًا بعده.
(٥) في العقد: لسان صدَق وقول نطق.
(٦) في العقد بحذف (فيك) في صبح الأعشى: ولئن... ما ظنناه.
(٧) في العقد وصبح الأعشى: الأوفر.
(٨) في العقد: والله ما ورثك والله الشنان.. في الصبح: الشنان.. إلّا هؤلاء..
(٩) في العقد: ازددتَ من الله قربًا.. في الصبح: تزددْ من الله قربًا ومن المسلمين...
(١٠) في العقد والصبح: سبحان...
(١١) في العقد: بحذف (من)..
(١٢) في العقد: كان والله عليّ أحبَّ إلينا منكَ وأنت أحبُّ إلينا من غيرك..
في الصبح: كان عليّ والله أحبّ إلينا منك، وأنت أحبُّ إلينا من غيركَ..
(١٣) في العقد والصبح: (بحذف العبارة).
(١٤) في العقد والصبح: عندك.

بحسْن حلمكَ وكريم عفوكَ[١]، قال: وإنّهما ليطمعان فيَّ[٢]، قالت: هما والله لكَ من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان[٣] رحمهُ الله، قال: واللهِ لقد قاربتِ، فما حاجتُكِ؟ قالت:

إنّ مروان بن الحكم تبنَّكَ في المدينة تبنُّكَ من لا يريدُ البَراح منها[٤]، لا يحكمُ بعدلٍ ولا يقضي بسنّة يتتبّعُ عثرات المسلمين، ويكشفُ عوراتِ المؤمنين[٥]، حبس ابنَ ابنتي فأتيته[٦] فقال: كيت وكيت[٧]، فألقمتُه أخشنَ من الحجر[٨]، وألعقتُه أمرَّ من الصبر[٩]، ثمّ رجعت إلى نفسي باللائمة[١٠]، فأتيتكَ يا أمير المؤمنين لتكونَ في أمري ناظرًا، وعليه مُعْدِيًا[١١].

قال: صدقتِ، لا أسألكِ عن ذنبه، ولا عن القيام بحجّتهِ، اكتبوا لها بإخراجهِ.

قالت: يا أمير المؤمنين وأنّى لي بالرجعة، وقد نفذ زادي، وكلّتْ راحتي.

فأكرمَها وأجزلَ العطاء.

---

(١) في العقد والصبح: بسَعة حلمك.
(٢) في العقد والصبح: وإنهما يطمعان في ذلك.
(٣) في العقد: هما والله من الرأي على ما كنت عليه...
(٤) في العقد والصبح: يا أمير المؤمنين إن مروان تبنك.... منها البراح.
تبنك: أقام.
لا يريد البراح: لا يريد تركها.
(٥) في الصبح: يتتبع عورات المؤمنين.
(٦) في العقد والصبح: ابن ابني.
(٧) في العقد: كنت وكنت (تصحيف).
(٨) في العقد والصبح: فأسمعته.
(٩) في العقد: وألقمته أمَرّ من الصاب.
الصاب: شجر مرّ عصارته مثل اللبن.
في الصبح: وألقمته...
(١٠) في العقد والصبح: وقلت لِمَ لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه فأتيتك...
(١١) في العقد: مُعربًا.
مُعديًا: أعدَى يعدي: أكسبهُ مثلَ ما به من العلّة.
المَعْدي: المظلوم. المُعدي: الذي يردّ الظلم.
وهذه اللفظة أصحّ.

(٤٠)

أمّ عمر بن عبد العزيز (أمّ عاصم)

«حوار»

خرج عمر بن عبد العزيز يلعبُ، فرمحته بغلةٌ على جبينه. فبلغ الخبرُ أمَّهُ، أمَّ عاصم، فخرجت في خدمِها وأقبل عبدُ العزيز بن مروان إليها فقالت(*):

أمّا الكبيرُ فيُخدَم، وأمّا الصغيرُ فيُكرَم، وأمّا الوسَط فيَضِيع، لم تتخذْ لابْني حاضنًا، حتى أصابه ما ترَى.

فجعل الرجلُ يمسحُ الدمَ عن وجه ابنهِ وقال: ويحكِ، إن كان أشجَّ بني مروان أو أشجَّ بني أميّة إنّه لسعيد.

(*) الأغاني ٨/ ١٥١.

(٤١)

أمّ كلثوم بنت علي (رض)

خطبة أمّ كلثوم بنت علي (رض) في الكوفة

روي عن جعفر بن محمّد عن آبائه أنّه وصف خطبة أمّ كلثوم بنت علي فقال[١]:

«ولم أر خفرة، والله أنطق منها»

قالت[*]:

أبدأ بحمد الله، والصلاة والسلام على أبيه. أمّا بعدُ، يا أهلَ الكوفة، يا أهل الختر[٢] والخذل ألا فلا رفأتِ العبرةُ، ولا هدأتِ الرنّةُ، إنما مثلُكم «كمثلِ التي نقضتْ غزلَها من بعد قوّةٍ أنكاثًا، تتخذونَ أيمانَكم دَخَلًا بينكم»[٣] ألا وهل فيكم إلّا الصَّلَف والشّنَف[٤]، وملَق الإماء، وغمْزِ الأعداء[٥]، وهل أنتم إلّا كمرعى على دمنةٍ، وكفضّةٍ على ملحودةٍ، ألا ساء ما قدمتْ أنفسُكم إنْ سخطَ الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟ إي واللهِ، فابكوا وإنّكم[٦] والله أحرياء بالبكاء، فابكوا كثيرًا، واضحكوا قليلًا، فلقد فُزتم بعارها وشَنارها، ولن تَرْحَضوها[٧] يُغْسل بعدها أبدًا، وأنّى ترحضون قتلَ سليل خاتم النبوّة، ومعدِن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، ومنار محجّتكم[٨] ومِدْرَة[٩] حجّتكم، ومفرخ نازلِتِكم[١٠]، فتُعسًا ونُكسًا، لقد خاب السعيُ، وخسرت الصفقةُ، وبؤتُم بغضب من الله، وضُربتْ عليكم الذلّة والمسكنة، لقد جئتم شيئًا إدًّا، تكادُ السمواتُ يتفطّرنَ منه، وتنشقُّ الأرض، وتخِرُّ الجبال

(١) بلاغات النساء ٢٨، ونثر الدرّ للآبيّ ٢٩.
(*) المصادر نفسها.
(٢) الخِتْر: الغدْر أو أسوأ الغدر.
(٣) سورة النحل الآية ٩٢.
(٤) الشنف: البغض.
(٥) في نثر الدّر: وغَمْر، الغَمْر: الحِقد، الغَمْز: الطعن والعيب.

(٦) في نثر الدّر: فإنّكم.
(٧) ترحضوها: تغسلوها.
(٨) محجّتكم: طريقكم.
(٩) مِدرة: الشريف القدر، قوي البيان، المداقع.
(١٠) في نثر الدّر: ومفزع.
مفرخ: مفزع.
إدًّا: فظيعًا، منكرًا.

هـذًا[١]، أتـدرون[٢] أيّ كـبـد لـرسـول الله فريتم، وأيّ كريمة[٣] له أبرزتم، وأيّ دم له سفكتم، لقد جئتم بها شوهاء[٤] خرقاء[٥]، شرّها[٦] طلاع الأرض[٧] والسماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دمًا، «ولعذاب الآخرة أخزى، وهم لا ينصرون»[٨]. فلا يستخفنّكم المَهَل، فإنّه لا تحفِزهُ المبادرة[٩]، ولا يُخاف عليه فوْت الثأر، كلّا إن ربّك لنا ولهم بالمِرصاد[١٠].

(١) سورة مريم الآية ٨٩/ ٩٠.
(٢) في نثر الدّر: ما تدرون.
(٣) في نثر الدّر: كريم.
(٤) شوهاء: عابسة.
(٥) خرقاء: الريح الشديدة، الحمقاء، سيئة التصرّف بسبب الجهل.
(٦) في نثر الدّر: بحذف (شرّها).
(٧) طلاع الأرض: ملؤها.
(٨) سورة فصلت: الآية ١٦. في نثر الدّر (لا يُنصرون).
في رواية البلاغات خطأ وهو (ينظرون) لذلك أجريت التصحيح بدلًا عنه.
(٩) لا تحفزه المبادرة: أي يُمهل ولا يُهمل.
(١٠) في نثر الدّر: لبالمرصاد، مستوحاة من سورة الفجر، الآية ١٤.

(٤٢)

أعرابيّة(*)

وصيّة أعرابيّة عن أبَان بن تغلب(١)

قال: مررتُ بامرأة بأعلى الأرض، وبين يديها ابن لها يريد سفرًا وهي تُوصيهِ، فقالت:

اجلسْ أمنحكَ وصيّتي وبالله توفيقُكَ، وقليل إجدائها عليك، أنفع من كثير عقلكَ، إيّاكَ والنّمام فإنّها تزرع الضغائن، ولا تجعلْ نفسَك غرضًا للرماة، فإنّ الهدفَ إذا رُمي لم يلبثْ أن ينثلمَ، ومثّلْ لنفسِكَ مِثالًا، فما استحسنْتهُ من غيركَ فاعملْ بهِ، وما كرهتَهُ منه فدعْه واجتنبْه، ومن كانت مودّتهُ بِشره كان كالريحِ في تصرّفها.

ثمّ نظرتْ، فقالت:

كأنّكَ يا عراقيُّ أُعجبتَ بكلام أهل البدو؟ ثمّ قالت لابْنها:

إذا هـززتَ فـهُـزَّ كـريـمًـا، فـإن الكريم يهتزُّ لهزّتكَ، وإياكَ واللئيم فإنّه صخرةٌ لا ينفجر ماؤها، وإياكَ والغدرُ، فإنّه أقبحُ ما تُعومِلَ به، وعليك بالوفاء، ففيه النّماء. وكن بمالك جوّادًا، وبدينك شحيحًا، ومن أُعطي السخاء والحلم، فقد استجادَ الحلّة، ريطتَها وسربالَها، انهضْ على اسم الله.

وفي رواية القالي، رويت الوصيّة كالآتي:

أعرابية «وصيّة»

شهد أبَان بن تغلب، أحد العابدين من أهل البصرة، أعرابيّة توصي ولدًا لها يريد سفرًا، وهي تقول له:

أي بُنيّ، اجلسْ أمنحكَ وصيَّتي، وبالله توفيقُكَ، فإن الوصيّةَ أجدى عليكَ، من كثير عقلك.

قال أبَان: فوقفتُ مستمعًا لكلامها مستحسنًا لوصيّتها فإذا هي تقول:

أي بنيّ إيّاك والنميمة، فإنها تزرع

(*) البيان والتبيين ٤/٧٢، ط ١٩٨٥، وأمالي القالي ٢/٨١.

(١) توفي سنة ١٤١ هـ، وهو من قراء وفقهاء الشيعة بالكوفة.

الضغينة وتفرّق بين المحبّين، وإيّاك والتعرّض للعيوب فتُتخذ غرضًا، وخليقٌ أن لا يثبتَ الغرض على كثرة السهام، وقلّما اعتوَرتِ السهام غرضًا إلّا كَلَمَتْهُ حتى يَهيَ، ما اشتدَّ من قوّته، وإيّاك والجود بدينك، والبخل بمالك، وإذا هززتَ فاهززْ كريمًا يلِنْ لهزّتكَ، ولا تهززْ اللئيمَ، فإنّه صخرةٌ لا ينبجس ماؤها، ومثّل لنفسكَ مثالَ ما استحسنتَ من غيركَ، فاعملْ به، وما استقبحتَ من غيرك، فاجتنبْه، فإنّ المرء لا يرى عيب نفسه، ومن كانت مودّته بِشْره وخالف ذلك منه فعلهُ، كان صديقه منه على مِثْلِ الريح في تصرّفها، ثم أمسكتْ فدنوتُ منها، فقلت:

بالله يا أعرابيّة ألا زدته بالوصيّة، فقالت:

أوَ قد أعجبكَ كلامُ العرب يا عراقيُّ؟ قلت: نعم، قالت: والغدرُ أقبحُ ما تعاملَ به الناس بينهم، ومن جمعَ الحلْمَ والسخاءَ فقد أجاد الحلّةَ ريطتَها وسربالَها.

(٤٣)
امرأة أبي الأسود الدؤلي

حوار

رُوي أنّ أبا الأسود الدؤلي كان من المقرّبين إلى معاوية بن أبي سفيان، فلا يتكلّم إلّا بعقل، ولا ينطق إلّا بحكمة، فأقبلتِ امرأته يومًا على معاوية وقالت(*):

السلام عليكَ يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله، وبركاته، إنّ الله جعلكَ خليفةً في البلاد ورقيبًا على العباد يُستسقَى بكَ المطر، ويُستنبتُ بكَ الشجر، وتؤلّف بكَ الأهواء، ويأمن بكَ الخائف، ويُردع بك الجانف، فأنتَ الخليفةُ المصطفى والإمام المرتضى. فأسأل الله لكَ النعمةَ في غير تغيير، والعاقبةَ من غير تعذير. لقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق عليّ فيه المنهج، وتفاقم عليّ فيه المخرج، لأمرٌ كرهت عارَهُ، لما خشيتُ إظهاره، فلينصفْني أمير المؤمنين من الخصْم، فإني أعوذُ بعقوته[1] من العار الوبيل، والأمر الجليل، الذي يشتدّ على الحرائر، ذوات البعول الأجائر، فقال لها معاوية:

ومن بعلُكِ هذا الذي تصفينَ من أمره المنكر، ومن فعله المشهر؟

قالت:

هو أبو الأسود الدؤلي. قال: يا أبا الأسود، ما تقولُ هذه المرأة؟ قال:

هي تقول من الحقّ بعضًا ولن يستطيعَ أحدٌ عليها نقضًا، أمّا ما ذكرتْ من طلاقها، فهو حقّ، وأنا مُخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق. والله يا أمير المؤمنين، ما طلّقتُها عن ريبة ظهرتْ، ولا لأيّ هفوة حضرتْ، ولكني كرهتُ شمائلها، فقطعتْ عنّي حبائلَها.

فقال معاوية: وأيّ شمائلها يا أبا

(*) بلاغات النساء ٥٣، والفاضل ٢/١٠٥ ونثر الدر ٤/١٠٥.
نسب الحوار إلى أعرابية وزوجها الأعرابي، في نثر الدّر ١٠٥ مع اختلاف في طول النصّ وتركت بعض الألفاظ التي ورد فيها فحش.

(١) عقوته: عقا عقوًا الأمر: كرهه، صار مرًّا.

الأسود، كرهتَ؟ قال: يا أميرَ المؤمنين إنّك مُهيّجُها عليَّ بجواب عتيد، ولسان شديد.

فقال معاوية: لا بدّ لكَ من محاورتها، فارْدُدْ عليها قولها عند مراجعتها. فقال أبو الأسود:

يا أمير المؤمنين، إنها كثيرةُ الصخب، دائمةُ الذرب[1]، مهينةٌ للأهل، مؤذيةٌ للبعل، مسيئةٌ للجار، مظهرةٌ للعار، إن رأتْ خيرًا كتمتْهُ، وإن رأت شرًّا أذاعته.

فقالت:

والله لولا مكانُ أمير المؤمنين، وحضور من حضره من المسلمين، لرددتُ عليكَ بوادرَ كلامكَ بنوافذ أقرع كلّ سهامكَ، وإن كان لا يجملُ بالمرأة الحرّة أن تشتم بعلًا، ولا أن تُظهِر لأحدٍ جهلًا.

قال معاوية: عزمتُ عليكِ لما أجبتِهِ.

قالت: يا أمير المؤمنين، ما علمتُه إلّا سؤلًا جهولًا مُلِحًّا بخيلًا، إنْ قال، فشرُّ قائل، وإنْ سكتَ فذو دغائل[2]، ليثٌ حين يأمن، وثعلبٌ حين يخاف، شحيحٌ حين يُضاف، إن ذُكر الجودُ انقمع[3] لما يُعرَفُ من قِصَر رشائِه، ولؤم آبائه، ضيفُه جائع، وجارُه ضائع، لا يحفظ جارًا، ولا يحمي ذِمارًا، ولا يدركُ ثأرًا، أكرمُ الناس عليه مَن أهانَه[4]، وأهونُه عليه من أكرمَه.

قال معاويةُ:

سبحانَ الله لما تأتي به هذه المرأة من السجع.

قال أبو الأسود: أصلحَ الله أميرَ المؤمنين إنها مطلقة، ومَن أكثرُ كلامًا من مطلقة.

قال معاويةُ:

إذا كان رواحًا، فتعالي أفصل بينكِ وبينه بالقضاء.

فلمّا كان الرواحُ، جاءتْ ومعها ابنُها، قد احتضنتهُ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها.

---

(١) الذرب: ذرب السيف، أحدّه. سليط اللسان.

(٢) دغائل: الدغل، الحقد الباطن.

(٣) في نثر الدّر: وإذا... أفحمتَ لما تعلم من قصر باعك، ولؤم آبائك.

(٤) في نثر الدّر: عليكَ.. أهانك وأهونهم عليكَ من أكرمكَ.

قال معاوية: يا أبا الأسود لا تَعجل المرأة أن تنطق بحجّتها.

قال: يا أميرَ المؤمنين أنا أحقّ بحمل ابني منها.

قال معاوية: يا أبا الأسود دعْها تقلْ.

قال: يا أمير المؤمنين حملتُه قبل أن تحمله، ووضعتُه قبل أن تضَعه، قالت:

صدقَ والله يا أمير المؤمنين، حمله خِفًّا وحملتُه ثِقْلًا، ووضَعه بشهوة ووضعته كرهًا، إن بطني لوعاؤه، وإنّ ثديي لسقاؤه، وإنّ حجري لفناؤه.

قال معاوية:

إنّها غلبتك في الكلام. وتحاورا شعرًا فقضى لها معاوية عليه، واحتملتْ ابنَها وانصرفتْ.

(٤٤)
حوار امرأة من الخوارج(*)

قال الحجّاج لامرأة من الخوارج: والله لأعدّنّكم عدًّا، ولأحصدنّكم حصدًا. قالت:

إنك تحصد، والله يزرع، فانظرْ أين قدرةُ المخلوق من قدرة الخالق.

(*) البيان والتبيين ٢/ ٢٧٠ ط بيروت.

(٤٥)

امرأة من بني ذكوان في مجلس معاوية

دخلت امرأةٌ معها جاريتان على معاوية، وكان قد جلس للمظالم، فحدرت اللثامَ عن وجهها، كأنّما أُشرِب ماءَ الدّر في حمرة التفاح[١] وقالت[*]:

الحمدُ لله يا معاوية، الذي خلقَ اللسان[٢]، فجعل فيه البيان[٣]، ودلّ به على النعم، وأجرى به القلم فيما أبرم وحتم، ودرأ وبرأ[٤]، وحكم وقضى[٥] صرف الكلام، باللغات المختلفة على المعاني المتفرقة، ألفها بالتقديم والتأخير، والأشباه والمناكر[٦]، والموافقة والتزايد، فأدّته الآذان إلى القلوب[٧]، وأدّته القلوب إلى الألسن بالبيان[٨] استُدلّ به على العلم[٩]، وعُبِدَ به الربّ، وأُبرِمَ به الأمر، وعُرِفت به الأقدار[١٠] وتمّت به النعم، فكان من قضاء الله وقدرته، أن قربت زيادًا، وجعلت له بين آل سفيان نسبًا[١١] ثمّ ولّيته أحكام العباد، يسفكُ الدماء بغير حلّها، ولا حقّها[١٢]، ويهتكُ الحرَم[١٣] بلا مراقبة الله فيها، خؤونٌ غشوم[١٤]، كافرٌ ظلوم يتخيّر من المعاصي أعظمَها[١٥] لا يرى لله وقارًا[١٦] ولا يظنّ أنّ له معادًا[١٧]. وغدًا يُعرَض عملُه في صحيفتكَ، وتوقف على ما اجترم بين

(١) ينظر بلاغات النساء ٦٦.
(*) المصدر السابق، ومخطوطة كتاب الوفود للشهرزوري الورقة ٢٧.
(٢) في المخطوطة: خلق الإنسان.
(٣) في المخطوطة: وجعل له اللسان الذي جعل فيه البيان.
(٤) في المخطوطة: وبرأ وذرأ.
(٥) في المخطوطة: وذكر وقضى.
(٦) في المخطوطة: والأشباه والمعارف والتناكر.
(٧) في المخطوطة: إلى القلوب بالإفهام.
(٨) في المخطوطة: إلى الأنس، وهو خطأ.
(٩) في المخطوطة: واستدلّت به على العلوم.
(١٠) في المخطوطة: والأقوام. والبلاغات أصح.
(١١) في المخطوطة: سيدًا...
(١٢) في المخطوطة: ولا ملها، وهو خطأ.
(١٣) في المخطوطة: وينهك.
(١٤) في المخطوطة: لله هو من غشوم.
(١٥) في المخطوطة: وأذكاها.
(١٦) في المخطوطة: ذمارًا.
(١٧) ولا يظن برسول الله ﷺ أسوة وبينك وبينه صهر، فلا الماضين اتبعت..

يديْ ربّكَ ولكَ برسول الله ﷺ أسوةٌ، وبينكَ وبينَه صهرٌ، فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعتَ، ولا طريقتَهم سلكتَ، جعلت عبد ثقيف، على رقاب أمّة محمّد ﷺ، يدبّر أمورَهم ويسفكُ دماؤهم، فماذا تقول لربّكَ يا معاوية[١] وقد مضى من أجَلك أكثرهُ، وذَهبَ خيرُه، وبقي وِزرُه.

إنّي امرأة من بني ذكوان، وثب زياد المدعى إلى أبي سفيان[٢] على ضيعتي ورثتها عن أبي وأمّي[٣] فغصَبنيها، وحالَ بيني وبينها، وقتل من نازعه فيها من رجالي[٤]، فأتيتكَ مستصرخةً فإنْ أنصفتَ وعدلتَ، وإلّا وكلتكَ وزيادًا إلى الله عزّ وجلّ، فلن تبطل ظلامتي عندك ولا عنده[٥]، والمنصف لي منكما حكم عدل.

فبُهت معاوية ينظر إليها متعجّبًا من كلامها، وأمر زيادًا أن يعطيها حقَّها، وأكرمها معاوية، وعجب من مقالتها وبلوغها حاجتها.

(١) في المخطوطة: لربّك.

(٢) في المخطوطة: على.

(٣) في المخطوطة: وتركتي من أبي فغصبها.

(٤) في المخطوطة: من رحال.

(٥) في المخطوطة: فكن تبطل، وهو خطأ.

(٤٦)

امرأة من عدوان(*)

«حبّ الوطن»

تزوّجت امرأة من عدوان محمّد بن بشير الخارجي(١)، في البصرة، وأراد الرحيل معها إلى الحجاز، فقالت:

ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا، تذهب وتضيع وأمضي معكَ، إلى بلاد الجدْب والفقر والضيق، فأما أن أقمتَ ههنا أو طلّقتني... فطلّقها.

(*) الأغاني ١٤/١٠٦.

(١) محمّد بن بشير الخارجي كان في مكّة مع راوية كثير عزّة، وكان كلاهما شاعرًا. (ينظر المصدر نفسه).

(٤٧)
امرأة نافع بن الأزرق(*)

«وصية»

لمّا تفرّقتْ آراء الخوارج، ومذاهبُهم في أصول مقالتِهم، أقام نافع بن الأزرق بسوق الأهواز، فقالت امرأته:

إن كنتَ قد كفرتَ بعد إيمانك، وشككتَ فيه، فدعْ نحلتكَ ودعوتكَ. وإنْ كنتَ قد خرجتَ عن الكفر إلى الإيمان، فاقتلِ الكفّار حيث لقيتَهم، وأثخِنْ في النساء والصبيان كما قال نوح: «لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارًا»[1].

فقبل قولها، وقتل الرجال والنساء وقال: إنّ هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم، فعظم أمره فحاربه قيس بن الأحنف وأهل البصرة.

(١) سورة نوح الآية ٢٦.

(*) الأغاني ٦/ ٣.

(٤٨)

جارية

عن أبان بن تغلب[١] عن رجل قال: بينا أنا ذاتَ يوم بالبادية، فخرجتُ في بعض الليالي، فإذا أنا بجارية كأنها علم، فأردتها على نفسها، فقالت(*):

ويحكَ أما لكَ زاجرٌ من عقل، إذا لم يكن ناهٍ من دين.

قال: والله لا يرانا شيء إلّا الكواكب.

قالت: ويحكَ فأين مكوكبُها؟!

---

(١) توفي في ١٤١ هـ وقد مرّ ذكره آنفًا في ترجمة (أعرابيّة) رقم (٤٢).

(*) بلاغات النساء ١٣٥.

(٤٩)

جارية(*)

حوار

قال أبان بن تغلب أضللتُ إبلًا لي فخرجتُ في بغائها، فإذا أنا بجارية أعشَى إشراقُ وجهها بصري فقالت:

ما لكَ يا عبدَ الله وما بُغيتُك؟ قلت: أضللتُ إبلًا لي، فأنا في طلبِها.

قالت: أدلّكَ على من عِلمُها عندَه.

قلت: إذن تستوجبي الأجر، وتكتسبي الحمدَ والشكر.

قالت: سلِ الذي أعطاكهنّ، فهو الذي أخذهنّ منكَ، من طريق اليقين، لا من طريق الاختبار، فإنّه إن شاء فعلَ.

قال أبان: فأعجبني ما رأيتُ من عقلها، وسمعتُ من فصاحتها، فقلت لها: ألكِ بعلٌ؟

قالت: كان، ونعمَ البعلُ، كان فدُعي إلى ما لَهُ خُلِق. فخطبها لنفسه، فقالت:

كنّا كغصنين في ساق غذاؤهما
ماء الجداول في روضات جنّات

(*) بلاغات النساء ٥٨.

(٥٠)
جارية وزيد بن علي بن الحسين (رض)(*)

رأى زيدُ بنُ علي بن الحسين (رض) جاريةً في الطواف، وهي تنشد شعرًا، فعاتبها على ذلك، فقالت: إليكَ عنّي لا يغلبكَ حبّي، فقال لها:

وما الحبُّ؟ فقالت: خفيَ فلن يُرى، وظهرَ فلن يَخفى، كمَن في القلب كُمون النار في الحجر، إن قدحتَه أورَى، وإنْ تركتَه توارَى.

فقال زيد: فانصرفتُ واللهِ منها حذرًا من فتنتِها.

(*) الفاضل في صنعة الأدب الكامل ٢/ ١٠٣.

(٥١)
صبية

حوار ومناجاة

قال أبان بن تغلب: أتيت المقابر فإذا أنا بصبيّة قد كادتْ تخفي بين قبرين لطافة، وتنظرُ بعين جؤذر، ووصفها بالحسن والجمال، فكانت تقول(*):

اللهم إنّكَ لم تزل قبل كلّ شيء، وأنتَ بعدَ كلّ شيء، وقد خلقتَ والديَّ قبلي، وخلقتَني بعدَهما، فآنستَني بقربهما ما شئتَ، ثم أوحشتَني منهما إذ شئتَ، اللّهم فكنْ لي منهما مؤنسًا وكن لي بعدَهما حافظًا.

قال أبان: فقلت يا صبية أعيدي لفظِكِ، فلم تسمع ومرّت في كلامها، فأعدتُ عليها، فنظرتْ ثم قالت:

يا شيخُ ما أنا واللهِ لكَ بمحرم فتحادثُني محادثَة أهلكَ، أهلُك أولَى بكَ. ولما سأل أبان عنها علِم أنّها أَيّمٌ، فأتَى بصديقٍ له يريدُ خطبتها له، من عمها، فجلستْ خلفَ السُّجف، وقالت:

اللّهم حيِّ العصابةَ بالسلام، وأجزلْ لهم الثوابَ، في دار المقام، قلْ يا عمّ.

فقال عمُّها: قد خطبكِ عليٌّ ابنُ عمكِ نضيركِ، وقد بذل لك من الصداق عشرة آلاف درهم، فقالت له:

يا عمّ أضرتْ بكَ الحاجةُ، حتى طمعتَ طمعًا، أخلَّ بمروءتكَ، أتزوجني غلامًا حضَريًا يغلبُني بفطنتِهِ، ويصولُ عليَّ بمقدرته، ويمتنّ عليَّ بتفضلِهِ، ويقول: يا هنةَ بنتَ الهنة، كلا إنّ الله واسعٌ كريم.

(*) بلاغات النساء ٥٦.

(٥٢)

حوار نساء من عقائل الوليد بن عبد الملك(*)

كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل، لبابة بنت عبدالله بن عباس، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحرث. فكنّ يجتمعن على مائدته ويفترقن، فيفخرنَ.

اجتمعنَ يومًا، فقالت الأولى، لبابةُ: أما والله إنكَ لتسويني بهنّ، وإنكَ تعرفُ فضلي عليهنّ. وقالت زينب: ما كنت أرى أنّ للفخر عليّ مجازًا، وأنا ابنةُ ذي العمامة، إذ لا عمامة غيرها. وقالت أم جحش: ما أحبّ بأبي بدلًا، ولو شئت لقلت فصدقت، وصدقتْ.

وكانت فاطمة جارية حديثة السنّ، فلم تتكلّم، فتكلّم عنها الوليدُ، فقال:

نطقَ من احتاجَ إلى نفسه، وسكتَ من اكتفى بغيره، أما والله لو شاءت لقالت:

أنا ابنةُ قادتكم في الجاهلية، وخلفائكم في الإسلام[1].

(*) العقد الفريد ٦/ ٨٠.

(١) ولما ظهر الحديث وتحدّث به في مجلس ابن عباس قال: الله أعلم حيث يجعلُ رسالته.

الخلاصة والترجيحات والمراجع

«الخلاصة»

إنَّ النثرَ النسويَ لم يُجمع ولم يُدرس سابقًا، لا قديمًا ولا حديثًا، لذلك قدمتُ له دراسةً بينتُ فيها فنونه وأغراضه، وكانت غيرَ معروفة، ولم يعترفْ أحدٌ من العلماء والأساتذة بوجودِ مادةٍ كافيةٍ لرسالةٍ في النثر النسويّ، إلّا أنني صمّمتُ على المسير، وأيقنتُ أنّ التراث النسويَ الأدبيّ، يُشكّل مادةً جيدة من النصوص، التي تعدُّ تراثًا لغويًا، وأدبيًا، وفنيًا، واجتماعيًا، وثقافيًا، وتاريخيًا، فهو يضيفُ إلى الحضارة حضارةً جديدة، ويمنحُ دارسَ الأدب الفرصةَ في الاطّلاعِ على لغةِ العرب والأدبِ النسويّ.

وكانت فكرةُ الجمهرة مستوحاة من التراث الأصيل إذ أنّ في تراثنا الأدبيّ جمهراتٍ متعددةً في الأدب واللغة وتوجد جمهرةُ أشعار العرب، وجمهرةُ أنساب العرب، وجمهرة اللغة، وجمهرة خُطب العرب للسيد أحمد زكي صفوة، ولا توجد مجموعةٌ نثرية للنساء، لذا وجدتُ أنّ أحلى مادة للدراسة وأفضلَ عطاء للوطن، أن أجمع ما تناثرَ من نصوص النساء في صدر الإسلام وفي العصر الأمويّ، فجمعتُ فيها ما تيسّر لي من خُطب وقصص وأمثال وحِكم ووصفٍ ووسمتُها باسم (جمهرةُ النثر النسويّ) لغزارةِ النصوص، مع اختلاف المصادر، وقد لاقيتُ من الصعوبة ما لا يعرفهُ إلّا من تضلّع في البحث أو التحقيق، فإنّه يعرفُ مدى المعاناة التي لاقيتُها، أمّا بالنسبة للعصرِ الحديث فقد أُعجبتُ بجمهرةِ خطب العرب، وأردتُ أن تكون جمهرتي بدرجتها من الدّقة أو أكثر، لأنني جمعتها وحقّقتها ودرستُها بالأسلوب الحديث المتطور.

وكانت دراستي في محورين أولهُما الفنونُ النثرية، وأثبتُّ وجودَ تلك النصوص في باب التحقيق، والفصلُ الآخر في بيان الخصائص الفنية للنثر النسوي وكانت كما يأتي:

١ ـ فيما يخص الألفاظ والتراكيب، كانت الألفاظ بسيطة، سهلة مستمدة من ألفاظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، مضافًا إليهما الموروث الثقافي للمرأة من طبيعة فطرية، وسليقة لغوية، وكانت التراكيبُ والجملُ قصيرةً، متسلسلة، متتابعة، يتصلُ بعضها ببعض فهي كالبُنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضًا، وتتصفُ بالوحدة العضوية

للنصوص، فالنصّ الواحد نسيجٌ وحده (كما هو الحال في أمثال السيدة عائشة).

٢ ـ ما يخصّ المعاني وصياغتها، كانت المعاني مستوحاةً من معاني القرآن الكريم، في مجازه واستعاراتِه وكناياتِه، لذلك كانت المعاني متينةَ السَّبكِ، قويةً، واضحة ليس فيها غموض إلّا ما ندر.

٣ ـ الصور والأخيلة، مستوحاةٌ من التشبيهات والصور القرآنية، بمجازها واستعاراتها، ولم تكن الصورُ بعيدةَ الخيال، إلّا أنها كانت بليغةً واضحة وجميلة، وشديدة التأثير لقُربِها من الواقع والحقائق، وبُعدِها عن الكذب والخيال البعيد المبالَغ فيه.

٤ ـ العواطفُ والأحاسيس، كانت المرأةُ غزيرةَ العاطفة حسّاسةً تفكر في رضوان اللهِ تعالى وما يُقربها إليه، وتبعدُ عن العواطف الخارجة عن حدودِ الله تعالى، وهي تتأملُ وتفرح وتحزن، وتُعبّر وتُقنع وتُؤثر، فخُطبُها بليغةٌ مؤثِّرة، وقصصُها حزينة ومؤلمة.

٥ ـ من أهمّ مميّزاتِ النثر النسويّ الصدقُ والحقيقة، والبعدُ عن الكذب، مع العفويّة والإنسيابيّة، والبُعد عن التكلّف، أو التصنّع.

٦ ـ أما التجديدُ في النثر النسويّ فهو يتمثّل بأدب الوافدات وفصاحتهنّ وبلاغتهنّ، وفنّ الرسائل المكتوبة والشفوية.

٧ ـ ومن السمات الأخرى للأدب النسويّ، أنّ بعض نصوصه مشكوكٌ في أمر روايتها، فقد تكونُ منحولةً مصنوعةً متكلّفة، والشكّ كما هو معروف أساسُ اليقين، ومن المعروف أيضًا أنّ المتّهم بريء حتى تَثْبُتَ إدانتهُ، وإنّ النصّ ما دام مشكوكًا فيه، فهو يبقى، ويَثبتُ، حتى تثبتَ صحةُ الشكوك فيه. لذلك لم أترك النصوصَ التي ارتبتُ في أمرها.

٨ ـ يسودُ القصصَ النسويّ الطابعُ التاريخيّ، لأنّها تسرد حقائق ووقائع، بأسلوبِها وعاطفتها، فهي أقربُ إلى القصص التاريخي.

٩ ـ أكثر الخطب كانت دينيّةً سياسيّةً إجتماعيّة.

١٠ ـ تعدّد الأدبيات الناثرات، على الرغم من أنّ الشاعرات في (ديوان أشعار النساء) كان عددُهنّ أكثرَ، وذلك طبيعيّ، لأن الاتّجاه إلى الشعر كان أسرعَ، وروايتَه أطوع، وعلوقَه بالنفس أيسر.

١١ ـ التمسكُ بمذهبٍ سياسيّ

معيّن، أو اتجاهٍ دينيّ، والتفاني من أجلهِ، إذ أنّ المرأة كانت مثلَ الرجال، في التزامها بالعقيدة، أو المبدأ، كنساءِ الخوارج، أو الوافدات من أنصار الإمام عليّ كرّم الله وجهه.

١٢ ـ اختلفت القطعُ النثريّة من حيثُ الطول والقصر فكانت أطولُ خطبة هي للسيدة عائشة بنت عثمان بن عفان (رض)، بعد مقتلِ والدها، وأقصرُ رسالة، للسيدة عائشة أم المؤمنين جوابًا على رسالة تسلّمتها من الإمام عليّ.

وكانت أجملُ قطعة نثرية وأبلغُها، وأكرمُها، وصفَ أمّ معبد لرسولِ الله ﷺ عند الهجرة، وقد عدّها زكي مبارك في النثر الفني[1] من باب النسيب، وهو في ذلك يستند إلى الحصرى في قوله في (باب النساء) من كتابه[2] حين عدّ الوصفَ من أبواب النسيب، لأنّه يصف الأمور الحسيّة، كجمال الوجه أو الطول أو الرشاقة..

١٣ ـ وكانت أطولُ القصص وأبلغُها وأغزرُها عاطفةً، وأعلاها رتبةً، ونزل بشأنها عشرُ آيات من القرآن الكريم، هي قصّة الإفك للسيّدة عائشة.

١٤ ـ وكانت أبلغُ الأديبات، وأغزرهُنّ مادة، وأكثرُهنّ نصوصًا، السيّدةُ عائشة أمّ المؤمنين إذ بلغ عددُ نصوصها أربعة وتسعين نصًا.

١٥ ـ وأخيرًا أرجو من الله تعالى أن يعوّضني خيرًا ويجزيني بأجره الكريم، وثوابه الجزيل، لأنني إذ درستُ الفترة الإسلاميّة، في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، لم يكن عن حاجة ماديّة أو معنويّة، بل كان تقربًا إلى الله تعالى، وخدمة لوطني وتراث أمتي، وأن تنال الرسالة حقها من التقدير والرعاية.

وللأساتذة الفضلاء مني كلّ الشكر والامتنان، لجهودهم، ومساعدتهم في تزويدي بالكتب النادرة أو التوجيهات السديدة.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

---

(١) ينظر النثر الفني حتى القرن الرابع الهجري ١/ ٢٤.

(٢) ينظر زهر الآداب ج١ وج٢ في وصف النساء.

التخريجات

العصرُ الأول ـ صدرُ الإسلام

(١)

العقد الفريد ١/ ٢٢٥ طبعة بيروت.

نثر الدرّ ٤/ ٣٦.

(٢)

ـ ١ ـ

المستدرك ٤/ ٥٢٥.

صفة الصفوة ٢/ ٣٢.

التاريخ الكامل لابن الأثير ٤/ ٢٣.

تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٩٧.

الإصابة ٤/ ٢٢٩.

ـ ٢ ـ

لم أجد النص في مصدر آخر.

ـ ٣ ـ

لم أجد النص في مصدر آخر.

ـ ٤ ـ

العقد الفريد ٤/ ١٩٢.

المُستدرك ٣/ ٥١٣.

تاريخ الإسلام ١/ ٣٩٧.

الإصابة ٤/ ٢٩٠.

شذراتُ الذهب ١/ ٨٠.

ـ ٥ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٦ ـ

تاريخ ابن الأثير ٤/ ٢٣.

ـ ٧ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٨ ـ

طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٠.

تاريخ الطبري ٢/ ٣٧٩.

المستدرك ٣/ ٤٥٨.

تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٢٧.

الإصابة ٤/ ٣٠٤.

عمدة القارئ ١٧/ ٥٠.

- ٩ -

عمدة القارئ ١٤/ ٢٣٦ و ١٧/ ٥٠.

- ١٠ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ١١ -

الإصابة ٤/ ٢٢٩.

عمدة القارئ ١٥/ ٧٤.

- ١٢ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ١٣ -

المستدرك ٣/ ٤٥.

تلخيص المستدرك ٣/ ٤٥.

- ١٤ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ١٥ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ١٦ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ١٧ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ١٨ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ١٩ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣)

صفة الصفوة ٢/ ٣٣.

(٤)

- ١ -

أسد الغابة ٧/ ١٩.

تاريخ ابن عساكر ٧/ ٤٣٧.

- ٢ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٥)

- ١ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ٢ -

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

- ٣ -

نثر الدرّ ٣١.

(٦)

أسد الغابة ٦/ ٦٧.

(٧)

-١-

طبقات ابن سعد ٨/ ١٤.

تاريخ الطبري ٢/ ٣٠٣.

الاستيعاب ٤/ ١٨٥.

الإصابة ٤/ ١٨٣.

-٢-

الاستيعاب ٤/ ١٨٢٠.

الإصابة ٤/ ٢٨٣.

-٣-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٤-

لم أجد النص في مصدر آخر.

-٥-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٨)

-١- و -٢-

الاستيعاب ٦/ ١٨٢٨.

صفة الصفوة ٤/ ٣٤٨ نُسبت إلى الخنساء بنت عمرو النخعية.

أسد الغابة ٧/ ٨٩.

شرح المقامات ٤/ ٣٩٤.

طبقاتُ الشافعية للسُبكي ١/ ١٣٦.

الإصابة ٤/ ٢٨٨.

-٣-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٤-

العقد الفريد ٣/ ٣٤.

-٥-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٦-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٧-

نثر الدرّ للآبي ٤/ ٦٨ نسب إلى امرأة جاهلية اسْمها ابنة هانئ بن قبيصة.

-٨-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٩-

شرح ديوان الخنساء.

-١٠-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-١١-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٩)

-١- و -٢-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٣-

الدرّ المنثور ١٨٥.

-٤- و -٥- و -٦- و -٧-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٠)

-١- و -٢-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٣-

الإصابة ٤/ ٢٩٠.

(١١)

-١-

تاريخ الطبري ٢/ ٦٥٣.

الاستيعاب ٤/ ١٩٣٠.

الإصابة ٤/ ٣٠٥.

-٢- و -٣-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٢)

-١-

الإصابة ٤/ ٣١٤.

-٢-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٣-

الإصابة ٤/ ٣١٤.

-٤- و -٥- و -٦-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٣)

أسد الغابة ٧/ ١٣٢.

(١٤)

-١-

تاريخ الطبري ٣/ ١١٢.

الأغاني ١٦/ ٩٧.

المستطرف ١/ ١٦٩.

الإصابة ٤/ ٣٢٩.

-٢-

المستطرف ١/ ١٦٩ و ١/ ١٠١.

-٣-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٥)

-١- و -٢-

تاريخ الطبري ٣/ ٨٠.

الاستيعاب ٤/ ١٨٧١.

الإصابة ٤/ ٣٤٤.

(١٦)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٧)

-١-

سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤.

تاريخ الطبري ٢/ ٣٧٥ - ٣٧٧.

المستدرك ٣/ ٦.

الاستيعاب ٤/ ١٩٧٧.

أسد الغابة ٧/ ٣٣١.

الإصابة ٤/ ٤٥٠.

-٢-

طبقات ابن سعد ٨/ ١٦٩.

تاريخ الطبري ٢/ ٦١٠.

المستدرك ٣/ ٥١٩.

صفة الصفوة ٢/ ٩.

إمتاع الأسماع ١/ ٢٠٧.

عمدة القارئ ٤/ ٣ و ٤/ ١٦٥ و ١٣/ ١٥٣ و ١٧/ ١٢ و ١٧/ ٢٠٣ و ٢٥/ ٧٢ و ٢٥/ ١٨٥.

-٣- و -٤-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٥-

الرياض النضرة ١/ ٢٤٢.

العقد الفريد ٣/ ١٣.

نهاية الأرب ٥/ ١٧٠.

الإجابة ٥٧.

المستطرف ٢/ ٢٨٣.

-٦-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٧-

العقد الفريد ٤/ ٨٨.

نثر الدرّ ٤/ ١٨.

-٨-

العقد الفريد ٤/ ٩٠ و ٣/ ٧.

-٩-

نثر الدرّ ٤/ ٢٣.

-١٠- و -١١- و -١٢- و -١٣-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-١٤-

تاريخ الطبري ٤/ ٥٤٤.

تاريخ ابن الأثير ٣/ ١٣٢.

-١٥-

الكامل لابن الأثير ٣/ ١٠٦.

الدرّ المنثور ٢٨٠.

-١٦-

العقد الفريد ٤/ ٨٩.

نثر الدرّ ١٦.

صفة الصفوة ٢/١٦.

ـ ١٧ ـ

تاريخ ابن الأثير ٣/١٠٨.

الدرّ المنثور ٢٧٨.

ـ ١٨ ـ

العقد الفريد ٤/ ١٢٤.

الدرّ المنثور ٢٨١.

ـ ١٩ ـ

نثر الدرّ ٤/ ٢٣.

ـ ٢٠ ـ و ـ ٢١ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٢٢ ـ

تاريخُ الدُّول الإسلامية لابن طباطبا ٨٢.

ـ ٢٣ ـ و ـ ٢٤ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٢٥ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٢٦ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٢٧ ـ

شرح ابن أبي الحديد ١٠/٦.

ـ ٢٨ ـ و ـ ٢٩ ـ و ـ ٣٠ ـ و ـ ٣١ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٣٢ ـ

العقد الفريد ٤/١٢٦.

ـ ٣٣ ـ و ـ ٣٤ ـ و ـ ٣٥ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٣٦ ـ

العقد الفريد ١/ ٤٥.

صفة الصفوة ٢/ ١٤.

ـ ٣٧ ـ

العقد الفريد ٤/١٢٦.

مجمع الأمثال ٣/٣٣٦.

تاريخ ابن الأثير ٣/١٠٩.

ـ ٣٨ ـ و ـ ٣٩ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٤٠ ـ و ـ ٤١ ـ و ـ ٤٢ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٤٣ ـ

المستقصى في أمثال العرب ١/ ٣١٥ و ٢/ ٦٠.

نُسب إلى عائشة وإلى ابن عباس.

ـ ٤٤ ـ

جمهرة الأمثال ٢/ ٣٨٣.

المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٢٦١.

ـ ٤٥ ـ

جمهرة الأمثال ٢/ ٢٤٦.

المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٣٤٨.

ـ ٤٦ ـ و ـ ٤٧ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٤٨ ـ

المستدرك ٢/ ٦١٤.

ـ ٤٩ ـ

تلخيص المستدرك ٢/ ٦١٤.

صفة الصفوة ١/ ٦٤.

ـ ٥٠ ـ و ٥١ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥ و٥٦ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٥٧ ـ

نثر الدّر ٤/ ٢٣.

ـ ٥٨ و٥٩ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣ و٦٤ و٦٥ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٦٦ ـ و ـ٦٧ـ و ـ ٦٨ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٦٩ ـ

تلخيص المستدرك ٢/ ٢٩٨.

ـ ٧٠ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤ و٧٥ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٧٦ ـ

العقد الفريد ١/ ٣٨.

ـ ٧٧ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٧٨ ـ

نثر الدرّ ٢٠.

ـ ٧٩ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٨٠ و٨١ و٨٢ و٨٣ و٨٤ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٨٥ ـ

الإمامة والسياسة ٥٣ و ٥١.

بلاغات النساء ١٢.

العقد الفريد ٤/ ١٢٧.

نثر الدرّ ٤/ ٢٢.

ـ ٨٦ ـ و ـ٨٧ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٨٨ ـ

الدرّ المنثور.

ـ ٨٩ ـ

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ١٦٧.

ـ ٩٠ ـ و ـ ٩١ ـ و ـ ٩٢ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٨)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٩)

ـ ١ ـ

الاستيعاب ٤/ ١٨٧٦.

صفة الصفوة ١/ ٥٣.

أسد الغابة ٧/ ١٨٣.

تاريخ الذهبي ١/ ٣٢٩.

ـ ٢ ـ

صفة الصفوة ١/ ٥٣ نُسبت إلى أبي معبد.

تاريخ الذهبي ١/ ٤٣٧ نُسبت القصّة إلى قيس بن النعمان.

ـ ٣ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٠)

طبقات ابن سعد ٨/ ٤٣.

تاريخ الطبري ٢/ ٤٢٨.

الأغاني ٤/ ١٧.

المستدرك ٣/ ١٩.

الاستيعاب ٤/ ١٧٨٠.

الإصابة ٤/ ٣٥٧.

(٢١)

ـ ١ ـ و ـ ٢ ـ

الدرّ المنثور.

(٢٢)

ـ ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٣)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٤)

ـ ١ ـ

المستدرك ٣/ ١٥٦.

صفة الصفوة ٢/ ٤.

ـ ٢ ـ

المستدرك ٣/ ١٦٣.

ـ٣ـ و ـ٤ـ و ـ٥ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ٦ـ

الفاضل في صفة الأدب الكامل ٢/ ٧٠.

نثر الدرّ ٤/ ٨.

ـ٧ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ٨ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٥)

ـ١ـ

المعجم الكبير للطبراني ٢٥/ ٧.

الإصابة ٤/ ٣٩١.

ـ٢ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ٣ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٦)

الأغاني ٤/ ٤٢ نُسبت إلى إحدى بنات الحرث بن عامر.

الإصابة ٤/ ٤٠٥.

عمدة القارئ ١٤/ ٢٩٠ نُسبت إلى إحدى بنات الحرث أو الحارث بن عامر، أيضًا.

(٢٧)

ـ١ـ

الأغاني ١٥/ ١٧.

ـ٢ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٨)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٩)

ـ١ـ

العقد الفريد ٤/ ١٢٥.

نثر الدرّ للآبي ٢٠ و ٤٥.

ـ٢ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ٣ـ

مجمع الأمثال للميداني ٣/ ٤٩١.

(٣٠)

ـ١ـ

تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ٥٦٠.

عمدة القارئ ٢٤/ ٢٣٣ و ٢٣/ ١٧٣.

-٢-

تاريخ الطبري ٣/ ٦١.

الاستيعاب ٤/ ١٩٢٣.

أسد الغابة ٧/ ٢٩٢.

-٣- و -٤- و -٥- و -٦-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣١)

-١-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٢-

المستطرف ٢/ ٢٢١.

(٣٢)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٣)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٤)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٥) و (٣٦) و (٣٧)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

التخريجات

العصرُ الأمويّ

(١)

مخطوطةُ الوفود للشهرزوري الورقة ١٧ ب.

(٢)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣)

العقد الفريد ١/ ٢١٩.

(٤)

مخطوطةُ كتاب الوفود للشهرزوري الورقة ١٢ ب.

(٥)

نثر الدرّ ٨٤.

(٦)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٧)

العقد الفريد ١/ ٢٢٢.

(٨)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٩)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٠)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١١)

ـ١ـ

لا تخريج له.

ـ ٢ ـ

الأغاني ١٦/ ٣٧.

المستطرف ٢/ ٢١٨.

الدرّ المنثور ٢٢٨.

ـ ٣ ـ

الأغاني ١٦/ ٣٧.

المستطرف ٢/ ٢١٨.

الدرّ المنثور ٢٢٨.

(١٢)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٣)

ـ ١ ـ و ـ ٢ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٣ ـ

تاريخ ابن الأثير ٣/ ٢٨٥.

الدرّ المنثور ٢٣٢.

ـ ٤ ـ

نثر الدرّ ٢٥.

(١٤)

العقد الفريد ١/ ٢٢٠.

الفاضل ٢/ ٧٦.

نثر الدرّ ٤/ ٧٩.

(١٥)

ـ ١ ـ و ـ ٢ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

ـ ٣ ـ

المستطرف ١/ ٦٢.

ـ ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٦)

العقد الفريد ١/ ٢٢٨.

الفاضل ٢/ ٧٨.

نثر الدرّ ٤/ ٧٧.

(١٧)

ـ ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٨)

ـ ١ ـ و ـ ٢ ـ

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(١٩)

-١-

نثر الدرّ ٤/ ١٢٧.

-٢- و-٣-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٠)

العقد الفريد ١/ ٢٢٢، وصبح الأعشى ١/ ٢٥٤.

سُميتْ عكرشة بنت الأطرش.

(٢١)

الأغاني ٢/ ١٩٦.

مخطوطة كتاب الوفود الورقة ١٩.

(٢٢)

-١- و-٢-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٣)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٤)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٥)

بلاغات النساء ٥٦ نُسب النصّ إلى صفية بنت هشام المنقرية.

(٢٦)

-١-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٢-

الأغاني ١٠/ ٦٨ و ١٠/ ٨.

نثر الدرّ ٤/ ١٥.

أخبار النساء ٤٥.

-٣-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

-٤-

الأغاني ١٠/ ٦٩ و ٧٩.

-٥-

الأغاني ١٠/ ٨٣.

-٦- و-٧-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٧)

-١- و-٢- و-٣-

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٨)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٢٩)

أسد الغابة ٧/ ٤١٤.

(٣٠)

صبح الأعشى ١/ ٢٦١.

(٣١)

الأغاني ١١/ ٤٩ وقد أهملت رواية الأغاني لأنّها بعيدة عن الواقع وأقرب إلى الخيال.

(٣٢)

ـ١ و٢ و٣ و٤ و٥ـ
لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٣)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٤)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٥)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٦)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٧)

العقد الفريد ١/ ٢٢٣.

صبح الأعشى ١/ ٢٤٩.

الدرّ المنثور ٥٧.

(٣٨)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٣٩)

العقد الفريد ١/ ٢٢١.

صبح الأعشى ١/ ٢٥٨.

(٤٠)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٤١)

(٤٢)

أمالي القالي ٢/ ٨١.

(٤٣)

الفاضل ٢/ ١٠٥.

نثر الدرّ ٤/ ١٠٥.

نُسِب الحوار إلى أعرابية وزوجها.

(٤٤)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٤٥)

مخطوطة الوفود للشهرزوري ورقة ٢٧.

(٤٦)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٤٧)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٤٨)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٤٩)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٥٠)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٥١)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٥٢)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

(٥٣) و (٥٤)

لم أجد النصّ في مصدر آخر.

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الإجابة في إيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، بدر الدين الزركشي ٧٩٤ هـ، تح سعيد الأفغاني، ط٢ بيروت، ١٣٩٠ هـ.

٣ ـ الأخبار الموفّقيات، الزبير بن بكار ٢٥٦هـ، تح د. سامي مكّي العانيّ، طبع ١٩٧٢.

٤ ـ أخبار النساء، ابن الجوزي ٥٩٧هـ، المنسوب لابن قيّم الجوزيّة ٧٥١هـ، طبع مكتبة التحرير، بغداد، بلا تاريخ.

٥ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي ٤٦٣هـ، طبع على نفقة عبد الحفيظ بن السلطان أمير المغرب، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

٦ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٦٣٠هـ، تقديم شهاب الدين النجفي، طهران، المكتبة الإسلاميّة، ١٣٥٥هـ.

٧ ـ أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني عبد القاهر ٤٧١هـ، محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية، بلا تاريخ.

٨ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني ابن حجر ٨٥٢هـ، طبع على نفقة عبد الحفيظ ابن السلطان أمير المغرب، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

٩ ـ الأعلام، الزركلي خير الدين، طبع بيروت ١٩٦٩.

١٠ ـ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، دمشق ١٩٥٩.

١١ ـ الأغاني، الإصبهاني أبو الفرج ٣٥٦هـ، عن طبعة بولاق الأهلية، دار التوجيه اللبناني، بيروت، بلا تاريخ.

١٢ ـ الآمالي القالي، أبو علي ٣٥٦هـ، نشر المكتب الإسلامي، بلا تاريخ.

١٣ ـ الإمامة والسياسة، الدينوريّ ابن قتيبة ٢٧٦هـ، طبع على نفقة محمود محمد شعبان، طبع القاهرة، بلا تاريخ.

١٤ ـ إمتاع الأسماع، المقريزي تقي الدين ٨٢١هـ تقريبًا، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، ١٩٤١.

١٤ أ ـ أنساب الأشراف، البلاذري، محمد بن يحيى ٣٧٩هـ، تح محمد حميدالله، دار المعارف مصر بلا تاريخ.

١٥ ـ الأنساب، السمعاني أبو سعد ٥٦٢هـ، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف، الهند، ١٩٦٢.

١٦ ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين ٧٩٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧.

١٦ أ ـ البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، القرن الرابع الهجري، تح د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، ط ١ ١٩٦٧.

١٧ ـ بغداد في تاريخ الخلافة العباسيّة، طيفور أحمد ابن أبي طاهر ٢٨٠هـ، تحقيق محمد زاهد الكوثري، طبع القاهرة ١٩٤٩.

١٨ ـ بلاغات النساء، طيفور أحمد بن أبي طاهر ٢٨٠هـ، نشر وتصحيح أحمد الألفي، طبع القاهرة ١٩٠٨.

١٩ ـ البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥هـ، طبع بيروت، وطبع القاهرة بتحقيق عبد السلام هرون ١٩٨٥.

٢٠ ـ تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، د. نوري القيسي و د. عادل البياتي، طبع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الطبعة الثانية ١٩٨٩.

٢١ ـ تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، الذهبي شمس الدين ٧٤٨هـ، تحقيق د. بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨.

٢٢ ـ تاريخ الخلفاء، السيوطي ٩١١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٥٢.

٢٣ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسن الديار بكري ٩٨٣هـ، بيروت ١٢٨٣هـ/ بلا تاريخ.

٢٤ ـ تاريخ الدول الإسلاميّة، العلوي ابن طباطبا، القرن الثالث الهجري، دار صادر بيروت، ١٩٦٠.

٢٥ ـ تاريخ الرسل والملوك، الطبري محمد بن جرير، ٣١٠هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة بلا تاريخ.

٢٥ أ ـ تجريد أسماء الصحابة، ابن الأثير، ٦٣٠هـ، ط١ مطبعة المعارف، الهند ١٣١٥هـ.

٢٦ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي محمد البخاري ٣٨٠هـ، طبعة آرثر جون بري، مطبعة السعادة ١٩٣٣.

٢٧ ـ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، يحيى بن شرف ٦٧٦هـ، الطباعة المنيرية القاهرة، بلا تاريخ.

٢٨ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي النيسابوري ت ٤٢٩هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر ١٩٦٥.

٢٩ ـ ثمرات الأوراق في المحاضرات، تقي الدين ابن حجة الحموي ت ٨٣٧هـ، طبع المكتبة التجارية الكبرى (أوفسيت).

٣٠ ـ جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري ٣٩٥هـ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة، مصر ١٩٦٤.

٣١ ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوة، القاهرة، البابي الحلبي ١٩٣٣ ج١ ج٢.

٣٢ ـ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوة، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ ج١ و ج٢.

٣٣ ـ الحيوان، للجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥هـ، تح عبد السلام هرون، ط٢، مصر ١٩٥٨.

٣٤ ـ الخلاصة في مذاهب الأدب العربي، د. علي جواد الطاهر، دار الرائد العربي، ط بيروت الثانية ١٩٨٤.

٣٥ ـ الخنساء في مرآة عصرها، اسماعيل القاضي، طبع وزارة المعارف، بغداد ١٩٦٣.

٣٦ ـ الخنساء، منتخبات شعرية، البشاشي، فؤاد أفرام، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت ١٩٣٠.

٣٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية إشراف فنسنك وآخرين، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، طبع الشعب ١٩٣٣.

٣٨ ـ الدرّ المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب فواز بنت علي العاملي ١٨٨٩، مطبعة بولاق، القاهرة ١٩١٤.

٣٩ ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ، تصحيح محمد عبدة مكتبة القاهرة ١٣٨١ هـ.

٤٠ ـ ديوان أشعار النساء ـ أطروحة ليلى محمد ناظم الحيالي، على الآلة الكاتبة، تموز ١٩٨٩.

٤١ ـ ديوان توبة بن الحمير، تحقيق د. خليل إبراهيم العطية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨.

٤٢ ـ ديوان ليلى الأخيليّة، جمع وتحقيق خليل وجليل العطية، طبع دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٧.

٤٣ ـ الرسائل الفنيّة في العصر الأمويّ، غانم جواد رضا، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، ١٩٧٦.

٤٤ ـ الروائع/ الخنساء، فؤاد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٠.

٤٥ ـ الرومانتيكية، لمحمد غنيمي هلال، بيروت، دار العودة ١٩٧٣.

٤٦ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر المحب الطبري ٦٩٤هـ، ط الثانية، القاهرة، ١٩٥٣.

٤٧ ـ الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد الأنباري ٣٢٨هـ، تح د. حاتم الضامن، طبع دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩.

٤٨ ـ زهر الآداب وثمر الألباب أبو اسحق الحصري القيرواني ٤٥٣هـ، تح محمد علي البجاوي، ط الأولى ١٩٥٣.

٤٩ ـ سيرة ابن حمدون، أبو العالي البغدادي ٥٦٢هـ، د. تح ساميّ العانيّ.

٥٠ ـ السيرة النبوية لابن هشام ت ٢١٨هـ، تح إبراهيم الأبياري ومصطفى السقا، مصر ١٩٨٥.

٥١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن عماد أبو الفلاح الحنبليّ ١٠٨٩هـ، ط مكتبة القدسي ١٣٥١هـ.

٥٢ ـ شرح ديوان الخنساء، لويس شيخو، بيروت ١٩٦٨.

٥٣ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المدايني ٦٥٥هـ، دار إحياء التراث، بيروت.

٥٤ ـ شرح المقامات، أحمد بن عبد المؤمن الشريشي ٦٤١هـ، ط٢، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٨٨٢.

٥٥ ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ، تح أحمد محمد شاكر، ط القاهرة، ١٩٦٦.

٥٦ ـ الشعراء المخضرمون، د. عبد الحليم حفني، طبع المنظمة العربية العامة للكتاب ١٩٨٣.

٥٧ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، ٨٢١هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٣.

٥٨ ـ صفة الصفوة، ابن الجوزي، أبو الفرج ٥٩٧هـ، ط الأولى دار المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥٥هـ.

٥٩ ـ كتاب الصناعتين، العسكري أبو هلال، تحقيق علي محمد البجاوي، طبع عيسى الحلبي وشركاؤه، الطبعة الثانية، بلا تاريخ.

٦٠ ـ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي تاج الدين ٧٧١هـ. تح محمود محمد الطناحي، ط الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٤.

٦١ ـ طبقات فحول الشعراء، الجمحي محمد بن سلام، ٢٣١هـ، تصحيح ونشر محمود محمد شاكر، ١٩٨٠.

٦٢ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد الزهري ٢٣٠هـ، طبعة بيروت، بلا تاريخ.

٦٣ ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين السبكي ٨٣٢هـ، تح محمود أحمد الطناحي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٩.

٦٤ ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ٣٢٨هـ تح إبراهيم الأبياري، وعبد السلام هرون، ط لجنة التأليف، القاهرة ١٩٦٧.

٦٥ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني ٤٥٦هـ، تح محيي الدين عبد الحميد ط الثانية، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٣.

٦٦ ـ عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، العيني البدر، بدر الدين ٨٥٥هـ، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، بلا تاريخ.

٦٧ ـ عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ، ط دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٠.

٦٨ ـ عيون التواريخ، الكتبي محمدبن شاكر ٧٦٤هـ تح د. فيصل السامر، طبع وزارة الإعلام ١٩٧٧.

٦٩ ـ الفاضل في صفة الأدب الكامل للوشاء ٣٢٥هـ، تح يوسف يعقوب مسكوني، مطبعة شفيق بغداد ١٩٧١.

٦٩ أ ـ فتوح البهنا الغراء، الواقدي أبو عبدالله، ٢٠٧هـ، ط البابي الحلبي ١٩٣٤.

٧٠ ـ فتوح الشام، للواقدي، أبو عبدالله ٢٠٧هـ، طبع المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٧٣هـ.

٧١ ـ فن الخطابة لأرسطو، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط٢ بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٦.

٧٢ ـ فن الكاتب المسرحي، روجرز بسفيلد، ترجمة دريني خشبة، طبع القاهرة ١٩٦٣.

٧٣ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف.

٧٤ ـ الفهرست لابن النديم، ٣٩٠هـ، مطبعة بيروت، بلا تاريخ.

٧٥ ـ فوات الوفيات، الكتبي محمدبن شاكر ٧٦٤هـ، تح محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥١.

٧٦ ـ في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، الطبعة السابعة، بلا تاريخ.

٧٧ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٦٣٠هـ، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥٣هـ.

٧٨ ـ الكامل في اللغة والأدب، للمبرد أبو العباس محمدبن يزيد ٢٨٥هـ، تح أحمد محمد شاكر، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، بلا تاريخ.

٧٩ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف الحاج خليفة ١٠٦٧هـ، تقديم المرعشلي شهاب الدين، أعادت طبعه مكتبة المثنى بالأوفسيت ببغداد، بلا تاريخ.

٨٠ ـ لباب الآداب، أسامة بن منقذ ٥٨٤هـ، تح أحمد محمد شاكر، المطبعة الرحمانية، مصر ١٩٣٥.

٨١ ـ لباب الآداب، الثعالبيّ النيسابوريّ ٤٢٩هـ، تح د. قحطان رشيد صالح، طبع دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٨.

٨٢ ـ مجمع الأمثال، الميداني ٥١٨هـ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٢، القاهرة ١٩٥٩.

٨٣ ـ المحبّر، محمدبن حبيب، ٢٤٥هـ، رواية أبي سعيد السكريّ، تصحيح د. إيلزة ليختن شتيتر، منشورات المكتب التجاري، بيروت، بلا تاريخ.

٨٤ ـ المذاكرة في ألقاب الشعراء، أبو المجد الشيباني الأربلي، ٦٥٧هـ، تح شاكر العاشور، ط الأولى، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٨.

٨٥ ـ المستدرك على الصحيحين في الحديث، الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ، مطابع النصر، الرياض ١٣٣٥هـ.

٨٦ ـ المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين الأبشيهي ٨٥٠هـ، طبع المكتبة التجارية، أوفسيت.

٨٧ ـ المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري أبو القاسم ٥٣٨هـ، ط الأولى حيدر آباد ١٩٦٢.

٨٨ ـ معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم العباسي ٩٦٣هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨.

٨٩ ـ معجم الأدباء، الحموي ياقوت، ٦٢٦هـ، نشر وتصحيح مرجليوت، ط٢، ١٩٢٣.

٩٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار مطابع الشعب ١٩٤٥.

٩١ ـ معجم البلدان، الحموي الرومي ياقوت ٦٢٦هـ، طبع دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.

٩٢ ـ المعجم الكبير، الطبراني أبو القاسم ٣٦٠هـ، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء الموصل وزارة الأوقاف.

٩٣ ـ معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٣.

٩٤ ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، المكتبة العربية، دمشق ١٩٦١.

٩٥ ـ المغازي، الواقدي أبو عبدالله ٢٠٧هـ، تح د. مارسدن جونس، جامعة أكسفورد، بلا تاريخ.

٩٦ ـ الموشح، المرزباني ٣٨٤هـ، تح محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.

٩٧ - المنظوم والمنثور، طيفور أحمد بن أبي طاهر ٢٨٠هـ، تح د. محسن عياش بيروت، بلا تاريخ.

٩٨ - نثر الدرّ، الآبي أبو سعد منصور ٤٢١هـ، تح د. حسين نصار، القاهرة، بلا تاريخ.

٩٩ - نثر النظم وحل العقد، الثعالبي عبد الملك ٤١٨هـ تقريبًا، المطبعة الأدبية، مصر ١٨٩٩.

١٠٠ - النثر الفني حتى القرن الرابع الهجري، د. زكي مبارك، مطبعة دار الجيل، بيروت ١٩٣٤.

١٠١ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي جمال الدين الأتابكي ٨٧٤هـ، تقديم محمد عبد القادر حاتم، تصحيح القسم الأدبي بدار الكتب، نقلًا عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣.

١٠٢ - نسب قريش، الزبيري أبو عبدالله مصعب ٢٣٦هـ، نشر ليفي بروفنسال، طبعة القاهرة ١٩٥١.

١٠٣ - نظرات في شعر صدر الإسلام، د. ساميّ مكيّ العانيّ، الموسوعة الصغيرة، طبع دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٢.

١٠٤ - النقد الأدبيّ الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع ١٩٧٧.

١٠٥ - نقد النثر المنسوب إلى قدامة بن جعفر، ٣٢٨هـ تقريبًا، تح د. طه حسين، طبع لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة ١٩٣٧.

١٠٦ - نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري ٧٣٣هـ، مصحح محمد حسين وإبراهيم طفيش، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بلا تاريخ.

١٠٧ - الوافي بالوفيات، الصفدي صلاح الدين القرن الثامن الهجري، اعتناء شكري فيصل فرانز شتاينر، ١٩٨١.

١٠٨ - الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني علي بن عبد العزيز، ٣٩٢هـ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٦.

١٠٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان ٦٨١هـ، إعداد د. إحسان عباس (إعداد الفهارس)، دار صادر، بيروت ١٩٧٧.

المخطوطات

١١٠ - مخطوطة شذور العقود في تاريخ العهود لابن الجوزي، مكتبة المتحف رقم ٢٩٨٥٦.

١١١ - مخطوطة الوافدين والوافدات (كتاب الوفود في أخبار الوافدين من الرجال والنساء من أهل الكوفة والبصرة على معاوية)، محمد بن عبد الرحمن الشهرزوري، من مكتبة الدكتور عادل البياتي.

المجلات والدوريات

١١٢ ـ مجلة آداب بغداد عدد ١٩٧٢.

مجلة آداب المستنصرية عدد ١٩٧٦ مطبعة المعارف، بغداد.

١١٣ ـ مجلة الرسالة، الأعداد ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣، أحمد حسن الزيات، مصر.

١١٤ ـ مجلة الكتاب، عادل الغضبان، دار المعارف، مصر ١٩٤٦/٣.

١١٥ ـ مجلة المقتطف ١٨٧٦ ـ ١٩٥٢، يعقوب صروف، بيروت.

فهرس الأعلام

أديبات العصر الإسلامي الأول

أروى بنت الحارث ٨٥
أسماء بنت أبي بكر ٨٨
أسماء بنت عميس ٨٩
أسماء بنت يزيد ١٠٠
حفصة بنت عمر ١٠٣
حليمة بنت أبي ذؤيب ١٠٧
خديجة بنت خويلد ١١٠
الخنساء ١١٣
خولة بنت الأزور ١١٩
خولة بنت ثعلبة ١٢٢
رملة بنت أبي سفيان ١٢٥
زينب بنت جحش ١٢٨
زينب بنت أبي سلمة ١٣١
سفانة بنت حاتم ١٣٢
الشيماء ١٣٦
صفية بنت حيي ١٣٧
عائشة بنت أبي بكر ١٣٩
عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ١٩٢
عاتكة بنت خالد ١٩٣
عاتكة بنت عبدالمطلب ١٩٧
عفراء بنت غفار ١٩٩
الغميصاء ٢٠٠
فاطمة بنت قيس ٢٠٣
فاطمة بنت محمد ٢٠٥
قيلة بنت مخرمة ٢١٦
ماوية ٢٢٣
نائلة بنت الفرافصة ٢٢٥
نسيبة الأنصارية ٢٢٩
هند بنت أبي أمية ٢٣٠
هند بنت عتبة ٢٣٣
هند بنت النعمان بن المنذر ٢٣٦
ابنة عبدالله ٢٤١
أم رعلة ٢٤٢
أم شريك ٢٤٣
امرأة الحطيئة ٢٤٤
امرأة قيس ٢٤٤
جارية ٢٤٥

أديبات العصر الأموي

آمنة بنت الشريد ٢٥١
أمامة بنت زيد ٢٥٥
بكارة الهلالية ٢٥٦
جروة بنت مرة ٢٥٨
الجمانة بنت المهاجر ٢٦١
جمرة ٢٦٢
الدارمية ٢٦٣
رملة بنت الزبير ٢٦٦
رملة بنت معاوية ٢٦٨
ريّا بنت الكميت ٢٦٨
زينب بنت حدير ٢٦٩
زينب بنت الزبير ٢٧٢
زينب بنت علي ٢٧٣
الزرقاء بنت عدي ٢٧٧

سكينة بنت الحسين ٢٨١
سودة بنت عمارة ٢٨٦
عائشة بنت طلحة ٢٩٠
عائشة بنت عثمان ٢٩٤
عاتكة بنت يزيد ٢٩٩
عكرشة بنت الأطرش ٣٠٢
الفارعة بنت عبدالرحمٰن ٣٠٥
فاطمة بنت عبدالملك ٣٠٧
فاطمة بنت علي ٣٠٩
فاطمة بنت مروان ٣١٢
فرغانة ٣١٣
ليلى الأخيلية ٣١٥
هند بنت أسماء ٣٢٣
أخت عبدالله ٣٢٥
أخت النعمان ٣٢٦
أم البراء ٣٢٨
أم البنين ٣٣٠
أم جعفر ٣٣٦
أم حبيب ٣٣٧
أم خالد القسري ٣٣٨
أم الخير ٣٣٩
أم سفيان ٣٤٥
أم سنان ٣٤٦
أم عمر بن عبدالعزيز ٣٤٩
أم كلثوم بنت علي ٣٥٠
أعرابية ٣٥٢
امرأة أبي الأسود ٣٥٤
امرأة من الخوارج ٣٥٧
امرأة من بني ذكوان ٣٥٨
امرأة من عدوان ٣٦٠
امرأة نافع بن الأزرق ٣٦١
جارية ٣٦٢
جارية ٣٦٣
جارية ٣٦٤
صبيّة ٣٦٥
نساء من عقائل الوليد ٣٦٦

فهرسُ المـوادّ

الموضوع	الصفحة
المُقدِّمة	٣
الفصل الأوّل: النّثر النّسوي	٧
ـ النّثر النّسويّ قبل الإسلام	٩
ـ النّثر النّسويّ في الإسلام	١٢
١ ـ الخطابة	٢٠
٢ ـ أدب الوفادات النسويّة	٣١
٣ ـ القصّة	٣٤
٤ ـ الوصايا	٣٨
٥ ـ المَثَل والحكمة	٤٠
٦ ـ الحوار	٤٢
٧ ـ الوصف والقطع الأدبيّة	٤٤
الفصل الثاني: الخصائص الفنّيّة للنّثر النّسويّ	٤٧
الصور والأخيلة	٤٩
الألفاظ والتراكيب	٥٤
المعاني والأفكار	٦٠
العواطف والأحاسيس	٦٥
النّثر النّسويّ في الميزان	٦٨
الفصل الثالث: التّحقيق ومنهجه	٧٣
المُعجَم	٨١
أدبيات العصر الإسلامي الأوّل	٨٣
أدبيات العصر الأمويّ	٢٤٩
الخلاصة	٣٦٧
التخريجات	٣٧٠
المراجع	٣٨٥
فهرس الأعلام	٣٩٣
فهرس الموادّ	٣٩٥

المؤلِّفة

- الدُّكتورة ليلى مُحمَّد ناظم الحَيالي مِن مَواليد الموصل ١٩٤٩.
- حَصَلت على البكالوريوس من جامعة بغداد ١٩٧٠، ومِن الجامعة المُستنصريَّة عَلى الماجستير سَنَة ١٩٨٩، وعلى الدُّكتوراه سَنَة ١٩٩٣.
- تُدرِّس حاليًّا في كلِّيَّة الآداب، قسم اللُّغة العربيَّة، الجامعة المُستنصريَّة، وكانت قد مارست التَّعليم في مَعاهد المُعلِّمين وجامعة الأنبار.
- أعَدَّت مَجموعة كَبيرة من الكُتُب والأبحاث والدِّراسات، منها:
  - مُعجَم ديوان أشعار النِّساء في صدر الإسلام (رسالة ماجستير).
  - جَمْهرة النَّثر النِّسويّ (أُطروحة دُكتوراه).
  - أثر العَقيدة في الأدب النِّسويّ في صدر الإسلام.
  - القِيَم التَّربويَّة في أشعار النِّساء قَبْلَ الإسلام.
  - القِيَم التَّربويَّة في أشعار النِّساء بَعْدَ الإسلام.
  - القِيَم الخُلقيَّة في أدَب السَّيِّدة عائشة.
- ما زالت تَعمل نَشِطة في مَجال الكِتابة والبَحْث إلى جانب عملها كأستاذة في قِسْم اللُّغة العربيَّة / كلِّيَّة الآداب / الجامعة المُستنصريَّة.
- نَشَرت مَجموعة من البُحوث جَمْعًا وتَحقيقًا ودراسةً في مَجلَّة آداب المُستنصريَّة ومَجلَّة التَّربية، منها:
  - ليلى بنت طَريف الخارجيَّة.
  - زينب بنت الطَّثريَّة.
  - عَفراء وعروة.

Dr. Layla Muhammad Nāzim Al-Hayāly

A DICTIONARY OF WOMAN PROSERS IN EARLY ISLAM AND UMAYYĀD PERIOD

A Dictionary and A Study

ISBN 9953-33-164-2
9789953331645

Librairie du Liban *Publishers*